ذخائر العرب
٥٨

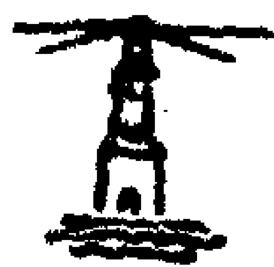
كتاب
الحلة السيراء
لابن الأبار

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي
المعروف بابن الأبار
(٥٩٥ - ٦٥٨ هـ / ١١٩٩ - ١٢٦٠ م)

الجزء الثاني

ويضم تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة
ومن لم يؤثر عنهم شعر

حققه وعلق حواشيه
الدكتور حسين مؤنس



دار المعارف

الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٣
الطبعة الثانية – سنة ١٩٨٥

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

المائة الخامسة

١١٢ ـــ سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المستعين بالله ، أبو أيوب

قدمته البرابرةُ عند قتل عمه هشام بن سليمان بن الناصر القائم على المهدىِّ محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، باعثِ الفتنة بالأندلس ، وموقِدِ نارها الخامدة ، وشاهرِ سيفها المغمد .

وكان المهدى حاقداً على العامريين قتلَهم أباه هشاماً فى دولة المظفر عبد الملك ابن المنصور محمد بن أبى عامر ، لاتهامهم إياه بممالأة الوزير عيسى بن سعيد القَطّاع قتيلِ عبد الملك[1] ، فقام على هشامٍ المؤيد فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين

---

(١) المراد عبد الملك المظفر بن المنصور محمد بن أبى عامر.

وعيسى بن سعيد اليحصبى المعروف بالقطاع كان وزيراً للمنصور محمد بن أبى عامر ثم لابنه عبد الملك المظفر . وقد بلغ فى عهد هذا الأخير سلطاناً عظيما بعد أن تخلص من الفتى طَرَفة الذى كان حاجب المظفر ، وقد كثر خصومه وأعداؤه ، وتزعم هؤلاء عبد الرحمن بن أبى عامر أخو المظفر . وكان عيسى بن سعيد صديقاً لهشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، فاتُّهم الاثنان بالتدبير على المظفر لقتله والمناداة بهشام هذا خليفة ، وانتهى الأمر بأن قتل المظفر وزيره بيده فى مجلس شراب ، ثم قبض على هشام وأودع محبسا ، « فكان آخر العهد به » .

ابن عذارى ، البيان المغرب ٣/٣١ – ٣٥ .

وثلاثمائة وخلعه وحبسه عند وزيره الحسين بن حى[1] ، وقتل عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر — وهو الملقب بالناصر — وصلبه ، وأدرك به ثأره .

وأقام بقرطبة ، مدعوًّا له على منابرها وسائر منابر الأندلس ، إلى أن ثار عليه فى آخر شوال من السنة هشام بن سليمان المذكور وحاربه ، فظفر به المهدى وعجل قتلَه . فهرب سليمان المستعين بالله وأهل بيته ، خيفةً من المهدى ، واضطربوا فى نواحى قرطبة . فالتف البربرُ على سليمان هذا وقدموه خليفةً ، وأصفقوا على بيعته ، لانحرافهم عن المهدى واضطغانهم عليه قتلَ عبد الرحمن بن أبى عامر . وتعجلَ سليمانُ بهم النهوضَ إلى الثغر ، مستجيشاً بالنصارى على محاربة المهدى . ثم عاد فالتقوا جميعاً بقَنْتِيش[2] ، فكانت الوقعة المشهورة على أهل قرطبة ، قُتِل فيها نيفٌ على عشرين ألفاً — ذكر ذلك الُحميدى وغيره .

---

(١) فى البيان المغرب لابن عذارى (٧٧/٣) : الحسن بن حى .

(٢) ورد موضع هذه الواقعة على هذه الصورة عند ابن حيان (برواية ابن بسام ، قسم ١- مجلد ١ ، ص ٣٠ و ٣١) وهو موضع إلى شمال شرق القُلَيْعة Alcolea غير بعيد من ملتقى وادى أرملاط Gualmellato بالوادى الكبير . وقد ورد ذكر موضع الموقعة ٤ مرات عند ابن بشكوال (الصلة ، تراجم أرقام ٢٦ و ٤٦٢ و٩٥٨ و١٠٣٠) مع اختلاف فى الصورة فى حالتين ، فقد وردت مرة فنتيش Fuentes ومرة بنتيش Puentes وهما صورتان مقبولتان للاسم . وورد فى بغية الملتمس للضبى قنتش بدون شكل أوحروف علة ، ويمكن فى هذه الحالة قراءة اسم الموضع Quintos .

وفى تطور أحداث الفتنة الأندلسية الكبرى تعتبر موقعة قنتيش من المعارك الحاسمة ، فقد كانت أولا قاضية على خلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدى وعلى كل أمل فى إعادة الخلافة الأموية القرطبية ، وكانت ثانياً مؤكدة لانقسام العسكر الأندلسى إلى قسمين رئيسيين متعاديين : البربر فى ناحية ، والأندلسيين فى ناحية أخرى . وقد انهزم فيها محمد بن عبد الجبار المهدى والأندلسيون هزيمة قاصمة ، وانتصر البربر تؤيدهم فرقة من النصارى يقودها الكونت سانشو غرسية ودخلوا قرطبة وعاثوا فيها . وبعد ذلك مباشرة شعر حكام النواحى ألا أمل فى إعادة سلطان مركزى ، فبدأ كل منهم يستقل بناحيته ، ولهذا فإننا نستطيع اعتبار تاريخ هذه المعركة وهو ١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠/٣ نوفبر ١٠٠٩ المبدأ الحقيقى لفترة الطوائف .

Cf : LÉVI-PROVENÇAL, *Hist. de l'Espagne Musulmane*, II, 810, et n.1

ودخل سليمانُ قصرَ قرطبة ، وبويع له بالخلافة للنصف من شهر ربيع الأول سنة أربعمائة ؛ وتَسمى حينئذ بـ « الظافر بحول الله » مضافاً ذلك إلى لقب « المستعين بالله » . واستتر المهديُّ بعد انهزامه إلى أن لحق/ بطليطلة ، والثغورُ باقية [١٣٧-ب]
على طاعته ودعوته : من طَرْطُوشة قاصية شرق الأندلس إلى الأشبونة من غربها : فاستجاش هو أيضا النصارى وأقبل بهم إلى قرطبة ، فخرج إليه سليمان ، فهزمه المهديُّ بموضع يعرف بعَقبة البَقَر[١] ، ودخل قرطبة كرةً أخرى والياً ومستولياً [على الخلافة][٢] فلم يلبث أن وثب عليه العبيدُ العامريون مع واضح الصقلبى فقتلوه وصرفوا هشاماً المؤيد . وسليمانُ المستعين أثناء ذلك يجوس خلال الأندلس [ورجاله ومن معهم من البربر ينهبون ويقتلون و][٣] يُقفرون المدائن والقرى بالسيف ، وينهبون كل ما يجدون من الأموال . إلى أن دخلوا معه قرطبة عنوة فى صدر شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، فاستباحوها وقتلوا أهلها . وغيَّب سليمانُ هشاماً المؤيد فلم يره أحد بعد ذلك ، وكان لِدَتَه : وُلِدا جميعاً فى ليلة واحدة ، ثم تقاربا فى الوفاة . وأقام سليمانُ والياً إلى أن [ثار عليه] علىّ بن حمود العلوى الإدريسى ، وكان فى [جملة جنده] ، فقتله بيده يوم الأحد لثمان بقين من المحرم سنة سبع وأربعمائة ، وقتل معه أباه حَكم بن سليمان وأخاه عبد الرحمن ، وادعى أن هشاماً المؤيد عهد إليه بالأمر من بعده .

---

(١) عقبة البقر ، اليوم **El Vacar** ، وهو حصن على عشرين كيلومتراً شمال قرطبة إلى الجنوب الغربى قليلا من **Ovejo** ، وقد ذكرها الإدريسى باسم « دار البقر » . وكانت الموقعة فى ٥ شوال ٢٢/٤٠٠ مايو ١٠١٠ وبعدها مباشرة دخل محمد بن عبد الجبار المهدى قرطبة وهرب منها البربر وبدأت خلافته الثانية .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) بياض بالأصل ، أكملناه بالمعنى من التفاصيل التى قدمها ابن عذارى فى البيان المغرب (٩٧/٣ – ٩٩) .

وفى ذلك اليوم انقرض مُلك بنى مروان بالأندلس على رأس مائتى سنة[1] وثمان وستين سنة وثلاثة وأربعين يوما ، مُحصاةً من يوم الأضحى الذى تقدم فيه عبدُ الرحمن بن معاوية إلى مقتل سليمان هذا . ثم عاد بعد ذلك سنين يسيرةً ، وانقرض على الأثر فلم يعد إلى اليوم .

وكان سليمان المستعين من أهل العلم والفهم ، أديبًا فصيحًا شاعرًا ، له رسائل وأشعار بديعة . وهو القائل — فيما أخبرنى به القاضى أبو الخطاب أحمد بن محمد ابن واجب القيسى ، مناولة ببلنسية عن القاضى أبى بكر بن العربى ، إجازةً[2] عن أبى بكر محمد بن طرخان ، عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الُحميدى ، وأخبرنى أيضا القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى جمرة[3] فى كتابه من مرسية مرتين ، عن القاضيين أبى بكر بن العربى المذكور وأبى الحسن شُريح بن محمد الرعينى ، وأخبرنى أيضاً قاضى قضاة المغرب أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقى فى كتابه إلىّ من قرطبة ، عن أبى الحسن شُريح بن محمد بن شريح ، كلاهما عن الفقيه أبى محمد على بن أحمد بن حزم ؛ قال الُحميدى : منهما[4] أنشدنى

[١٣٨-١] أبو محمد على بن أحمد ، قال : أنشدنى فتى من ولد إسماعيل بن إسحاق المنادي الشاعر ، وكان يكتب لأبى جعفر أحمد بن سعيد الدب ، قال : أنشدنى أبو جعفر ، قال : أنشدنى أمير المؤمنين سليمان الظافر لنفسه ، قال أبو محمد — هو ابن حزم : وأنشدنيها قاسم بن محمد المروانى ، قال : أنشدنيها وليد بن محمد الكاتب لسليمان الظافر :

(١) فى الأصل هنا لفظ « ثنتين » ، وهى زائدة .
(٢) دوزى ، ص ١٦١ : إخبارة .
(٣) الكلام من أول « ابن العربى » إلى هنا مكتوب فى الهامش وفوقه كلمة « صح » .
(٤) كذا ، والأصح : عنهما .

عجباً ! يهابُ الليثُ حدَّ سِنانى ... وأهاب لحظ فواتر الأجفانِ
وأقارِع الأهـوال لا متهيباً ... منها سوى الإعراض والهجران
وتملَّـكَتْ نفسى ثلاثٌ كالدُّمَى ... زُهْرُ الوجوهِ ، نواعمُ الأبدان
كـكواكب الظلماء لُحْنَ لناظرٍ ... من فوق أغصانٍ على كُثْبان
هذى الهلالُ ، وتلك بنتُ المشترى ... حُسناً ، وهذى أختُ غصنِ البان
حاكمتُ فيهنَّ السُّلُوَّ إلى الهوى(١) ... فقضى بسلطانٍ على سلطانى
فأبحنَ من قلبى الحِمى ، وثنيْنَنى(٢) ... فى عزِّ مُلْـكى كالأسير العانى
لا تعـذلوا مَلِـكاً تذلَّل للهوى ... ذلُّ الهوى عز ومُلْك ثانِ
ما ضرَّ أنى عبـــدُهن صَبابةً ... وبنو الزمان وهنَّ من عُبدانى
إن لم أطع فيهن سلطانَ الهوى ... كَلَفًا بهن ، فلستُ من مروان
وإذا الـكريمُ أحبَّ أمّن إلفَهُ ... خطبَ القِلَى وحوادثَ السُّلوان
وإذا تجارى فى الهوى أهلُ الهوى ... عاش الهوى فى غِبطةٍ وأمان

قال الحُميدى : وهذه الأبيات معارضة للأبيات التى تنسب إلى هارون الرشيد ، أنشدنيها له أبو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان العمرى وهى :

ملَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانى ... وحللْن من قلبى بكل مكانِ
مالى تطاوعنى البريةُ كلُّها ... وأطيعُهن ، وهنَّ فى عِصيانى ؟
ما ذاك إلا أنَّ سلطانَ الهوى ... ـ وبه قَوِينَ ـ أعزُّ من سُلطانى

قلت : وقد صرح الرشيد بأسماء هؤلاء الجوارى الثلاث فى قوله :

إن «سِحْراً» و«ضِياءً» و«خُنُثْ» ... هنَّ سحرٌ ، وضياء ، وخنث

(١) الذخيرة (قسم ١ مجلد ١) : الصبا .
(٢) الذخيرة : وتركننى .

[١٣٨-ب] / أخذتْ سحرٌ — ولا ذنبَ لها — ثلثيْ قلبي ، وترْباها الثلُثْ

وقال أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفيّاض — المعروف بابن الغَشَّاء[١] — في كتاب « العِبَر » من تأليفه ، وذَكر سليمان هذا : له قصائد طويلة في فنون كثيرة ، مع المعاني العجيبة ، والألفاظ الغريبة . إلا أنه تقلد في قيامه بالمُلك عظيماً ، وحمل إلى عنقه من دماء المسلمين جسيماً . وكان — قبل الخلافة — ربما امتدح من خدَمة السلطان المستخدمين : أُخبرتُ عن الوزير ابن صاعد أنه امتدحه أيام ولايته على جيَّان ، وكان يَبرُّه في ضيعة له ولا يكلفه عليها عُشوراً ولا حَشداً[٢] . قال : وكأني أراه قائماً بين يدي ابنِ عمه المهديِّ القائم على بني أبي عامر ، والمهديُّ جالس على مقعد الخلافة ، وهو أمامه قد لبس ثوبَ خزٍّ ، وعليه طاقُ خزٍّ ملونٌ ، وأخروفٌ[٣] وَشْيٍ ، وقد رمى بثيابه على عاتقه ، وبيده

(١) لم أجد هذه التسمية لابن أبي الفياض إلا هنا . وهو مؤرخ أندلسي وجغرافي معروف ، ولد في إسْتِجّة سنة ٣٧٥/٩٨٦ وعاش في المرية « ويكنى بأبي بكر ، سمع بإستجة من يوسف بن عمروس وبالمرية من أبي عمر الطلمنكي وأبي عمر بن عفيف والمهلب بن أبي صفرة وغيرهم ، وله تأليف في الخبر والتاريخ ، وتوفي سنة ٤٥٩ (١٠٦٦) وقد جاوز الثمانين سنة . ذكره ابن مُدَيْر » .

انظر كذلك : المقري ، نفح الطيب (طبع أوروبا) ٢/١٢٣ .
وترجمة جايانجوس لهذا الأخير ، جـ ١ ص ١٩٣ و ٤٧٤ .
و « جامع أقوال المؤرخين في بني عباد » : ٢/٣٤ .
وپونس بويجس ، رقم ١٠٥ ص ١٣٨ .
وتاريخ الفكر الأندلسي لپالنثيا وترجمتنا ، ص ٢١٢ .

(٢) العشور معروفة ، وأما الحشد فضريبة مالية كانت تفرض في الأندلس على أصحاب الضياع في الريف وعلى الناس في المدن معونة للخليفة على شؤون الحرب ، وكان الناس أولا مكلفين بالخروج إلى الحرب ، وكان عليهم أن يخرجوا إلى الحشد عندما يجيء أوان الصائفة ، ثم استبدلت بضريبة مالية أو عينية لمن لا يريد الخروج ، ثم أصبحت ضريبة مالية خالصة تؤدى للحاشد أو الحشاد في كل منطقة .

(٣) الأخروف ، غطاء من أغطية الرأس . وقد ذكره دوزي في :
***Dictionnaire detaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, P. 23.**
في صورة أخروق بالقاف ، ثم عاد فصوب القراءة في الحلة (ص ١٦٢) وأضاف تعليقاً ضافياً .

سيف ، وهو ينشد شعراً طويلا يهنيه فيه بالخلافة ، ويَمُتُّ إليه بالقرابة ، أوله :

الحمد لله حمـــداً لا نقلِّلُهُ هذا السرورُ الذى كنا نؤمِّلُهُ

وهى قصيدة كبيرة رائقة ، واختراعاته فيها فائقة ، مع المعانى الجزلة . ورفع إليه بعضُ خدمته معتذراً ، فوقَّع له على ظهر كتابه :

قرأنا ما كتبتَ به إلينا وعـــذرُك واضح فيما لدينا

ومَن يكنِ القريضُ له شفيعاً فتركُ عتابه فرضٌ علينا

قال ابن أبي الفيَّاض ، وأخبرنى أحد إخوانى ، قال : كتب إليه الوزير يوسف بن أحمد الباجى يذكره بزمانه معه ، ويَمُتُّ بخدمته له ، ويسأله تجديد العارفة لديه ، ونظم أبياتاً أولها :

قل للإمام المستعــينْ ورســول رب العالمينْ

فوقّع له سليمان :

أنت المصدَّق عنـــدنا بصريح ودٍّ مستبينْ

فاربَعْ عليـــك فهمُّنا توطيـــدُ أمر المسلمين

فإذا توطـــد واستقا م وخاب ظن الحاسدين

أصبحت من دنياك فى أعلى محـــل الآملين

قال : وكتب إليه القاضى أبو القاسم بن مِقدام يشكو إليــه ضيق حاله — وكان معه فى تجوله مع البربر — بشعر أوله :

أهَلْ ترضى لعبدك أن يُذالا وأن يبقى على الدنيا عيالا ؟

فبعث إليه بصلة وكسوة ، ووقَّع له على ظهر كتابه :

معاذَ الله أن تبقى عيالا   وأن نرضى لِمثلك أن يُذالا[١]
وكيف وأنت منقطع إلينا   وقد علِقتْ يداك بنا حبالا ؟
/ ودونك من نوافلنا يسير   ولكنا انتقيناه[٢] حلالا   [١٣٩-١]

ولما نهضَ إلى قرطبة — بعد تغلبه عليها ، وأخذه إياها عنوةً بالفتكة الأخيرة القاهرة — خرج أهلُها إليه ، متلقين له ومسلمين عليه ، فأنشد متمثلا :

إذا ما رأونى طالعاً من ثَنِيَّةٍ   يقولون : « مَن هذا ؟ » ، وقد عرفونى
يقولون لى : « أهلا وسهلا ومرحبا ! »   ولو ظفروا بى ساعةً قتلونى . .

فكان بهما فى هذا الموطن أحقَّ من قائلهما .

١١٣ — عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر ، أبو المطرف المستظهر بالله

أخو أبى الوليد محمد بن هشام المهدى ، بويع له بالخلافة بقرطبة فى رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ، بعد ذهاب دولة بنى حَمُّود وانقراضها من قرطبة ، وهو ابن ثلاث — أو اثنتين — وعشرين سنة .

ثم ثار عليه ابنُ عمه المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن بن محمد فى طائفة من أراذل العوام ، فقُتل المستظهر لثلاث بقين من ذى القعدة من السنة ، فكانت خلافتُه سبعةً وأربعين يوماً ؛ ولم يعقِّب .

---

(١) ذال الشىء يذيل : هان ، وأذلته : أهنته ولم أحسن القيام عليه ، وأذال فلان فرسه وغلامه إذا أهانه ، والإذالة الإهانة . . والمذال : المهان . اللسان : ١٤/٢٧٧ .

(٢) الأصل : اتقيناه .

قال أبو محمد بن حزم الفقيه : كان المستظهر في غاية الأدب ، والبلاغة والفهم ورقة النفس . وقال ابن حيَّان : لم يكن في بيته يومئذ أبرع منه . وكان قد نقَّلته المخاوف وتقاذفت به الأسفار ، فتحنَّك وتخرَّج وتمرن ، وكاد يستولي على الأمر لو أن المنايا أنسأته . وقال في موضع آخر : وكان فتًى أيَّ فتًى لو أخطأته المتالف . وكان قد أخرج رسلَه إلى جماعة الرؤساء بالأندلس يلتمس البيعة ، ويستنفر الكافةَ ، ويدعو إلى كرَّة الدولة ، فأخفق ما طلبه ، وعوجل ولما تقتضِ الأجوبةَ رسلُه ، واضمحل أمرُه ؛ والبقاء لله وحده . قال : وكانت سِنه يومَ قُتل ثلاثا وعشرين سنة . وكان على حدوث سِنه يقظاً أديباً ، حسن الكلام ، جيد القريحة ، مليح البلاغة ، يتصرف في ما شاء من الخطاب بديهةً وروية ، ويصوغ قطعاً من الشعر مستجادة[1] . وهو القائل يخاطب « شنف »[2] زوج سليمان المستعين ، عندما / خطب ابنتها منه المسماة « حَبِيبَة » وتُكنَّى أمَّ الحكم ، [١٣٩-ب] فلَوَتْه وسوَّفته :

(١) نقل ابن الأبار كلامه عن عبد الرحمن المستظهر عن ابن حيان وابن بسام (انظر الذخيرة : قسم ١ مجلد ١ ص ٣٤ وما بعدها) . وقد كان عبد الرحمن هذا أقصر خلفاء بني أمية حكما ، فقد حكم - كما يقول ابن حيان - « سبعة وأربعين يوماً ، لم تنتشر له فيها طاعة ، ولا التأمت عليه جماعة ، ولا تجاوزت دعوته قرطبة ، وكانت سنه يوم قتل ٢٣ سنة » . وقد وصل إلى الخلافة على صورة من الغصب والمباغتة رواها ابن حيان في أسلوبه اللاذع وعرضها في صورة مهزلة مبكية . وكما كانت خلافته أقصر الخلافات فقد انتهت أسوأ وأخزى نهاية . فقد أقره في الحكم رجال الدائرة أي حرس الخليفة ، وانتظروا أن يفيض عليهم العطايا ، ولكنه كان مفلساً « لا يقع بيده درهم إلا من صُبابة مستغَلٍّ جوف المدينة (قرطبة) أو نهب مغلول من تقلقل عنها » . وأراد أن يصالح البربر ورؤساءهم فانقلبت عليه الدائرة فنادوا بابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن الناصر وأتوا به إلى القصر ، فهرب المستظهر واستخفى في أبزن الحمام (أي في مخزن الفحم والخشب) ثم عثروا عليه بعد قليل « فأخرج في قميص مسودٍّ في حال قبيحة » وضربوه أمام ابن عمه ثم قتلوه . ويثني عليه ابن حزم لأنه كان صديقه ، وقد استوزره واستوزر كذلك ابن عمه عبد الوهاب ابن حزم والشاعر أبا عامر بن شهيد .

(٢) عند ابن بسام : مُشْتَنَف .

وجالبة عــذرًا لتصرِفَ رغبتى   وتأبى المعالى أن تجيز لهـا عذرًا
يكلفها الأهــــلون ردى جهالةً   وهل حَسنٌ بالشمس أن تمنع البدرا ؟
وماذا على أم الحبيبة — إذ رأتْ   جلالةَ قدرى — أن أكون لها صِهرا ؟
ربيبـــة ملك [... ... ...]   [... ... ...][1] حبـــه نكرا
جعلتُ لها شرطاً علىّ تعبُّـــدى   وسُقتُ إليها فى الهوى مهجتى مَهرا
تعلَّقتُها من عبـدِ شمسٍ غريرةً   مخدرةً[2] من صـــيد آبائها غرّا
حمامةُ بيتِ العبشمِيِّين رفرفتْ   فطِرتُ إليهـا من سَراتهمُ صقرا
تَقِلُّ الثريا أنْ تــكون لهـا يدًا   ويرجو الصباحُ أن يكون لنا نَحْرا
لقد طال صومُ الحب عنكِ ، فما الذى   يضركِ منــه أن تكونى له فِطرا ؟
وإنى لأستشفى لمـا بى[3] بداركم   هدوءا ، وأستسقى لساكنها القطرا
وألصِق أحشـــائى ببرد تُرابها   لأطفىء من نار الأسى بكمُ جمرا
فإن تصرفينى يا ابنـــةَ العم تصرفى   — وعيشك — كفوًا مد رغبته سترا
وإنى لأرجو أن أطوِّق مَفخرى   بملـكى لهـا ، وهى التى عظُمت فخرا
وإنى لطعّـان إذا الخيل أقبلتْ   جرائدُها ، حتى تُرى جونُها شُقرا
ومُـكرِمُ ضيفى حين ينزل ساحتى   وجاعلُ وَفرى عنـــد سائله وَفْرا
وإنى لأولَى الناس من قومها بهـا   وأنبهُهم ذكرًا ، وأرفعهم قدرا
وعندىَ ما يُصبـــى الحليمةَ ثيباً   وينسى الفتاةَ الخودَ عُذرتَها البكرا
جمال وآداب وخــــلق موطّأ   ولفظ إذا ما شئتَ أسمعك السحرا

(١) أورد ابن بسام القصيدة كاملة ، إلا هذا البيت . وكأنه كان أيضاً مضطرباً فى الأصول التى نقلت عنها نسخ الذخيرة الموجودة بين أيدينا .
(٢) الذخيرة (قسم ١ مجلد ١ ص ٤٠) : مُحَدَّرة .
(٣) الذخيرة : بمَسرَّى .

/ وله وقد لحها يوماً وأومأ بالسلام فلم ترد عليه خجلا : [١٤٠-١]

سلام على مَن لم يَجُد بكلامه ولم يَرَ أهلاً لردِّ سلامه
سلام على الظبي(١) الذى كلما رمى أصاب فؤادى عامداً بسهامه
بنفسى حبيبٌ لم يَجُد لمُحبه بطيفِ خيالٍ زائرٍ فى منامه
ألم تعلمى يا عذبةَ الإسم أننى فتًى فيك مخلوع عذارُ لجامه ؟
وإنى وفىٌّ حافظ لأذمّتى إذا لم يقل غيرى بحفظ ذمامه
يبشِّر ذاكَ الشَّعرُ شِعرى أنه سيوصل حَبلى بعد طول انصرامه
وما شكَّ طرفى أن طرفَكَ مُسعدى ومنقذُ قلبى من خبالِ غرامه
عليكِ سلام الله من ذى تحيةٍ وإن كان هذا زائداً فى اجترامه(٢)

(١) الذخيرة : الرامى .

(٢) هنا يضطرب المخطوط اضطراباً شديداً ، فقد أورد هذه الأبيات فى ترجمة عبد الله ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضى الذى سبقت ترجمته ، والمشهور أنها لعبد الرحمن بن هشام المستظهر الذى يترجم له ابن الأبار هنا (راجع الذخيرة ، طبعة القاهرة ، قسم ١ مجلد ١ ص ٣٥ وما بعدها) . ثم كتب الناسخ بعد ذلك : « ورفع إليه شاعر هنأه بالخلافة يوم بيعته شعراً فى رق مبشور . . » وهذا لا يمكن أن يكون المراد به عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أمية بن الحكم الربضى ، ومن الثابت أنه وقع لعبد الرحمن المستظهر بن هشام (راجع الذخيرة ، نفس الجزء ، ص ٤٢) . ثم يتبع الناسخ ذلك بالحديث عن إدريس بن يحيى العلوى ، ويستمر فى شعراء الأمراء والأعيان فى المائة الخامسة حتى يصل إلى أبى عبيد البكرى (ص ١٠٩ من المخطوط) ويقول : وأنشد له ابن فرج فى الحدائق :

سقيا لهم من ظاعنين حسبتهم . . الأبيات .

وبعد ذلك فى ص ١١٠ ــ ب يعود إلى استكمال سيرة عبد الله بن عبد العزيز المروانى ، ثم يستطرد فى ذكر نفر من المروانيين من أهل المائة الرابعة .

ويُتبعهم (ورقة ١١٢ ــ ب) بمعاصريهم من الأدارسة .

ثم يعود فى ورقة ١١٣ ــ ا إلى رجال المروانية فى المائة الرابعة . وفى ورقة ١٣٤ ــ ا يعود إلى المائة الخامسة بادئاً بالخليفة سليمان المستعين . =

وله أيضاً فيها :

تبسَّم عن درٍّ تنضَّد فى الوَرْسِ ... وأسفر عن وجهٍ ينوب[1] عن الشمس

غزالٌ براه الله من نورِ عرشِه ... لتقطيع أنفاسى ، وليس من الإنس

وهبت له روحى ومُلكى ومهجتى ... ونفسى ، ولا شىء أعز من النفس

وله :

طال عمر الليل عندى ... مذ تولعتَ بصدى

يا غزالا نقض العهـ ... ـدَ ولم يوفِ بعهدى

أنَسيتَ العهد إذ بِتْـ ... ـنا على مفرش ورد

واجتمعنا فى وشاحٍ ... وانتظمْنا نظمَ عقد

وتعانقنا كغصنَيْـ ... ـنِ وقدَّانا كقَدٍّ

ونجوم الليل تحكى ... ذهباً فى لازوَرْدِ

ورفع إليه شاعر ممن هنأه بالخلافة يومَ بيعته شعراً فى رَقٍّ مبشور ، واعتذر من ذلك بهذين البيتين :

الرَّقُّ مبشورٌ وفيه بِشارةٌ ... بِبَقا الإمامِ الفاضلِ المستظهرِ

= ويستمر فى شعراء الأمراء من المائة الخامسة حتى أبى عبيد البكرى ، وفى أثناء ترجمته يعود إلى عبيد الله بن عبد العزيز المروانى !

لهذا كله كان لابد من إعادة ترتيب هذه المواد على النحو الذى يراه القارئ هنا .

وقد فعل مثل ذلك دوزى مستعيناً بفهرس تراجم الحلة الذى أورده ميخائيل الغزيرى فى فهرس مخطوطات الإسكريال . ولكن دوزى نسب لعبد الله بن عبد العزيز المروانى شعرا ليس له . ولم تبق إلا مشكلة الأبيات : « سقيا لهم من ظاعنين » . . الخ التى نسبها المخطوط لعبد الرحمن المستظهر ، ولا يمكن أن تكون له مادامت مروية عن ابن فرج فى الحدائق ، وقد مات ابن فرج قبل المستظهر ، ولا يمكن أن تكون بالتالى لأبى عبيد البكرى ، لأنه مات بعدها ، فتركناها فى شعر عبد الله المروانى ، وإن كنا فى شك من صحة هذه النسبة .

(١) الذخيرة : يتيه .

مِلِــكاً أعاد العيشَ غضًّا شخصُه   وكذا يكون به طوالَ الأدهر

فأجزل صلته ، ووقع على ظهر رقعته بهذه الأبيات :

قبلنا العــذرَ فى بَشْر الـكتابِ   لِما أحكمتَ من فصلِ الخطابِ
وجُـــدنا بالجزا مما لدينا   على قدر الوجود ، بلا حساب
فنحن المنعمون إذا قدرنا   ونحن الغافرون أذى الذناب
ونحن المطْلِعون بلا امـــتراء   شموسَ المجد من فَلَكِ التراب

وله يوم الوثوب عليه :

يا أيها القمر المنـــيرْ   كن نحو شِبهك لى سفيرْ
بتحيـــةٍ أودعتُهـــا   شـوقاً بُنَيّات الصدورْ

١١٤ — أبو الحسن بن هارون

قرأت فى تاريخ أبى بكر بن عيسى بن عيسى بن مُزَيْن (١) ، أن أبا جعفر

(١) أبو بكر محمد بن عيسى بن مزين مؤرخ أندلسى معروف نشر له دوزى فى أبحاثه قطعة عظيمة القيمة عن افتتاح الأندلس وما اتبعه العرب الأول من نظم فى توزيع أراضيها ، وهو يكتب فى أسلوب بسيط واضح دقيق . ويبدو أن كتابه الذى ينقل عنه ابن الأبار هنا غير كتاب آخر ينسب إليه اسمه « مغناطيس الأفكار ، فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والآثار » ، ومدينة الفرج هى وادى الحجارة Guadalajara ، وربما جاز لنا من هذا أن نستنتج أن أصل أسرته من هذا البلد . ومع أن كتابه هذا يتناول جغرافية وادى الحجارة إلا أننى لم أجد فيه فقرة واحدة تمكننى من الحكم عليه كجغرافى ، ولهذا فقد استطردت عنه فى بحثى عن الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس . ولا نعرف سنة ميلاده أو وفاته ، ولكن لدينا ما يدل على أنه كان حياً سنة ٤٧١/ ١٠٧٨ . وسينقل عنه ابن الأبار مرة أخرى عند كلامه عن ابن طاهر قائلا : « قرأت فى تاريخ أبى بكر محمد بن عيسى بن مزين الكاتب ، وأبوه عيسى هو مخلوع المعتضد عباد بن محمد من شلب ، =

أحمد بن سعيد المعروف بالدّبّ(١) ، وزير سليمان المستعين بالله وكاتبه الخاص به ، ولمـا تحركت فتنة على بن حَمّود العلوى بَعث إلى شَنْتَمَرِيّة الغرب — وهى مَرَسَى أكشُونبَـة مما يلى البحر المحيط الغربى — ذا الوزارتين أبا عثمان سعيد بن هارون الماردى الدار ، وكانت بينهما مصاهرة ، قال : فلم تطل المدة حتى قُتل الدّبّ ثم قُتِل سليمان ، فملك ابنُ هارون ما بيده إلى أن مات فى سنة أربع — أو خمس — وثلاثين وأربعمائة ، فورث حاله ابنُه محمد بن سعيد — وحُـكى أنه سُمى بالمعتصم — إلى أن أخرجه عباد بن محمد — يعنى المعتضد — فى سنة أربع وأربعين ، فصارت فى يده ثم فى يد ابنه محمد بن عباد .

[١٤٠-ب] وقال ابنُ بسام ، وذَكر أبا الحسن بن هارون هذا ولم / ينسُبه : وهو علىّ ابن محمد بن سعيد بن هارون ، جدُّه لأمه أبو الحسن بن الإستِجّى ، فأما سلفه من قبل أبيه فقـد انخدع لهم الزمان بُرَيهة ، وهيَنم بأسمائهم السلطانُ هُنَيهة بشنتمرية الغرب ، إلى أن نُبِّه الدهرُ الغافلُ على أمرهم ، وأسكت عن ذكرهم على يدى المعتضد عباد بن محمد ، مُخْلِى الأوطان ، وملحق الأقران بالأقران .

= وكان صهره » . ويفهم من هذا أن عيسى ابن مزين والد المؤرخ تولى أمر شلب زمناً حتى خلعه المعتضد ، وهو فى هذا يشبه أبا عبيد البكرى فقد كان أبوه قد تملك وَلْبَة Huelva وجزيرة شلطيش على مقربة من شلب حتى عزله المعتضد فى نفس الوقت تقريباً .

انظر : پونس بويجس ، رقم ١٣٤ ص ١٧١ و :

DOZY, *Scriptorum Arabum Loci de Abbadidis* (Leiden 1852) II, 123 et n. 144.

(١) أورد ابن عذارى فيما نقل عن ابن حيان اسمه : أحمد بن يوسف بن الدب ، وقال ساخراً عندما تحدث عن مقتل المستعين « دولة كفاها ذما أن أنشأها شانُجه ووزرها دُبّ ، فتمخضت عن الفاقرة الكبرى » .

البيان المغرب : ١١٨/٣ .

ويفهم من رواية الرقيق أن أحمد بن الدب هذا اشترك مع محمد بن سليمان المستعين فى قتل هشام المؤيد . (البيان المغرب : ١١٧/٣) .

ومن شعره :

عادت إلى أذنابها هَيْفُ واطرد الإسراف والحَيْفُ
وامتنع الإصْبَعُ من وصلنا وزاد حتى امتنع الطيف
شنتمرىٌّ القطر غربيُّـــهُ وربما حَنَّ له الخَيْفُ
ذو لحظة إن لم تكن فى الحشا رمحاً ، وإلا فهى السيف

وله :

يا ليلةَ العيدِ عُدتِ ثانيـةً وعاد إحسانُك الذى أذكرْ
إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى هلالِك النِّضْوِ ناحلاً أصفر
وفيهمُ مَن أحبـــه وأنا أنظرُه فى السماء إذ يَنظر
فقلتُ — لا مؤمناً بقولىَ — بل معرِّضا للكلام ، لا أكثر :
أثَّرَ شهرُ الصيامِ فيكَ ، أبا محمدٍ ؟ قال لى ، وما أثَّرْ :
بل أثَّر الصومُ فى هلالكمُ هذا الذى لا يكاد أن يظهر !

أحسنُ من هذا قولُ أبى الحسن بن الزَّقّاق[1] :

(١) أبو الحسن على بن عطية بن مطرِّف بن سلمة المعروف بابن الزقاق المتوفى سنة ٥٢٨/١١٣٣ أو ٥٣٠ / ١١٣٥ وسنه تقارب الأربعين ، فلابد على هذا أن يكون قد ولد بين سنتى ٤٩٠ و ٤٩٢ . ولد فى بلنسية فى فترة عصيبة من تاريخها الإسلامى ، إذ كانت إذ ذاك تحت سلطان السيد القمبيطور ، ولهذا يسمى البلنسى ، ويسمى أيضاً بالمرسى خطأ ، وقد أدرك سن الطلب بعد تحرر المدينة وعودتها إلى الإسلام على أيدى المرابطين . وأمه أخت الشاعر المعروف أبى إسحق إبراهيم بن خفاجة (٤٥٠ — ٥٣٣/١٠٥٨ — ١١٣٨) ، ومن المعروف أن هذا ينتسب إلى قبيلة هوارة البربرية . ويسمى ابن الزقاق باللخمى ، أى أن أباه عربى وأمه ترجع فى نسبها البعيد إلى البربر ، فهو على هذا نموذج طيب للتمازج بين هذين الجنسين الكبيرين . وقد نشأ ابن الزقاق نشأة متواضعة حتى كان أبوه — وكان صاحب متجر صغير — يلومه على السهر للدرس لأنه لا يملك

وشهرٍ أدرْنا لارتقابِ هـــلالِهِ   جُفوناً(١) إلى نحو السماء مَوائلاَ
إلى أن بدا أحوى المدامع أحورُ   يجرّ لأذيال الشـــباب ذلاذلاَ
فقلت له : أهلا وسهلا ومرحباً   ببدرٍ حوى طيب الشمول شمائلا
أتطلبك الأبصارُ فى الجو ناقصاً   وأنت هنا(٢) تمشى على الأرض كاملا؟

وذكرت بقول ابن هارون ما حُـكى أن عبد الصمد بن المعَذّل رأى مخنثاً
[١٤١-ا] ليلةَ الرابع عشر من رمضان وهو / مضطجع على ظهره يخاطب القمر وهو يقول : « لا أماتنى الله منك بحسرة أو تقع فى السِّلّ ! » ، فلما كانت ليلة اليوم السابع والعشرين منه رأى عبدُ الصمد الهلالَ فقال :

يا قمراً قد صار مثلَ الهلالْ   مِن بَعد ما صيَّرنى كالخيالْ
الحمـــد لله الذى لم أمُتْ   حتى أرانيكَ بهذا السُّلالْ

ولابن هارون :

وحديقة شرقت بِعِدٍّ(٣) نَميرِها   يحـكى صفاء الجو صفوُ غديرِها
تُجرِى المياهَ بها أسودٌ أحكمتْ   من خالِص العقيان فى تصويرِها(٤)
فـكأنها أسْدُ الشَّرى فى شكلها   وكأنَّ وقْعَ الماء صوتُ زئيرِها

* * *

= ما يشترى به الزيت للقنديل . وقد درس ابن الزقاق دراسة طيبة على أيدى شيوخ أجلاء يذكرهم ابن الأبار فى التكملة (ترجمة رقم ١٨٤٤) ثم أخذ فى قول الشعر واشتهر أمره ، غير أنه لم يعمر طويلا كما ذكرنا . وشعره رقيق جميل إلا أنه قليل ، وقد جمعه إميليو غرسية غومس ونشره فى مدريد :

IBN-AL ZAQQAQ. *Poesias* (edición y traducción en verso. Madrid, 1956)

وقدم له بمقدمة شافية عن حياته وشعره .

(١) فى الديوان (ص ٨٦) : عيونا .

(٢) فى الديوان (ص ٨٦) كذا .

(٣) العِدّ هو الماء الكثير .

(٤) لم يورد دوزى (ص ١٦٩) هذا البيت .

ومن أمراء إفريقية في هذه المائة :

١١٥ – المعز بن باديس بن المنصور بن بُلُقين : ابنه تميم بن المعز ، أبو الطاهر

ولاه أبوه المعزُّ بنُ باديس المهديةَ سنة خمس وأربعين وأربعمائة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقد استفحل أمر العرب[1] بعد هزيمتهم إياه ، واستشرى شرهم وجدُّوا في تخريب القيروان إلى أن تم لهم ذلك ، ثم تخلى أبوه عن القيروان وخرج من المنصورية لائذاً بالمهدية فنزل قصرَها ، وتميمٌ القائمُ بالأمر في حياة أبيه إلى أن هلك سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

---

(١) المراد هنا العرب الهلالية (الأثبج ورياح وزغبة وعديّ وغيرهم) الذين كانوا يسكنون في صعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل دون أن يسمح لهم بعبوره ، فلما انقلب بنو زيرى على العبيديين وتخلوا عن المذهب الشيعي وعادوا إلى السنة ودعوا لبني العباس أذن لهم الجرجرائي أو البطائحي الوزير الفاطمي (عند ابن خلدون أن الذي سمح هو أبو الحسن اليازوري) بعبور النيل والذهاب إلى المغرب ، فضوا إلى برقة فانثالوا عليه انثيالا لا يبقون على شيء ، حتى إن جماعة منهم رأت في مسيرها قرية فقال بعضهم : هذه القيروان ! فانقضت الجماعة عليها ونهبتها من حينها . واستقروا في برقة بعض الوقت . وكان زعيم أولئك الهلالية مؤنس بن يحيى الصَّنْبَري الرياحي قد وفد على المعز بن باديس قادماً من برقة وخدمه ، ثم أراد المعز أن يستعين بالعرب الهلالية على أبناء عمه ومنافسيه بني حماد أصحاب القلعة المنسوبة إليهم في الجزائر الحالية وعلى زناتة من أنصار بني أمية الأندلسيين ، فطلب إلى مؤنس استقدام العرب من برقة ، فنصحه بألا يفعل ، فأصر المعز ، وكانت النتيجة أن أقبلوا فنهبوا بلاد إفريقية وخربوا القيروان ، ولم يجد المعز بداً من أن يلجأ إلى المهدية ليعتصم خلف أسوارها بعد أن انهزمت قواته هزيمة قاصمة عند القيروان في شوال ٤٤٣ . وفي سنة ٤٤٩ اقتحم الهلاليون القيروان وخربوها . وقد ولد المعز سنة ٣٩٩ وتولى إمارة إفريقية سنة ٤٠٧ وسنه ٧ أعوام وتوفي سنة ٤٥٥ وعمره ٥٨ سنة .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ١/٢٨٨ – ٢٩٥ .

ابن خلدون ، العبر : ٦/١٥٧ – ١٥٩ .

فاستبد تميمٌ بالمملكة ودخل إليه القضاة والفقهاء ووجوه القواد والأجناد وقد برز إليهم من الطاق[1] ، فعزَّوْه عن المعز وهنَّوْه بالملك وأنشده الشعراء فى ذلك ، فأجزل جوائزهم وأكثر عطاياهم . وأقام إلى أن توفى منتصفَ رجب سنةَ إحدى وخمسمائة ، وهو ابن تسع وسبعين سنة .

مولده بالمنصورية يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، فكانت مدة ولايته بعد أبيه سبعاً وأربعين سنة غير أربعين يوماً . وخلَّف من الوَلد ما جاوز عددهم المائة . وطالت إمارته فتمهد [١٤١-ب] سلطانُه وعلا شانُه ، وانتجع حضرتَه جماعة من شعراء المغرب والأندلس / منهم أبو إسحاق بن خفاجة فى صباه وعبد الله بن عبد الجبار الطرطوشى وأبو الحسن على بن عبد العزيز الحلبى المعروف بالفكيك وغيرهم . وخدمه بالشعر من أهل إفريقية جماعة أيضاً ، منهم أبو الحسين بن خصيب وأبو عبد الله محمد ابن على القفصى الأعمى وأبو الحسن على بن محمد الحداد الأقطع ، ومدحه قبل هؤلاء من شعراء المعز — أبيه — أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن شرف[2] وأبو على حسن بن رشيق ، وفيه يقول :

(١) لم أفهم المراد بهذه العبارة ، وابن الأبار لا يكتب شيئاً إلا عن تدقيق . والمفهوم من العبارة أن تميم بن المعز كان بعيداً عن أبيه ، وأنه تخوف عندما جاءه خبر موت أبيه من أن يكون الخبر خدعة ، ولهذا فقد كلموه من خارج قصره ، فلما اطمأن إلى صحة الخبر برز إليهم من الطاق . والخلاف بين المعز وابنه تميم معروف ، ويبدو أن سبب ذلك خطأ المعز فى استقدام العرب والاستعانة بهم . وقد انقسم هؤلاء بعد استقرارهم فى إفريقية قسمين : قسما ناصر بنى زيرى الصنهاجيين (زغبة ورياح وسليم) وقسما ناصر الزناتيين الذين نافسوا بنى زيرى على سيادة المغرب الأوسط (الأثبج وعدى) ، وقد استسلم المعز بن باديس من أول الأمر للنكبة ولجأ إلى المهدية تاركاً العرب يفعلون ببقية بلاده ما يشاءون ، فى حين أن ابنه تميماً ظل فى الميدان يناضل قدر استطاعته ، ويبدو أن أباه تخوف منه ، وهذا ظاهر من إشارة لها معناها أوردها ابن عذارى فى حوادث رجب ٤٣٣ (البيان المغرب : ١/٢٩٨) .

(٢) أوسع ما لدينا إلى الآن عن ابن شرف هو ما أورده ابن بسام فى الذخيرة (قسم ٤ — مجلد ١) ص ١٣٣ وما بعدها ، وفيه كذلك الكثير عن معاصره ومنافسه ابن رشيق .

أصحُّ وأقوى ما رأيناه فى النَّوَى   من الخبر المأثور منذ قديمِ
أحاديثُ تُمليها السيولُ عن الحيَا   عن البحر عن جود الأمير تميم

ولأبى الحسين عبد الكريم بن فضّال المعروف بالحلوانى فيه :

عَرِّسا بى فَذَا مَناخٌ كريمُ   هذه جمّة(١) وهذا تميمُ
هذه الجنة التى وعد الله   وهذا صراطه المستقيم

وكان تميم حليماً جواداً ممدحاً ، هجاه ابنُ الحداد الأقطع ومما قال فيه :

الزوم أحسن عندى   إذا اختبرت الأمورا
من أن يكونَ تميمٌ   على الثغور أميرا

فطلبه ، ثم استتر ، ثم حبَّر قصيدةً يستعطفه بها ، وأنشده إياها ، فصفح عنه وأحسن إليه . ذكر ذلك أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت فى تاريخه ، قال : وكان يعترض الشعراء وينتقد عليهم ألفاظَهم ، فلا يتخلص منه إلا الماهر . أنشده بعضهم فى وقت هَرْج :

تثبَّتْ لا يخامِرْكَ اضطرابُ   إليك تمدُّ أعينَها الرقابُ

فقال له : « أرأيتنى — ويحك — طِرتُ خفةً ورميت بنفسى من هذا العلو قلقاً واضطراباً ؟ » وسكَّته ، فلم يسمع من قصيدته غير هذا البيت .

وكان ابنه يحيى بن تميم وأبوه المعز بن باديس والحسن بن على بن يحيى بن تميم شعراء ، وسيأتى ذِكرُ كل واحد منهم فى بابه إن شاء الله تعالى .

ومن شعر تميم :

/ بِكَرِّ الخيلِ داميةِ النحورِ   وقرعِ الهام بالقُضُب الذكورِ [١٤٢-١]
لأقتحمنَّها حرباً عواناً   يشيب لهولها رأسُ الصغير

(١) لعل المراد بهذا مدينة « الجم » من كبار مدن تونس .

فإما المُلكُ فى شرفٍ وعزٍّ … علىَّ التاجُ فى أعلى السرير
وإما الموت بين ظُبَى العوالى … فلستُ بخالدٍ أبدَ الدهور

وله :

سأسكتُ صبراً واحتساباً فإننى … أرى الصبرَ سيفاً ليس فيه فُلولُ
عدانىَ أن أشكو إلى الناس أننى … عليلٌ ، ومن أشكو إليه عليل
وإن امرءاً يشكو إلى غير نافعٍ … ويسخو بما فى نفسه لجهول

وله فى غلام من مواليه اسمه « مُدام » ، وهو من مشهور شعره ويغنَّى به

مُدامٌ يطوف بكأسِ المُدام … فلم أدر أيُّهما أشربُ
فهذا الصديقُ وهذا الرحيقُ … وهذا الهلالُ وذى الكوكبُ
وهذا يمدُّ(١) بألحاظه لى … وهذى بألبابنا تلعبُ
وما البدرُ والنجمُ من ذا وذاك … ولكنه مَثَل يُضرب

وله :

قام بكأسٍ فقلتُ غصنٌ … عليه آسٌ وجُلَّنارُ
كأنما الفرعُ منه ليلٌ … والوجه من تحته نهار
يا غصنَ بانٍ على كثيبٍ … لَبَّدَهُ الغَيمُ والقِطار
هل من نوالٍ لمُستَهامٍ … جانَبَه النومُ والقَرار ؟
ليس له فى السُّلُوِّ رأىٌ … ما اختلف الليل والنهار

وله ، وهو مما يستحسن له :

لها نهدانِ قد نجمَا … كنابَىْ فيلِ شطرَنج

وله :

(١) الأصل : يجد .

إلى كمْ أقاسى الحبَّ والشوقَ والوجدَا وما أجملتْ «جُمْلٌ» ولا أسعدتْ «سُعْدَى»[1]

/ وجوهٌ كأقمارٍ قَمَرْنَ تجلُّدى على كلِّ قدٍّ قَدَّ منى الحشا قدًّا [١٤٢-ب]

وكان ابتداءُ الحبِّ هَزْلا ولم أكنْ علمتُ بأن الهزلَ قد يبعث الجِدّا

وله :

همُ عرَّضـونى للصَّبابة والهوى وهُمْ قطعوا حَبْلى وهمْ صرفوا رُسْلى

جُفونى جَنَتْ قتلى علىَّ صَبابةً ولم أرَ مقتولا بألحاظِه قبـلى

وله :

ولما افترقنا وساروا ضحًى شققنا لوشْكِ الفراقِ الجيوبا

ولو كان فينـا وفاءٌ لهم شققنا مكانَ الجيوب القلوبا

وله :

أقبلتْ بدرَ تمامٍ بعدما لاحت هـلالاَ

غادةٌ ذاتُ محيّـا فيـه نورٌ يتلالا

كتب الُحسن عليـه : صنعةُ الله تعـالى

وله :

لو كنتِ حَلْياً لكنتِ عِقدًا أو كنتِ طِيباً لكنتِ نَدّا

أو كنتِ وقتاً لكنتِ صبحاً أو كنتِ نجماً لكنتِ سعدًا

أو كنتِ غصناً لكنتِ آساً أو كنتِ زهراً لكنتِ وردًا

وكم طلبتُ السُّلُوَّ جَهدى فلم أجد من هواكِ بُدّا

وله :

أقول لها وقد عَرضتْ فكانتْ منتهى أمـلى

---

(١) فى الأصل : سعدا .

لئن أصبحتِ لاهيــــةً فإنى منــكِ فى شغُلِ
ولا شغلٌ سوى مَطْلى ولَىِّ الوعـــدِ بالعلل

وله يصف بركة ماء :

برْكةٌ بالماء تَطَّرِدُ للصَّبا فى مَتْنِها زَرَدُ
[١٤٣-١] / بات فى أحشائها قمرٌ مثلَ قلبِ الصبِّ يرتعدُ

١١٦ – إدريس بن يحيي العلوى الحَمُّودى ، أبو رافع
[٦٢-ب] / ويلقب بالعالى

هو إدريس بن يحيي بن على بن حَمُّود بن أبى العيش ميمون بن أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب(١) .

أخرج من [قرطبة مع أبيه يحيي بعد خلافته الأولى عندما خلعه البربر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، واستقر فى مالقة حتى](٢) بويع له بالخلافة بمالقة

(١) نسب بنى حمود وارد هنا بأوفى مما هوعند ابن حيان . انظر الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ، ص ٧٨ .

(٢) بياض بالأصل ، فأضفت هذه العبارة ليستقيم السياق . وإدريس بن يحيى بن حمود هو الخامس ممن تولوا الخلافة فى قرطبة من أفراد هذا البيت فى سنوات الاضطراب البالغ أيام فترة الطوائف الأولى التى تمتد من موقعة قنتيش التى أشرنا إليها فى ربيع الأول سنة ٤٠٠/ نوفبر ١٠٠٩ إلى إخراج هشام المعتد آخر خلفاء بنى أمية فى الأندلس من قرطبة وإلغاء الخلافة من هذا البلد فى ذى الحجة ٤٢٢/ نوفبر ١٠٣١ .

وكان سليمان المستعين قد أقام القاسم بن حمود وأخاه علياً حاكين على منطقة العدوة ، وكانا من زعماء الطائفة البربرية التى اعتمد عليها سليمان المستعين هذا ، وقد حسب سليمان أن ذلك =

بعد أبيه يحيى المعتلي ، وتَسَمى بأمير المؤمنين وتَلَقب بالعالى . ثم خلفه ابنُ عمه محمد بن إدريس بن على بن حمود واعتقله . ثم عاد ثانية إلى مالقة . وفى ولايته يقول أبو محمد غانم بن وليد المخزومى الأديب(١) ، من أبيات :

واستقبلَ المُلكَ إمامُ الهـدى   فى أربعٍ بعـد ثلاثينا
خلافةُ الله سمتْ نحـوَهُ   وهو ابنُ خمسٍ بعد عشرينا
إنى لأرجو يا إمامَ الهدى   أن تمـلِكَ الدنيا ثمانينا
لا رَحِمَ اللهُ امرأً لم يقلْ   عنـد دعائى لك : آمينا !

وفيه يقول أبو زيد عبد الرحمن بن مُقَانا(٢) الأُشْبُونى ، من قصيدته المشهورة التى يتداولها القوّالون لعذوبة ألفاظها وسلاستها :

يزيد مركزه قوة ، ولكنه أخطأ فى حسابه إذ أن الأخوين تقاسما السيطرة على جهتى العدوة ، فاستقر على فى سبتة والقاسم فى الجزيرة الخضراء ، وتبينا من أول الأمر أن أمر سليمان معتمد على تأييدهما اعتماداً تاماً ، وبدأا يمهدان لانتزاع الخلافة من يده ، فزعم علىّ أن هشاما المؤيد أوصى له بالخلافة وأعلن استقلاله فى سبتة عن سليمان المستعين ، وتواطأ مع زاوى بن زيرى زعيم الصنهاجيين فى الأندلس — وكان مستقراً فى غرناطة — ومع خيران الفتى العامرى على خلع سليمان . ثم دخل قرطبة فى ٢٢ المحرم ٤٠٧/أول يوليو ١٠١٦ وعزل سليمان المستعين وقتله وأخاه عبد الرحمن وأباه الحكم وتولى الخلافة متلقباً بلقب الناصر لدين الله ، وبدأت بذلك قصة خلافة بنى حمود التى وصلت بالخلافة القرطبية إلى قمة الأزمة التى أدت إلى زوالها .

(١) غانم بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى من أهل مالقة ، ذكره ابن سعيد فى « المغرب » باسم غانم بن الوليد بن عمر بن غانم الأشونى (نسبة إلى أشونة Osuna) الساكن بمالقة « فقيه ومدرس وأستاذ فى الآداب وفنونها ، مجود مع فضل وحسن طريقة » كما يقول ابن بشكوال ، وقد توفى سنة ٤٧٠ .

ابن بشكوال ، الصلة ، رقم ٩٧٩ ص ٤٥٠ — ٤٥١ .
ابن سعيد ، المغرب ، ١/٣٧٠ .
ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ — مجلد ٢ ص ٣٤٥ وما بعدها . والأبيات التى أوردها ابن الأبار هنا واردة فى الذخيرة ، ص ٣٥٤ مع خلاف قليل فى اللفظ .

(٢) انظر عنه : المغرب لابن سعيد ، ١/٤١٣ .

وكأن الشمسَ لما أشرقتْ   وانثنتْ عنها عيونُ الناظرينْ
وجهُ إدريسَ بنِ يحيى بنِ على   بنِ حمودٍ أميرِ المؤمنين
خطَّ بالمسكِ على أبوابهِ :   ادخلوها بسلامٍ آمنين
ملكٌ ذو هيبةٍ لكنه   خاشعٌ لله رب العالمين
وإذا ما رُفعت راياتُهُ   خفقتْ بين جناحى جَبْرَئين
وإذا أشكَلَ خطبٌ مُعضلٌ   صَرع الشكَّ بمفتاح اليقين
وإذا راهن فى السبق أتى   وبيمناه لواء السابقين
يا بَنى أحمدَ يا خيرَ الورى   بأبيكمْ كان رِفْدُ المسلمين
نزلَ الوحىُ عليه فاحتبى   فى الدجى فوقهمُ الروحُ الأمين
[٦٣-١] /خُلقوا من ماء عدلٍ وتقًى   وجميعُ الناسِ من ماء وطين

وأول هذه القصيدة :

أَلِبَرْقٍ لائحٍ مِن أَنْدَرِينْ   ذَرفتْ عيناكَ بالدمعِ المَعِينْ(١)
لعبتْ أسيافهُ عاريةً   كمخاريقَ بأيدى اللاعبين

ومنها :

ومصابيحُ الدُّجى قد أطفئتْ   فى بقايا مِن سوادِ الليلِ جُونْ
وكأن الطَّلَّ مِسكٌ فى الثرى   وكأن النَّوْرَ درٌّ فى الغصون
والندى يقطُرُ من نَرجسِهِ   كدموعٍ أسلمتهنَّ الجفون
والثريا عُلِّقَتْ فى أُفْقِها   كقضيبٍ زاهرٍ من ياسمين

(١) وردت أبيات من هذه القصيدة فى معظم مراجعنا . وقد أسقط ابن الأبار بعد هذا البيت بيتاً لا يستقيم السياق بدونه :

ولصوتِ الرعدِ زجرٌ وحنين   ولقلبى زفَرات وأنين

وهذا من أحسن ما قيل فى تشبيه الثريا .

وكان إدريس هذا متناقض الأمور : كان أرحم الناس قلباً ، كثيرَ الصدقة يتصدق كلَّ يومِ جمعةٍ بخمسمائة دينار ، وردَّ المطرودين إلى أوطانهم وصرفَ إليهم ضياعَهم وأملاكَهم ، ولم يسمع بَغْياً فى أحد من الرعية . وكان أديب اللقاء حسن المجلس ، يقول من الشعر الأبياتَ الحسان . ومع هذا فكان لا يصحب ولا يقرِّب إلا كل ساقط نذل ، ولا يحجب حُرَمَهُ عنهم ، وكل من طلب منهم حِصناً أعطاه إياه . وسلَّم وزيرَه ومدبرَ إمامته وصاحبَ أبيه وجده موسى بنَ عفان إلى أمير صنهاجة فقتله ، وكان الصنهاجي سأل ذلك منه وكتب إليه فيه ، فلما أخبر إدريسُ موسى بنَ عفان بذلك وبأنه لا بد من تسليمه إليه قال له : « افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » . وهو القائل بديهاً ، وقد غُنِّى ما لم يَرضَهُ فى مدحه فقال للمغنى : « أعد الصوتَ وقل :

إذا ضاقت بك الدنيا فعرِّجْ نحو إدريسا
إذا لاقيتَـــه تلقى رئيساً ليس مرءوسا
إمامٌ ماجدٌ ملكٌ يزيل الغمَّ والبوسا »

هؤلاء خاتمة الأدباء من الملوك العلوية والمروانية ، لذهاب سلطانهم وانقراض مُلكهم بالأندلس والمغرب فى هذه المائة الخامسة ، واستيلاء الثوار على الأقطار .

وفيها أيضاً كان انقراض الدولة العُبَيدية بإفريقية على يدى المعز / بن باديس [٦٣ - ب] الصنهاجي .

وافترقت الجماعة بالأندلس على رأسها إلى وقتنا هذا ، وتسلَّط العدوُّ أثناءَ ذلك فتحيَّفَها ، ثم والى مَغَاره وخَسَارَه حتى أتلفها . ونظَمها فى هذه الفترة ملكُ المغرب أحياناً ، وانفردت بالثائرين فيها أحياناً . وفى كل ذلك لم تقم

لها قائمة ، ولا أغنت عنها واردةٌ ولا حائمة ، وما برحت تُخِلُّ بها وتُؤْذِن بعَطَبها فاتحةٌ من فتنتها وخاتمة .

* * *

ونعود إلى ذكر أمراء الفتنة :

١١٧ – جَهْوَر بن محمد بن جهور بن عبيد الله ، أبو الحزم – رئيس قرطبة

قد تقدم ذِكرُ جدِّه أبي الحزم جهور بن عبيد الله والرفعُ في نَسَبه ، وكان جدهم أبو أمية عبد الغافر بن أبي عبدة من وزراء عبد الرحمن بن معاوية . وسماه عيسى بن أحمد الرازى فى حُجّاب هشام الرضى بن عبد الرحمن بن معاوية ، قال : وكانّ من أهل الخير والدين والفضل ، وهو صاحب الخاتم للإمام هشام ولابنه الحكم — يعنى الرَّبضى . وسَمّى أيضاً فى حُجاب الحكم هذا عبدَ العزيز أبا عبدة أخا عبد الغافر .

وما زال هؤلاء الجهاوِرَة يتعاقبون على الخُطط السنية الشريفة ، من الحِجابة والوزارة والقيادة والكتابة ، إلى أن وقعت الفتنة العظمى بالأندلس ، وأولُ من أَرَّث نارَها ، وأورث شنارها ، محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى . نتناوب قصرَ قرطبة جماعةٌ من الأموية والعلوية فى المدة القريبة ، آخرهم هشام بن محمد ابن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر المُعْتَدُّ ، لم يكن عندهم غَناء ، ولا فُقد بتوليتهم التواء ولا عناء . وحينئذ استولى على الأمر بقرطبة ، دارِ الخلافة وقرارة المُلك ، أبو الحزم هذا الأخير زماناً الأول سلطاناً ، وإن كان ما فارق رسْمَ الوزارة ولا تحول عن داره إلى قصور الخلفاء ، لاتصافه بالرجاحة والدهاء .

قال ابن حَيّان — وذَكر اجتماعَ الملأ من أهل قرطبة على تقديمه : أعطوا منه قوس السياسة باريها ، وولوا من الجماعة داهيتها[1] . فاخترع لهم لأول وقته نوعاً من التدبير حملهم عليه ، فاقترن صلاحُهم به . وأجاد السياسة[2] ، فانسدل به الستر على أهل قرطبة مدتَه . وحصَّل كل ما يرتفع من البلد بعد إعطاء مقاتلتِه ، وصيّر ذلك فى أيدى ثقاتٍ من الخدَمة ، [مُشارفاً لهم بضبطه ، فإن فَضَل شىء تركه بأيديهم مثقفاً مشهوداً عليه ، لا يتلبس لهم بشىء منه][3] ، ومتى سئل قال : « ليس لى عطاء/ ولا منْع ، هو للجماعة وأنا أمينهم » . وإذا [٦٤-١]
رابه أمر عظيم ، أو عزم على تدبيرٍ ، أحضرهم وشاورهم . وإذا خوطب بكتاب ، لا ينظر فيه إلا أن يكون باسم الوزراء . فأعطى السلطان حقه من النظر ، ولم يخل مع ذلك من نظره[4] لمعيشته ، حتى تضاعف ثراؤه ، وصار لا تقع عينه على أغنى منه . حاط ذلك كلَّه بالبخل الشديد ، والمنع الخالص ، اللذين لولاهما ما وجد عائبه فيه طعناً ، ولكَمُل لو أن بشراً يكمُل .

قال : وكان — مع براعته ورفعة قدره وتشييد [ه لقديمه][5] بحديثه — من أشد الناس تواضعاً وعفة ، وأشبههم ظاهراً بباطن ، وأولا بآخِر ، لم تختلف به حال ، من الفَتاء إلى الكهولة .

واستمر فى تدبيره قرطبةَ ، فأُنجِح سعيُه بصلاحها ولمِّ شعثها فى المدة

---

(١) ابن الأبار ينقل هنا عن ابن حيان ، وقد نقل نفس العبارة ابن عذارى فى البيان المغرب (حـ ٣ ص ١٨٦) ، وقد ورد فيه هنا : أمينها .

(٢) عند ابن عذارى : وأحادوا السياسة فيه .

(٣) أسقط ابن الأبار هذه العبارة من كلام ابن حيان رغم أهميتها الكبيرة فى تفصيل النظام الذى سار عليه أبو الحزم بن جهور فى سياسة أمور قرطبة ، ولهذا جعلتها بين أقواس . أما رواية ابن بسام (قسم ١ مجلد ٢) فتضيف هنا : متهوداً عليه [إلى أن يعن وقت تصرفه] .

(٤) الكلمة غير واضحة فى الأصل ، وقد قرأها دوزى (ص ١٦٩) : ربحه . والعبارة التى أثبتها واردة فى البيان المغرب . وفى رواية الذخيرة : ترقيمه.

(٥) بياض فى الأصل ، والتكملة من الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ١١٦ .

القريبة ، وأثمر الثمرة الزكية ، ودب دبيب الشفاء فى السقام ، فنعَش منها الرفات ، وألحفها رداء الأمن ، ومانع عنها من كان يطلبها من أمراء البرابرة المتوزعين أسلابَها ، بخفْض الجناح ومعاملة الرفق(١) ، حتى حصل على سلمهم واستدرار مرافق بلادهم . ودارى القاسطين من ملوك الفتنة ، حتى حفظوا حضرتَه ، وأوجبوا لها حرمةً ، بمكابدته الشدائد حتى ألانها بضروب احتياله ، فرخَت الأسعارُ وصاح الرخاء بالناس أن : هلموا(٢) ! فلبّوه من كل صقع . فظهر تزيُّد الناس بقرطبة من أول تدبيره لها . وغَلَت الدور ، وحرّكوا(٣) الأسواق ، وتعجب ذوو التحصيل للذى أرى(٤) اللهُ فى صلاح الناس من القوة — ولمّا تعتدل حال أو يهلك عدو أو تقْوَ جباية — وأمر الله تعالى بين الكاف والنون .

وقال الُحميدى : لم يدخل فى أمور الفتن قبل ذلك ، وكان يتصاون عنها . فلما خلا له الجو وأمكنته الفرصة ، وثب عليها — يعنى قرطبة — فتولى أمرها واستضلع بحمايتها . ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة ظاهراً ، بل دبرها تدبيراً لم يُسبق إليه ، وجعل نفسه ممسكاً للموضع إلى أن يجىء مستحق يُتفق عليه فيُسلم إليه . ورتّب البوابين والحشم على أبواب تلك القصور ، على ما كانت عليه أيامَ الدولة ، ولم يتحول من داره إليها . وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدى رجال رتّبهم لذلك ، وهو المشرف عليه . وصيّر أهلَ الأسواق جنداً ، وجعل أرزاقَهم رؤوسَ أموال تكون بأيديهم مُحصاة عليهم ، يأخذون ربحها فقط ورؤوسُ الأموال باقية محفوظة ، يؤخذون بها ويُراعَوْن فى الوقت بعد الوقت

---

(١) عند ابن عذارى : والرفق فى المسائل .

(٢) فى البيان المغرب (١٨٧/٣) : أن يعلموا ، وهو خطأ .

(٣) فى البيان المغرب : فتحركت الأسواق .

(٤) فى البيان المغرب : أرأى ، وهو خطأ .

كيف حِفْظُهم لها . / وفرَّق السلاحَ عليهم ، وأمرهم بتفريقه فى الدكاكين [٦٤-ب] وفى البيوت ، حتى إذا دهم أمرٌ فى ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه . وكان يشهد الجنائز ويعود المرضى ، جارياً فى طريقة الصالحين . وهو — مع ذلك — يدبر الأمر بتدبير السلاطين المتغلبين[١] ، وكان [مأموناً][٢] وقرطبة فى أيامه حريماً يأمن فيه كلُّ خائفٍ من غيره ، إلى أن مات فى صفر — وقال ابن حيّان : ليلةَ الجمعة السادسة من محرم ، ثم اتفقا — سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

ومن شعره ، وكتب به إلى المنصور محمد بن أبى عامر :

متع الله سيدى بالسرور وتولاه فى جميع الأمورِ
وهنيئاً له بعــــزة دهرٍ تتوالى بظلٍّ تلك القصور
دعوةٌ أقبلَ الضميرُ بنجوا هُ عليها لصَفْوِ ما فى الضمير[٣]

هكذا وجدتُ هذه الأبيات منسوبةً إلى جهور بن محمد فى كتاب « مطمح الأنفس » للفتح بن عبيد الله ، وقد بينتُ غلطَه فيما نَسب إليه مما ثبتَ أنه لجده جهور بن عبيد الله ولغيره . ولا يبعُد أن يهنِّئ المنصور فى آخر دولته ، لأنه حينئذ — بل عام وفاته — كان يشارف الثلاثين فى سِنِّه . ولعل هذه الأبيات — على ضعفها — لأبيه أبى الوليد محمد بن جهور بن عبيد الله الوزير ، فإنه كان خاصًّا بالمنصور ، وهو الذى أطلعه على أمر جعفر بن على الأندلسى صاحبِ المسِيلة واختلافِ البربر إليه بقصر العُقاب ، واستأذن على المنصور فى وقت لم يكن يصل فيه إليه أحد ، فكسَر رائحةَ النبيذ عنه ، ووارى الحُرَم ، وأصغى إليه ، وقبل نصيحته ، فقتل جعفر على أثر ذلك .

(١) وردت الكلمة فى الأصل : المـ ن ، وقد أكملتها من كلام الحميدى ، وعنه ينقل ابن الأبار هنا . جذوة المقتبس ، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجى (القاهرة ١٣٧١) : ص٢٨ .
(٢) بياض بالأصل ، والتكملة من جذوة المقتبس للحميدى.
(٣) لم أجد هذه الأبيات فى نسخة مطمح الأنفس المطبوعة .

وتوفى أبو الوليد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة . ذكر ذلك ابن حيان فى تاريخه الكبير ، وصدّر به المتوفين فى الدولة العامرية من الوزراء والخواصّ .

ولم يُنشد الُحميدى لأبى الحزم الأخير شعراً ، وأنشد لأبيه أبى الوليد هذا :

أبلغت فى حبـك اسماعى   فصرتُ لا أصغى إلى الداعى
من صممٍ أورثنيه الأسى   وحُرقة [تُشعِـ]ـل[1] أوجاعى
كلفتَنى الصبرَ وأنَّى به   وكيف بالصـبر لمرتاع ؟
جزعتُ فى الحب على أننى   [فى الخطب][2] جلد غير مجزاع

وسيأتى ذكر أبى الوليد محمد بن جهور بن محمد — الذى خلف أباه فى رئاسة [٦٥-١] قرطبة وتدبير أمرها ، إلى أن قَبض/عليه المعتمد محمد بن عباد — بعد هذا ، إن شاء الله تعالى .

١١٨ — محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمى القاضى ، أبو القاسم

قال أبو رافع الفضل بن على بن أحمد بن حزم فى كتابه الموسوم بـ « الهادى إلى معرفة النسب العَبّادى » : هو أبو القاسم محمد بن ذى الوزارتين أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عِطاف بن نُعيم . وعِطاف — وضبطه بكسر العين وتخفيف الطاء المهملتين — عن غير أبى رافع ، هو الداخـل منهم بالأندلس فى طالعة بَلْج بن بشر القُشَيْرى ، وقيل إن عِطَافاً ونُعَيْماً هما الداخلان معاً إلى الأندلس . وكان عِطاف من أهل حِمْص من صقع الشام ، لَخْمِىّ النسب صريحاً ، وموضعه من حمص

(١ و ٢) التكملة من جذوة المقتبس للحميدى .

العريش ، والعريشُ فى آخر الجفَار بين مصر والشام . ونزل بالأندلس بقرية يُومِين من إقليم طُشَّانَة(١) من أرض إشبيلية ، وعلى ضفة نهرها الأعظم . وقال غير أبى رافع إنهم من وَلد النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، وبذلك كانوا يفخرون ويُمدَحون ؛ وهذا ابن اللبانة يقول :

من بنى المنذرين وهو انتساب(٢) زاد فى فخره بنــــو عبادِ
فتية لم تلد ســـــواها المعالى والمعالى قليـــــــلة الأولاد

وقال ابن حيّان : إسماعيل بن عباد قاضيهم القديم الولاية(٣) ، ورجل

(١) فى الأصل : لشانة ، والتصويب من الذخيرة لابن بسام ، مخطوطة أوكسفورد ، ورقة ٢ ظهر .

وطشانة هى Tocina فى مديرية إشبيلية حالياً .

أما « يومين » فقد حقق اسمها دوزى فى تعليقاته على الترجمة اللاتينية لهذه القطعة فى *Script. Ar. Loci de Abbad.* I, 227. وقال إنه وجد فى كتاب :

Repartimiento de la muy nobe y leal ciudad de Sebilla que hiço el Rey Alonso el dezimo, Rey de Castilla y Leon que por excelencia fue llamado el Sabio, era de 1291, que es Ano del Senor 1253 (Mus. Brittan. Ms. Egerton 478,fol.2v.)

عبارة تقول إن القرية التى كان العرب يسمونها **Torconina** غيَّر الملك ألفونسو اسمها إلى مولينا **Molina** . ورجح فى ظن دوزى أن الاسم مصحف فى هذا المخطوط ، وأن صحته **Toriomina** وهو بالعربية طُور يُومين أى جبل يومين .

(٢) فى الأصل :

من بنى المنذر بن ماء السماء وهو انتساب زاد فى فخره بنو عباد

وهو واضح الانكسار ، وقد صوبه دوزى على هذا النحو ، وهو صحيح .

***Abbadides* II, 47 n.c.**

(٣) عند ابن بسام : قديم الولاية ، وقد نشر دوزى نص الذخيرة لابن بسام فى الجزء الأول من مجموعه عن أقوال المؤرخين فى بنى عباد وعنوانه :

***Historia Abbadidorum* (Lugduni Batavorum. Leiden, 1846) pp.220 sqq.**

وعنوان الجزء الثانى من هذا الكتاب يختلف عن ذلك ، وقد سبق أن ذكرناه . وسأشير إليه فيما يلى من التعليقات بعبارة : دوزى ، بنو عباد .

الغرب[1] قاطبة المتصل الرئاسة فى الجماعة والفتنة . وكان أيسرَ مَن بالأندلس وقتَه[2] : ينفق من ماله وغلّاته ، لم يجمع درهماً قط من مال السلطان ، ولا خدمَه[3] . وكان واسع اليد بالمشاركة[4] . آوى صنوف الجاليَـة من قرطبة عند احتدام الفتنة . وكان معلوماً بوفور العقل وسُبوغ العلم والزكانة ، مع الدهاء و بعد النظر و إصابة القَرْطَسَة[5] .

فأما ذو الوزارتين أبو القاسم ابنُه فأدرك متمهلا ، وسما بَعدُ إلى بلوغ الغاية ، فخلّط ما شاء ، وركب الجرائم الصعبة . وكان القاسم بن حمود قد اصطنعه بعد مهلك أبيه إسماعيل ، ورد عليه ميراثه من قضاء بلده بَعد بُعده عنه مدة ، وحصل منه بمنزلة الثقة ، فخانه تخوّن الأيام عند إدبارها عنه ، إيثاراً للحزم وطلباً للعافية ، وصَدَّه عن إشبيلية بلدِه لما قصده من قرطبة مفلولا .

وكان الذى وطّد له ذلك نفرٌ من أكابرها المرتسمين بالوزارة ، مناغين فى
[٦٥-ب] ذلك لوزراء/ قرطبة على تحميلهم لابن عباد كِبْرَ ذلك ، لإنافتِه عليهم فى الحال

---

(١) الأصل : المغرب ، والتصويب من ذخيرة ابن بسام ، مخطوط أوكسفورد ، ورقة ٢ ظهر . والمراد غرب الأندلس . ومن المعروف أن ابن بسام — فى مضاهاته لتقسيم يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى إلى أقطار يذكر فى كل منها ما يختاره لشعرائها — قسم الأندلس إلى ثلاثة أقسام : الشرق والغرب والموسطة .

(٢) نص ابن حيان برواية ابن بسام (الذخيرة ، ورقة ٢ ظهر) : « وكان أيسر مُكَوَّر بالأندلس وقتَه » . ومكور أى معمَّم ، كناية عن أنه كان من أهل الفقه والعلم والقضاء . انظر ملحق القواميس لدوزى : ٤٩٧/٢ .

(٣) غريب أن يقول ابن حيان أن إسماعيل بن عباد لم يخدم السلطان ، وهو يقول قبل ذلك أنه كان قاضياً ، بل قديم الولاية فى القضاء . ولعله أراد أن إسماعيل بن عباد لم يتول شيئاً من الوظائف الإدارية أو السياسية .

(٤) المشاركة هنا تعنى المزارعة ، أى تقديم أراضيه للفلاحين يزرعونها بالمشاركة ، له حصة من المحصول ولهم حصة ، وتسمى أيضاً المقاسمة والمناصفة .

(٥) القرطسة هى الهدف الذى كان يوضع ليتدرب على إصابته الرماة . انظر : ملحق القواميس لدوزى : ٣٣٠/٢ .

وسعة النعمة ، و إحصائهم عليه ملكَ ثلث إشبيلية ضيعة وغلة ، يخادعونه بذلك عن نَشَبه إبقاءً منهم على نعمهم ، وهو يشترى بذلك أنفسهم ولا يشعرون ، إلى أن وقعوا فى الهوة . وكانوا جماعة ، منهم ولد[1] أبى بكر الزبيدى النحوى و بنو يَرِيم[2] وغيرهم ، راض بهم الأمورَ ، واستمال العامة ؛ فلما توطأت له قبض أيدى أصحابه هؤلاء[3] ، وسما بنفسه وأسقط جماعتهم .

قال : وسلك سيرةَ أصحاب الممالك الذين بالأندلس لأول وقته ، وقام بأصح عزم وأيقظِ جدٍّ ، واخترع فى الرئاسة وجوهاً تقدم فيها كثيراً منهم ، [وامتثل رسْمِ[4] ابن يعيش[5] صاحب طليطلة من بينهم فى تمسكه بخطة القضاء وارتسامه

---

(١) رواية الذخيرة : بنو أبى بكر الزبيدى.

(٢) فى الذخيرة : بنو يريم صنائع ابن عباد . وقد ترجم دوزى هذه العبارة بقوله : filii Jarīmi ministri Ibn Abbadī أى أبناء يريم وزراء ابن عباد ، والنص لا يحتمل ذلك . وورد ذكره فى البيان المغرب لابن عذارى : ابن مريم .

(٣) نص ابن حيان عند ابن بسام يقول هنا : « وجرت له فى تدبيرهم أموريشق إحصاؤها ركب فيها [أحزم] طرق طلاب الدول ، حتى انفرد بسابقته ، ومهد لدولته ، واجتمع أهل عمله على طاعته ، فداذوا له » . والتكملة بين المعقوفتين من البيان المغرب لابن عذارى : ٣/١٩٦ .

(٤) بياض بالأصل ، والتكملة من الذخيرة ، ورقة ١٣ .

(٥) لم أجد ذكراً لابن يعيش فيما ذكر ابن حيان من أخبار بنى ذى النون وأوليةأمورهم (الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ ، ص ١٠٩ وما بعدها) ولكنى وجدت بعض التفصيل فى :

ANTONIO PRIETO Y VIVES, *Los Reyes de Taifas. Estudio histórico-numismático de los Musulmanes Espanoles en el siglo V. de la Hégira* (XIo de J.C.), Madrid, 1928, p. 51—52.

وملخصه أن طليطلة استولى على الأمور فيها عند قيام الفتنة جماعة من رؤسائها منهم ابن مسرة ومحمد ابن يعيش وسعيد بن شنظير ويعيش بن محمد بن يعيش المذكور وأبو عمرو أحمد بن سعيد بن شنظير وعبد الرحمن بن متيوه ، وقد اجتهد يعيش بن محمد بن يعيش حتى أصبح الرئيس الفعلى للجماعة (كما فعل إسماعيل بن القاسم بن عباد) ولكنه لم يستطع الاستمرار فى الحكم إذ اختلف عليه الناس وأخرجوه ، واحتاجوا إلى من يقوم بأمرهم بعد ذلكفخاطبوا إسماعيل بن ذى النون — وكان مستقراً فى شنتبرية Santâver إلى شمال شرق طليطلة ، وكان زعيماً من زعماء البربر فى كورة طليطلة ، وكان سليمان المستعين قد ولاه مدينة اقْلِيش ، ثم أضاف إليها كُونْكَة ، فأقبل بجنده ودخل البلد واستبد بأمره وأعلن انفصاله عن قرطبة والجماعة ، فكان أول من فعل ذلك من سموا بعد ذلك =

بها ، وأفعاله على ذلك أفعال الجبابرة . وأقبل يضم الأحرار من كل صنف ، ويشترى العبيد والجد يساعده والأمور تنقاد له ، إلى أن ساوى ملوك الطوائف ، وزاد على أكثرهم بكثافة سلطانه وكثرة غلمانه ، فنفع الله به كافةَ رعيته ، وتجاهم من مُلك البرابرة(١) . وتوفى لليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . وهو القائل يفخر :

ولا بد يوماً أن أسود على الورى ولو رُد عمرو للزمان وعامرُ

فما المجد إلا فى ضلوعىَ كامنٌ ولا الجودُ إلا مِن يمينىَ ثائرُ

فجيش العلا ما بينَ جنبىَ جائلٌ وبحر الندى ما بين كَفَّىَ زاخرُ

وله :

محبٌّ ما يساعـــده الحبيبُ رأى وجهَ الإنابة لو يُنيبُ

ويبكى للصِّبا إذ زال عنــهُ فيضحك فى مَفَارِقِهِ المشيبُ

وكم أحييتُ حشاشتَه أمانٍ يباعدُ بينَها الأجلُ القريبُ

وله فى الياسمين :

وياسمينٍ حسنِ المنظرِ يفوق فى المرأى وفى المَخبرِ

كأنه من فوق أغصانه دراهم فى مِطْرَفٍ أخضرِ

= ملوك الطوائف . وقد ترجم ابن بشكوال لأبى بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأسدى ، وقال إنه من أهل طليطلة ، ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم ، « وكان حافظاً للفقه ذاكراً المسائل ، وتولى الأحكام ببلده ، ثم صار إليه تدبير الرياسة به ، ونفع الله به أهل موضعه ، ثم خلع من ذلك وصار إلى قلعة أيوب وتوفى بها سنة ٤١٨ ، كذا قال ابن مطاهر ، وقال ابن حيان : توفى فى صفر سنة ١٩ » ترجمة رقم ١٤٠٥ ص ٦٢٨ .

(١) وقف ابن الأبار هنا بكلام ابن حيان ، وبقيته فى الذخيرة ، بنوعباد : ١/٢٢١ وما بعدها .

وله فيه :

يا حبــــذا الياسمينُ إذ يزهرْ فوق غصــــونٍ رطيبةٍ نُضَّرْ
/ قد امتطى للجمال ذروتَها فوق بساط من سندس أخضرْ [٦٦-١]
كأنه والعيونُ ترمقــــه زمرد فى خِــــلاله جوهرْ

وله فى الظليان(١) :

ترى ناظر الظَّيَّان فى لونه إذا مرّ ماء السحائب يغتذى
وحفَّت به أوراقُه فى رياضه وقد قُدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقد حُذِى
كصُفرٍ من الياقوت يلمْنَ بالضحى منضَّدة من فوق قُضْبِ الزمردِ

وله فيه :

كأن لونَ الظَّيَّان حين بدا نوّاره أصفراً على ورقِهْ
لونُ محبٍّ جفاه ذو مللٍ فاصفرّ من سُقمه ومن أرقِهْ

وله فى النيلوفر :

يا حُسنَ منظرِ ذا النيلوفر الأرِجِ وحُسنَ مَخبرِه فى الفَوح والأرَجِ
كأنه جامُ دُرٍّ فى تألُّقِــــهِ قد أحكموا وَسْطَهُ فصًّا من السَّبَجِ

١١٩ ـ ابنه عباد بن محمد المعتضد بالله ، أبو عمرو

قال ابن بسام فى كتابه الموسوم بـ « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » : تَسَمَّى أولا بفخر الدولة ، ثم بالمعتضد . قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ،

(١) فى الهامش إلى يسار السطر : الظليان الياسمين البرى ، وهو نبت يشبه النسرين .

مِن رجلٍ لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سَلِم عليه قريبٌ ولا بعيد . جبارٌ أبرم الأمر وهو متناقض ، وأسدٌ فَرسَ الطُّلَى وهو رابض . متهور تتحاماه الدهاة ، وجبار لا تأمنه الكماة . متعسف اهتدى ، ومُنْبَتٌّ قطع فما أبقى . ثار والناس حرب ، وكل شيء عليه أَلْب ، فكفى أقرانَه وهم غير واحد ، وضَبَط شانَه بين قائم وقاعد ، حتى طالت يدُه ، واتسع بلدُه ، وكثر عديده وعددُه . افتتح أمرَه بقتل وزير أبيه حبيب طعنةً في ثغر الأيام مَلَّكَ بها كفَّه ، وجباراً من جبابرة الأنام شرَّد بها مَن خلفَه ، فاستمر يَفْرِى ويَخْلُق[1] ، وأخذ يجمع ويفرق . له في كل ناحية ميدان ، وعلى كل رابية خَوّان[2] . حربُه سم لا يبطىء ، وسهم لا يخطىء ، وسلْمُه شر غير مأمون ، ومتاع إلى أدنى حين .

[٦٦ ب] وذكره ابن حيان فقال ، وقد نُعِى إليهم بقرطبة : / وعَشِيَّ يوم الأحد لستٍّ خلت لجمادى الآخرة سنة إحدى وستين — يعنى وأربعمائة — طرقَ قرطبةَ نعىُ المعتضد عباد ، زعيمِ جماعة أمراء الأندلس في وقته ، أسدِ الملوك ، وشهابِ الفتنة ، وراحض العار ، ومدرك الأوتار ، وذو الأنباء البديعة ، والجرائر الشنيعة ، والوقائع المبيرة ، والهمم العلية ، والسطوة الأبية . فرماه الله بسهم من مَرَامِيه المصمية ، أمَدّ[3] ما كان في اعتلائه ، وأرقى ما كان إلى سمائه ، وأطمعَ ما كان في الاحتواء على الجزيرة ، محتفِزاً[4] لها عند تشميره الذيلَ بفتنةٍ لا كفاء

---

(١) ضبطها دوزى : يخلِّق ، والصواب ما أثبتناه . ويخلق الأديم يُقَدِّرُ لما يريد قبل القطع ويقيسه ليقطع منه قربة أو خُفّاً وما أشبه ، ويفرى ويخلُق مصطلح معروف معناه إنفاذ الإنسان لما عزم عليه . اللسان : ١١/٣٧٥ .

(٢) ضبطها دوزى : خُوّان ، وترجمها et in quovis colle latronis ، ومعنى latronis لص أو قاتل ، وفسرها دوزى بمعنى خائن وقال إن جمعها خُوّان ، وقد أخذها من قولهم : قطعتُ الطريق وخُنت السبيل . والصواب خَوّان ، وهو من أسماء الأسد .

(٣) قرأها دوزى (بنوعباد ، ١/٢٤٢) : أمجدٌ .

(٤) في الأصل ، وفي مخطوط الذخيرة (ورقة ٥ وجه) : محتقراً ، وهكذا قرأها وأثبتها دوزى (بنوعباد ، ١/٢٤٢) وليفى پروفنسال (البيان المغرب ، ٣/٢٠٤) . والصواب ما أثبتناه ، واحتفز الرجل في جلوسه أراد القيام والبطش . اللسان : ٧/٢٠٣ .

لها . فتوفاه الله على فراشه من علة ذُبَحة قصيرة الأمد ، وحِيَّة الإجهاز ، اتفقت الحكايات على أنها كانت شِبهَ البَغْت . وكانت ولايته بعد موت أبيه يومَ الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ، وقضى نحبه يوم السبت الثانى من جمادى الآخرة سنة إحدى وستين ، ودُفن عشىَّ يوم الأحد بعده . تغمد الله خطاياه ، فلقد حُمِل عنه على مر الأيام — فى باب فرط القسوة ، وتجاوز الحدود ، والإبلاغ فى المُثْلة ، والأخذ بالظِّنة ، والإخفار للذمة — حكاياتٌ شنيعة ، لم يبد فى أكثرها للعالم بصدقها دليل يقوم عليها ، فالقول ينشاع[1] فى ذكرها . ومهما برئ من مغبتها ، فلم يبرأ من فظاعة السطوة ، وشدة القسوة ، وسوء الاتهام على الطاعة : سجايا من جِبِلَّتِه لم يحاشِ فيهن ذوى رحم ، ولا غلبهن بحيلة .

وقد كان تَقَيَّل سيرة أحمد بن أبى أحمد بن المتوكل ، آخِر أشداء خلائف العباسيين ، الذى ضَمَّ نشرَ المملكة بالمشرق ، وسطَا بالمتنزين عليها ، وبفقده انهدمت الدولة . فحمل عَبَّادٌ سِمَتَه المعتضدية ، وطالعَ بفضل نظره أخبارَه السياسية ، التى أضحت عند أهل النظر أمثلة هادية إلى الاحتواء على أمد الرئاسة ، فى صلابة العصا وشناعة السُّطَا[2] ، فجاء منها بمهولات تُذْعِر مَن سمعها ، فضلا عمن عاينها ، نسبوا إلى هذا الأمير الشهم عَبّاد [امتثالها من][3] غير دلالة ، ولم يقصر فى دولته التى مهَّدها فوق أطراف الأسنة ، وصيَّر أكثر شغله فيها شَبَّ الحروب ، وكِيادَ الملوك ، وانهراجَ[4] البلاد ، وإحراز التِّلاد ، من[5] توفُّر حظه من الأمور الملوكية ، والعُدد السلطانية / والآلات الرياسية . [٦٧ - ا]

---

(١) فى الذخيرة (دوزى ، بنو عباد ، ٢٤٢/١) : ينساغ ، وفى نسخة أخرى . ينساع .

(٢) الأصل : السطى ، ولم أجد هذه اللغة فى سطا يسطو سطوا .

(٣) بياض فى الأصل ، والتكملة من الذخيرة (بنو عباد ، ٢٤٣/١) .

(٤) الذخيرة : إهراج البلاد ، وهو أصح . والهرج الفتنة ، كما فى اللسان .

(٥) رواية الذخيرة : فى .

ومن نادر أخباره [المتناهية فى الغرابة](١) أن [نال بغيته](٢) وأهلك [تلك](٣) الأمم العاتية ، وإنه لغائب عن مشاهدتها ، مترفهٌ عن مكابَدَتها ، [مدبرٌ](٤) فوق أريكته ، منفذٌ لحيلها من جوف قصره . ما مشى إلى عدوٍ أو مغلوب من أمثاله(٥) غير مرة أو مرتين ، ثم لزم عر يسَتَه يدبر داخلَها أموره. جرّد نهارَه لإبرام التدبير ، وأخلَصَ ليله لتملِّى السرور ، فلا يزال تُدار عليه كؤوس الراح ، ويُحيا عليها بقبْض الأرواح . له فى كل شانٍ شُوَيْن ، وعلى كل قلب سمعٌ وعين . ما إن سَبَرَ أحد من دهاة رجاله غورَه ، ولا أدرك قعرَه ، ولا أمِنَ مكرَه ؛ لم يزل ذلك دأبُه منذ ابتدائه إلى انتهائه .

قال : وكان عَبّاد أوتى من جمال الصورة ، وتمام الخلقة ، ونخامة الهيأة ، وسباطة البُنيان ، وثُقوب الذهن ، وحضور الخاطر ، وصدق الحس ما فاق أيضاً على نظرائه .

ونظر مع ذلك فى الأدب — قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان — أدنى نظر بأذكى طبع حصَل منه ، لثقوب ذهنه ، على قطعة وافرة علقها ، من غير تعهد لها ، ولا إمعان فى غمارها ، ولا إكثار من مطالعتها ، ولا منافسة فى اقتناء صحائفها ، أعطته نتيجتها(٦) على ذلك ما شاء من تحبير الكلام ، وقرْض قطعٍ من الشعر ذات طلاوة ، فى معان أمدّته فيها الطبيعة ، وبلغ منها الإرادة ، واكتتبها الأدباء للبراعة .

جمع هذه الخلال الظاهرة والباطنة إلى جود كفٍّ بارَى السحاب . وأخبار عَبّاد — فى جميع أفعاله ، وضروب أنحائه : عالِنَاته(٧) وخافياته — غريبة بعيدة .

(١ و٢ و٣) التكملة من الذخيرة ، بنو عباد : ١/٢٤٣ .

(٤) بياض فى الأصل ، والتكملة من الذخيرة ، بنو عباد : ١/٢٤٣ .

(٥) الذخيرة : أقتاله .

(٦) الذخيرة : سَجِيتّه ، والأصوب هنا أن يقال : أعانته سَجِيتُه .

(٧) فى الأصل : عالِيَاته .

وكان — على تجرُّده فى إحكام التدبير لسلطانه — ذا كلف بالنساء ، فاستوسع فى اتخاذهن ، وخلَّط فى أجناسهن ، فانتهى فى ذلك إلى مدًى لم يبلغه أحد من نظرائه . فقيل إنه خلف من صنوفهن السَّريريّات خاصةً نحواً من سبعين جارية ، إلى حُرَّته الحظِيّة لديه ، الفَذّة من حلائله ، بنت مجاهد العامرى أخت على بن مجاهد أمير دانية ؛ ففشا نسلُ عباد لتوسُّعه فى النكاح وقوته عليه . وقال غير ابن حيّان : افتض ثمانمائة بكر . وفى موت المعتضد يقول أبو الوليد بن زيدون — ولم يُظهره — سروراً بذلك واستراحةً منه ، لأنه كان غير مأمونٍ على الدماء ، ولا حافظ لحرمة الأولياء :

لقــد سرّنى أنّ النّعِىّ موكَّلٌ ... بطاغيةٍ قد حُمّ منــه حِمَامُ
/ تجانَبَ صَوْبُ الغيث عن ذلك الصدا ... ومرّ عليــه المزنُ وهو جَهَام [٦٧ - ب]

ومن شعره ، وقد جمعه ابنُ أخيه إسماعيل فى ديوان :

حَميتُ ذِمارَ المجدِ بالبِيضِ والسُّمْرِ ... وقصَّرتُ أعمارَ العداةِ على قَسْرِ
ووسَّعتُ سُبْلَ الجود طبعاً وصنعةً ... لأشياء فى العلياء ضاق بها صدرى
فلا مجدَ للإنسان ما كان ضــدُّهُ ... يشاركُهُ فى الدهر بالنهيِ والأمرِ

وله :

رعَى اللهُ حالينا : حديثاً وماضيَا ... وإن كنتُ قد جردتُ عزمىَ ماضيَا
فما لليالى لا تزال ترومــنى ... وِيرمِينَ منى صائبَ السهمِ قاضيا(١)؟
وقد علمتْ أنّ الخطوبَ تطُوعُنى ... وما زلتُ مِن لِبسِ الدنيّات عاريا
أجددُ فى الدنيا ثياباً جديدةً ... يجدِّدُ منها الجودُ ما كان باليا

(١) قرأها دوزى (بنوعباد : ٢/٤٩) : قاصيا .

فما مرَّ بى بخلٌ بخاطرِ مهجتى ولا مرَّ بخلُ الناسِ قطُّ بباليا
ألا حبذا فى المجد إتلافُ طارفى وبذْلىَ عنـد الحمد نفسى وماليا

وله :

لقد بسطَ اللهُ المكارمَ مِن كَفِّي فلستُ على العِلاتِ عنها أخا كفٍّ
تُنادى بيوتُ المال من فرطِ بَذلها يمينىَ : قد أسرفتِ ، ظالمتى ، كُفِّى !
فتُغرى يمينى بالسَّماح فتَنْهَمِى ولا ترتضِى خِلاًّ يقول لها : يكفى
لعمرُك ما الإسرافُ فىَّ طبيعةٌ ولكنَّ طبعَ البخلِ عندىَ كالحتفِ

وله :

يصبِّرُنى أهلُ المودة دائباً وإنَّ فؤادى — والإلهِ — صبورُ
أغار على معنَى الرئاسةِ ، إننى على كلِّ حُسنٍ فى الزمان غيورُ
أصرِّفُ ذهنى فى أمورٍ جليلةٍ وأعلمُ أنَّ الدائراتِ تدورُ

وله :

أقومُ على الأيام خـيرَ مَقامِ وأوقِدُ فى الأعداء شرَّ ضِرامِ
[٦٨ – أ] / وأنفق فى كسب المحامد مُهجتى ولو كان فى الذكر الجميل حِمَامى
وأُبلِغُ من دنياىَ نفسىَ سُؤْلَها وأضربُ فى كلِّ العُلا بسهامى
إذا فَضَح الأملاكَ نقصٌ فإنهُ يبيِّنهُ عِنـد الأنام تمامى

وله :

عنِ القصدِ قد جاروا وما جُرتُ عن قصدى إذا خَفِيتْ طُرْقُ الفرائس عن أُسْدِ (١)
إذا اعترضوا للبخل أعرضتُ عنهم وإنْ مَنَّ أقوامٌ كتمتُ الذى أُسْدِى

---

(١) جعلها دوزى (بنوعباد : ٢/٥٠) : أسْدِى .

فلله ما أُخفِى من العدل والنَّـــدى ولله ما أبدِى من الفضل والمجد
ولا ألتقى ضيفى بغير بشاشـــةٍ إذاً فَجَحدتُ(١) اللهَ معروفَه عندى

وله :

أنامُ وما قلبى عن المجد نائمُ وإنَّ فؤادى بالمعـــالى لهائمُ
وإن قعدتْ بى علةٌ عن طِلابها فإنَّ اجتهادى فى الطلاب لدائمُ
يعز على نفسى إذا رُمت راحةً براحٍ ، فتثنينِى الطباعُ الـكرائم
وأسهر ليلِى مفـكراً غيرَ طاعمٍ وغيرى على العِلات شبعانُ نائم
ينادى اجتهادى إن أحسَّ بفترةٍ : ألا أين يا عَبّادُ تلك العزائم ؟
فتهتز آمالى وتقـــوَى عزيمتى وتُذْكرنى لذاتُهنَّ الهزائم

وله :

زُهْرُ الأسنةِ فى الهَيْجا غدتْ زَهْرِى غرستُ أشجارَها مُستجزِلَ الثَّمَرِ
ما إنْ ذكرتُ لها مِن(٢) معركٍ جَللٍ إلا تجلَّلتُه بالصارم الذَّكر
حتى غدوتُ وأعدائى تخاطبنى : يا قاتلَ الناس بالأجناد والفِـكَر !

وله :

هٰذى السعادةُ قد قامت على قدمٍ وقد جلستُ لها فى مجلس الـكرمِ
فإن أردتَ إلٰهى بالورى حَسَناً فملِّـكنِّى زمامَ العُرْب والعَجم
فإننى لا عدلتُ الدهرَ عن حَسنٍ ولا عدلتُ بهم عن أكرمِ الشيَم
أقارعُ الدهرَ عنهم كلَّ ذى طلبٍ وأطردُ الدهرَ عنهمْ كلَّ ما عَدَمٍ(٣) [٦٨ - ب]

(١) كذا فى الأصل ، والأصوب هنا : لجحدت . وجعلها دوزى : فحمدت .
(٢) جعلها دوزى (بنوعباد : ٢/٥١) : فى .
(٣) قرأها دوزى (بنوعباد : ٢/٥٢) : عرم، والأصح ما أثبتناه . و « ما » هنا زائدة .

وله :

وإذا توعَّرَتِ المسالكُ لم أَرِدْ فيهـــا السُّرَى إلا برأيٍ مقمرِ
وإذا طلبتُ عظيمةً فمفاتحى فيها العزيمةُ والسِّنانُ السَّمْهَرِى

وله :

لعمرك إنى بالمُــــدامة قوّالُ وإنى لما يَهْوَى النَّدامَى لفعّالُ
قسمتُ زمانى بين كدٍّ وراحةٍ : فللرأى أسحارٌ ، وللطِّيب آصالُ
فأُمْسِى على اللذاتِ واللهو عاكفاً وأُضْحِى بساحات الرئاسة أختالُ
ولستُ ـــ على الإدمان ـــ أغفلُ بُغيتى من الجد ، إنى فى المعالى لمحتالُ

وله يخاطب أباه القاضى أبا القاسم ، وقد عتب عليه :

أطعتُك فى سِرى وجهرىَ جاهدًا فلم يكُ لى إلا الملامَ ثوابُ
وأعملتُ جُهدى فى رضاك مشمِّرًا ومن دون أن أفضى إليه حجاب
ولما كبَا جَدِّى إليك ولم يَسُغْ لنفسى على ســــوء المقام شراب
وقَلَّ اصطبارى حين لا لِيَ عندَكم من العطف إلا قسوةٌ وعتاب
فررتُ بنفسى أبتغى فَرجةً لها على أنَّ حلوَ العيشِ بَعدك صاب
وما هزنى إلا رســـولُك داعياً فقلتُ : أمـــيرُ المؤمنين مجاب
فجئت أُغِذُّ السَّـــير حتى كأنما يطير بسَرجى فى الفَلاة عُقاب
وما كنتُ بعد البَيْن إلا موطِّناً بعزمى على أنْ لا يكونَ إياب
ولكنـــكَ الدنيا علىَّ حبيبةٌ فما عنكَ لى ـــ إلا إليكَ ـــ ذَهاب
أَصِبْ بالرضا عنى مَسَرَّةَ مُهجتى وإنْ لم يكنْ فيما أتيتُ صواب
وفضلُك فى ترك الملامِ ، فإنه وحقِّـــك فى قلبى ظُبًى وحِراب
[٦٩ ـ ا] / إذا كانتِ النُّعْمَى تُكدَّرُ بالأذى فما هى إلا محنـــةٌ وعذاب
ولا تقبضَنْ بالمنــــع كفى فإنهُ وجـــدِّكَ نقضٌ للعلا وخراب

فكلُّ نَوالٍ لى إليكَ انتسابُهُ وأنتَ عليه بالثناء مُثاب
بقِيتَ مكينَ الأمرِ ما ذَرَّ شارقٌ وما لاح فى أُفْقِ السماء رَبَاب

وله إلى صهره مجاهد العامرى :

عَرفتُ عَرْفَ الصَّبا إذْ هبَّ عاطرُهُ مِن أفْقِ مَن أنا فى قلبى أشاطرُهُ
أراد تجديدَ ذكراهُ على شَحَطٍ وما تيقَّنَ أنى الدهرَ ذاكرُهُ
قصاره[1] قيصر أن قام مفتخراً لله أوله مجداً وآخره
خِلِّى أبا الجيشِ ، هل يُقضَى اللقاء لنا فيَشتفِى منكَ طَرْفٌ أنتَ ناظره ؟
شَطَّ المزارُ بنا ، والدارُ دانيةٌ يا حبذا الفالُ لو صحَّتْ زواجره

وله أيضاً :

أترى اللقاءَ كما نحب يوفَّقُ فنظل نُصبَحُ بالسرور ونُغبَقُ ؟
أفْدِى أبا الجيش الموفَّقَ إنهُ للمَكرُمات ميسَّرٌ وموفَّقٌ
باهَى به الزمنُ البهىُّ كأنهُ بِشْرٌ على وجهِ الزمانِ ورونقُ
مَلِكٌ إذا فُهْنا بطيب ثنائهِ ظلتْ له أفواهُنا تتمطَّق
حسْب الرئاسة أنْ غدتْ مزدانةً بسناهُ ، فهو التاجُ وهى المِفرَق

وله فى النسيب :

يجور على قلبى هوًى ويُجيرُ ويأمُرنى ، إن الحبيبَ أميرُ
أغار عليه مِن لحاظى صيانةً وأكرمه ، إن المحبَّ غيور
أخفُّ على لقيا الحبيب وإننى لعمرك فى جُلَّى الأمور وقور

وله :

رعى اللهُ مَن يَصْلَى فؤادى بحبهِ سعيراً ، وعينى منه فى جنة الخُلدِ

(١) المراد أصْلُه أو جده ، إشارة إلى الأصل الصقلبى لمجاهد العامرى ، ولم أجد هذه الصورة بهذا المعنى فى مادة « قَصَرَ » فى المعاجم ، وإنما وجدت « قَصَرَة » وهى أصل النخلة أو الشجرة ، والجمع قَصَرٌ ، ويبدو أن صحة اللفظ : فأصْلُه ، وبه يستقيم الوزن والمعنى .

[٦٩-ب] / غَزَالِيَّةُ العينين ، شمسيَّةُ السَّنَا كَثِيبيَّةُ الرِّدفين ، غُصْنيَّـةُ القَدِّ
شكوتُ إليها حبَّها بمـــدامعي وأعلمتُها ما قد لقيتُ من الوَجدِ
فصادف قلبي قلبَهـا وهو عالمٌ فأعدَى، وذو الشوق المبرِّحِ قد يُعدِى
فجادت — وما كادت — عليَّ بخدها وقد ينبع المـاء النميرُ من الصَّلْد
فقلتُ لها : هاتى ثناياكِ إننى أفضِّل نُوَّارَ الأقاحى على الورد
ومِيلِى على جسمى بجسمك ، فانثنتْ تُعيد الذى أمَّلتُ منها كما تُبدى
عناقًا ولثـمًا أرَّثا(1) الشوقَ بيننا فُرادَى ومَثْنى كالشرار من الزَّند
فيا ساعةً ما كانـ أقصرَ وقتها لدىَّ تقضَّت غيرَ مذمومةِ العهد(2)

وله :

تنام ومدنَفُهـا يسهرُ وتصبر عنـــه ولا يصبرُ
لئن دام هـذا وهـذا به سيهلِك وَجداً ولا يشعرُ

وله :

يا قمراً قلبى له مطلعُ وشادِنًا فى مهجتى يرتَعُ
واللهِ ما أطمع فى العيش مُذ أصبحتُ فى وصلك لا أطمع
ايت كما يرتع فى مهجتى أنىَ فى ريقته أكرَع

---

(1) الأصل : أورثا ، ولا معنى له هنا .
(2) قرأ دوزى هذا الشطر هكذا :
* لَدَيَّ تَقَضَّى غَيْرَ مُذْ موتها عهدى ! *
وترجمها إلى اللاتينية على هذه الصورة :
fata utinom complevissem, sed non antequam suavissima illa hora plane esset emortua!

(بنو عباد : ٢/٥٨) .

وله :

يطولُ عليَّ الدهرُ ما لم أُلاقِها ويقصُر إن لاقيتُها أطولُ الدهرِ
لها غُرَّةٌ كالبدر عند تمامهِ وصدغًا عَبيرٍ نَمَّقا صفحة البدر
وقدٌّ كمِثل الغصن مالت به الصبا يكاد لفَرط اللينِ ينقَدُّ فى الخَصر
ومشىٌ كما جاءت تَهادَى غمامةٌ ولفظ كما انحلَّ النظامُ عن الدر

وله ، وهو من جيد شعره :

شرِبنا وجَفنُ الليلِ يغسلُ كُحلَهُ بماء الصباح والنسيمُ رقيقُ
معتَّقةً كالتِّبر ، أما بخارها فضخم ، وأما جسمها فدقيقُ

/ وله فى الياسمين : [٧٠-١]

كأنما ياسمينُنا الغضُّ كواكبٌ فى السماء تَبْيضُّ
والطُّرْقُ الحمْرُ فى جوانبهِ كخد عذراء مسهُ عضٌّ

وله وأنشد على منبر مالقة(١) ودُعِى له بها وبخمسةٍ وعشرين حصناً من حصونها جمعةً واحدة :

عَتادى أجرُ ما أوليتُ فيهم من الفتكاتِ بكرٍ أو عوانِ
وحسبى فى سبيل الله موتٌ يكون ثوابه دار الجنانِ

وهذا مثل قوله ، عندما ظفر بحصن رُنْدَة ، من أبيات كان يُعجَب بها ويأخذ الناس بحفظها :

سأُفنِى مُـــدةَ الأعدا ء إن طالتْ بىَ المدَّهْ
وتَبلَى بى ضـــلالتُهمْ ليزدادَ الهدى جِـــدَّه

(١) فى الأصل : مقالة ، والتصويب من دوزى (بنوعباد : ٢/٦٠) وهو صحيح هنا .

فكم من عِـــدَّةٍ قتَّلْـ ـتُ منهم بعـــدَها عِدَّه
نظمتُ رؤوسَهم عِقداً فحَلَّتْ لبَّـة الشُّـــدَّه[1]

وكانت له خزانة — أكرم لديه من خزانة جوهر — فى جوف قصره ، أودعها هامَ الملوك الذين أبادهم بسيفه ، منها رأس محمد بن عبد الله البَرْزالى ، ورؤوس الحُجّاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم ، الذين قرن الله رؤوسهم برأس إمامهم الخليفة يحيى بن على بن حَمُّود . وكان الذى يغريه بطلبهم أن بعض الراصدين مولدَه ، أخبر أن انقضاء دولته يكون على أيدى قوم يطرأون على الجزيرة من غير سكانها ، فكان لا يشك أنهم تلك البَرازلة[2] الطارئون عليها على عهد

---

(١) ترك ابن الأبار الأبيات الأولى من هذه القطعة ، وأوردها ابن بسام فى الذخيرة (بنوعباد : ٢٤٧/١) ، وها هى :

لقد حُصِّلت يا رنده فصرت لملكنا عِقده
أفادتنـــاك أرماح وأســـياف لهـا حده
وأجنـــاد أشـــداء بهم تنتهى الشـــده
غدوتُ يرونى مـــولى لهم ، وأراهم عُـــده

وقد قرأ دوزى الأبيات الثلاثة الأولى من هذه محرفة تحريفاً شديداً .

(٢) بنو برزال — أو البرازلة — رهط من زناتة مواطنهم الأولى وسط الجزائر الحالية فيما كان يعرف بالزاب الأسفل . وكان الزاب الأعلى ، أى المطل على البحر إلى غربى قسطنطينة الحالية ، تابعاً لأمراء الأغالبة ثم العبيديين بعدهم ، أى أنه كان معتبراً جزءاً من إفريقية . أما الزاب الأسفل فكان مستقلا ، وقد أراد عبيد الله المهدى إخضاعه ، وتم له ذلك على يد قائده على بن حمدون الأندلسى واختط فيه مدينة المسيلة لتكون حصنا للسلطان العبيدى ، وكان بنو برزال نازلين حول المسيلة ، ودخلوا فى طاعة على بن حمدون ، ثم دارت حرب طويلة بين على بن حمدون والزعيم الصنهاجى المعروف زيرى بن مناد ، وانتهى الأمر بهجرة جعفر بن على بن حمدون الأندلسى إلى الأندلس حيث دخل فى خدمة الحكم المستنصر فى أواخر أيامه ، واستطالت صنهاجة يقودها زيرى بن مناد (جد بنى زيرى) على الزناتيين — وفيهم بنو برزال — بعد رحيل جعفر بن على ، فاستأذن جعفر الخليفة الحكم فى أن يعبر بنو برزال إلى الأندلس فأذن ، وعبر إلى الأندلس عدد كبير منهم ، ودخلوا فى خدمة الخلافة الأموية ، ثم استعان بهم المنصو بن أبى عامر فزادت =

ابن أبي عامر ، فأعمل في نكالهم وجوه سياسته . واتفق أن دخل عليه يوماً بعض وزرائه وبين يديه كتاب قد أطال فيه النظر ، فإذا كتاب سقّوت[1] ، المتنزى

= قوتهم . وعندما وقعت الفتنة غلب البرازلة على قرمونة وإستجة وحصن المدور ، وكان زعيمهم محمد بن عبد الله البرزالى . وقد ثارت حروب طويلة بينه وبين المعتضد بن عباد انتهت بقتل محمد بن عبد الله البرزالى وتفرّق أمر البرازلة بعد أن فعلوا فيما وقع بأيديهم من البلاد شر الأفاعيل، وانضمت بقاياهم إلى باديس بن حبوس صاحب غرناطة .

أما الحاجب ابن خزرون فهو عبدون بن خزرون أمير بنى يرنيّان ، فرع من بنى يفرن الزناتيين ، وكانوا ممن وفد على المنصور ابن أبي عامر ودخلوا في خدمته وخدمة ابنيه من بعده، وعندما قامت الفتنة استولى عبدون بن خزرون على حصن أركُش Arcos de la Frontera واستبد به ، ومثله في ذلك أبو نور بن أبي قرة اليفرنى ، وقد استبد ببلدة رندة وحصنها، ومحمد ابن نوح الدَّمَّرى شيخ بنى دُمَّر – قبيل من بنى يفرن الزناتيين –وقد استبد بمورور Morón .وتقرب المعتضد بن عباد إلى هذه الطوائف من الزناتية ، ثم دعاهم إلى حفل إعذار أولاده ، فلما صار رؤساؤهم عنده قتلهم ، ويقال إنه أغلق عليهم الحمام فماتوا ، وصارت بلادهم كلها للمعتضد . انظر : ابن عذارى : البيان المغرب : ٣/٢٦٧ وما بعدها .

(١) سقوت البرغواطى أصله من قبيلة برغواطة الزناتية ومنازلها على ساحل المغرب الأقصى جنوبى طنجة إلى أصيلا ، وتجاورهم من الشرق منازل قبيلة غمارة الزناتية أيضاً ، وكانت غمارة عماد قوة الأدارسة فى عهدهم الأول ، ولهذا كانت برغواطة دائماً من أعداء الأدارسة . وقد أسر سقوت هذا فى بعض حروب غمارة وبرغواطة ، وانتهى أمره إلى أن صار عبداً لشيخ من شيوخ غمارة ، ثم صار إلى على بن حمود الذى ذكرناه ، وهو من سلائل الأدارسة ، والغماريون قومه ، وكان عليهم اعتماده ، وبفضلهم وصل إلى الخلافة ، وكان سقوت من أكبر رجاله ، فولاه على طنجة وسبتة وأطاعته غمارة ، وبعد زوال أمر الحموديين ظل سقوت يحكم طنجة وسبتة مناوئاً للمعتضد بن عباد ومهدداً له . فلما قامت دولة المرابطين وزحف يوسف بن تاشفين إلى الشمال ووصل إلى أحواز طنجة طلب إلى سقوت ومن معه من الغماريين الانضمام إليه فى القضاء على قبيلة برغواطة سنة ٤٧١ ، ومال سقوت إلى الاستجابة لدعوة المرابطين ، ولكن ابنه المسمى بضياء الدولة ثناه عن ذلك ، فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أمر غمارة توجه إلى طنجة واستولى عليها من يد سقوت وقُتل هذا فى الحرب سنة ٤٧٦ . ثم أرسل يوسف بن تاشفين ابنه وولى عهده إذ ذاك المعز (مات بعد ذلك بسنوات وخلفه أخوه علىّ فى ولاية العهد) فاستولى على سبتة من يد ضياء الدولة بن سقوت البرغواطى وقتله . ودخلت غمارة بعد ذلك فى طاعة لمتونة كبرى قبائل المرابطين .

انظر: ابن بسام ، الذخيرة (مخطوط بغداد ، ص ٤٠٧ – ٤١٢) .
ابن خلدون ، العبر : ٦/٢٢١ وما بعدها .

يومئذ بسَبتة ، يذكر أن الملثمين المدعوين بالمرابطين قد وصلت مقدمتُهم رحبةَ مراكش ، فأخذ الوزير يهون أمرهم ويخبر أن دونهم اللُّجج والمهامِه ، فقال له المعتضد : « هو والله الذى أتوقعه وأخشاه ، وإن طالت بك حياة فستراه . اكتب إلى فلان — يعنى عامله على الجزيرة[1] — بحفظ جبل طارق حتى يأتيه أمرى » . فقضى أن خلعوا ولده وقرضوا أمره .

١٢٠ — ابنه محمد بن عباد المعتمد على الله

— ويلقب أيضاً بالظافر وبالمؤيد — / أبو القاسم [٧٠ – ب]

بويع له بالإمارة بعد أبيه المعتضد سنة إحدى وستين وأربعمائة .

قال ابن حيّان — وذكر المعتضد عباد بن محمد : هلكت له بنت أثيرة لديه ، أبدى لها حزناً شديداً امتثله أهلُ مملكته فى إظهاره ، وحضر خواصُّهم شهودَ جنازتها بداخل قصره عشيةَ الجمعة غرةَ جمادى الأولى — يعنى من سنة إحدى وستين وأربعمائة — فاستخْفَرُوا[2] فى تعزيته . فلما انفضّوا شكا ألماً برأسه ، من زكام ثقيل انصبّ[3] عليه فهدّه . وأُحضر له طبيبُه ، وقد ازداد

(١) يريد الجزيرة الخضراء .

(٢) جعلها دوزى (بنوعباد : ٢/٦١) : احتفلوا ، ولاداعى لهذا التعديل ، فإن فعل استخفر يستعمله ابن حيان دائماً للسخرية ممن يجتهد فى القول أو فى إلقاء الشعر .

(٣) جعلها دوزى (دون مبرر أيضاً) : نصب عليه ، وقال إنها تستعمل بمعنى dolore affecit . صحيح أن عبارة نصب عليه تستعمل فى مثل قولهم : « نصب عليه ضرسه نصباً شديداً » ، ولكن ليس هذا ما يريده ابن حيان هنا ، إذ أنه يريد أن يقول إن الألم نزل به دفعة واحدة .

قلقه وأنكر نفسه ، فنصَّ عليه بهجمة[1] من دمه ، وأشار بتسريح شيء منه ، فرأى تأخير ذلك إلى غدِ يومه . وأمسى ليلةَ السبت — وقضاءُ الله قد حاق به — بخَنْقٍ مزعج أغصَّه بريقه ومنعه الكلامَ ، فقضى نحبَه يومَ السبت . وعلا النوح من قصره بحَينه ، فلم ينكتِم موتُه حيناً لشهود خليفته وقائد جيوشه وحامل كلته المرشح لمكانه محمد بن عباد المتسمى الظافر المؤيد بالله ، فاستقرت دولتُه ليومها وألقت مراسيها . وقام في جهاز والده وموارته ، فدفَنه بداخل قصره وفي تُربة أبيه القاضي محمد بن إسماعيل ، وتولى الصلاة عليه في جماعة الأشهاد من أهل مملكته ، وذلك عَشِيَّ يوم الأحد لثلاث خلون من جمادى الأخيرة .

وأفضى الأمرُ إلى ولده وهو في ريعان شبابه وكمال جماله ، ابن تسع وعشرين سنة وشهرين وأيام زائدة : مولده في العشر الأخر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ؛ وقال أبو بكر محمد بن أبي الوليد بن زيدون : مولده سنة إحدى وثلاثين ، وكذلك قال أبو بكر بن اللبّانة .

قال ابن حَيّان : وكانت سن عَبّاد سبعاً وخمسين سنة وثلاثة شهور وتسعة أيام ، تأقيتاً من مولده يوم الثلاثاء لسبع بقين من صفر سنة سبع وأربعمائة إلى وفاته يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأخيرة . ومدة إمارته منها — من يوم بيعته بوفاة والده يومَ الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين — ثمان وعشرون سنة ويومان .

ويُحكى عن المعتضد خبر غريب في تطيُّره عند انصرام أيامه ، وبين يدى هجوم حِمامه ، وهو انعقاد نيته على استحضار / مغنٍّ يَجعل ما يبتدئُ به فألا في [٧١ – ا]

(١) كذا في الأصل بوضوح . وربما تكون صحة العبارة : فنَصَّ عليه بهجمة من دمه ، المراد أنه نص على أن سبب المرض هجمة من دمه .

أمره ، وقد استشعر انقراضَ مُلكه وحلولَ هُلكه ، فأرسل فى الصِّقِلِّى المغنى — وكان قد قَدُم عهدُه به — فأجلسه وأنَّسه وأمره بالغناء فغنى :

نَطوى الليالى علماً أنْ ستطوينا فشعْشِعيها بماء المُزْنِ واسقينا

غنَّى من ذلك خمسة أبيات ، ولخمسة أيام مات .

وفى وفاة المعتضد عَبّاد وقيام ابنه المعتمِد محمد يقول أبو الحسن على بن عبد الغنى الحُصرِى الكفيف[1] :

مات عبادٌ ولكنْ بقِىَ الفرعُ الكريمُ
فكأنَّ الميْتَ حىٌّ غيرَ أنَّ الضادَ ميمُ

وكان المعتمد من الملوك الفضلاء ، والشجعان العقلاء ، والأجواد الأسخياء المأمونين . عفيف السيف والذيل ، مخالفاً لأبيه فى القهر والسفك والأخذ بأدنى سعاية . رد جماعة ممن نَفَى أبوه ، وسَكَّن وما نَفَّر ، وأحسن السيرةَ ، وملَك فأسجَح . إلا أنه كان مولعاً بالخمر ، منغمساً فى اللذات ، عاكفاً على البطالة ، مُخلداً إلى الراحة ، فكان ذلك سبب عطبه وأصل هلاكه .

ومما يؤثر من فضائله ، ويُعد فى زُهْر مناقبه ، استعانتُه على الروم بملك المغرب

(١) على بن عبد الغنى الفِهْرى المقرئ الحصرى القروى ، يكنى أبا الحسن . قال ابن بشكوال فى الصلة (ترجمة رقم ٩٢٣ ص ٤٢٥) أنه كان شاعراً أديباً رخيم الشعر ، دخل الأندلس ولقى ملوكها . وكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن بسبتة وغيرها ، وله قصيدة نظمها فى قراءة نافع من ٢٠٩ أبيات . توفى بطنجة سنة ٤٨٨/١٠٩٥ . وقد عرفه ابن بسام واختصه بفصل فى الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١ ص ١٩٢ وما بعدها) أثنى عليه فى أوله ثم نقده نقداً شديداً وخاصة نثره .

وانظر : رايات المبرزين ، بتحقيق إميليو غرسية غومس (مدريد ١٩٤٢) ص ٢٨٨ من الترجمة الإسبانية وتعليق رقم CXXXVI (١١٦) ، وقد قرأ اسمه : أبو الحسن على بن عبد الله الفَتَى الكفيف الحصرى.

حينئذ — وهو يوسف بن تاشفين — وسعيه فى استقدامه ، وجده فى ملاقاة الطاغية ملك النصارى ، والإيقاع به بالموضع المعروف بالزلّاقة فى رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة . وبدخول اللمتونيين إذ ذاك الأندلس تسببوا إلى خلعه ، مع معرفته بحسدهم له وانعكاس نصرهم إياه خذلاناً وقهراً ، وتنبيه وزرائه على ما كان منهم قبل استجاشتهم والاستنصار بهم ، فآثر الدين على الدنيا ، وأنف للإسلام من الاصطلام[1] . وتم فيه قضاء الله فخلعوه ، بعد حضاره مدة ، يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلت من رجب سنة أربع وثمانين ، واحتملوه وأهلَه إلى المغرب وأسكنوه أغْمات ، وبها مات ؛ والمقدور كائن . وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، على حال يُوحِش سماعُها فضلا عن مشاهدتها . وهذا بعد أن خلع عن ثمانمائة امرأة : أمهات الأولاد ، وجوارى متعة ، وإماء تصرُّف[2] . ورُزق من الناس حبًّا ورحمة ، فهم يبكونه / إلى اليوم . [٧١ - ب]

وكان له فى الأدب باعٌ وَساعٌ ، ينظم وينثر . وفى أيامه نفَقتْ سوق الأدباء ، فتسابقوا إليه وتهافتوا عليه . وشعره مدوَّن موجود بأيدى الناس ، ولم يك فى ملوك الأندلس قبله أشعر منه ولا أوسع مادة . وهو القائل فى صباه بديهةً ، وقد سمع الأذان لبعض الصلوات :

هـذا المؤذنُ قد بدا بأذانهِ   يرجو الرضا والعفوَ من رحمانهِ
طوبَى له من ناطقٍ بحقيقةٍ   إن كان عقدُ ضميره كلِسانهِ

وله يصف ترساً لازوردىَّ اللون ، مطوقاً بالذهب ، فى وسطه مسامير مذهبة ؛ ويقال إن أباه المعتضد أمره بوصفه فقال بديهاً :

---

(١) الاستئصال .

(٢) قرأها دوزى (بنوعباد : ٢/٦٣) : تُعرَّف ، وهو خطأ . والصحيح إماء التصرُّف أى جوارى الخدمة .

مِجَنٌّ حَكى صانعوه السماءَ لتقصُرَ عنه طِوالُ الرماحْ
وصاغوا مِثالَ الثريا عليه كواكبَ تَقْضى لنا بالنجاحْ
وقد طَوَّقوه بذَوْب النُّضَارِ كما جلَّلَ الأفْقَ ضوءُ الصباحْ

وله يستعطف أباه المعتضد ، لما فرّط فى أمر مالقة وخذَله أصحابُه فأُخرِج منها ، ولجأ إلى رُندة[1] فأقام بها مدة تحت موجدة أبيه :

سَكِّنْ فؤادَك لا تذهبْ بكَ الفِكَرُ ماذا يُعيد عليكَ البَثُّ والحذَرُ ؟
وازجُر جفونَك لا ترضَ البكاءَ لها واصبر فقد كنتَ عند الخطبِ تصطبرُ
فإن يكن قَدَرٌ قد عاق عن وطَرٍ فلا مردٌّ لما يأتى به القدرُ
وإن تكن خيبةٌ فى الدهر واحدةٌ فكم غزوتَ ، ومن أشياعك الظَّفَرُ
إن كنتَ فى حيرةٍ عن جُرم مجترمٍ فإن عذرَك فى ظلمائها قمر
فوِّض إلى الله فيما أنتَ خائفُه وثق بمعتضدٍ بالله يغتفر
ولا يَرُوعَنْكَ خطبٌ إنْ عدا زمنٌ فالله يدفع والمنصور ينتصر
[٧٢-ا] / واصبرْ فإنكَ من قومٍ أولى جَلَدٍ إذا أصابتْهم مكروهةٌ صبروا
مَن مِثلُ قومِك ؟ مَن مِثلِ الهُمامِ أبى عمرٍو - أبيك - له مجدٌ ومفتخَر ؟

---

(١) أورد ابن بسام تفصيل هذا الخبر (مخطوطة بغداد) ، القسم الثانى ورقة ١٦ ا و ب ، وملخصه أن مالقة كانت تحت سلطان باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، وكان أهلها يكرهون حكمه ويتمنون أن يصيروا إلى حكم المعتضد بن عباد « تشيعاً لم يكن له أصل إلا شؤم الحمية ولؤم العصبية » ، لأنهم كانوا يكرهون أن يكونوا تحت أمير بربرى ، فانتهزوا فرصة ابتعاد باديس فى غرناطة وأرسلوا للمعتضد ، فأرسل ابنيه جابراً ومحمداً (الذى سيخلفه بلقب المعتمد) فأسرعا إلى مالقة من رندة ، واستوليا على البلد إلا القصبة إذ تحصن فيها جماعة من جند باديس السودي ، وأرسلوا يستغيثون به ، فأرسل إليهم الأمداد ، فلما وصلت مزقت شمل قوات ابنى عباد ، وفرا واعتصما فى رندة .

سَمَيْدَعٌ يَهَبُ الآلافَ[1] مبتدئاً ويستقلُّ عطاياه ويحتقر
له يدٌ ، كلُّ جبارٍ يقبِّلُها لولا نداها لقلنا إنها الحَجر
يا ضَيْغمًا يقتلُ الأبطالَ مفترساً لا توهِنَنِّي فإني النابُ والظُّفُر
وفارساً تحذَرُ الأقرانُ صَولتَهُ صُنْ حَدَّ عبْدِك فهو الصارمُ الذَّكَر
هو الذى لم تَشِمْ يُمناك صفحتَهُ إلا تأتَّى مرادٌ وانقضى وطَر
قد أخلفتْنِى ظروفٌ أنتَ تعلمها وغالَ موردَ آمالى بها كدر
فالنفس جازعةٌ ، والعين دامعةٌ والصوت منخفضٌ ، والطَّرْف منكسر
قد حِلْتُ لوناً ، وما بالجسم من سَقَمٍ وشِبْتُ . رأساً ، ولم يبلُغْنِىَ الكِبَر
ومِتُّ إلا ذِماءً فىَّ يُمسِكهُ أنى عَهِدتُكَ تعفو حين تقتدر
لم يأت عبدُك ذنباً يستحق به عتْبًا ، وها هو قد ناداك يعتذر
ما الذنبُ إلا على قومٍ ذوى دَغَلٍ وفَى لهمْ عفوُك المعهودُ إذ غدروا
قومٌ نصيحتُهم غشٌّ ، وحبُّهمُ بغضُ ، ونفعُهُم - إن صُرِّفوا - ضرر
تُميز الغيظَ فى الألفاظ ، إن نطقوا وتَعرفُ الحقدَ فى الألحاظ ، إن نظروا
إن يحرق القلبَ نَبْزٌ[2] مِن مقالهمُ فإنما ذاك مِن نار القِلَى شرر
أجبْ نداءَ أخى قلبٍ تملَّكهُ أسًى ، وذى مقلةٍ أودى بها سهر
لم أوتَ مِن زمنى شيئا أَلَذُّ به فلست أعرف ما كأسٌ ولا وتر
ولا تملَّكنى دَلٌّ ولا خَفَرٌ ولا تمرَّس[3] بى غُنْجٌ ولا حَوَر

---

(١) الأصل : الألفاف .

(٢) الأصل : نبذ . وقرأها دوزى (بنو عباد : ٢/٦٤) : بَنْد .

(٣) بنو عباد ٢/٦٤ : ولا سبا خَلَدى .

[٧٢ - ب] / رضاكَ راحةُ نفسي ، لا فُجعتُ به فهو العَتادُ الذى للدهر أدَّخر
وهو المُدام التى أسلو بها ، فإذا عَدِمتُها وقَدَتْ فى قلبيَ الفِكَر
أجلْ ، ولى راحةٌ أخرى كَلِفتُ بها : نظْمُ الكُلَى فى القَنا والهامُ تبتَدِر(١)
كم وقعةٍ لك فى الأعداء واضحةٍ تفنَى الليالى ولا يفنَى بها الخبر
سارتْ بها العِيسُ فى الآفاق فانتشرتْ فليس فى كل حَيٍّ غيرها سمَر
ما تركَ الخمرَ عن زهدٍ ولا ورعٍ فلم يفارق — لعمرى — سِنِّيَ الصِّغَر
وإنما أنا ساعٍ فى رضاك ، فإنْ أخفقتُ فيه فلا يُفْسَحْ لىَ العُمُر
إليكَ روضةَ فكرى جادَ منبِتَها ندى يمينك ، لا طَلٌّ ولا مطر
جعلتُ ذكرَكَ فى أرجائها زهراً فكل أوقاتها المجتنى سَحَر

وذكر أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى ، المعروف بابن اللبانة(٢) أن رجلا من أهل إشبيلية كان يحفظ هذا الشعر فى ذلك الأمد ، ثم خرج منها لنيةٍ منه إلى أقصى حيٍّ فى العرب فأوى إلى خيمةٍ من خيامهم ، ولاذ بذمة راعٍ من رعاتهم ، فلما توسط القمرُ فى بعض الليالى وهجع السامر ، تذكر الدولةَ العَبّادية ورونقَها ، فطفق يُنشد القصيدة بأحسن صوت وأشجاه . فما أكملها حتى رُفع رواقُ الخيمة التى [أوى](٣) إليها عن رجل وسيم ضخم تدل سِيما فضله على أنه سيد أهله ، قال : يا حَضَرِيّ ! حَيّاك الله ، لمن هذا الكلام الذى اعذَوْذب موردُه ، واخضَوْضل منبتُه ، وتحلّت بقلادة الحلاوة بكره ، وهَدَر بشقشقة

(١) الأصل : تنتدر .

(٢) سياق الخبر هنا يدل على أنه وقع بعد ذهاب أمر الدولة العبادية بزمن طويل ، مع أن راويها وهو ابن اللبانة الشاعر معاصر للمعتمد وكان من أقرب أصحابه إليه ، بل اشتهر بوفائه لذكرى إمارته بعد خلعه ونفيه إلى أغمات ، وقد توفى سنة ٥٠٧/١١١٣ .

(٣) أسقطها الناسخ ، ويقتضيها السياق .

الجزالة بكره ؟ » ، فقال : « هو لملك من ملوك الأندلس يعرف بابن عبّاد » ، فقال العربى : « أظن هذا الملك لم يكن له من المُلك إلا حظ يسير ، ونصيب حقير . فمثل هذا الشعر لا يقوله من شُغِل بشىء دونه » . فعرّفه الرجل بعظم رئاسته ، ووَصَف له بعضَ جلالته ، فتعجب العربىُّ من ذلك ثم قال : « وممن المَلك ، إن كنتَ تعلم ؟ » فقال الرجل : « هو فى الصميم من لَخْم ، والذؤابة من يَعْرُب » ، فصرخ العربى / صرخةً أيقظ الحىَّ بها من هَجْعته ، ثم قال : [٧٣ - ١]
« هلموا ، هلموا ! » ، فتبادر القومُ إليه ينثالون عليه ، فقال : « معشرَ قومى ! اسمعوا ما سمعتُه ، وعُوا ما وَعيتُه ، فإنه لفخرٌ طلبَكُم ، وشرفٌ تلاصقَ بكم . يا حَضَرى ! أنشد كلمةَ ابنِ عمنا » ، فأنشدهم القصيدة . وعرّفهم العربىُّ بما عرّفه الرجلُ به من نسب المعتمد ، فخامرتْهم السّراء ، وداخلتْهم العزةُ ، وركبوا من طربهم متونَ الخيل ، وجعلوا يتلاعبون عليها باقىَ الليل . فلما رَسَل الليلُ نسيمَه ، وشق الصباح — أو كاد — أديمَه ، عمد زعيم القوم إلى عشرين من الإبل فدفعها إلى الرجل ، وفعلَ الجميعُ مثلَ ما فعل . فما كان رَأْدُ الضحى إلا وعندَه هُنَيْدة من الإبل ، ثم خلطوه بأنفسهم ، وجعلوه مقرّ سرورهم وتأنُّسِهم .

وللمعتمد أيضاً يستعطف أباه المعتضد :

مولاى أشكو إليك داءً ... أصبح قلبى به جريحا
إن لم يُرِحْهُ رضاكَ عنى ... فلستُ أدرى له مُرِيحا
سُخْطُكَ قد زادنى سقاماً ... فابعثْ إلىّ الرضا مَسيحا
واغفر ذنوبى ولا تضيِّقْ ... عن حَملها صدرَكَ الفسيحا
لو صوّر اللهُ للمعالى ... جسماً لأصبحتَ فيه روحا

وله فى النسيب :

دارَى الغرامَ ورامَ أن يتكتما ... وأبَى لسان دموعِه فتكلما

رحلوا وأخفى وَجْدَه فأذاعهُ ماءُ الشؤون مصرِّحاً ومُجَمْجِمَا
سايرتُهم والليلُ غُفْلٌ ثوبُهُ حتى تراءى للنواظر مُعْلَما
فوقفتُ ثمَّ مُحَيَّرًا ، وتسلَّبتْ مِنى يدُ الإصباحِ تلكَ الأنجُما

وله :

أكثرتِ هجرى غير أنكِ ربما عَطَفَتْكِ — أحيانًا — علىَّ أمورُ
فكأنما زمنُ التهاجرِ بيننا ليلٌ ، وساعاتُ الوِصال بدور

وله :

عفا الله عن « سِحْرٍ » على كلِّ حالةٍ ولا حُوسِبَتْ عنى بما أنا واجدُ
[٧٣ — ب] / أسِحْرُ ظلمتِ النفسَ واخترتِ فُرْقَتى لجمّعْتِ أحزانى وهنَّ شواردُ
وكانت شجونى — باقترابكِ — نُزَّحًا فهاهنَّ — لما أن نأيتِ — شواهدُ
فإن تستلِذِّى بَرْدَ ما بك بعدَنا فبَعدَكِ ما ندرى متى ما الماءُ باردُ

وله :

قامت لتحجُبَ قرصَ الشمس قامتُها عن ناظرى ، حُجبتْ عن ناظرِ الغِيَرِ
عِلماً لِعَمرُكَ منها أنها قمرٌ هل تحجب الشمسَ إلا غرةُ القمر ؟

وناولته إحدى جواريه كأس بلور مترعة خمراً ولمع البرق فارتاعت ، فقال :

رِيعتْ من البرق وفى كفها برقٌ من القهوة لمّاعُ
يا ليتَ شِعرى ، وهى شمسُ الضحى كيف من الأنوار ترتاعُ ؟

وله ، ويغنى به :

تظنُّ بنا أمُّ الربيع سآمةً ألا غفرَ الرحمنُ ذنباً تُواقِعُهْ

أأهجرُ ظبياً فى فؤادى كِنَاسُهُ   وبدرَ تمامٍ فى ضلوعى مَطالعُهْ
وروضةَ حُسنٍ أجتنيها وباردًا   من الظَّلْمِ لم تُحظَرْ علىّ شرائعُهْ
إذا عدِمتْ كَفِّى نَوالا تُفيضهُ   على مُعتَفيها أو كَمِيًّا تُقارعُهْ

وله فيها(١) ، وضمَّن أوائلَ الأبيات حروفَ اسمها :

أغائبةَ الشخصِ عن ناظرى   وحاضرةً فى صميم الفؤادِ
عليكِ السلامُ بقدْرِ الشجونِ   ودمعِ الشؤونِ وقدرِ السُّهادِ
تملَّكْتِ منى صعبَ المرام   وصادفتِ منى سَهلَ القيادِ
مُرادىَ أعياكِ فى كلِّ حينٍ   فيا ليتَ أنىَ أُعطَى مرادى
أقيمى على العهد فى بَيْنِنا   ولا تستحيلى لطول البِعاد
دسستُ اسمَكِ الحلوَ فى طَيِّهِ   وألَّفْتُ فيكِ حروفَ « اعتمادِ »

وإليها يشير بقوله فى رثاء ابنيه المأمون والراضى بعد خلعه :

/معى الأخَواتُ الهالِكاتُ عليكُما   وأمُّكما الثكلَى المضرَّمَةُ الصدرِ [٧٤-١]
تُبَكِّى بدمعٍ ليس للغيثِ مِثْلُهُ   وتزجُرُها التقوى فتُصغِى إلى الزَّجر
تذلِّلُها الذكرى فتفزَعُ للبُكا   وتصبر ـ فى الأحيان ـ شُحًّا على الأجر
أبا خالدٍ ، أورثتَنى البَثَّ خالدًا   أبا النصر ، مذ وُدِّعتَ ودَّعَنى نصْرى
وقبلَكما ما أودَعَ القلبَ حسرةً   تَجَدَّدُ طولَ الدهرِ : ثُكْلُ أبى عمرِو

(١) الإشارة هنا إلى « اعتماد » الرميكية أحب نساء المعتمد إليه ، ولم يذكرها ابن الأبار قبل ذلك . وواضح أنه كان لا بد أن يمهد لذلك بشىء عنها ، ويبدو أن ذلك ليس سهواً من الناسخ وإنما هو من الأصل الذى كتبه ابن الأبار ، فقد سها عندما اختار مختاراته من شعر المعتمد عن أن يمهد لهذه الأبيات .

يعنى ابنَه سِراجَ الدولة أبا عَمرو عبادَ بنَ محمد قتيلَ ابن عكاشة بقرطبة(١) . وأبو خالد هو ابنــه يزيد الملقب بالراضى ، وهو الذى قتله قرور اللَّمتونى(٢) غدراً برُنْدَة . وأبو نصر هو ابنه الفتح الملقب بالمأمون ، وقُتل أيضاً بقرطبة فى آخر دولتهم . وإخوتُهم أبو الحسين عبيدُ الله الملقب بالرشيد ، حُمل مع أبيه إلى العُدوة ، وأبو بكر عبدُ الله الملقب بالمعتَدِّ ، وأبو سليمان الربيع تاج الدولة ، وأبو هاشم المعَلَّى زين الدولة ، وكلهم لجاريته هذه الحظية عندَه الغالبة عليه « اعتماد » ؛ وهى أم الربيع ، وتعرف بالسيدة الـكبرى ، وتلقب بالرُّمَيْـكِيَّـة نسبة لمولاها رُمَيْك ابن حجاج ، ومنه ابتاعها المعتمد فى أيام أبيه المعتضد . وكان مفرط الميل إليها حتى تَلَقَّب بالمعتمد لينتظم اسمُه حروفَ اسمها ، وهى التى أغرت سيدَها بقتل أبى بكر ابن عمار لذِكره إياها فى هجائه المعتمدَ الذى أوله :

---

(١) روى ابن بسام هذا الخبر فى الذخيرة (بنو عباد : ٣٢٢/١ وما بعدها) ومجمله أن قرطبة لما صارت إلى بنى عباد ولى المعتمد عليها قائداً من قواد جنوده يسمى محمد بن مرتين ، وكان المظفر ابن ذى النون طامعاً فى قرطبة ، ولكن جنود المعتمد أوقعوا به هزيمة كبيرة ، فأقام قائداً من قواده يسمى ابن عكاشة فى أحد الحصون المجاورة لها ليغاورها . وكان ابن عكاشة رجلا ذكياً واسع الحيلة ، فى حين كان محمد بن مرتين مغروراً بنفسه يظن أن أحداً لا يستطيع الثبات له ، وكان معه سراج الدولة أبو عمرو عباد بن المعتمد بن عباد ، فجعل ابن عكاشة يتلصص حول قرطبة حتى اتفق مع نفر من حراسها ، ثم هاجمها على غرة فى ليلة مظلمة سنة ٤٦٧ ، وقتل أباعمرو ومحمد بن مرتين وتملك البلد واستدعى المظفر فأسرع واستقر فى قرطبة ، وأراد التخلص من ابن عكاشة فلم يستطع . ثم توفى ابن ذى النون إثر ذلك وعادت قرطبة إلى المعتمد .

(٢) يسميه صاحب الحلل الموشية (ص ٨٧) جرور الحشمى ، وورد ذكره مراراً فى مذكرات الأمير عبد الله الزيرى فى صورة «قرور» (انظر فهرس الأعلام) . وكان يوسف بن تاشفين قد ولاه على جيش ليحاصر يزيد الراضى بن المعتمد بن عباد فى رندة ويستخلصها من يده ، وقد سلم له يزيد البلد . ثم قتله جرور بعد ذلك . وفى نفس الوقت سنة ٤٨٤ جعل يوسف بن تاشفين قائده أبا عبد الله بن الحاج على رأس جيش آخر ليستولى على قرطبة من يد الفتح بن المعتمد ابن عباد ، ويلقب بالمأمون ، وكان يليها لأبيه المعتمد ، وقد اقتحم ابن الحاج البلد بالقوة وقتل الفتح بن المعتمد فى المعركة .

ألا حَيِّ بالغربِ حَيًّا حِلَالَا أناخوا جِمالاً وحازوا جَمالاَ

يقول فيه :

تَخَيَّرْتَها مِن بناتِ الهجينِ رُمَيْكِيَّةً ما تُساوى عِقَالاَ

وهو شعر أقذَع فيه ، وقد قيل إنه منحول إليه ومقول على لسانه ، فالله أعلم(١) .

وتُوفيت أمُّ الربيع هذه بأغمات قبل المعتمد سيدها ، لم ترقأ لها عبرة ولا فارقتها حسرة ، حتى قضت أسفاً وهلكت حزناً ، رحمها الله .

ومحاسن المعتمد فى أشعاره كثيرة ، وخصوصاً مراثيه لأبنائه وتفجعه لزوال سلطانه . ويُحكى أن بعض بنى عبّاد أنشد فى النوم قبل حلول الفاقرة بهم هذه الأبيات :

/ ما يَعلمُ المرءُ والدنيا تمرُّ بهِ بأنَّ صَرْفَ ليالى الدهرِ محذورُ [٧٤-ب]

بَيْنا الفتى مُتَرَدٍّ فى مَسَرَّتِهِ وافَى عليهِ منَ الأيامِ تغييرُ

---

(١) يبدو أن هذا أيضاً رأى ابن بسام ، فقد قال فى الذخيرة (مخطوط بغداد ، ورقة ١٦٠ب) : « فشاعت فى الناس أشعار عزيت إلى ابن عمار منها قصيدة . . » ثم أورد أبياتاً متفرقة من القصيدة . وبعد أن أورد أشد الأبيات إقذاعاً قال : «وبعدُ ما أضربتُ عنه ، رغبة بكتابى عن الشين ، وبنفسى أن أكون أحد الهاجين ، فقد قالوا : الراوية أحد الشاتمين » !

وجاء بعد ذلك تعليقاً على قول ابن عمار :

وعرّج بيُومين أمّ القرى عسى أن تراها [هناك] خيالا

يومين : اسم قرية بقطر إشبيلية كانت أولية بنى عباد منها .

وقد أورد ابن بسام بعد ذلك خبر المعتمد مع ابن عمار كاملا .

وأورده مختصراً عبد الواحد المراكشى فى المعجب (بتحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان محمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩) ص ١١١ وما يليها .

وفرَّ مِن حوله تلك الجيوشُ كما تفر ـ عايَنَتِ الصقرَ ـ العصافير[1]
وخرَّ خُسْرًا فلا الأيامُ دُمْنَ لهُ ولا بما وُعِدَ الأبرارُ محبور
مِن بعدِ سبعٍ كأحلامٍ تمرُّ وما يرقَى إلى الله تهليلٌ وتكبير
يحلُّ سوءٌ بقومٍ لا مَرَدَّ له وما تُرَدُّ من الله المقادير

وكذلك حُكى أيضاً عن آخر أنه رأى فى منامه كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس يُنشدهم :

رُبَّ رَكبٍ قد أناخوا عِيسَهمْ فى ذُرَى مَجدهمْ حينَ[2] بَسَقْ
سكتَ الدهرُ زماناً عنهمُ ثم أبكاهم دماً حين نطقْ

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعىٌ لمُلكه ، وإعلام بما انتثر من سِلكه ، فقال :

من عزَا المجدَ إلينا قد صَدَقْ لم يُلَمْ مَن قال — مهما قال — حقّْ
مجـدُنا الشمسُ سَناءً وسَنًا مَن يَرُمْ سَتْرَ سَناها لم يُطِقْ
أيها الناعى إلينا مجـدَنا هل يضرُّ المجدَ أنْ خطبٌ طرَقْ ؟
لا نُرَعْ للدمـع فى آماقنا مزجتْـه بدمٍ أيدى الحُرَق
حَنِق الدهرُ علينا فسَطَا وكذا الدهرُ على الحُرِّ حَنِق
وقديماً كَلِف المُلكُ بنا ورأى منا شُموساً فعَشِق
قد مضى منا ملوكٌ شُهِروا شُهرةَ الشمسِ تجلَّتْ فى الأفُق

---

(١) عند ابن بسام (بنو عباد : ١ /٣٠٧) :
وفرَّ مِن حوله تلك الجيوش كما تفر — إن عاينتْ صقراً — عصافيرُ
وهو أجود .

(٢) الأصل : لَمّا ، وبه ينكسر البيت ، والتصويب من نفح الطيب للمقرى .

نحن أبنـــاء بنى ماء السما نحوَنا تطمَحُ ألحاظُ الحَـــدَق
وإذا ما اجتمع الدين لنـــا فحقــــيرٌ ما مِن الدنيا افترق

[٧٥ - ١] / ومنها فى ذِكر مدة إمارتهم :

حِجَجاً عشراً وعشراً بَعـدَها وثلاثين وعشرين نَسَـــقْ
أشرقت(١) عشرون من أنفسِها وثلاثٌ نَيِّراتٌ تأتَلِقْ

وكان مُلك بنى عَبّاد ثلاثاً وسبعين سنة ، للمعتمد منها ثلاث وعشرون .

وله :

لما تماسكتِ الدموعُ وتنبَّه القلبُ الصديعُ
وتناكَرَتْ هِمَمى لِما يستامُها الخَطْبُ الفظيعُ
قالوا الخضوعُ سياسةٌ فليَبْدُ منكَ لهم خضوعُ
وألَذُّ من طعم الخضـــو ع على فمى السُّمُّ النقيعُ
إن تستلب عنى الدُّنَا(٢) مُلكى وتسلِمنى الجموعُ(٣)
فالقلبُ بين ضلوعِـــهِ لم تُسْلِمِ القلبَ الضلوعُ
لم أُستَلَبْ شرفَ الطبا ع ، أيُسلَبُ الشرفُ الرفيعُ ؟
قد رُمتُ يومَ نِزالِهمْ ألّا تُحصِّنَنى الدروعُ
وبرزتُ ليس سِوى القمـيـ ـصِ على الحَشا شىءٌ دَفُوعُ
وبذلتُ نفسى كى تسيـ ـل إذا يسيلُ بها النَّجيعُ

(١) الأصل : أسرعت ، والتصويب عن دوزى (بنو عباد : ٢ / ٧٠) .

(٢) ورد هذا الشطر فى ديوان شعر المعتمد (جمعه وحققه الأستاذ أحمد بدوى والدكتور حامد عبد المجيد ، القاهرة ١٩٥١) ص ٨٨ : إن يَسْلِب القومُ العِدا .

(٣) ورد فى الهامش إزاء هذا الشطر :

* إن يَسْلِب القومُ العدا *

أَجَلِي تأَخَّرَ ، لَمْ يكنْ ... بِهَــواىَ ذُلِّي والخشوعُ
ما سرتُ قطُّ إلى الــكما ... ةِ وكان من أملِي الرجوعُ
شِيَمُ الأولِى أنا منهمُ ... والأصـلُ تتبعهُ الفروعُ(١)

وله :

لكَ(٢) الحمدُ مِن بَعدِ السيوفِ كُبُولُ ... بِسَاقَىَّ منها فى السجونِ حُجولُ
وكنا إذا حانتْ لحربٍ(٣) فريضةٌ ... ونادتْ بأوقاتِ الصلاةِ طبولُ

(١) أورد ابن بسام هذه القصيدة بصورة أوفى (بنوعباد : ٣٠٣/١ – ٣٠٤) . وقد قال المعتمد هذا الشعر يصف حاله يوم اقتحم المرابطون إشبيلية وأخرجوه من قصره بعد أن استقر رأى يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف . وقد وصف عبد الواحد المراكشى خلع المعتمد على يد سير بن أبى بكر بن تاشفين ابن أخى يوسف بن تاشفين وأكبر قواده بعد قتال دام أياما (المعجب : ١٣٨ وما بعدها) . وكان أهل إشبيلية قد أعلنوا الثورة على المعتمد وانضموا إلى المرابطين ، فوجد المعتمد ألا فائدة من القتال واستسلم ، فأُخذ هو والباقون من أبنائه وبناته ونسائه وأرسلوا إلى الجزيرة الخضراء ، وفيها ركبوا مركباً حملهم إلى العدوة ، حيث نقلوا إلى أغمات جنوبى مراكش ، وظل المعتمد هناك إلى أن مات .

وقد زرت الموضع الذى يقال إنه قبر المعتمد ، وهو قبر متواضع داخل حجرة مهدمة فى فضاء لا يعمره غير بعض الرعاة .

وقد زار هذا القبر ابن اللبانة الشاعر ، ورثى المعتمد فى قصيدة مشهورة ، وزاره أيضاً لسان الدين بن الخطيب ورثاه .

ورواية عبد الواحد المراكشى للحوادث ظاهر فيها ميله إلى بنى عباد وبغضه للمرابطين ، وهو صدى لبغض الأندلسيين عامة للبربر الذين استقدمهم المنصور بن أبى عامر ليؤيد بهم سلطانه ، فكان من نتائج ذلك ما رأينا ، وكان عبد الواحد المراكشى من شيعة الموحدين المبغضين للمرابطين ، وكلامه على هذا ينبغى أن يقرأ بتحفظ .

قال ابن بسام (بنو عباد : ٣٠٦/١) : ووافاه حمامه بعد مرض شديد أصابه ، وكانت وفاته فى ربيع الأول سنة ٤٨٨ . وكان مولده فى ربيع الأول سنة ٤٣١ ، « ومن النادر الغريب أنه نودى فى جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظيم سلطانه وجلالة شانه » .

وكل ما سيرويه ابن الأبار بعد ذلك من شعر المعتمد قاله فى منفاه ، وهو أجمل شعره وأصدقه .

(٢) الذخيرة (بنو عباد : ٣١٩/١) : له .

(٣) فى الديوان (ص ١١) نقلا عن الذخيرة : لِنَحْرٍ .

شهدْنا ، فكبَّرْنا ، فظلَّتْ سيوفنا تُصَلِّي بهاماتِ العِـــدا فتُطيلُ [٧٥-ب]
سجودٌ على إثْر الركوع متابعٌ[1] هناك وأرواحُ الكُماةِ تسيلُ

وعلى هذه الحال من الاعتقال كان الشعراء ينتجعونه ويمتدحونه ، فيصِلُ بما لديه ، مَن يفِدُ عليه ، أو يوجِّه بشِعره إليه . وتعرَّض له أبو الحسن الحُصرى[2] فى طريقه إلى أغمات — بعد القبض عليه — بشعر يمدحه فيه ، فوجَّه إليه بستة وثلاثين مثقالا لم يكن عنده سواها ، وأدْرَج قطعةَ شِعرٍ طيَّها معتذراً من قلتها . وتسامع الشعراء بذلك ، فقصدوه من كل ناحية ، فقال :

شعراءُ طَنْجةَ كلُّهم والمغربِ ذهبوا مِن الإغراب أبعدَ مذهبِ
سألوا العسيرَ مِنَ الأسيرِ ، وإنَّهُ بسؤالهمْ لأحقُّ ، فاعجبْ[3] واعجبِ
لولا الحياءُ وعزةٌ لَخْميَّـــةٌ طَيَّ الحشا ناغاهُمُ فى المطلَبِ
قد كان—إن سُئل الندى—يُجْزِلُ ، وإن نادَى الصريخُ ببابه : اركبْ ! يركبِ

وله فى الزهد :

أرى الدنيا الدنيَّةَ لا تواتِى فأجمِلْ فى التصرُّفِ والطِّلابِ
ولا يَغْرُرْكَ منهـا حُسْنُ بُرْدٍ له عَلَمانِ مِن ذَهَبِ الذِّهابِ
فأوَّلُها رجاءٌ مِن سَرابٍ وآخِرُها رداءٌ من ترابِ

* * *

(١) ورد هذا الشطر فى الذخيرة (مخطوطة بغداد ، ورقة ٢٦ أ):
* وفود على إثر الركوع متابع *
وقرأه دوزى (بنو عباد : ١/٣١٩) :
* رقوع على أن الرقوع متابع * !

(٢) هو أبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى الكفيف الذى ذكرناه آنفاً ، وقد روى هذا الخبر بتفصيل ابن بسام فى الذخيرة (مخطوط بغداد ، ورقة ٢٢ ب وما بعدها) .

(٣) فى الديوان (ص ٩٠) نقلا عن « الذخيرة » و « المعجب » : بِسُؤالِهم لأحقُّ منهم فاعْجَبِ .

أبناء المعتمد رحمه الله :

١٢١ — عبيد الله بن محمد الرشيد ، أبو الحسين

ذكر أبو بكر بن اللبانة أن كبار أولاد المعتمد محمد بن عبّاد عبيدُ الله الرشيد هذا ، ثم المعتدّ أبو بكر عبد الله ، ثم المأمون أبو نصر الفتح ، ثم الراضى أبو خالد يزيد ؛ هكذا أسماهم . وقد قيل إن المعتدّ أصغرهم ، وإنما أراد بَعد أبي عمرو عَبّاد بن محمد سراج الدولة قتيل ابن عكاشة بقُرطبة ، وإلا فهو بِكْر أولادِه والمسمّى باسم أبيه المعتضد .

قال : ووُلد للرشيد سبعةٌ وأربعون ولدًا ، وكان دَمِثًا رقيقَ حاشيةِ الطبع ، طالَع شيئًا من العلوم الرياضية ، وكُشف له عن غيب / الأغانى ، حتى قيل إنه يجيد ضرب العود ؛ وكان له أدب وشعر . [٧٦ – ا]

وذكر غيرُه أن أباه المعتمد ولاه عهده ، وأنه قدّمه أيضاً إلى خطة القضاء بإشبيلية — محافظة على رسم سلفه فى ذلك — فكان يجلس للأحكام جلوساً عامًّا يومَ الخميس ، ويَحضر عنده أعيان الفقهاء وأهل العلم وثقات الشهداء ، وتُتجاذب عنده النوازل ، فيحكم فيها ، ويَستفتى الفقهاء ، ويُمضى من ذلك ما يجب على مذهب مالك وأصحابه ، وتنعقد عليه السجلات بالأحكام . وكان الذى يتولى القضاء للرشيد الفقيه المشاور أبو محمد عبد الله بن جابر اللَّخْمِى ، ثم صُرف عن ذلك ووُلى أبو القاسم أحمد بن منظور القيسى . ولما نُقل بنو عَبّاد إلى المغرب أُسكن الرشيد منهم بقلعة مهدى ، وكان هنالك إلى أن تُوفى فى حدود الثلاثين وخمسمائة وقد نيف على السبعين فى سِنه . ومن شعره يخاطب أمَّ ابنه المُعَلى عند ولادتها إياه :

أهنيكِ ، بل نفسى أهنِّى ، فإننى بلغتُ الذى كان اقتراحى على الدهرِ :
خلاصَكِ من أيدى المنونِ وغُرةً بدتْ للمعلَّى مثل دائرة البدرِ
كأنّى(١) بهِ عما قريبٍ مُمَلَّكاً زِمامَ المعالى نافذَ النهيِ والأمرِ
يقود إلى الهيجاء كلَّ غَضَنْفَرٍ ويضربُ مَن ناواه بالبيض والسُّمرِ
فقرَّتْ به عيني وعينُكِ فى العلا ولا زال أسمى فى المحَلِّ من النَفْرِ

وجرى بمجلس أبيه قسيم فى صفة القبة المسماة بسعد السعود — وهى قبة بالقصر الزاهى — فعجز من حضر من الشعراء عن إجازته ، فقال الرشيد مرتجلا :

سعدُ السعودِ يتيه فوقَ الزاهى وكلاهما فى حسنه متناهِ
ومن اغتدى وطناً لمثل محمدٍ قد جَلَّ فى عُلياه عن أشباهِ
لا زال يخلُد فيهما ما شاءهُ ودهتْ عِداه من الخطوب دواهِ

وله :

قالوا : غداً يوم الرحيلِ ، فأمطرتْ عيناى دمعاً واكفَ العَبَرَاتِ
/ لِمْ لا ؟ وأنأى عن أحبةِ مهجتى كَرهاً ، فقلبى دائمُ الحسرات [٧٦-ب]
مِن كلِّ بيضاء العوارضِ طفلةٍ مثل البدورِ تضىء فى الظلمات
لولا الرجاء بأنْ يُعجَّلَ بينَنا وشْكُ التلاقى لاشتهيتُ مماتى

وعتب عليه أبوه المعتمد فى طريقه من مكناسة إلى أغمات عتباً أفرط فيه ، فكتب إليه يستعطفه :

يا حليفَ الندى وربَّ السَّماحِ وحبيبَ النفوس والأرواحِ

(١) الأصل : كأنَّكِ .

مِن تمامِ النُّعْمَى علىَّ التَّمَاحِي لمحـــةً من جبينِكَ الوضاحِ
قد غَنِينا ببِشرِه وســـناهُ عن ضياء الصباح والمصباح
ذاكَ حظى مِنَ الزمانِ ، فإنْ جا دَ بهِ لى بلغتُ كلَّ اقتراحى

فأجابه المعتمد :

كنتُ حِلْفَ الندى وربَّ السماحِ وحبيبَ النفـــوس والأرواحِ
إذ يمينى للبـــذل يومَ العطايا ولقبضِ الأرواح يومَ الـكفاحِ
وشِمالى لقبض كلِّ عِنانٍ يُقحِمُ الخيلَ فى مجال الرماح
وأنا اليومَ رهنُ أسرٍ وفقرٍ مستباحُ الحِمى مهيضُ الجناحِ
لا أجيب الصريخَ إنْ حضر البا سُ ولا المعتفِين يومَ السماحِ
عاد بِشْرى الذى عَهِدتَ عبوساً شغلتْنى الأشجانُ عن أفراحى
فالتماحى إلى العيونِ كريهٌ ولقـــد كان نزهةَ اللُّمَّاحِ

١٢٢ — يزيد بن محمد الراضى ، أبو خالد

ولاه أبوه الجزيرةَ الخضراء ، وكان بها عند إجازة عساكر ابن تاشفين اللمتونى البحر واشتراطه إياها ، فنقله إلى رُنْدَة ؛ وهو شقيق عَبّاد والفتح وعبيد الله المعتدّ[1] بنى المعتمد ، أمهم اعتماد ، وقد تقدم ذكر ذلك وذكر حُظْوتها لديه . وقيل إن المعتضد غاظه / ما بلغه من غلبتها على المعتمد أولَ ما اشتراها ، [٧٧ — ا]

(١) سبق أن ذكره ابن الأبار باسم عبد الله .

فتوجه إليه عازماً على عقابه(١) ومعتقداً التنكيل به ، والمعتمد إذ ذاك بشِلْب عاملٌ له ، وقد وَلدتْ منه أكبرَ أولاده سِراجَ الدوله عَبّاداً . فأمرها أن تتلقاه به لتعطفه رؤيتُه عليها ، فكان ذلك كذلك ، ورقَّ له المعتضدُ وفَتَر عزمُه على الإيقاع به .

وكان الراضى من أهل العلم والأدب ، كَلِفاً بالمطالعة والدراسة ، قرأ كتب القاضى أبى بكر بن الطيب(٢) ، وأشرف على مذهب أبى محمد بن حزم الظاهرى ، فمهر فى الأصول وذهب إلى النظر والاختيار .

قال ابن اللبانة : ولد الراضى سبعةً من البنين ، وهو أقل بنى عباد الرؤساء ولداً ، وكان عالى الهمة ، عالماً بالشرعيات ، واقفاً على الطبيعيات ، ذاكراً للعرب وأنسابها ، حافظاً للغاتها وآدابها .

قال : وهو شاعر بنى عَبّاد بعد أبيه ، على أنه أقوى عارضةً منه ، وأبوه ألطف طبعاً وأرق صُنعا . واستُنزلَ الراضى من رُنْدة عند خلع أبيه ، وبعد مخاطبته أياه بذلك على عهود أُخفرتْ ومواثيق نُقضتْ ، فقُتل صبراً فى رمضان سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وهو القائل فى النسيب :

مَرُّوا بنا أُصُلاً من غير ميعادِ   فأوقدوا نارَ شوقى أىَّ إيقادِ
وأذكَرونىَ أياماً لهوتُ بهمْ   فيها ، ففازوا بإيثارى وإحمادى
لا غروَ أن زاد فى وَجْدى مرورهُم   فرؤيةُ المـاء تُذْكِى غُلّة الصادى

وله يخاطب أباه ، وقد أنهض جماعةً من إخوته دونه ، وبعث بها مع بعض بنيه :

---

(١) الأصل : عقبه ، وقرأها دوزى (بنو عباد : ٢/٧٥) : عتبه .
(٢) المراد أبو بكر بن الطيب الباقلانى .

أعيذُك أن يكونَ بنا خُمولُ ويطلعُ غـــيرنا ، ولنا أفولُ
حنانَك ، إنْ يكنْ جُرمي قبيحاً فإنَّ الصفحَ عن جُرمي جميلُ
وإن عَثَرتْ بنا قدمٌ سَفَاهاً فإني من عِثاري مستقيلُ
وأحسنُ ما سمعتُ به عزيزٌ يناديه فيرحمُهُ ذليـــلُ
وهأنذا أناديكمْ ، فهل لي إلى قربٍ من الرُّحمَى سبيلُ ؟
[٧٧-ب] / وأنت المَلْكُ تعفو عن كثيرٍ فمالَكَ ظَلْتَ يُغضبكَ القليلُ ؟
ألستُ بفرعك الزاكي ، وماذا يُرَجِّى الفرعُ خانته الأصولُ ؟
بعثتُ بُرقعتي هذي رســولاً صغيرَ السِّنِّ ليس له حَوِيلُ
لترحمَـــــهُ وأفراخاً إذا ما عَتَبْتَ عليَّ عاد لهمْ عويلُ
بَقِيتَ لهمْ على عَتْبٍ وعُتْبَى فإنَّ حياتَك الظلُّ الظليلُ

وله يخاطبه أيضا مسلِّياً عن هزيمة جيش له بناحية لُورْقَة كان عليـه ابنه المعتدّ :

لا يُكْرِثَنَّكَ[1] خطبُ الحادثِ الجارى فما عليكَ بذاكَ الخطبِ من عارِ
ماذا على ضَيْغَمٍ أمضى عزيمتَه أنْ خانَه حَدُّ أنيابٍ وأظفارِ ؟
مَن يُوقِظِ الحربَ لا يُنكرْ حوادثَها قد تُحرقُ النارُ يوماً مُوقدَ النارِ
لئن أتوْكَ فَمِنْ جُبْنٍ ومِن خَوَرٍ قد يَنهضُ العَيْرُ نحو الضيغمِ الضارى
عليكَ للناس أن تَسعَى لنصرهِمُ وما عليكَ لهمْ إسعادُ أقدارِ
لو يَعلمُ الناسُ ما في أنْ تدومَ لهمْ بَكَوْا ، لأنَّكَ مِن ثوبِ الصِّبا عارِ
ولو أطاقوا انتقاصاً من حياتِهِمُ لم يُتحفوكَ بشيءٍ غيرَ أعمارِ**

(١) أي لا يسوءنك . انظر اللسان ٢/٤٨٥ .

وهى طويلة ، وجل شعره فى استعطاف أبيه المعتمد لطول موجدته عليه ، والاعتذار فى كل حين إليه . ومن ذلك قوله :

سجيةُ ذى الدنيا عداوةُ ذى الفضلِ ... ورَوْمُكَ نقلَ الطبعِ من أعظمِ الجهلِ
فصــبراً على ضِيقاتها فلعلَّها ... تُفرَّج يوماً ، والعُقودُ إلى حلِّ
ولا تُضْمِرَنَّ الشَّــكْلَ إن كنتَ ذا حِجًا ... فليس لبيباً من يبيت على ثُــكْلِ
سأشكو إلى مُشْــكِى فؤادى بعَتْبِهِ ... ومن عجبٍ شكوى الجريح إلى النَّصْلِ
أمعتَمَدَ الأملاكِ ، دعوة آملٍ ... رضاكَ فلا ضاقت إلى غيره سُبْلى
/ولستُ ــ و إن أُضحِى بعيداً ــ بيائسٍ ... فإن دموع المُزن تهوِى إلى سُفْلِ [٧٨ – ١]
لك الخيرُ لم أعلم بأنك منكرٌ ... ــ إذا الشمسُ آذتنى ــ فرارى إلى الظلِّ
فإن كنتُ ذا ذنبٍ فحسبِىَ عفوُكمْ ... وقلبِىَ ما زلَّ الرجالُ ذوو العقلِ
وكم حقَنَ الأملاكُ قبلَكَ من دمٍ ... وكان لديهمْ سَفْــكُه كجَنَى النحلِ
يؤرِّقُنى ظنى بجَدِّى ونقصِهِ ... ويُرقدنى علمى بما لَكَ من فضلِ
لعمرى لئن كنتُ الجديرَ بزُلْفَةٍ ... لديك ، فهذا الفرعُ من ذلك الأصلِ

وله من قصيدة :

مالى أرى ذا السيفِ عندكَ عاطلاً ... وهْوَ المصمِّمُ إنْ سِواهُ تَبَلَّدا ؟
مالى حرمتُ رضاكَ لى ، وهْو الذى ... قد كنتُ أرهَبُ من زمانٍ أنكدا ؟
إنى وحقِّك واجدٌ بينَ الحشا ... مِن أجلِ سُخطك مِثلَ حَزٍّ بالمُدى
إن كان لى ذنبٌ فعفوُكَ واسعٌ ... أو إن يكن بغضٌ فقد بانَ الرَّدى
قد كان مِن حقى ــ لعَمرِكَ ــ أن أرى ... من بين أبناء الملوك محسَّــدا
فأنا الجوادُ متى أجئْ فى حَلبــةٍ ... فاتتْ عيونُ الناظرين لىَ المدى

لا تَنْحَلُوا شِعرى سِواىَ تشكُّكاً فالسِّقْطُ قد يُعْشِى العيونَ إذا بدا

وقوله يصف نكد أيامه :

هى الدارُ غادرةٌ بالرجال وقاطعةٌ لحبالِ الوصالْ
وكلُّ سرورٍ بها نافدٌ وكلُّ مقيمٍ بها لارتحالْ
وموعدُها أبداً كاذبٌ فإن أنجزته فبعدَ المِطالْ
فمن رام منها وفاءً يدومُ ومَكْثاً لها رام عَينَ المُحالْ
خُلقنا نياماً ، وظلَّتْ خيالا وأوشَكُ شىء فراقُ الخَيالْ
[٧٨ - ب] / نُعذَّبُ منها بغير اللذيذ ونشرق منها بغير الزلالْ
ونزداد - معْ ذاكَ - عشقاً لها ألا إنما سعيُنا فى ضلالْ[1]

وقوله فى مثل ذلك :

يَحُلُّ زمانُ المرءِ ما هو عاقدُ ويسهر فى إهلاكه وهْو راقدُ
ويُغرَى بأهل الفضل حتى كأنهم جناةُ ذنوبٍ ، وهْو للكُلِّ حاقدُ
سينهدُّ مبنىٌّ ، ويُقْفِر عامرٌ ويَصْفِر مملوءٌ ، ويخْمَد راقدُ
ويفترق الأُلّافُ مِن بَعدِ صحبةٍ وكم شهدَتْ مما ذكرتُ الفراقدُ

وله فى قصيدة يجاوب بها أباه ، وقد خاطبه طاعناً عليه وهازئاً به :

أتريد منى أن أكو ن كمَن غدا فى الدهر نادرْ

---

(١) أضاف دوزى هنا بيتاً غير موجود فى الأصل وهو :

كمعشوقة ودُّها لا يدوم وعاشقُها أبداً غير سال

ولم يذكر مصدره ، ومن المعروف أنه نشر ما نشر من « الحلة » عن النسخة التى عُملت من نسختنا للمكتبة الأهلية فى باريس ، فلعل الناسخ أضافه من عنده أو من مصدر آخر لم يعينه .

هيهـــات ذلك مطمع أعيا الأوائلَ والأواخرْ
لا تنسَ يا مـــولاى قو لَة ضارعٍ لا قولَ فاجرْ
ضَبَطَ الجزيرةَ عنـدما نزلتْ بعقْوتها العساكرْ
هبْنى أسأتُ كما أسأ تُ ، أما لهذا العَتْب آخرْ ؟
هبْ زلّتى لبُـــنوتى واغفر ، فإن الله غافرْ

وأول قصيدة أبيه :

المُلْك فى طىِّ الدفاترْ فتخلَّ عن قَوْد العساكرْ
طـــفْ بالسرير مسلِّماً وارجع لتوديع المنابرْ
واطمن بأطراف اليرا ع ، نُصِرْتَ ، فى ثُغَر المحابرْ
واضرب بسكين الدوا ةِ مكانَ ماضى الحدِّ باترْ
أولستَ رِسْطاليسَ إنْ ذُكر الفلاسفةُ الأكابرْ ؟
وكذاك إن ذُكر الخليـ لُ فأنتَ نحوىٌّ وشاعرْ
/ وأبو حنيفةَ ساقطٌ فى الرأى حينَ تكونُ حاضرْ [٧٩ - ا]
مَن هُرْمُسٌ ، مَن سيبويـ ـهِ ، مَن ابنُ فُوْرَك إذ تُناظرْ ؟
هذى المكارمُ قد حويـ ـتَ فكن لمنْ حاباك شاكرْ
واقعـــد فإنك طاعمٌ كاسٍ ، وقل : هل من مُفاخرْ ؟(1)

(١) ذكر ابن خاقان فى « قلائد العقيان » (بولاق ١٢٨٣ ، ص ٣١ – ٣٣) ظروف هاتين القصيدتين . وخلاصتها أن المعتمد عندما وصل لُورْقة وجد أن خصمه – والأغلب أنه المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس – قد أرسل إليها جيشاً ليحول بين المعتمد وبينها ، فطلب المعتمد إلى ابنه الراضى أن يقود جيشاً للقاء العدو ، « فأظهر التمارض والتشكى ، وأكثر التقاعس والتلكى . . ورأى أن المطالعة أرجع من المقارعة ، ومعاناة العلوم أربح من مداواة

١٢٣ – يحيى بن محمد المدعو بشرف الدولة ، أبو بكر

قرأ فى حياة أبيه على أبى عبد الله مالك بن وُهَيب[1] وأبى الحسن بن الأخضر بإشبيلية ، ونشأ خاملا وتعيَّش من كَتْب الوثائق بمرّاكُش . وهو القائل وقد دعاه المقدم للحسبة من قِبل القاضى أبى محمد بن أبى عُرجون ليكتب له ، وكان أميًّا جاهلا :

عجباً لدهرٍ كلُّ ما فيه عجبْ ... فَدْمٌ سَمَا ونبيهُ قومٍ قد رَسبْ

لا تنفعُ الآدابُ فيه وإن غدتْ ... تُعزَى إلى ذى همةٍ عالى النسبْ

أوَليس من نكد الزمان بأن أرى ... أُدعى لأكتبَ صاغراً للمحتسَب ؟[2]

= الكلوم ، فقد كان عاكفاً على تلاوة ديوان ، عارفاً بإجادة صدر وعنوان » ، فيئس منه المعتمد وعهد إلى أخيه عبد الله المعتد فى ذلك ، فخرج بالجيش وانهزم شر هزيمة ، وعاد إلى أبيه مفلولا ، فاشتد غضب المعتمد على ابنه الراضى ، خاصة وقد كتب إليه قصيدة (سبق أن ذكرها ابن الأبار) يعزيه فى الخسارة . وواضح أن انصراف الراضى عن الحروب كان سبب الخلاف الطويل بينه وبين أبيه المعتمد . وكان أبوه قد ولاه رندة ، فاستنزله القائد المرابطى جرور الحشمى عنها بأمان ، ثم ضرب عنقه بعد ذلك سنة ٤٨٤ . وقد أورد ابن الأبار مختاراً من القصيدتين ، وهما بتمامهما عند ابن خاقان فى الموضع المشار إليه آنفاً .

(١) أبو عبد الله مالك بن وهيب فقيه أندلسى ، أصله من إشبيلية ، اشتهر أمره أواخر أيام المرابطين بمساجلة كانت بينه وبين محمد بن تومرت فى مراكش فى أوائل دعوته ، ويقال إن ابن تومرت أفحمه ، فنصح مالك على بن يوسف بن تاشفين بقتله . وقد روى الحادثة معظم مؤرخى الموحدين .

انظر : كتاب أخبار المهدى ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين لأبى بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق (تحقيق ليڤى پروڤنسال ، پاريس ١٩٢٨) ص ٦٨ ، والمعجب لعبد الواحد المراكشى ص ١٨٥ – ١٨٦ ، وانظر أيضاً : ابن خلكان ، وفيات الأعيان (القاهرة ١٩٤٨) ترجمة ٦٦٠ ج ٤/١٤٠ – ١٤١ .

(٢) بفتح السين ، وسيجىء تفسير ذلك .

خَسفٌ أسامُ به وتأبى همةٌ ... نْخَمية إلا الصيانةَ للحَسَبْ

أراد بالمحتَسب — مفتوح السين — أنه — لقَدامته — كالميت الذى احتُسِب .

١٢٤ — حكم بن محمد المدعو بذخر الدولة، أبو المكارم

قرأ أيضاً على ابن وُهَيب وتأدب به ، ومال إلى الهجاء فى خموله فتُحُومى لسانُه ، وتجول بأقطار المغرب ، ثم استقر بمدينة فاس يكتب الوثائق — كأخيه المذكور قبلَه — إلى أن توفى . وكتب إليه بعض أصحابه :

تتســامَى الحِكَمُ ... مذ وشاها حَكَمُ
فَخَرَ الطِّرْسُ به ... وتباهَى القلمُ
وزهتْ لَخْمٌ به ... فهْو فيها عَلَمُ
مِن صناديدِ عُلاً ... بالثريا خيَّموا
آلُ عبادٍ وقلْ : ... آلُ أمجادٍ هُمُ
إن سطا الدهرُ بهم ... فكَفى مجدُهمُ

فجاوبه بقوله :

/ ما لِمَجْدٍ عَلَمُ ... والزمانُ حَكَمُ [٧٩ - ب]
وقضاياه غدَا ... جورُها يَحتكِمُ
رائد الشؤم به ... مِحبرٌ أو قلمُ
ونبيــه فطنٌ ... بيتَ شِعرٍ ينظِمُ

درسَ الفضلُ به وتفانَى الكرمُ
وغدا كلُّ أخٍ ودُّه يُتهَّمُ
غيرُ خِلٍّ ماجدٍ فضلُه منتظِمُ
سَفَرتْ عنه لنا كَلِمٌ ، بل حِكَمُ
عظمتْ إذ نَظَمتْ مجدَ قومٍ عُدِموا
صاحِ إنا عَربٌ مَلَكتْها عَجَمُ
كلُّ فضلٍ ونُهًى عَدَمٌ عندَهُمُ
آه من دهرٍ غدا جُرْحُه يُهتَضمُ
آلُ عبادٍ به غائرٌ نجمُهُمُ
لَعِبَ الدهرُ بهم ومحا رسمَهُمُ
ليت شِعرى والمُنَى خُلَّبٌ أو حُلُمُ
هل إلى أندلسٍ نظرةٌ تُغتنَمُ ؟

١٢٥ — محمد بن مَعْن بن صُمَادِح التَّجيبى المعتصم بالله الواثق بفضل الله ، أبو يحيى

هو محمد بن مَعْن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صُمَادِح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة — الداخل إلى الأندلس — ابن المهاجر بن سُرَيح بن حرملة بن تميم ، وفى عبد الرحمن بن

عبد الله يجتمعون مع محمد بن هاشم[1] وأهل بيته التجيبيين ولاة سرقسطة

---

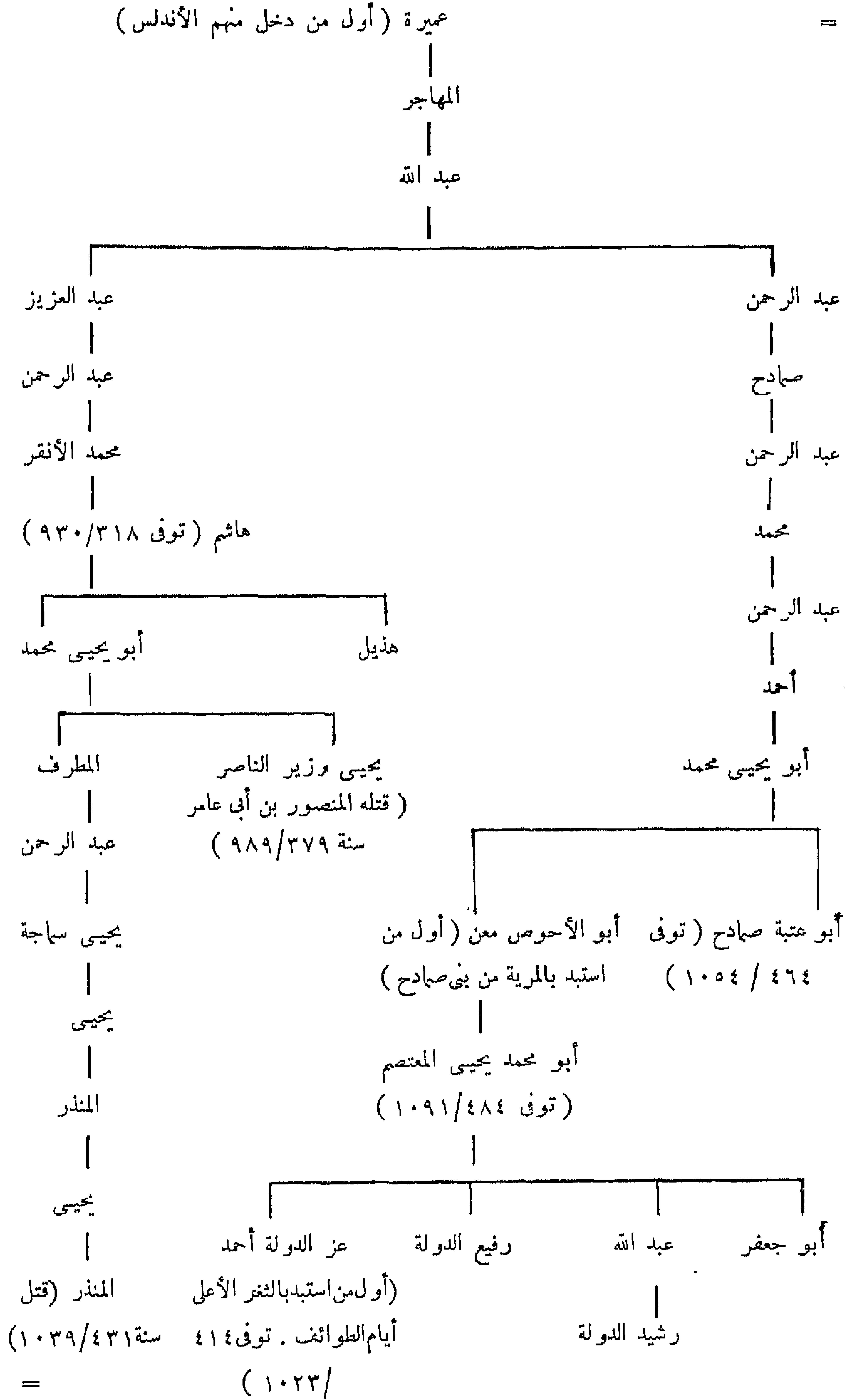
(١) بنوصمادح التجيبيون وبنو هاشم فرعان لأسرة واحدة من أصحاب الثغر الأعلى ، وأصلهم كلهم من العرب الذين استقروا فى إقليم أرغون من أيام الفتح . وكان أول ظهورهم أيام الأمير محمد ، وكان جدهم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح يلى دَرُوقَة Daroca شبه مستقل فيها ، فاستعان به الأمير محمد فى القضاء على بنى قسى أصحاب الثغر الأعلى ، وكانوا يحكمون شبه مستقلين فى هذه الناحية منذ أيام الفتح ، وأعطى الأميرُ محمدٌ عبد الرحمن بن صمادح ولايةَ قلعة أيوب بالإضافة إلى دروقة مكافأة له ، وقد اضطر محمد بن موسى بن موسى بن فرتون Furtuno رأس بنى قسى إذ ذاك إلى التنازل عن سرقسطة لرايموند كُنْد بليارش Pallars ثم انتزعها الأمير محمد من هذا الأخير وأضافها إلى عبد الرحمن بن صمادح ، فأصبح هذا الأخير سيد الثغر الأعلى كله من قلعة أيوب إلى جبال البُرت (البرانس) . واستمر هذا إلى أيام ابنه محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأنقر (أى الأعور) . ثم تمكن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح من القضاء على آخر بنى قسى وهو محمد بن لب ، فقتله سنة ٨٥٧/٢٤٤ وانفرد بالثغر الأعلى .

أما بنو هاشم ففرع آخر من ذلك البيت التجيبى ، وجدهم هاشم بن محمد المعروف بالأنقر هو جد هذا الفرع (انظر الجدول) . وكان الأمير عبد الله قد استعان بمحمد الأنقر فى كسر شوكة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح وآله الذين استبدوا بالثغر الأعلى وربطوا علاقاتهم بالممالك النصرانية فى الشمال ، وانتهى الأمر بأن صار هاشم بن محمد الأنقر صاحب سرقسطة والثغر الأعلى كله ، واكتفى عبد الرحمن بن محمد بن صمادح ببلدة وشقة وحصنها وخلفه أبناؤه عليها .

وقد أنجب هاشم بن محمد ابنين ، أحدهما هذيل الذى دخل فى خدمة الناصر وصار من بين وزرائه وقواده ، والثانى أبو يحيى محمد الذى ورث ولاية الثغر الأعلى عن أبيه ، وخلفه ابنه المطرّف ثم ابن هذا عبد الرحمن الذى قتله المنصور بن أبى عامر فى المؤامرة التى اشترك فيها مع عبد الله بن المنصور وغالب الناصرى كما ذكرناه ، وخلفه ابنه يحيى المعروف بسماجة ، ثم يحيى ، ثم منذر وهو الذى استبد بالثغر بعد انتثار الخلافة ، ثم يحيى ، ثم منذر الذى قتله ابن عمه المسمى عبد الله بن حكم . وكان قتله الضربة القاضية على هذا الفرع .

أما الفرع الثانى — فرع صمادح بن عبد الرحمن — فقد ظل يحكم وشقة حتى أخرج سليمان ابن هود آخرهم أبا يحيى محمد منها فى المحرم سنة ٤٣١ . وبذلك انتهى تاريخ بنى صمادح وبنى هاشم التجيبيين فى الثغر الأعلى ، ولجأ أبو الأحوص معن وأبو عتبة صمادح ابنا أبى يحيى محمد إلى عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن أبى عامر فى بلنسية كما يحكى ابن الأبار ؛ وإليك جدولا يبين تسلسل البيتين : =

=


عميرة (أول من دخل منهم الأندلس)
المهاجر
عبد الله
عبد الرحمن
صمادح
عبد الرحمن
محمد
عبد الرحمن
أحمد
أبو يحيى محمد
أبو عتبة صمادح (توفى ٤٦٤ / ١٠٥٤)
أبو الأحوص معن (أول من استبد بالمرية من بنى صمادح)
أبو محمد يحيى المعتصم (توفى ١٠٩١/٤٨٤)
أبو جعفر
عبد الله
رشيد الدولة
رفيع الدولة
عز الدولة أحمد
عبد العزيز
عبد الرحمن
محمد الأنقر
هاشم (توفى ٩٣٠/٣١٨)
هذيل
أبو يحيى محمد
يحيى وزير الناصر (قتله المنصور بن أبي عامر سنة ٩٨٩/٣٧٩)
المطرف
عبد الرحمن
يحيى سماجة
يحيى
المنذر
يحيى
المنذر (قتل سنة ١٠٣٩/٤٣١)
(أول من استبد بالثغر الأعلى أيام الطوائف . توفى ٤١٤ /١٠٢٣)

=

وأمرائها فى الفتنة وقبلَها ، وأمه بُرَيْهة بنت الناصر عبد الرحمن بن المنصور محمد ابن أبى عامر . وكان جده أبو يحيى محمد بن عبد الرحمن والياً على وَشْقَة ، وهى وما والاها دار هؤلاء التُّجيبيين من الثغر الشرقى بالأندلس .

ولما أخرج منها فى الفتنة صار إلى أبى الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبى عامر صاحب بلنسية — ويلقَّب بالمنصور — فأكرمه وأوْطنه بلدَه ، وصاهر ابنيه مَعْنًا أبا الأحوص وصُمَادِحًا أبا عُتْبة : زوَّجهما أختيه . ثم رأى اللحاق بالمشرق فهلك غرقاً فى البحر ، وكان اليمُّ أقصى أثره .

وبقى ابنُه مَعْنٌ فى كَنَف صهره عبد العزيز بن أبى عامر ، فقدَّمه على المريَّة ، لما صارت من عمله بعد مقتل زُهَيْر العامرى بمدة قريبة /. وذلك فى سنة [٨٠ - ا] اثنتين وثلاثين — وقيل ثلاث وثلاثين — فاستبد بضبطها إلى أن هلك سنة ثلاث وأربعين ، فأجلس بنو عمه ورجالُه ابنَه أبا يحيى محمد بنَ مَعْن هذا ، وهو لم يستكمل ثمان عشرة سنة .

وقد كان أبوه أخذ البيعة له فى حياته وأحكم أمرها ، بعد أن عرضها على أخيه أبى عُتبة صمادح فدفعها وأبى قبولها ، فتمت له الإمارة بعد أبيه وسمَّى نفسه بـ « معز الدولة » . فلما تلقب سائر أمراء الأندلس بالألقاب الخلافية ، تلقب هو أيضاً بـ « المعتصم بالله » و « الواثق بفضل الله » : لقبين من ألقاب خلفاء بنى العباس ، مناغاةً لصاحب إشبيلية عباد بن محمد لما تلقب بـ « المعتضد بالله المنصور بفضل الله » .

= انظر : R. DOZY : *Essai sur l'histoire des Todjibides. Les Banū Hāchim de Saragosse et les Banū Çomādih d'Almérie. Recherches*, I, pp. 211-291. والنصوص التى أوردها دوزى فى آخر الكتاب ، ومنها نص ابن الأبار الوارد فى المتن .

وكان حسن السيرة فى رعيته وجنده وقرابته ، فانتظمت أيامُه واتصلت دولتُه واستقامت أموره .

وقال أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر السالمى فى تاريخه ، وذَكر المعتصمَ هذا : كان رَحْبَ الفناء ، جزيل العطاء ، حليماً عن الدماء والدهماء ، فطافت به الآمال ، واتسع فيه المقال ، وأُعملت إلى حضرته الرحال . قال : ولم يكن من نخوة ملوك الأندلس ، بل أخلد إلى الدعة ، واكتفى بالضيق من السعة ، واقتصر على قصر يبنيه ، وعِلْقٍ يقتنيه .

وكانت بينه وبين أصحابه ملوك الطوائف فتن مبيرة غلبوه عليها ، وأخرجوه من سجيته مكرهاً إليها . قال : وصاهر المعتصمَ إقبالُ الدولة على بن مجاهد العامرى ، وأنكحه ابنته ، وخاطب عنه أبو محمد بن عبد البر من دانية — يعنى عند زفافها إليه — برسالة بديعة .

وقال غيره : كان المعتصمُ ساكنَ الطائر ، مأمون الجانب ، حصيف العقل ، طاهراً ، معنيًّا بالدين وإقامة الشرع ، يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ، ويجلس يوماً فى كل جمعة للفقهاء والخواص ، فيتناظرون بين يديه فى كتب التفسير والحديث . ولزم حضرتَه فحولٌ من الشعراء كأبى عبد الله بن الحداد[1] ،

(١) أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى ، ويسميه بعضهم مازن ، فى الطبقة الأولى من شعراء القرن الخامس الهجرى ، وقد اختص بمعن بن صمادح وقال فيه أمداحاً كثيرة . توفى سنة ٤٨٠/١٠٨٧ .

انظر عنه : الذخيرة لابن بسام ، مجلد ٢ قسم ١ ص ٢٠١ وما يليها .

تكملة ابن الأبار ، ص ١٣٣ .

المغرب لابن سعيد : ٢/١٤٣ .

رايات المبرزين لابن سعيد ، ص ٢٣٤ .

وانظر بقية المراجع عنه فى المغرب والرايات فى الصفحات المبينة أعلاه .

وفيه استفرغ شعره ، وكابن عُبادة(١) وابن مالك(٢) والأسعد بن بلّيطة(٣) وأبي العباس [أحمد بن قاسم المحدث(٤) ، رغم] اتصافه بكثرة الجبن وقلة الجود ؛ وعلى ذلك قصده العلماء والأدباء .

وصدمته خيلُ المرابطين في آخر دولته وهو عليل علته التي مات منها ، فحاصروه وقاتلوه من مقا [مه في](٥) قصبة المرية وهو يعالج الموتَ ويقول أثناء

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بالقزّاز . اختصه ابن بسام بفصل طويل في الذخيرة (مجلد ٢ قسم ١) واختصه المقرى بمادة طيبة في أزهار الرياض ، ٢/٢٥٢ . كان شاعر معن بن صمادح المقدم ، وهو غير عبادة بن ماء السماء . انظر : المغرب لابن سعيد : ٢/١٣٤ — ١٣٧ ، ورايات المبرزين لابن سعيد .

(٢) أبو بكر محمد بن مالك القرطبي ، اختصه ابن بسام في الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ٢٤٥ وما بعدها بكلام طويل . وكان على براعته في الشعر والنثر فقيراً معدماً لم تفارقه الحاجة حياته كلها .

(٣) الأسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطبي الشاعر الناثر المتوفى في حدود ١٠٤٨/٤٤٠ . ذكره ابن الفرضي ، ترجمة ٥٨١ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ وابن خاقان في المطمح ص ٨٣ — ٨٤ وابن بسام في الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ٢٩٠ وما بعدها والمقرى في النفح (طبعة أوربا) ١/٤٥٣ — ٤٥٥ وابن سعيد في الرايات ص ١٩٧ . وقد كان فارساً باسلا في نفس الوقت ، قال ابن بسام : « فارسُ جحفلٍ ، وشاعر محفل ، فجرى في الميدانين ، وارتزق في الديوانين » . وذهب دوزى (بنو عباد : ١/٢٠ ، هامش ٦٦) إلى أن بليطة هى الكلمة الإسبانية **billete** ومعناها البطاقة .

(٤) يغلب على ظني أن أبا العباس المذكور في الأصل مبتور الاسم هو ابن قاسم هذا ، وقد ذكره ابن بسام في الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢) ص ٣٩١ . وابن الأبار يقتبس هنا من ابن حيان (راجع الذخيرة ، نفس القسم ، ص ٢٣٦ وما بعدها) ، وهو يقول في ص ٢٣٩ : « ولزمه جملة من فحول شعراء الوقت كأبي عبدالله الحداد وابن عبادة وابن الشّهيد ، وغيرهم ممن لم يعلّق بسواه سبباً . . » . وابن الشهيد هو أبو حفص عمر بن الشهيد . انظر عنه الذخيرة ، نفس القسم والمجلد ، ص ١٨٠ وما بعدها . وأعتقد أن ابن الشهيد هنا أصح من أبي العباس أحمد بن قاسم . وأضفت كلمة « رغم » للسياق .

(٥) أكملت هذه العبارة بما يقيم السياق . وقد وردت هذه الحكاية في معظم مراجعنا نقلا عن ابن حيان ، ولكن كل واحد منها تصرف فيها وحكاها كما شاء (ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ٢٤٠—٢٤١ . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٤٧ — ٤٨ . ابن عذارى ، =

[٨٠ - ب] ذلك : « نُغِّص / علينا كلُّ شيء حتى الموت ! » إلى أن هلك بعد ذهاب المرابطين عنه — وقيل : توفي وهم يحاصرونه في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وأربعمائة — فكانت مدة إمارته بالمرية أربعين سنة ، أشبهَ في ذلك خالَه[1] عبدَ العزيز بن المنصور صاحب بلنسية ، فإنه وُلِّي سنةَ اثنتي عشرة وأربعمائة وتوفي سنة اثنتين وخمسين .

ومن شعر المعتصم وقد توفيت إحدى كرائمه فركب من قصره وأمر بمواراتها :

لما غدا القلبُ مفجوعاً بأسْوِدِهِ وفُضَّ كلُّ ختامٍ من عزائمهِ
ركِبتُ ظهر جوادي كي أسلِّيَهُ وقلتُ للسيف : كن لي من تمائمهِ

وله ، وكتب به إلى بعض حُرَمه في رقعة طيرها إليها في جناح حمامة :

وحمَّلتُ ذات الطوق مني تحيةً تكون على أفْقِ المرية مجْمَرا
تُبلِّغ مِن وُدِّي إليكمْ رسائلاً بأعبقَ مِن نَشْر العبير وأعطرا

وكتب إلى ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار مراجعاً ومعاتباً :

وزهَّدني في الناس معرفتي بهم وطولُ اختباري صاحباً بعدَ صاحب
فلم تُرني الأيامُ خِلاًّ تَسُرُّني مباديه إلا ساءني في العواقبِ

= البيان المغرب : ٣/١٦٨) . وقد رأيت ابن خاقان يقول : « فأكثر القتال إنما كان تحت مجلسه الذي كان به مضجعه ، وفيه تألمه وتوجعه . . » فاسترشدت بهذه العبارة في تقويم ما أسقط ناسخ الحلة السيراء .

(١) الأصل : حاله ، وكذلك قرأها دوزي ، والصحيح : خاله ، لأن عبد الملك ابن عبد العزيز الملقب بالمنصور صاحب بلنسية كان خال أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح هذا . (انظر : الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ٢٣٨) .

ولا قلتُ أرجوه لدفْع ملمةٍ من الدهر إلا كان إحدى النوائب

وكتب إليه ابنُ عمار يسأله السراح وهو ضيف عنده :

يا واثقاً فضَحَ السحا بَ الجودَ فى معنى السَّماح
ومُطابقـاً يأتى وجو هَ الجدِّ مِن طرقِ المزاحْ
أسرفتَ فى برِّ الضيو ف ، فخذ قليلاً فى السَّراحْ

فراجعه المعتصم بقوله ، وهو أشعر منه فى الجواب :

يا فاضلاً فى شـكرِهِ أصلُ المساء مع الصباحْ
/ هلا رفقت بمهجتى عند التكلم فى السَّراحْ ؟ [٨١ - ١]
إن السماح ببُعـدِكمْ والله ليس مِن السَّماحْ

وله فى جدول :

انظر إلى حسن هذا الماء فى صَبَبِهْ كأنه أرقمٌ قد جَدَّ فى هربِهْ

كذا قال هذا البيت فرداً ، وقد تقدم ذكرُ الخلاف فى مثله : هل هو شعر أم لا .

وكان الذى بينه و بين المعتمد محمد بن عباد غير صالح ، فكتب إليه المعتمد وقد اتهمه بالسعى عليه عند يوسف بن تاشفين أمير المغرب :

يا مَن تَمَرَّس بى يريدُ مساءتى لا تَقْرضَنَّ فقد نصحتُ لمَنْدَمِ
مَن غرَّه منى خلائقُ سهلةٌ فالسُّم تحتَ ليَانِ مَسِّ الأرقمِ

ثم تحرك ابنُ تاشفين من العُدوة بعد وقيعة الزَّلاقة ، وأجاز البحرَ إلى الأندلس ، وتقدمه سِير بن أبى بكر ، فلم يخرج إليه المعتمد لبطالة كان فيها منغمساً . وكانت أولَ وحشة وقعت بينهما . ثم توجهوا جميعاً إلى حصن

أَلْييطْ[1] من أعمال لورقة — وقد تغلب عليه النصارى — نخرج المعتصم ليلقاهم ويُنزلهم مؤدياً حقّ ابن تاشفين ومَن معه ، فأخجله المعتمدُ بتياسُره عن طريق لقائه فكتب إليه :

يا بعيداً وإن دنا كم تمنيتُ قُربَكا
أنت حسبى من المُنى ليتنى كنتُ حسبَكا

وتلاقيا بعد ذلك عند ابن تاشفين فى تلك الغزوة ، والمعتصمُ قد تزيّى بجمل

---

(١) فى الأصل : اللْبيط ، وقد قومتها بما يتفق مع الرسم الجارى فى بقية مراجعنا العربية ، وهو لييط . وألييط أقوم ، لأنه أقرب إلى الرسم الإفرنجى Aledo وهو حصن كان بين لورقة ومرسية . وكان يوسف بن تاشفين بعد أن انتصر فى وقعة الزلاقة فى عبوره الأول ، قد صمم على المسير نحو طليطلة فى عبوره الثانى (ربيع الأول ٤٨١/ يونيو ١٠٨٨) ، ولكن هذا الحصن كان يقع فى الطريق ، وكان ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون قد حصنه ووضع فيه قوة تقدر بألف فارس واثنى عشر ألف مقاتل ، كانت تغاور نواحى مرسية ولورقة والمرية ، فأراد يوسف بن تاشفين الاستيلاء عليه ، ودعا ملوك الطوائف إلى أن يوافوه بقواتهم عنده ، ولكنه استبان من اختلافهم بعضهم مع بعض وعدم إخلاصهم فى الجهاد ما جعله يرفع الحصار عنه بعد أن كاد يستولى عليه ، فلم يكن قد بقى من القوات التى فيه إلا مائة فارس وألف راجل . وانسحب يوسف بن تاشفين وقد عول على خلع ملوك الطوائف ، وبعد انسحابه تبين ألفونسو السادس أنه لن يستطيع الدفاع عن الحصن إذا هاجمه المرابطون مرة أخرى ، فأخلاه وهدمه (٤٨٣ — ٤٨٤) .

انظر : روض القرطاس ، ص ٩٩ .

الحلل الموشية ، ص ٤٩ — ٥٠ .

مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة (تحقيق ليڤى پروڤنسال ، القاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٨ — ١١٣ .

مقالنا : الثغر الأعلى الأندلسى وسقوط سرقسطة . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، مجلد ١١ ج ٢ سنة ١٩٤٩ ، ص ٩١ — ١٤٣ .

ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين (الترجمة العربية لمحمد عبد الله عنان) الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٩١ — ٩٢ .

العمامة ولبس البُرنس يتقرب بذلك على عزمه ، فنظر إليه المعتمدُ ، وفهم المعتصم أنه يهزأ به وانصرف ؛ فضاحك المعتمدُ فى ذلك مَن جالسه من وزرائه . وأهدى ذو الوزارتين أبو الحسن بن اليَسَع منهم عَشِىَّ ذلك اليوم مَنَّ نرجسٍ ، فكتب إليه المعتمد معرِّضاً بابن صمادح :

أزِف الصيامُ وزار نَوْرُ النَّرْجِسِ فلَقِيتُ زورتَه بحثِّ الأكؤسِ
فى ليلة دارت علىَّ نجومُها حتى سَكِرْتُ بكفِّ قوتِ الأنفُسِ
خَوْدٌ تملَّكَتِ الفؤادَ فريدةً بنَدَى الثنايا والمحيَّا المشمِسِ
/ وجعلتُ نُقْلِى ذِكْرَ مُوصِلِ زَفْرتى فجمعتُ أشتاتَ المُنى فى مجلسى [٨١ - ب]
ولقد ذكرتُ فزاد عينى قُرَّةً هُونُ السِّبَال وخِزْىُ ربِّ البُرْنُسِ

وحكى أبو بكر بن اللبانة أن المعتصم كتب إلى المعتمد :

شكرى لبرِّك شُكرُ الروضِ للمطرِ ونفْحُ بِشْرى به أذكى من الزَّهَرِ
وجاءنى مُخبرٌ عنه ، فقلتُ له : بالله قلْ وأعدْ يا طيِّبَ الخبرِ
يا واحداً عَلَماً فى كلِّ مَنْقَبَةٍ جَلَّتْ ، ويا ثالثاً للشمس والقمرِ
لئن حُرِمتُ لقاءً منك أشكرهُ لقد حللتَ سوادَ القلب والبصرِ

فراجعه المعتمد :

أنفحةُ الروضِ رقَّتْ فى صَبَا السَّحَرِ مِن بعدِ ما بات والأنداء فى سَمَرِ ؟
لا ، بل تحيةُ مَحْضِ الودِّ بَلَّغَهَا بَرٌّ شريفُ المعالى ماجدُ النَّفَرِ
أما لَعَمْرُ أبى يحيى لقد وصلتْ مِن بره صلةٌ أحلى من الظَّفَرِ
يا من وردتُ الوفاءَ الغَمْرَ مُرتوياً مِن عَهده إذ يُساقى الناسَ بالغُمَرِ
أحرزتَ سرْوَ السجايا ثم قارنَهُ ظَرفُ اللسان اقترانَ الكأس بالوتَرِ

إذا اعتبرتُ من الأخلاق أنفَسَها كنتَ المنافسَ فيه السامى القدَرِ
عليكَ منى ســـلامٌ لا يزالُ لهُ فرضٌ تؤديه آصالٌ إلى بُـكَرِ

وقصده أبو الوليد النَّحْلى(١) فى أسمال دنسة ، والناس بالمرِيَّـة قد لبسوا البياض ، فـكتب إليه :

أيا مَن لا يُضاف إليه ثانٍ ومَن فَتح العُلا باباً فبابَا
أيجمُل أن تكون سوادَ عيْنى وأبصر دون ما أبغى حجابَا
ويمشى الناس كلُّهمُ حَماماً وأمشى بينَهمْ وحدى غُرابَا ؟

فوصله المعتصم وكساه ، وكتب إليه مراجعاً :

[٨٢ – ١] وردتَ ولليلِ البهيم مطارفٌ عليكَ وهٰذى للصباح بُرودُ
وأنت لدينا ما بقيتَ مقربٌ وعيشُك سَلْسَالُ الجمام برودُ

١٢٦ — ابنه عبيد الله عز الدولة ، أبو مروان

كان أبوه المعتصم قد أنفذه فى آخر دولته رسـولا إلى يوسف بن تاشفين — عند كونه بغرناطة — فاعتُقل وقُيد ، فـكتب إلى أبيه :

أبَعدَ السَّنَا والمعالى خُمولُ وبعد ركوب المَذاكى كُبولُ ؟

(١) ذكره ابن بسام فى الذخيرة (مخطوطة بغداد ، ورقة ٢٥٣ ا و ب) دون أن يعرف به ، بل لم يزد على ذكر اسمه إلا قوله : الأديب أبو الوليد المعروف بالنحلى ، وقال إنه كان نابغة دهره ونادرة عصره ، وقال إنه : « لم يصد دراهم ملوك عصره » ، « وكان يضحك من حضر ولايبتسم هو إذا ندّر » ، ثم أورد طائفة من شعره وخبراً يدل على تقدير المعتمد بن عباد له .

ومِن بعدِ ما كنتُ حرًّا عزيزاً   أنا اليومَ عبدٌ أسيرٌ ذليلُ ؟
حللتُ رسـولاً بغرناطةٍ   فحلّ بها بى خطبٌ جليـلُ
وثُقِّفْتُ إذ جئتُها مرسَـلاً   وقد كان يكرَم قَبلى الرسولُ
فقَدتُ المريةَ ، أكرِمْ بها   فما للوصـول إليها سبيلُ

فراجعه أبوه :

عزيزٌ علىَّ ، ونَوْحى ذليلُ   على ما أقاسى ، ودمعى يسيلُ
لَقَطَّعتِ البِيضُ أغمادَها   وشقَّتْ بنودٌ وناحتْ طبولُ
لئن كنتُ يعقوبَ فى حُزنهِ   ويوسفَ أنتَ ، فصبرٌ جميلُ

ثم لم يزل المعتصم يتحيَّل فى تخليصه حتى أُخذ من حراسه وهُرِب به على البحر ، فوافى المريةَ وهُنىءَ أبوه بخلاصه[1] . وبعَقِبِ ذلك توفى المعتصم ، وقد حاصره اللمتونيون وبارزوه بالعداوة .

وكان ابنه معز الدولة أحمد ولىَّ عهده والمرشحَ لمكانه من بَعده ، فعَهَد إليه أن يلحق ببلاد ابن حماد من شرقى العدْوة ، إذا سمع بخلع ابن عَبّاد ، فامتثل ذلك لأشهرٍ من وفاة أبيه .

وذكر أبو عامر السالمى عن معز الدولة مثلَ هذا ، وأنه وَلىَ بعدَ أبيه المعتصم ،

---

(١) كان أبو يحيى محمد بن معن المعتصم صاحب المرية من أشد أمراء الطوائف مكراً وحيلة ، وكان يرقب الحوادث بعد نزول المرابطين الأندلس ويجتهد فى أن يمكر بيوسف بن تاشفين لعله يتركه على إمارته . وكان يوسف عندما بدأ فى عزل ملوك الطوائف فى جوازه الثالث قد بدأ بغرناطة وصاحبها عبد الله الزيرى ، فاستنزله واحتل غرناطة فى شعبان ٥٨٦/ سبتمبر ١٠٩٠ ، فعجل المعتصم فأرسل ابنه عبيد الله هذا ليهنىء يوسف بن تاشفين بذلك ، فقبض يوسف على عبيد الله وأودعه السجن ، واجتهد أبوه فى خلاصه حتى تمكن من ذلك ، إذ هرَّبه فى مركب نقلته من مالقة إلى المرية . وعقب ذلك مباشرة أرسل يوسف قائده عبد الله بن واسِينُوا للاستيلاء على المرية .

وبقى بالمرية إلى وقت القبض على المعتمد محمد بن عباد ، ثم ركب البحرَ على وجهه فى قِطعٍ أعدَّها لفراره ، وأسلم المريةَ وأعمالَها ، وذلك فى رمضان / من [٨٢-ب] سنة أربع وثمانين وأربعمائة — وقد قيل فى شعبان .

قال : وليومٍ آخر دخلها أصحاب ابن تاشفين ، وكان إذ ذاك يحاصر مُنْدُوشَر[١] على عشرين ميلا منها .

وقصد معز الدولة بِجَاية فأقام فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر بن عَلَنَّاس ابن حماد بن بلقين بن زيرى بن مناد الصِّنهاجى وفى كنفه ، وقد كان ما بينهما قبل ذلك جميلا ؛ ويقال إن المنصور أنزله بتِنِس من أعماله الغربية .

قال السالمى : وعز الدولة أبو مروان عبيد الله بن المعتصم كان رسول أبيه إلى ابن تاشفين . وذَكر اعتقالَه ، والأبياتَ التى خاطب بها أباه ، ومراجعتَه إياه ، ووصَف خلاصَه كما تقدم . قال : وبقى إلى أن فرّ أخوه — يعنى معز الدولة إلى بجاية ، ولجأ هو إلى أحد المرابطين لأذِمَّة كانت بينهما ، إلى أن انقرض أَمَدُه بين آسٍ وكاس . قال : وحضر مع الأمير يحيى بن أبى بكر غزوتَه إلى طليطلة[٢] ،

---

(١) كتبها ابن عبد المنعم الحميرى (الروض المعطار رقم ١٧٧ ص ١٨٥) : مندوجر وقال إنها على مرحلة من المرية ، وقال ليڤى پروڤنسال فى تعليقه على الترجمة الفرنسية لنفس الكتاب (ص ٢٢٤ من الترجمة تعليق رقم ١) : هى Mondújar أو بالضبط Santa Fé de Mondújar ، قرية صغيرة تابعة لمركز المرية من مديرية المرية على ٢٠ كيلومتراً منها على نهر أَنْدَرَش Andarax .

(٢) الغالب أن المراد هنا يحيى بن أبى بكر بن على بن يوسف بن تاشفين ، وكان من قواد على بن تاشفين فى المغرب والأندلس . والحملة على طليطلة المشار إليها هنا كانت سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ - ١١١١ م ، وكان على بن يوسف بن تاشفين قد انتهز فرصة اشتغال ألفونسو السادس بالحرب مع زوجته أوراكا فسير جيشاً ضخماً نحو طليطلة ، وكان على يقود الحملة بنفسه ، فاستولى على كثير من المدن والقلاع والحصون ، منها مجريط ووادى الحجارة وطلبيرة ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء على طليطلة .

فلما شارفها وضرب بساحتها أخبيته ، سقط أحدُ ألويته من يد حامله وانكسر الرمح ، فتطير قوم وتفاءل آخرون ، فقال عز الدولة :

لم ينكسر عودُ اللواء لطيرةٍ يُخشى عليك بها وأن تتأوّلا
لكن تحقَّق أنه ينْدقُّ فى نحر العدو لدى الوغى فتعجَّلا

ونظير هذا ما ذُكر عن أبى الشَّمَقْمَق ، فى خروجه مع خالد بن يزيد بن مَزْيَد الشيبانى إلى الموصل عندما قُلِّدَها ، فلما دخلها ومر بأول درب منها اندق اللواء ، فاغتم خالد لذلك وعَظُم عليه ، فقال أبو الشمقمق بديهاً يسليه عن ذلك ، وأجاد ما أراد :

ما كان مندقُّ اللواء لريبةٍ تُخشى ولا أمرٍ يكون مُزَيَّلا
لكنَّ هذا الرمحَ أضعفَ مَتْنَهُ صِغَرُ الولايةِ فاستقلَّ الموْصِلا

فسُرَّ خالد بما صدر منه فى الحين ، وسُرِّى عنه وأحسن إليه .

وقرأتُ فى بعض ما طالعته من أخبار ملوك الطوائف بالأندلس ، أن أبا بكر ابن اللبانة كتب إلى عز الدولة هذا ، لما توفى أبوه المعتصم وخُلع هو وسائر إخوته وقد وافاه منتجعاً :

/ يا ذا الذى هزَّ أمداحى بحِلْيَتِهِ وعَزَّه أن يهزَّ المجدَ والكرما [٨٣-ا]
واديكَ لا زرعَ فيه [كنت](1) تبذُلُهُ فخذْ عليه لأيامِ المُنى سَلَما

فوجه إليه بما أمكنه ، وكتب معه :

= انظر : يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، الترجمة العربية ، ص ١٤٠ — ١٤١ .

محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلدان ٧ و٨ سنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ، ص ١٣٩ — ١٤٠) .

(١) أضاف دوزي (ص ١٧٦) هذه الكلمة ، وقال إنها غير واردة فى المخطوط . وبها يستقيم الوزن .

الجدُ يُخجل مَن يفديك فى زمنٍ   ثنَاه عن واجب البر الذى علما
فدونك النَّزر مِن مُصْفٍ مودَّته   حــتى يُوفيك أيام المنى السَّلَما

١٢٧ — أخوه رفيع الدولة بن المعتصم

ذكره أبو عمرو عثمان بن على بن الإمام[1] فى كتابه الموسوم بـ « سِمْط الُجمان وسِقط الأذهان » ولم يسَمِّه وكَنّاه أبا يحيى ، وكذلك كنّاه أبو عامر السالمى فى تاريخه ، وكنّاه صاحبُ المطمَح « أبا زكريا » . ولم يكنْ فى بنى صمادح أشعر منه ، إلا أن الخمول أخنى على محاسنه ، و بقى إلى آخر دولة اللمتونيين .

وذكر أبو على حسن بن عبد الله الأشيرى فى كتاب « نظْم اللآلى فى فتوح الأمر العالى »[2] من تأليفه ، أن رفيع الدولة هذا كان بتلمسان أثيراً عند واليها حينئذ ، أبى بكر بن مَرْدَلِى ، وذلك فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، والموحدون ،

---

(١) ترجم له ابن الأبار فى التكملة (رقم ١٨٣٣ جـ ٢ ص ٦٦١) وقال إنه من أهل شلب ونزل إشبيلية ، وقال إنه «كان من علماء الأدباء بليغ القلم واللسان معروفاً بالإجادة والإحسان . كان كاتباً متقدماً وشاعراً مجيداً ، له تأليف فى شعراء عصره . توفى بعد الخمسين وخمسمائة » . ويغلب أن الكتاب الذى أشار إليه ابن الأبار هو« سقط الجمان وسقيط المرجان » الوارد ذكره فى نفح الطيب ، وقد ورد ذكر هذا الكتاب فى كشف الظنون بصورة أخرى هى « سمط الجمان وسقط المرجان » .

انظر : پونس بوبجس ، رقم ١٨١ ص ٢٢٤ .

(٢) فى الأصل : الآمر العالى ، وهو خطأ . وأبو الحسن على بن عبد الله الأشيرى كاتب وشاعر من أهل تلمسان ، توفى سنة ١٠٧٣/٥٦٩ — ١٠٧٤ ، وكتابه هذا فى تاريخ الموحدين ، والأمر العالى إشارة إلى الدعوة الموحدية . وقد ذكر صاحب « الحلل الموشية » نفس الكتاب وأورد قطعة مما نقل ابن الأبار منه هنا (انظر ص ١٠٧ من الحلل) .

أعزهم الله ، إذ ذاك بالجبل المعروف بما بين الصخرتين (1) يحاصرونها . وحُكى أن ابن أخيه أبا يحيى بن عز الدولة كان معه ، وأنهما قالا شعراً فى ذلك شاركهما فيه ابن الأشيرى ، وسيأتى بعد — بحول الله — عند ذكر ابن عز الدولة فى المائة السادسة .

وبما أنشده السالمى لرفيع الدولة هذا :

سطا ظبىُ الخميلةِ ، يالقومى ! على أسَدِ العرينةِ واستطالا
فأوترَ قوسَ حاجبِه اختيالاً وفوّق من لواحظه نبالا

وله :

وأهيف لا يلوى على عَتْب عاتبٍ ويقضى علينا بالظنون الكواذبِ
يحكّمُ فينا أمرَه فنطيعهُ ونحسب منه الحكمَ ضربةَ لازبِ

وله :

مالى وللبدر لم يسمح بزورته لعله ترك الإجمالَ أو هجرا

---

(١) الإشارة هنا إلى دور من أدوار الصراع بين تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين آخر أمراء المسلمين من المرابطين وعبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين . وكان عبد المؤمن يجوس بقواته من هرغة وهنتاتة وغيرهما من قبائل الموحدين بنواحى شمال المغرب الأقصى يجمع طاعة القبائل وتاشفين يلاحقه ليفسد خططه . وفى أول ذلك العام (سنة ٥٣٩) استولى عبد المؤمن على جبال غمارة وضم هذه القبيلة إلى سلطانه ، ثم انتقل إلى الغرب وحاصر تلمسان ، وكان يحكمها أبو بكر ابنُ القائد المرابطى الكبير مزدلى بن سلنكان . ونزل جيش عبد المؤمن عند « الجبل المعروف بما بين الصخرتين » المذكورهنا ، وهو موضع بين قمتين عاليتين تعرفان بصخرتى طَرْنى . والبكرى يسمى الجبل نفسه جبل طرنى ، بفتح الطاء وكسرها . ومن هذا المرتفع استطاع عبد المؤمن أن يراقب جيش تاشفين . وقد استنجد تاشفين بحليفه ابن حماد الصنهاجى صاحب بجاية ، فأمده بجيش يقوده طاهر بن لَبّاب ، فانهزم أولا ، ثم انضم إلى عبد المؤمن والموحدين .

انظر : الحلل الموشية ص ١٠٧ وترجمته الإسبانية التى قام بها .

AMBROSIO HUICI Y MIRANDA : *Collección de Crónicas Arabes de la Reconquista*. Tomo I, Al-Hulal al Mawšiyya (Tetuán, 1952) pp. 156 - 157.

إنْ كان ذاك لذنبٍ ما شعرتُ بهِ … فأكرمُ الناسِ من يعفو إذا قدرا

[٨٣ - ب] / وله :

هٰــذى ديارُهُمُ التى ذَكَّرتَـنِى … عهدَ الصبا وحديثَـــه المعسولا
ما كان أجملَ عهدَهم وفِعالَهمْ … لو كان فِعلُك يا زمانُ جميلا

وله :

حبيبٌ إذا ينأى عن العين شخصُهُ … يكاد فؤادى أن يطير من البَيْنِ
ويسكن ما بين الضلوع إذا بدا … كأنَّ على قلبى تمائمَ من عينى

وله :

ألا أيهـا الظبىُ الذى راق وجهُهُ … ورقَّت حواشيه ، وناهيك من حُسنِ
يظن أناسٌ أننى بك مغرمٌ … لعَمْرُ الهوى ، ما أخطأ القومُ فى الظنِّ

وله :

وعَلِقْتُه حلوَ الشمائلِ ماجناً … خَنِثَ الـكلام مرنَّحَ الأعطافِ
ما زلتُ أُنصِفُهُ وأوجبُ حقَّهُ … لـكنه يأبى من الإنصافِ

وله ، وقد رُوِيَت لغيره :

سلِ الركبَ عن نجدٍ فإن تحيةً … لساكنِ نجدٍ قد تحمَّلَها الركبُ
وإلا فما بالُ المطىِّ على الوَجا … خفافاً ، وما للريح حَرْجَفُها[١] رطْبُ ؟

وله :

أبا العلاء كؤوسُ الراح مُترَعةٌ … وللنَّـــدامَى سرور فى تعاطيها

---

(١) الحرجف الريح الباردة ، وريح حرجف : باردة . اللسان : ٣٩١/١٠ . والوجا : السرعة .

وللغصـــون تثنٍّ فوقها طرَبًا   وللحمائم سَجْـــعٌ فى أعاليها
فاشرب على النهر من صهباء صافيةٍ   كأنما عُصِرتْ من خـــد ساقيها

وله :

باكِرْ إلى القَصْفِ أبا عامرٍ   فإنما نُجْحُ الفتى فى البُـكَرْ
مِن قبلِ أن يمسحَ كفُّ الصَّبا   دمعَ الغوادى من خدود الزَّهَرْ

هذا البيت مثل قول عبد الجبار بن حَمْديس الصقلى فى قصيدة يمدح بها الرشيدَ عبيدَ الله بن المعتمد محمد بن عباد أولها :

قُمْ هاتِها مِن كفِّ ذاتِ الوِشاحْ   فقد نَعَى الليلَ بشيرُ الصباحْ
واحلُلْ عُرى نومِكَ عن مقلةٍ   تَمْقُلُ أحداقًا مِراضًا صِحاحْ
/خَلِّ الـكرى عنك، وخذ قهوةً   تُهدِى إلى الروح نسيمَ ارتياحْ [٨٤-١]
هـــذا صَبوحٌ وصَباحٌ فما   عذرك فى ترك صَبُوح الصَّباحْ
بادرْ إلى اللذات واركبْ لها   سوابقَ اللهوِ ذواتِ المِراحْ
من قبل أن ترشُفَ شمسُ الضحى   ريقَ الغوادى من ثغور الأقاحْ

أردت هذا البيت .

ولرفيع الدولة يعتذر عن وسيم فى إنسان عينه ما يشينه :

قالوا : حبيبُك فى إنسان مقلته   مثلُ الحَبابة إذ تطفو على الراحِ
فقلت : بينهما فى ذلكم شبهٌ   كلتاهما تبعثان السُّكْر للصاحى

وله :

لئن منعوا عنى زيارةَ طيفِهمْ   ولم أُلْفِ فى تلك الديار مقيلا
فما منعوا ريحَ الصَّبا سَوْقَ عَرْفِهِمْ   وقد بَـكرتْ تَنْدَى علىَّ بليلا

ولا منعونى أن أُعَلَّ بذكرهمْ فؤاداً بما يجنى الصدودُ عليلا

وله يعاتب :

أفدى أبا عمرٍو وإن كان جانياً علىَّ ذنوباً لا تُعَدَّد بالعَتْبِ
فما كان ذاك الودُّ إلا كبارقٍ أضاء لعينى ثم أظلم عن قربِ

وله فى المدح :

تُرْمى إذا عَلِقتْ أسيافُه عَلَمًا كأنه فى خدود البيض توريدُ
يهتز عِطفاك فى يوم الوغى طرباً كأن وقْعَ سيوفِ الهندِ تغريدُ
تُعْنَى بذكرك أزمانٌ وألسنةٌ كأن ذِكرَك إيمانٌ وتوحيدُ

وله :

إذا ما الأمرُ أخفق فيه سعىٌ وضاق مرامُه من كلِّ بابِ
فلا تقْنَطْ فإن الله يأتى بفتحٍ لم يكن لك فى حسابِ

١٢٨ — المتوكل بن المظفر بن المنصور ، أبو محمد

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبى بن الأفطس[1] .

[٨٤ – ب] قال ابن حَيّان : كان عبد الله بن مسلمة رجلا من مكناسة ،/ وكان سابور العامرى — أحد صبيان فائق الخادم فتى الحَكم ، يعنى المستنصر بالله — قد انتزى ببطليوس وثغر الغرب ، فصحبه عبد الله وظاهَرَه ، ورمى إليه بأموره ، فدبَّر أعمالَه ، وتزيَّد فى الغَلَبة عليه حتى صار كالمستبد به . فلما هلك سابور

(١) لم يرد ذكر لبنى الأفطس بين التجيبيين الأندلسيين الذين ذكرهم ابن حزم فى الجمهرة .

ورث سلطانَه بعدَه ، فاستولى على الأمور ، وتلقب بالمنصور . ثم أفضى الأمرُ لابنه محمد ، وتلقب بالمظفر[١] .

ولابن حيان أيضاً قول أبسط من هذا فى أوَّلية بنى الأفطس ، يأتى ذكرُه إن شاء الله تعالى . قال : ومن النادر الغريب انتماؤه فى تُجِيب ؛ وبهذه النسبة مدحتْه الشعراء إلى آخر وقته ، منهم ابنُ شرف القيروانى حيث يقول :

يا ملكاً أمستْ تُجِيبٌ به　تحسُد قحطانَ عليها نِزَارْ
لولاكَ لم تَشْرَقْ مَعَدٌّ بها　جلّ أبو ذَرٍّ فجلَّتْ غِفَارْ

وكانت وفاة المظفر سنة ستين وأربعمائة[٢] ، فولَّى بعده ابنُه يحيى بطليوسَ وتسمى بالمنصور . وكان أخوه عمر المتوكل بِيَابُرَة[٣] وما إليها من الثغر الغربى ،

(١) إليك تسلسل الحكام فى بطليوس وما تبعها من غرب الأندلس (يابرة ، الأشبونة ، شنترين ، قلمرية وما إليها) :

أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة (المنصور) : تولى ٤١٣/١٠٢٢ وتوفى فى ١٧ ربيع الثانى ٤٣٧/٣٠ ديسمبر ١٠٤٥ .

أبو محمد بن عبد الله .... بن مسلمة (المظفر) : تولى ٤٣٧/١٠٤٥ وحكم حتى ٤٥٦/١٠٦٣ .

يحيى المنصور : تولى ٤٥٦/١٠٦٣ وتوفى ٤٦٠/١٠٦٧ .

عمر المتوكل أخو يحيى ، أعطاه أبوه يابرة : تولى ٤٦٠/١٠٦٧ ونازع أخاه يحيى وحاربه حتى قتله المرابطون سنة ٤٨٧/١٠٩٤ . توفى هذا فأصبح عمر المتوكل أميراً على إمارة بطليوس كلها .

(٢) هذا هو القول السائد ، ولكن بريتو بيبس عثر على عملة باسم ابنه وخليفته يحيى المنصور مؤرخة فى سنة ٤٥٦ ، ولهذا عدَّلنا سنة وفاته فى الجدول فى التعليق السابق .

Cf : PRIETO VIVES, *op. cit.* p. 66.

(٣) يابرة Évora بلدة فى جنوب البرتغال الحالية ، وهى عاصمة مديرية الميتيجو Almetejo على ١١٧ كيلو متراً بالسكة الحديدية من الأشبونة .

انظر : الروض المعطار ، ص ١٩٧ من النص العربى وص ٢٣٩ من الترجمة الفرنسية ، تعليق رقم ١ .

ثم استوثق له[١] الأمرُ بموت أخيه يحيى — بعد منافسة طويلة بينهما كادت تفسد حالها — واحتل حاضرةَ بطليوس ، وجعل ابنَه العباس عمر[٢] بيابرة وصار إليه أمرُ طليطلة وقتاً ، وجلّ شأنُه .

ولما عظم عيث الطاغية أذفونش بن فرذلند ، وتطاول إلى الثغور ، ولم يقنع بضرائب المال ، انتدّب للتطوُّف على أولئك الرؤساء القاضي أبو الوليد الباجي ، يندبهم إلى لم الشعث ومدافعة العدو ، ويطوف عليهم واحداً واحداً ، وكلهم يصغى إلى وعظه[٣] .

وازدلف خلال ذلك إلى سبتة أميرُ المغرب حينئذ — أبو يعقوب يوسف ابن تاشفين اللمتونى — حِسبةً ورغبةً فى الجهاد ، وقد دانت له بلادُ العدوة ، وسأل من سَقُّوت بن محمد صاحبِ سبتة أن يُبيح له فُرَض[٤] الإجازة إلى الأندلس ، فأبى وتمنع من ذلك ، فأفتى الفقهاء بقتاله لصده عن سبيل الله ، فقُتل هو وابنُه فى خبر طويل . وفتح الله على ابن تاشفين سبتة ، وأمكنه الحصول على مراده بذلك[٥] .

وعلم المعتمدُ محمد بن عباد تصميمه على نيته ، فخاطب جارَيْه : صاحبَ

---

(١) أى لعمر المتوكل . (٢) يبدو أن لفظ عمر هنا زائد .

(٣) اجتهد أبو الوليد الباجى فى دعوة ملوك الطوائف إلى الاتحاد وترك التشاحن للوقوف أمام العدو المشترك ، فلم يصغ إليه واحد منهم ، بل كانوا « يستبردون نزعته » كما تقول النصوص .

(٤) جمع فرضة ، والمراد طنجة وسبتة .

(٥) سبق أن ذكرنا خبر سقوت ، ويكتبه ابن خلدون بالكاف . ونضيف إلى ما أوردناه عن ابن خلدون ما رواه ابن بسام من كلام ابن حيان فى الذخيرة (القسم الثانى ، مخطوطة بغداد ص ٤٠٦ — ٤١١) وهو أوسع ما لدينا عنه وعن ملكه وملك أبنائه فى طنجة وسبتة .

وانظر كذلك المعلومات المستقاة من النُّمِّيّات التى أوردها پريتو بيبس فى كتابه الآنف الذكر :

PRIETO VIVES, *op. cit.*, p. 117 - 118.

بطليوس وصاحبَ / غرناطة ، فى تحريك قاضييْها إلى حضرته للاجتماع بقاضى [٨٥-١]
الجماعة بقرطبة . فوصل من بطليوس قاضيها أبو إسحاق بن مُقَانا ، ومن غرناطة
قاضيها القُلَيْعى ، واجتمعا فى إشبيلية بالقاضى أبى بكر بن أدهم ، وانضاف إليهم
الوزير أبو بكر محمد بن أبى الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون[1] . وتوجهوا
جميعاً إلى ابن تاشفين ، على شروط لا تُتعدى إلى غيرها . ووصلوا إلى الجزيرة
الخضراء — وعليها يزيدُ بن المعتمد ، الملقب بالراضى — ثم أجازوا البحرَ منها ،
واجتمعوا بابن تاشفين مرةً بعد مرة . وتفاوضوا فى مكانٍ تنزله العساكر ، فأشار
ابن زيدون بجبل طارق ، وسُئل الجزيرةَ الخضراء فلم يُوجِد سبيلا إليها ، فما قوبل
بشكر ولا لوم ، وأُصدِر هو وأصحابه دون علم بالمراد . ومشاورةُ الفقهاء من ابن
تاشفين تستتب ، وفتواهم لا تغب ، فلم يُرَعْ إلا الشروعُ فى الإجازة ،
ولم يُشْعَرْ إلا والجزيرةُ الخضراء فى مثل حلقة الخاتم من الجيوش الكثيفة[2] .

---

(١) المعلومات التى يقدمها ابن الأبار هنا تلقى ضوءاً على الظروف التى عبر فيها يوسف بن تاشفين إلى الأندلس . ومن الثابت أن عمر المتوكل بن الأفطس كان أول من استغاث بيوسف بن تاشفين نظراً لأن بلاده كانت تتعرض للخطر المباشر ، إذ أن ألفونسو السادس استولى على قلمرية وشنْتَرة وغيرها من بلاده وأصبح من الواضح أن هدفه التالى بطليوس نفسها ، فأرسل كتاباً كتبه ابن أيمن عن لسانه ، ثم أرسل كتاباً ثانيا ، وبدأ يوسف بن تاشفين يستعد للمسير . ويبدو كذلك أن فقهاء كثيرين من الأندلس وفدوا عليه يستصرخونه . وعندما رأى ابن عباد ذلك خطا الخطوة التى يذكرها ابن الأبار بعد أن كان يوسف بن تاشفين قد قرر العبور إلى الأندلس . وقد تطورت الظروف بعد ذلك تطوراً بعيداً كما ترى من التفاصيل التى يوردها صاحب الحلل الموشية وابن عذارى وابن بسام وابن الخطيب والأمير عبد الله الزيرى فى مذكراته وغيرهم من مؤرخينا ، وكذلك ما يرد فى المراجع النصرانية من تفاصيل . والموضوع كله فى حاجة إلى دراسة جديدة .

(٢) كان هذا العسكر الأول بقيادة القائد اللمتونى داوود بن عائشة . وأحسن تفصيل لذلك ذكره الأمير عبد الله الزيرى فى مذكراته المعروفة بالتبيان (تحقيق ليڤى پروڤنسال ، القاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٢ - ١٠٣ .

وفُتحت لهم أبوابُها ، وأُخرجت إليهم مرافقُها ؛ فطيَّر الراضى حَماماً إلى أبيه بذلك ، فأذنه بتركها والارتحال عنها إلى رُنْدَة ، ففعل .

واطردت الإجازة ، ثم تحركت العساكر إلى إشبيلية ، وردِفَهم ابنُ تاشفين ونزل بظاهرها . وبلغه على أثر ذلك موتُ ابنِه أبى بكر(١) ، فخيَّره حتى لَهَمَّ بالانصراف عن وجهه ، ثم آثر الجهاد ، وأنفذ مَزْدَلِى(٢) إلى مراكش .

وبعد قَراره بظاهر إشبيلية لحق صاحب غرناطة فى نحو ثلاثمائة فارس ، وأخوه تميم من مالقة فى نحو مائتين ، فنزلا على ضفة النهر الأعظم . ثم لحق لصاحب المرية عددٌ من الخيل صُحبةَ وَلَدِه ، وتقدم ابنُ تاشفين مستعجلا فى حركته إلى بطليوس ، وابن عباد وراءه . فخرج إليهم المتوكل ، وأوسعهم بِرًّا وتضييفاً ، وتَلَوَّمَت العساكر بظاهرها فى المضارب أياماً ، إلى أن قصدهم أذفونش وتلاقوا

---

(١) أبو بكر سير بن يوسف بن تاشفين ، يبدو أنه كان أكبر أبناء يوسف بن تاشفين ، وكان قد رشحه لولاية العهد ، ولكنه مرض قبل رحيل أبيه يوسف إلى الأندلس للمرة الأولى ، فتركه مريضاً فى سبتة ، وقبيل معركة الزلاقة بلغه خبر موته ؛ فرشح بعده لولاية العهد ابنه الثانى على بن يوسف . انظر :

FRANCISCO CODERA Y ZAIDIN, *La Familia real de los Benitexufin en Estudios criticos de Historia Arabe Espanola*, segunda serie, Madrid 1917 p. 75 - 166.

(٢) أبو عبد الله مزدلى بن سلنكان قائد مرابطى كبير من قبيلة لمتونة ، اشترك فى جميع أعمال يوسف بن تاشفين العسكرية فى الأندلس ، وقاد الجيوش أيضاً فى أيام على بن تاشفين . توفى فى معركة عنيفة سنة ١١١٥/٥٠٨ مع جيوش مملكة قشتالة بعد الحملة التى وجهها إلى طليطلة ومنطقتها فى سنة ٥٠٧ هـ .

انظر بحثنا عن سرقسطة والثغر الأعلى فى عهد المرابطين . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، مجلد ١١ ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ ، ص ١١٣ — ١١٤ وكذلك كتاب « نظم الجمان » لابن القطان بتحقيق الدكتور محمود مكى ، ط . تطوان سنة ١٩٦٣ ، ص ١٩ ، حاشية رقم ١ .

بالزّلّاقة(١) ، على مقربة من بطَلْيَوْس ، يومَ الجمعة فى رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، فكان الظهور للمسلمين ؛ وفى ذلك يقول ابن جمهور(٢) أحد أدباء إشبيلية :

لم تعلمِ العجم إذ جاءت مصممةً يومَ العروبة أن اليوم للعربِ

ونكل المتوكل يومئذ وغيره من الرؤساء ، وكان فيه للمعتمد ظهورٌ مشهور .

ثم صدر ابن تاشفين / ظافراً ، وأجاز البحر إلى العدوة صادراً ، وتحرك إلى [٨٥-ب] الأندلس بعدُ مجاهداً لأعدائها ، وناظراً فى خلع رؤسائها ، والمعتمدُ إذ ذاك أعظمُهم شوكةً وأشهرهم نجدةً ؛ فلما قُبض عليه لم تقم لسائرهم قائمة ، ومُزِّقوا كل ممزَّق . وفى ذلك يقول ذو الوزارتين أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن أحمد ، المعروف بابن الحاج اللُّورقى(٣) :

---

(١) الزلاقة موضع صغير يسمى اليوم Sagrajas على أحد نهيرات وادى آنه المسمى نهر جيريرو Guerrero على نحو ١٢ كيلومترا شمالى بطليوس Badajoz ، وكان أول من حدد مكان الموقعة بالدقة زايبولد :

Cf: SEYBOLD, *Die geographische Lage von Zalláka und Alárcos.* Revue Hispanique. Tome XV, 1906, p. 647,

ثم أكد تحقيق زايبولد رامون منندذ بيدال :

R. MENÉNDEZ PIDAL, *La Espana del Cid.* I, 539.

وانظر : الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميرى ، رقم ٨٤ ص ٨٣ وما يليها وص ١٠٣ من الترجمة الفرنسية تعليق رقم ١ .

(٢) عبد الله بن أحمد بن جمهور بن سعيد بن يحيى بن جمهور ، يكنى أبا محمد : أديب وفقيه من أئمة أهل الفقه فى إشبيلية خلال القرن السادس الهجرى ، فقد ولد سنة ٥١٦ وتوفى سنة ٥٩٦ وقد ولى الصلاة بجامع ابن عَدَبَّس فى إشبيلية وكان إلى ذلك بصيراً باللغة متحققاً بعقد الشروط .

انظر التكملة لابن الأبار ، رقم ١٤١٧ ص ٤٩٨ — ٤٩٩ .

(٣) « جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافرى المعروف بابن الحاج ، ذو الوزارتين : من أهل لورقة ، عداده فى رؤساء الأدباء . كان حياً سنة ٤٩٤ . وكان شاعراً وناثراً شجاعاً » . المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى لابن الأبار ، رقم ٥٩ ص ٦٩ .

وانظر عنه : المغرب لابن سعيد : ٢/٢٧٧ وتعليق الدكتور شوقى ضيف .

كم بالمغارب من أشلاءِ مخترَمٍ وعاثرِ الجدِّ مصبورٌ على الهونِ

أبناء معنٍ ، وعبادٍ ، ومسلمةٍ والحميريّيْن : باديسٍ وذى النونِ

راحوا لهم فى هضاب العز أبنية وأصبحوا بين مقبورٍ ومسجونِ

وكان سير بن أبى بكر — أحد رؤساء اللمتونيين — هو الذى حاصر إشبيليةَ حتى استولى عليها ، وقبض على المعتمد وتقلد إمارتَها بعده دهراً ، ثم تولى محاصرةَ بَطَلْيَوْس إلى أن دُخلت عنوةً يومَ السبت لثلاث بقين من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة — وقيل : يومَ السبت السابع من صفر ، وقيل : فى شهر ربيع الأول منها — وقُبض على المتوكل فقُيد ، وأهين بالضرب فى استخراج ما عنده ، ثم أزعج عنها ، وقُتل هو وابناه الفضل والعباس على مقربة منها ذبحاً ، وكان ذلك مما نُعى على ابن تاشفين . وقيل إنه رغب فى تقديم ولديه هذين بين يديه ليحتسبهما ، ثم قام بعد قتلهما ليصلى ، فبادره الموكلون به وطعنوه برماحهم حتى فاضت نفسه وغربت شمسه . وقد رثاهم أبو محمد عبد المجيد بن عبدون(١) بقصيدة فريدة ، أنشدَناها شيخُنا أبو الربيع بن سالم الكلاعى(٢)

(١) لا نحتاج هنا إلى التعريف بأبى محمد عبد المجيد بن عبدون ورائيته المشهورة فى رثاء بنى الأفطس ، ولكننا نشير إلى الفصل الطويل الذى اختصه به ابن بسام فى الذخيرة (القسم الثانى ، مخطوطة بغداد) ص ٤١٤ وما بعدها . وفى هذا الفصل من شعر ابن عبدون ما يفوق رائيته جمالا وشاعرية .

(٢) أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام الحميرى والكلاعى البلنسى الأصل ، يكنى أبا الربيع ويعرف بابن سالم : أكبر أهل الفقه والرواية فى شرق الأندلس خلال القرن السادس الهجرى ، وهو أستاذ ابن الأبار وقد ترجم له ترجمة واسعة فى التكملة . والكلاعى هو الذى استحث ابن الأبار على تأليف معجمه فى تلاميذ شيخهم أبى على الصدفى ، وقد اضطر إلى مغادرة بلده بلنسية عندما تهددتها الأخطار المتلاحقة سنة ٥٨٧ ، وقال فى ذلك قصيدة طويلة لا تدل على شاعرية جديرة بالذكر . وكتبه ومؤلفاته فى الفقه والحديث والتاريخ كثيرة جداً أحصاها من ترجموا له ، وتوفى مستشهداً فى معركة دارت بين الموحدين والنصارى عند بلدة أنيشَه أو أنيجة على سبعة أميال من بلنسية (يقول ابن الأبار إنها على ثلاثة =

بحاضرة بلنسية مراراً . قال : أنشدَناها القاضى أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون[1] فى مسجده بإشبيلية ، قال : أنشدَناها الوزيرُ الكاتب أبو محمد بن عبدون ، وأولها :

الدهر يفجع بَعد العين بالأثرِ فما البكاء على الأشباح والصور

يقول فى آخرها :

ويحَ السَّماح وويحَ الباس لو سَلِما والمجد والدين والدنيا على عُمرِ[2]

/ سَقَتْ ثرى الفضلِ والعباسِ هاميةٌ تُعزى إليهم سَماحاً لا إلى المطرِ [٨٦-١]

وأنشدنى أبو الربيع شيخُنا — وحدثنى لفظاً — قال : حدثنى الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد شيخُنا — يعنى ابن زرقون — عن الوزير أبى بكر ابن القبطورنة[3] ، أنه حدثه أنه دخل على نجم الدولة سعد بن المتوكل — وهو

= فراسخ من بلنسية) فى ١٠ ذى الحجة ٦٣٤ ، وقد أبدى شجاعة عظيمة فى هذه المعركة .

وقد نشر من كتبه : الاكتفا فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفا — الجزء الأول بعناية هنرى ماسيه فى الجزائر سنة ١٩٣١ . وقد ساق الناشر قبل النص نصوص تراجم الكلاعى من الإحاطة لابن الخطيب ومركز الإحاطة لأبى البقاء محمد بن إبراهيم بن محمد البَشْتَكى المصرى (مخطوطة باريس) وابن الأبار فى التكملة رقم ١٩٩١ ص٧٠٨ والزيادات فى طبعة جنذالث بالنثيا وألاركون ص ٥٤٠ ، وشمس الدين الذهبى فى « تذكرة الحفاظ » (طبعة حيدر أباد) رقم ١٤ ج ٤ ص ٢٠٩ ، والسيوطى فى « طبقات الحفاظ » (جوتنجن ١٨٣٣) رقم ١٥ ج ٢ ص ٥٦ ، وابن فرحون فى « الديباج المذهب » (فاس ١٣١٦) ص ١٢٥ ، والمقرى فى نفح « الطيب » (أوروبا) : ٢/٥٠٢ و٦٥٥ و٧٦٨ ، وپونس بويجس ، رقم ٢٣٩ ، ص ٢٨٣ .

(١) محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصارى ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن زرقون : من أهل إشبيلية وسكن بعض سلفه بطليوس ، من كبار فقهاء القرن السادس الهجرى ومن أساتذة ابن الأبار ، وقد ترجم له ترجمة واسعة فى التكملة (رقم ٨٢٤ ج ١ ، ص٢٥٦ — ٢٥٨) ، وذكر شيوخه ورواياته العالية وقال إنه ولى قضاء شلب وقضاء سبتة فحـُمدت سيرته وعرفت نزاهته ، وكان إلى ذلك يقرض الشعر ويجيد النثر ، حسن الشارة والهيبة صبوراً على الجلوس للإسماع مع الكِبْرة . ومؤلفاته فى الفقه كثيرة ، ذكر بعضها ابن الأبار . ولد بشريش ١٥ ربيع الأول ٥٠٢ (وفى رواية أخرى سنة ٥٠١ بدون تحديد الشهر) وتوفى فى إشبيلية منتصف رجب ٥٨٦ .

(٢) المراد عمر المتوكل بن الأفطس .

(٣) أبو بكر عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز البطليوسى من أعلام كتاب الأندلس =

محبوس فى سجن المُلَثَّمة ، بعد غَلَبتهم على أبيه المتوكل وقتْلهم إياه وابنيه العباسَ والفضلَ — فلما رآه أجهش باكياً ثم أنشده :

بأبيك ، قُدِّس روحُه وضريحُه   يا سعدُ ساعدنى ، ولستَ بخيلاَ
واسفَحْ علىَّ دموعَ عينِك ساعةً   وامتُنْ بها حُمراً تفيض هُمولا
إن يصبح الفضلُ القتيلَ فإننى   أمسيتُ من كَمَدٍ عليه قتيلا
كم قد وقيتكم الحِمامَ بمهجتى   وحَميتُ شَوْلَ[1] علائكم معقولا
قدمتُ نفسى للمنايا دونكم   بدَلاً فلم تُرِدِ المَنونُ بديلا

ومن شعر المتوكل ، وكتب به إلى أخيه يحيى المنصور من يابُرة مع نثر ، وقد بلغه أنه قُدِح فيه بمجلسه :

فما بالهم ، لا أنعم الله بالَهم ،   ينوطون بى ذَمًّا ، وقد علموا فضلى
يسيئون فىَّ القولَ جهلاً وضَلَّةً   وإنى لأرجو أن يسوءهم فعلى

= خلال النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى والنصف الأول من السادس ، فقد توفى بعد سنة ٥٢٠/١١٢٦ . تولى الكتابة لعمر المتوكل بن الأفطس ثم للمرابطين وتمتع بلقب الوزير الكاتب مثل أخويه أبى محمد طلحة وأبى الحسن محمد . وقد كتب الدكتور محمود على مكى فقرة طويلة عنه فى مقاله الذى أشرنا إليه : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١١٧ وهامش ١ و ٢ وذكر مراجع ترجمة حياته : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثانى من مخطوطة بغداد ، ص ٤٦٨ — ٤٨٠ . ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٧٤٣ . القلائد لابن خاقان ، ص ١٤٨ — ١٥٥ . المغرب لابن سعيد : ١/٣٦٧ — ٣٦٨ . المطرب لابن دحية : ص ١٨٦ — ١٨٧ . الإحاطة لابن الخطيب ، بتحقيق محمد عبد الله عنان : ١/٥٢٨ — ٥٣١ . المقرى : نفح الطيب (طبعة محيى الدين عبد الحميد) ٤/٢٥٠ و٦/٤٨ . وذكر كذلك تفسيرى سيمونيت *(Glosario,97)* ودوزى : *Supplément*, II, 302 لمعنى لفظ القبطورنة واشتقاقه من كلمة **caput** (أى رأس ، وفى الإسبانية القديمة **cap**) ، و **torno** أى مستدير أو دائر ، فمعناه على هذا : ذو الرأس المستدير .

(١) الشول هنا يراد به البقية ، والمعنى المراد أننى حميت مابقى من علائكم وأنا فى حالة عجز ، ويمكن أن يكون المراد أيضاً : إننى حميت طَرَف عزكم مصونا (انظر : اللسان ١٣/٢٩٨ و ٤٨٦) .

طَغَامٌ لئامٌ ، أمْ كرامٌ برغمهمْ سواسيةٌ ؛ ما أشبهَ الحُولَ بالقُبْلِ (١)

لئن كان حقا ما أذاعوا فلا خَطَتْ إلى غايةِ العلياءِ مِن بعدِها رِجْلى

ولم أَلقَ أضيافى بوجهِ طلاقةٍ ولم أمنَحِ العافين فى زمن المحْل

وكيف وراحى درسُ كلِّ غريبةٍ وورِدُ التُّقى شَمِّى ، وحربُ العِدا نُقْلِى

ولى خلُقٌ فى السُّخْط كالشَّرْىِ طعمُهُ وعند الرضا أحلى جنًى من جَنَى النحل

وإنى وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما أعيى الصناديدَ من قَبْلِى

/ وما أنا إلا البدر تنبح نورَهُ كلابُ عِدًا تأوى اضطراراً إلى ظِلِّى [٨٦ - ب]

فيا أيها الساقى أخاه على النوى كؤوس القِلى ، مهلاً رُويدَك بالعَلِّ

لتطفئَ ناراً أُضرمتْ فى صدورنا فمِثلِىَ لا يُقلَى ، ومثلُك لا يَقْلِى

ألستُ الذى أصفاك وِدْماً ودادَهُ وألقى إليك الأمرَ فى الكُثْر والقُلِّ ؟

وصيَّرك الذُّخْرَ الغبيطَ لدهرِهِ ومَن لىَ ذخراً غيرك اليومَ ؟ لا ، مَن لى ؟

وقد كنتَ تُشْكِينى إذا جئتُ شاكياً فقل لى : لمن أشكو صنيعَك بى ؟ قُل لى !

فبادرْ إلى الأولى ، وإلا فإننى سأشكوك يومَ الحشر للمَلِك العدلِ

وله وقد ارتقب قدوم أخيه عليه من شَنْتَرِين(٢) يومَ الجمعة فوفد عليه يوم السبت :

---

(١) القَبَل نوع من الحَوَل . قال أبو زيد : الأقبل إذا أقبلت حدقتاه على أنفه ، والأحول الذى حولت عيناه جميعاً . وقال الليث : القَبَل فى العين إقبال السواد على المحجر ، ويقال : بل إذا أقبل سواده على الأنف ، فهو أقبل . وحُول وقُبْل ، جمع أحول وأقبل . اللسان : ١٤/٥٨-٥٩ .

(٢) شنترين Santarem فى البرتغال الحالية ، تقع على ٦٧ كيلو متراً شمالى الأشبونة . انظر : الروض المعطار ، رقم ١٠٤ ص ١١٤ و ص ١٣٩ من الترجمة الفرنسية ، وتعليق رقم ١ ، وانظر المادة عنها فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ١٥٩ .

تخيَّرتِ اليهودُ السبتَ عيداً وقلنا : فى العَرُوبَةِ[1] يومُ عيدِ
فلما أن طَلعتَ السبتَ فينا أطلتَ[2] لسانَ مُحتجٍّ اليهودِ

ومن مليح ما فى هذا المعنى :

وحبَّبَ يومَ السبتِ عندى أننى ينادمنى فيه الذى أنا أحببتُ
ومن أعجب الأشياء أنى مسلمٌ حنيف ، ولكنْ خيرُ أيامىَ السبتُ

وكتب أبو محمد بن عبدون إلى المتوكل ، وقد انسكب المطر إثر قحط خيف قبل ذلك ، واتفق أن وافى بَطَلْيَوْس حينئذ مغنٍّ محسنٌ يعرف بأبى يوسف :

ألمّ أبو يوسفٍ والمطــرْ فياليت شـــعرى ما يُنتظَرْ ؟
ولست بآبٍ وأنت الشهيدُ حضورَ نديِّك فى من حضرْ
ولا مَطلعى وسْطَ تلك السما ء ، بين النجوم وبين القمرْ
وركضىَ فيها جيادَ المُدا م محثوثةً بسياطِ الوترْ

[٨٧ – ١] / فبعث إليه المتوكل مركوباً وكتب معه :

بعثتُ إليك جَناحاً فَطِرْ على خفيةٍ من عيون البشرْ
على ذُلُلٍ من نِتاج البُروق وفى ظُلَلٍ من نسيج الشجرْ
فحسبىَ عمّن نأى مَن دنا فمن غاب كان فِدا مَن حضرْ

وتوجه إلى شنترين ومعه أبو محمد بن عبدون ، فتلقاه ابن مُقَانا قاضى

(١) العروبة اسم يوم الجمعة فى الجاهلية .
(٢) فى الأصل :
فلما أن طلعتِ الشمس فينا أطلتِ لسان محتج اليهود
وهو خطأ ، فقومته .

حضرته ، وأنزله وقدم طعاماً ، ثم قعد بباب المجلس ملازماً له إلى الليل ، والمتوكل محتشم منه . فخرج أبو محمد — لمّا أبْرَمَه — إلى بعض أصحابه ، وقد أعد له مجلس أنسٍ ، فقعد يشرب معه ؛ وقد وجَّه من يرقب انفصالَ ابن مقانا ، فلما عرّفه بذلك بعث إلى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب معهما :

إليْـكَها فاجتَلِها منـيرةً ... وقد خبا حتى الشهابُ الثاقبُ
واقفةً بالباب لم تأذن لها ... إلا وقد كاد ينام الحاجبُ
فبعضها من المخاف جامدٌ ... وبعضها من الحياء ذائبُ

فقبلها وكتب إليه :

قد وصلتْ تلك التى زَفَفْتَها ... بِكرًا ، وقد شابتْ لها ذوائبُ
فهُبَّ حتى نستردَّ ذاهباً ... مِن أُنسنا ، إن استُرِدَّ الذاهبُ

وقرأتُ فى « كتاب الذخيرة » لابن بسام : أخبرنى الوزير أبو طالب بن غانم قال : لا أنسى والله خط المتوكل بهذين البيتين فى ورقة بَقْلة الكرنب ، وقد كتب إلىّ بهما من بعض البساتين :

انهض أبا طالب إلينـا ... واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عِقْدٌ بغيـر وُسْطَى ... ما لم تكن حاضراً لدينا

وحكى غيره أنه كتبهما بطرف غصن ، وروى البيت الأول :

أقبل أبا طالب إلينـا ... وقَعْ وقوعَ الندى علينا

[٨٧ - ب] ١٢٩ — / عبد الملك بن هُذَيل بن رزين - ذو الرياستين ، حسام الدولة أبو مروان

وَلِيَ بعدَ أبيه الحاجبِ عزِّ الدولة أبي محمد هُذَيْل بن عبد الملك بن خلف ابن لبّ بن رزين شنتمريةَ الشرق موضع إمارة سلفه ، وكان ظهورهم فى سنة إحدى وأربعمائة ، أولَ افتراق الجماعة وانبعاث الفتنة ، ويعرفون ببنى الأصلع ، وانتماؤهم فى هوّارة .

وقد ذكر ابنُ حيّان طرفاً من خبرهم فقال : وأبو محمد هذيل بن خلف ابن لبّ بن رَزِين — المعروف بابن الأصلع — صاحب السَّهْلة ، موسطة ما بين الثغر الأعلى والأدنى لقرطبة . [كان من أكابر برابر الثغر][1] ، ورث ذلك عن سلفه ، ثم سَما لأول الفتنة إلى اقتطاع عمله [والإمارة لجماعته][2] ، والتقيُّل لجاره إسماعيل بن ذى النون فى الشرود عن سلطان قرطبة ، فاستوى له من ذلك ما أراد هو وغيره من جميع من انتزى فى الأطراف[3] ، وتمرس به الحاجبُ منذر بن يحيى ، مُدْرِجاً له فى طىّ من استتبعه[4] واشتمل عليه من أصاغر أمراء

(١ و ٢) أسقط ابن الأبار أو ناسخه هذه العبارة من كلام ابن حيان ، على أهميتها هنا . راجع نص ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، القسم الثالث (مخطوطة جايانجوس المحفوظة بمكتبة أكاديمية التاريخ فى مدريد ، ورقة ٢٠ ا) .

(٣) ورد هنا عن ابن بسام (نفس المخطوطة والصفحة) : « غرباً وشرقاً وقبلةً وجوفاً ، إلا أن هذيل هذا مع تعززه على المخلوع هشام لم يخرج عن جماعته ، ولا وافق الحاجب منذراً ولا جماعته المتمالئين على هشام فى شىء من شأن سليمان (المستعين) عدوِّه ، إلى أن ظُفِر بهشام ، فسلك هذيل مسلكهم ، فرضى منه سليمان بذلك ، وعقد له على ما فى يده لعجزه عنه ، فزاده هذا بعاداً منه » ، ثم يستمر الكلام كما عند ابن الأبار .

(٤) الأصل : اتبعه ، والتصويب من الذخيرة .

الثغر ، فأبت نفسه البُخوع له والانضمام إليه ، فردّ أمرَه وحدَّه ، وصار نِدَّه ، وأجاره مِنَعَةَ معقله(١) .

قال : وليس فى ذلك الثغر أخصب بقعة من سَهْلته(٢) — المنسوبة إلى بنى رزين — فى اتصال عمارتها ، فكثر ماله . وكان مع ذلك شابا جميل الوجه ، صار إليه أمر والده منبعثَ الفتنة وهو فتى مع العشرين من سِنه . وأطال ابنُ حيان فى وصفه بالقسوة والفظاظة ورفعة الهمة ، فاقتصرتُ من ذلك على ما أثبتُّ .

وهذيل هذا هو عم هذيل والد أبى مروان المذكور . وبعدَه وَلِىَ أخوه عبدُ الملك بن خلف أبو مروان — ويعرف بعبود — ثم وَلِىَ ابنُه هذيل ، ثم ابنُه عبد الملك ، ثم ابنُه يحيى وعليه انقرض مُلكهم .

---

(١) ترك ابن الأبار هنا قطعة كبيرة من كلام ابن حيان لها أهمية خاصة لذلك التاريخ . وقد أوردها ابن عذارى فى الجزء الثالث من البيان ، ص ١٨٢ ، فأغنى ذلك عن تكرارها هنا .

(٢) شنتمرية الغرب أو سهلة بنى رزين Santa María de Albarracín توصف فى الجغرافية العربية للأندلس على أنها كانت من كبار معاقل كورة شنتبرية Santaver ، وهى كورة كانت تمتد من حدود كورة سرقسطة الجنوبية الغربية إلى كورتى وادى الحجارة ، وطليطلة ، وكانت تعتبر منطقة عسكرية من مناطق الثغر الأدنى أو الأوسط وقاعدته العسكرية فى مدينة سالم ، وكانت عاصمة الكورة أيام الإمارة والخلافة بلدة شَنْتَبَرِيَّة Santaver ثم انتقلت إلى أُقْلِيش Ucles ، وبعد سقوط هذه فى يد ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون أصبحت عاصمتها شنتمرية الشرق التى عرفت من ذلك الحين باسم شنتمرية بنى رزين أو سهلة بنى رزين ، وهى تقع اليوم فى شرق مديرية تيروال Teruel على نهر جايو El Gallo أحد نهيرات نهر تاجه وهى غير بعيدة عن مجرى النهر الأبيض Guadalviar أحد نهيرات نهر توريا الذى يسمى بالنهر الأحمر . وقد عرفت المنطقة بالسهلة نظراً لكثرة أنهارها ووفرة مياهها ، والبلد نفسه واقع وسط تلال ومرتفعات كانت عامرة بالحصون التى بناها الخلفاء لتحصين منطقة الثغر الأدنى ، وهذا ما ساعد هذيل بن رزين ثم ابنه على الاستبداد فى هذه الناحية .

Cf : JACINTO BOSCH VILA. *Historia de Albarracín y su Sierra*. Tomo II, *Albarracín Musulmán* (Teruel, 1959, pp. 33-80.

وكان أبو مروان — مع شرفه وأدبه — متعسفاً على الشعراء ، ومتعسراً بمطلوبهم من ميسور العطاء ، وضعيف منظومه أكثر من قويه . وكانت وفاته سنة ست وتسعين وأربعمائة . وقد صار إليه من أعمال بلنسية بعضها ، ووَلِىَ بعدَه ابنهُ فأقام يسيراً ، وتغلَّب على ما بيده ابنُ تاشفين(١) بعد أن أقام هو وأبوه دعوتَه فى أعمالهما . ومن شعره يفخر :

أنا مَلْكٌ تجمَّعتْ فىَّ خمسٌ كلُّها للأنام مُحْيٍ مُميتُ

[٨٨ – ١] / هى : ذهن ، وحكمة ، ومضاء ، وكلام فى وقته ، وسكوتُ

وله مجاوباً :

رغِبتم وأرغبناكمُ وهيَ الخمرُ فمن لم يكن سكرانَ فليكنِ السُّكرُ

إليكم فإنى فى الوغى والندى فتًى هوالبحر إن أعطى ، و إن صال فالدهرُ

---

(١) ناقش بوسك بيلا فى كتابه المذكور فى الهامش السابق سلسلة الأمراء من بيت بنى رزين التى يذكرها ابن الأبار ، وهو يذكر منهم خمسة هم :

هذيل أبو محمد بن خلف بن لب بن رزين ، وهو أول من استبد بالسهلة .

أبو مروان بن هذيل (وهذيل هذا هو ابن أخى هذيل المذكور أولا) .

أبو مروان عبد الملك بن خلف أخى هذيل الأول ، ويعرف بعبود .

هذيل بن عبد الملك بن خلف .

يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن خلف .

ويرى بوسك بيلا أن ابن الأبار خلط بين الأسماء ، وأن الحقيقة أنه لم يملك من بنى هذيل إلا ثلاثة هم :

هذيل بن محمد بن خلف بن لب بن رزين .

وأبو مروان عبد الملك بن هذيل الذى يتحدث عنه ابن الأبار هنا ، ثم يحيى بن عبد الملك هذا.

وقد استند على ما ورد فى الذيل الذى نشره ليڤى پروڤنسال بعد نص البيان المغرب لابن عذارى ، ج ٣ ص ٣٠٨ — ٣٠٩ ، وتحقيقات دوزى وإيزيدرو دى لاس كاخيجاس Isidro de las Cagigas وغرسية بالديابليانو L. García Valdeavellano وپرييتو بيبس وغيرهم .

Cf : J. BOSCH - VILA, *op. cit.* pp. 113 - 117.

وله :

شأوتُ أهلَ رَزِينٍ غيرَ محتفلٍ ... وهم ، على ما علمتم ، أفضلُ الأممِ
قومٌ إذا حوربوا أفنَوْا ، وإن سئلوا ... أغنَوْا ، وإن سوبقوا حازوا مدى الكرم
جادوا فما يَتعاطى جُودَ أنملهم ... مدُّ البحار ولا هَطَّالةُ الدِّيَمِ
وما ارتقيتُ إلى العليا بلا سببٍ ... هيهات ! هل أحدٌ يسعىَ بلا قدمِ ؟
فمَن يَرُمْ جاهداً إدراكَ منزلتى ... فليَحْكِنِى فى الندى والسيف والقلمِ

وله :

مَن كثَّر الجَهْدَ[1] يرى سَعْدَه ... يصعد حتى ينتهى حدَّه
ومَن أذلَّ المالَ عزَّت به ... أيامُه وانصرفتْ جُنْدَه[2]
فاهدِم بناءَ البخلِ وارفُضْ به ... مَن هدمَ البخلَ بنى مجدَه
لا عاش إلا جائعاً نائعاً[3] ... مَن عاش فى أمواله وحدَه

وله يصف روضاً :

وروضٍ كساه الطلُّ وشياً مجدَّدَا ... فأضحى مُقيماً للنفوس ومُقْعِدَا
إذا صافحته الريح ظلتْ غصونُهُ ... رواقصَ فى خُضرٍ من العَصْبِ مُيَّدَا
إذا ما انسيابُ الماء عاينتَ خِلتَهُ ، ... وقد كسَّرتْه راحةُ الريح ، مِبرَدَا
وإن سكنتْ عنه حسِبتَ صفاءَهُ ... حُساماً صقيلاً صافىَ المتنِ جُرِّدا
وغنَّتْ به وُرْقُ الحمائمِ حوْلَنا ... غِناءً يُنَسِّينا الغَريضَ ومعبَدَا

(١) الذخيرة (قسم ٣ ، المخطوط المذكور) ص ٢٢ ا : من كثَّر الجُنْدَ

(٢) كذا فى الأصل بوضوح ، ولكن المعنى غير مقبول ، ثم إن الرَّوِىّ « جنده » لا يمكن أن يكون منصوباً لو تركنا الشطر على هذه الصورة . وربما أمكننا إصلاح هذا الشطر بعض الشىء لو قلنا : « أيامه أو نَصَرَتْ جنده » أو « لو نصرت جنده » .

(٣) فى الأصل : نسايعا ، وفى الذخيرة : نايعا . والنائع هو المائل . جاء فى اللسان : سئلت هند ابنة الخُسّ : ما أشد الأشياء ؟ فقالت : ضرس جائع يقذف فى مِعىً نائع (اللسان : ١٠/ ٢٤٤) . وهو إتباع يراد به توكيد المعنى .

فلا تجفُوَنَّ الدهرَ ما دام مُسعداً ومُدَّ إلى ما قد حباك به يدَا
وخذها مُداماً من غزالٍ كأنهُ ، إذا ما سعى ، بدرٌ تحمَّل فرقدَا

[٨٨ – ب] / وله :

أدِرْها مُداماً كالغزالةِ مُرَّة تَبِينُ لرائيها وتأبَى على اللمسِ
وتبدو إلى الأبصار دون تجسُّمٍ على أنها تَخفَى على الذهن والحِسِّ
إذا شعشعت فى الكأس خِلتَ حَبَابَها لآلئَ قد رُفِّعن فى لَبَّةِ الشمسِ
موكلة بالهَمِّ تهزم جيشَهُ بجيش الأمانى والمسرة والأنسِ
فإن شئت قل فيها أرق من الهوى وإن شئت قل فيها أرق من النفسِ

وله فى النسيب :

أنحى على جسمى النحولُ فلم يدَعْ متوهَّماً من رسمه المعلومِ
عبثتْ به أيدى الصبا فكأنه سرٌّ خفىٌّ فى ضميرِ كتومِ

وله :

يزهدنى(١) فى الزهد عين مريضةٌ يُمَرِّضنى من لَحْظها ما أعَلَّنى
ولم يُبق نَفْسى غيرُ عطفة شادنٍ عسانى أفدِّيه بها ولعلَّنى
شكوتُ إلى فيه الذى بى من الظما فأنهلَنى عذبَ الرُّضاب وعلَّنى

وله :

دع الدمعَ يُفْنِ الجفنَ ليلةَ ودَّعوا إذا انقلبوا بالقلب لا كان مدمَعُ
سَرَوْا كاغتداء الطير ، لا الصبرُ بعدَهم جميلٌ ، ولا طولُ الندامة ينفعُ

---

(١) كذا فى الأصل وفى الذخيرة (قسم ٣ ، جايانجوس ، ورقة ١٢٢ ا) . وقد جعلها دوزى (ص ١٨٤) : تُزَهِّدُنى .

أضيقُ بحَمل الفادحات من النوى وصدرى من الأرض البسيطة أوسعُ
وإن كنتُ خَلّاعَ العِـذار فإننى لبستُ من العليـاء ما ليس يُخلعُ
إذا سَلّتِ الألحاظ سيفاً خَشيتُـهُ وفى الحـرب لا أخشى ولا أتوقعُ

وله :

برح السـقم [بى ، فليس صحيحاً مَن رأت عينُه عيوناً][1] مِراضَا
إنّ للأعين المِراضِ سهاماً صـيَّرتْ أنفُسَ الورى أغراضاَ

وله فى شمعة :

رُبَّ صفراءَ تردَّتْ بِرداء العـاشقيـنا
مثلَ فِعل النـارِ فيها تفعـلُ الآجالُ فينا

وحدثنى القاضى أبو عامر نذير بن وهب بن نذير[2] الفهرى — ودارُ سلفه شنتَمرية المنسوبة إلى بنى رزين — / غيرَ مرة بلفظه ، قال : حدثنى أبى أنه كان [٨٩ – ا] بشنتمرية مُعلم كُتاب يؤدبهم ، ويَؤُمُّ فى مسجدين : أحدهما يصلى فيه نهاراً والثانى ليلا ، فكتب إلى الحاجب ذى الرئاستين أبى مروان عبد الملك بن الحاجب ذى المَجْدَين عز الدولة أبى محمد هذيل بن رزين[3] يسأله التقديم فى المسجد الجامع للصلاة فى دَوْلَةٍ مع سائر الأئمة ، فوقَّع له فى مكتوبه :

(١) بياض فى الأصل ، والتكلمة من الذخيرة ، نفس القسم والصفحة .

(٢) أبو عامر نذير بن وهب بن لب بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن وهب بن نذير بن وهب بن نذير الفهرى ، من أهل بلنسية ، يكنى أباعامر (٥٥٨–٦٣٦) : من أعلام فقهاء بلنسية ومن أساتذة ابن الأبار ، اشتهر بكتابة الشروط والبراعة فيها . ولى قضاء الكور ، وحدّث فى آخر عمره وسمع منه ابن الأبار وأجاز له ، ولما تغلب النصارى على بلنسية قصد دانية وولى قضاءها إلى أن توفى بها فى العشر الوسط من شعبان من السنة التى ذكرناها ، بعد ستة أشهر من سقوط بلنسية ، وكان ابن الأبار إذ ذاك فى تونس .(التكملة ، رقم ١٢١٧ ص ٤٢٤ – ٤٢٥).

(٣) هذا يدل على أن عبد الملك بن هذيل خلف أباه هذيل ، مما يؤيد ماذهب إليه بوسك بيلا من خطأ ابن الأبار فى سياقة نسب بنى رزين .

أيُطيقُ تأديباً وعقــــدَ إمامةٍ في مسجدين وجامعٍ إنسانُ ؟
اثبُتْ على إحدى المراتِب لا تَزِدْ فمن الزيادة يُتَّــقى النُّقصــانُ

وحكى لى غيرُه أن أبا مروان هذا كانت له نجدة وصرامة وإقدام ؛ قرَّب جندَه من نفسه ، وتحبب إليهم واختلط بهم ، حتى كان لا يمتاز منهم فى مركب ولا ملبس . ووقائعه فى الثغر مشهورة ، وجرى عليه خطْب كبير فى صفر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة قبل وفاته بيسير : دبَّر عليه صهرُه عبيدُ الله القائمُ بأذْكُون[1] ، وأراد اغتيالَه مع طائفة من رجاله ليرث مكانَه[2] ، وكان قد أحضره لدعوةٍ

(١) قد تقرأ أيضاً : أدكون بالدال المهملة ،وقد تقرأ بفتح الدال أو الذال أو تسكينهما . وقد ذهب دوزى إلى أن المراد موضع يسمى Alacón إلى شمال شرق Albarracín (سهلة بنى رزين أو شنتمرية الشرق) . وقال بوسك بيلا إنها اليوم تابعة لمركز Montalbán فى مديرية ترْوال Teruel .

(٢) لم تحدد المراجع تاريخاً لذلك الحادث ، ولكن يبدو أن ذلك كان فى أخريات أيامه . وقد توفى حسام الدولة أبومروان عبد الملك بن هذيل بن رزين يوم الاثنين ٩ شعبان ٤٩٦/١٨ مايو ١١٠٣ عن سن عالية ، نحو الثمانين . وقد حكم من وفاة أبيه هذيل سنة ٤٣٦/ من ٢٩ يوليو ١٠٤٤ إلى ١٨ يوليو ١٠٤٥ ، أى أنه حكم ٦٠ سنة هجرية (٥٩ ميلادية) ، فهو على هذا أطول أمراء الطوائف عهداً ، وإن كانت إمارته من أقلها اتساعاً وأهمية . ويرجع طول حكمه إلى حصانة معاقله أولا ثم إلى ابتعاده عن دوامة الحوادث التى أحاطت بإمارته ، فقد عاش عصر الصراع الطويل بين أمراء الطوائف والممالك النصرانية ، وعاصر ألفونسو السادس والسيِّد القمبيطور ودخول المرابطين الأندلس ، ولم يكن له هم إلا الحفاظ على نفسه ومصالحه دون أن يسدى أية معاونة لجيرانه المسلمين . وخلفه ابنه يحيى فلم يحكم إلا سنة واحدة . وإليك تواريخ أهم حوادث هذه الفترة فى السهلة وبلنسية ومرسية :

٤٨٥/١٠٩٢ : استيلاء المرابطين على البونت Alpuente .

١٥ رجب ٤٩٥/٥ مايو ١١٠٢ : عودة بلنسية إلى المسلمين بدخول القائد المرابطى مزدلى إياها .

٤٩٦/١١٠٣ : الجواز الرابع الأخير ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس .

ذو الحجة ٤٩٦/سبتمبر ١١٠٣ : عزل أبى عبد الله مزدلى عن بلنسية وإقامته حاكماً لتلمسان ، وإقامة أبى محمد عبد الله بن فاطمة حاكماً لبلنسية ونواحيها وقائداً لقوات المرابطين فى شرق الأندلس.=

احتفل فيها مع جماعة ، منهم أبو عيسى بن لَبُّون صاحب مُرْبيطَر[1] . فلما أمكنتهم الغِرَّة فيه بأخذ الشراب منه ، وثبوا عليه وخبطوه بسيوفهم حتى أثخنوه جراحاً . واتفق أن كانت أخته حاضرة — وهى زوج عبيد الله هذا — فصعدت إلى عِلِّيَّة هناك وصرخت : « واقتيلاه ! » ؛ فتبادر الناس لتعرُّف القصة ، ودخلوا على أبى مروان و به رمق ، فأرادوا قتل قاتليه بأجمعهم ، فأمرهم بترك صهره وابنه والقبض عليهما ؛ ولم يزل يعالَج من جراحه إلى أن برئ وصحَّ ، وقد غيَّرت من شكله وشانت وجهه ، فأمر بصهره فقُطعت يداه ورجلاه وسُملت عيناه وصُلب ، وأمر بقطع رجل ابنه وخلّى سبيله .

= ٨ رجب ٤٩٧ / ٩ أبريل ١١٠٤ : دخول القائد المرابطى أبى محمد عبد الله بن فاطمة شنتمرية الشرق ونهاية حكم بنى رزين بعزل يحيى بن عبد الملك .

انظر : « ذيل مشتمل على نص بعض أوراق من تاريخ مبتور الأول والآخر ، ومجهول الاسم والمؤلف فى أخبار دول ملوك الطوائف بالأندلس » ، ذيل على الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى ، ص ٣١٠ .

الحلل الموشية ، ص ٦٣ — ٦٥ .

E. LÉVI - PROVENÇAL. *La Toma de Valencia por el Cid, en Al-Andalus*, XIII, 1948, pp. 155 - 156.

R. MENÉNDEZ PIDAL. *La Espana del Cid*, II, 576 - 582.

J. BOSCH VILA. *op. cit*, 170 - 173.

(١) مُرْبِيطَر .. هكذا ضبطها ليڤى پروڤنسال ، والأصح مُرْبِيطْرُ وتكتب أيضاً مُرْبَاطَر ، بالإسبانية Murviedro من اللاتينى Muri veteris ومعناه الأسوار القديمة ، وظلت تسمى بهذا الاسم حتى سنة ١٨٧٧ ثم استبدل بالاسم الأيبيرى ثم الرومانى الذى كان يطلق على الموضع وهو Saguntum (حاليا Sagunto) وهو بلد على ٢١ كيلومتراً شمالى بلنسية ، فى الطريق إلى قسطليون Castellón de la Plana ، وقد اشتهرت فى القديم بمسرحها الرومانى الذى لا زال باقيا إلى اليوم ، وقد ذكرها ياقوت فى معجم البلدان : ٤/٤٨٦ . والبلد مشهور اليوم بمصانع الحديد التى فيه ، وهى الثانية فى الأهمية فى إسبانيا . انظر الروض المعطار ، رقم ١٧١ ص ١٨١ والترجمة الفرنسية ص ٢١٧ وهامش رقم ٥ . وذهب رامون منندذ پيدال إلى أن أصل الاسم اللاتينى Murus Vetulus .

وقد استبد بأمر مربيطر أبوعيسى بن لَبُّون الذى سيتحدث عنه ابن الأبار بعد ذلك .

١٣٠ — محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسى ، أبو عبد الرحمن

قرأت فى تاريخ أبى بكر محمد بن عيسى بن مُزَيْن الكاتب — وأبوه عيسى هو مخلوع المعتضد عباد بن محمد من شِلْب ، وكان صهره — أن ابن طاهر — يعنى أبا بكر أحمد بن إسحاق والد أبى عبد الرحمن(١) — كان من أعلام تُدْمِير(٢) / وبياضها ، فاستبد بها إلا أنه لم يَعْدُ اسمَ الوزارة فيها والمظالم ، إلى أن مات . [٨٩ – ب]

وخلفه ابنُه [أبو] عبد الرحمن محمد ، فتمادت حالُه على رسم أبيه ووَسْمه فى المظالم ، إلى أن أخرجه عنها أبو بكر بن عمار فى قصص طويلة سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .

وقرأتُ بخَطِّ القاضى أبى القاسم بن حُبَيْش فى بعض معلقاته من تاريخ أبى مروان بن حَيّان : خاف زُهَيْر — يعنى الصقلبى صاحب المرية ومرسية — انتقاضَ أبى عامر بن خطاب رئيس مرسية عليه إن تركه خَلْفَه ، لصَغْوه إلى

(١) قال ابن بسام فى الذخيرة (قسم ٣ مخطوطة جايانجوس ، ورقة ٥ ا) : «كان أبو عبد الرحمن بن طاهر أحد من جمع الحديث إلى القديم ، وانتهى من رياسة الأقلام إلى سياسة الأقاليم . واتفق لبنى طاهر بالفتنة المطغية رياسة كورة مرسية فى خبر قد أضربت عنه لطوله ، ولأنى قد أوردته فى كتابى المترجم بسِلْكة الجواهر من ترسيل أبى طاهر » ، مما يلقى ضوءاً على أولية أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر .

(٢) تدمير هى مرسية وإقليمها ، سماها العرب باسم حاكمها القوطى Theodomiro أى تدمير الذى يقول الضبى والعذرى أنه ابن غبدوش ويجعله ساقدرا Ergobados ، وكان من أنصار غيطشة وانضم إلى المسلمين أول الفتح ، وقد دخلت المنطقة أيام عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٧١٤/٩٥ فى حكم المسلمين بناء على صلح نصه معروف لنا . وقد حوّلت الناحية إلى كورة وأُلغى نظامها الخاص فى أيام عبد الرحمن الداخل ، وجعلت بلدة مرسية عاصمة الكورة . انظر كتابنا : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١١٢ وما بعدها .

مجاهد — يعنى العامرى — مناوئه ، فأسكنه معه المرية دون أن يغيِّر له حالا ولا نعمة ، وترك بمرسية ابنَ طاهر ندَّ ابن خطاب ومناوئه ، بعد أن انطلق ابنُ طاهر من يد مجاهد بفدية غليظة ، وعاد إلى حاله ونعمته ، وأعانه زهير على لَمِّ شعثه ووفى بعهده ، فاطمأنتْ قدمُه بمرسية فيما بعد ، وارتفعت حاله ، وبَعُد عنها عدوُّه ابنُ خطاب آخر الأيام ، فلم يُقضَ له رجوع إليها إلى أن مضى لسبيله .

قال : وفى صدر شهر رمضان — يعنى من سنة خمس وخمسين وأربعمائة — بلغت قرطبةَ وفاةُ الشيخ أبى بكر أحمد بن طاهر ، المتأمِّر قديماً ببلده مرسية ، بعد طول عِلته الفالجية . وكان من آخر مَن أُنْظِر إلى هـذه المدة من بقايا رؤساء الـكُوَر ، فكان يُعتدُّ — بعد انقراض دولة الصقالبة العامريين — فى جملة المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبى عامر وولده عبد الملك ، على استبدادِه عليهما ، وامتناعِه من تنفيذ مالا يوافقه من أمرهما ، وإرسالِه إليهما خلال ذلك مفارقتَه[1] عما فى يده من بلده ، وقيامِه بالإنفاق على من ينزله من جنده ، وتفرُّدِه بقَوْد جند البلد ، وجباية ماله ، يرسل من فضله[2] إلى كل منهما فى وقته ما فارقه عليه ، فلا يمكنهما خلافه ، لقوة مَنْـكِبه ، ووفورِ ماله ، واجتماعِ أهل بلده على طاعته ، واعترافهم بحقه ، قد أصلح الله به على جماعتهم ، وعمرت بلادهم بجميل سيرته . ثم اتسعت مكاسبه حتى صار نصف بلده ضيعةً له ، وأحسن ارتباط الجنـد بإنصافهم والإحسان إليهم ، فأحبوه وناصحوه ، فاستقام أمره وضخمت نعمته .

وعضده ابنُ صِدْقٍ له نجيبٌ لبيبٌ يُسمى محمدًا ، ويُكنى أبا عبد الرحمن ،

---

(١) عبارة « فارق فلان فلاناً على كذا » كانت تستعمل فى ذلك العصر بمعنى أنهما اتفقا على شيء قبل أن يفترقا ، وفى الغالب يكون معناها أن أحدهما يؤدى إلى الآخر مالا معلوماً نظير ترك بلده له . والمفارقة هنا هى المـال المتفق عليه .

(٢) أى يرسل من فضل — أو بقية — ذلك المـال .

[٩٠ - ا] سلك سبيله / واتبع سيرته ، وزاد عليه بفضل علم وأدب ، فحجبه أيام تعطله وسدّ مسدّه . فلما مضى لسبيله قعد مكانه وجَبَر ثلمه ، واستقام الناس له كأنهم ما فقدوا أباه . وهلك هذا الشيخ عن نحو تسعين سنة .

قال : وآلُ طاهر ذوو بيتٍ عامر ، وعدد وافر ، يفخرون بالعُروبية ، وينتمون فى قيس عَيْلان . انتهى كلام ابن حَيّان ، وهذا خلاف معتقده فى بنى خطاب ، وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله .

وكان أبو عبد الرحمن من أهل العلم والأدب البارع ، يتقدم رؤساء عصره فى البيان والبلاغة ، ويماثل الصاحبَ إسماعيلَ بن عباد وأمثاله فى الكَتْب عن نفسه ، ورسائلُه مدونة ، ولأبى الحسن بن بسام فيها تأليف سماه بـ « سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر » . وروى الحديث عن أبى الوليد بن مِيقُل(١) ، وقد أخذ عنه واستجازه أبو على بن سُكَّرة(٢) لابنه ، وذكره أبو القاسم بن بشكوال فى تاريخه ، وحدثنى المُقْرِئُ المعمر أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن

---

(١) ذكر ذلك أيضاً ابن بشكوال فى الصلة فى ترجمته لأبى عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن طاهر ، رقم ١١٤٠ ص ٥١٣ . وقد ذكر أنه توفى ببلنسية وسير به إلى مرسية ميتاً ، ودفن بها سنة ٥٠٨ . والمراجع الأخرى تقول إنه توفى سنة ٥٠٧ ، ومن الممكن أن يكون نقل رفاته إلى مرسية هو الذى كان سنة ٥٠٨ .

(٢) أبو على بن سكرة هو القاضى أبو على الصَّدَفى السَّرَقُسْطى ويعرف بابن الدَّرّاج ، وهو أستاذ ابن الأبار الذى ألف فى أصحابه معجمه المعروف (نشره فرانثيسكو كوديرا فى مدريد سنة ١٨٨٦) . وقد توفى أبو على مستشهداً فى وقعة كُتُنْدَة (وتكتب أيضاً قُتُنْدَة) ، وهى كما يقول ابن الأبار فى حَيِّز دَرُوقه Daroca من عمل سرقسطة ، وقد اختُلف فى تاريخها فيقال إنها كانت بعد عصر الأربعاء ١٧ ربيع الآخر ٥١٤ ، وبعضهم يقول يوم الخميس ٢٤ ربيع الآخر ٥١٤ ، وذكرت تواريخ أخرى قريبة من هذه ، وكان يقود المعركة إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ، وقد انهزم فيها المسلمون .

راجع مناقشة تاريخ المعركة فى ترجمة أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن أبى ليلى الأنصارى ، رقم ٣ ص ٧ من المعجم .

سعادة الشاطبى[١] ، عن الخطيب أبى الوليد محمد بن عبد الرحمن بن عَرِيب[٢] ، عن أبى عبد الرحمن بن طاهر بجميع روايته عن ابن مِيقُل . وكانت فيه دعابة غالبة عليه لا يدعها بحال ، وأجود رسائله ما اشتمل على الهزل لميل طبعه إليه .

وكان على ذلك جواداً ممدحاً ، ينتجعه الشعراء ويقصده الأدباء ، وقد انتجعه أبو بكر بن عمار أيام خموله ، ثم قضى أن خلعه عن سلطانه[٣] ، فله معه نوادر مذكورة ، منها قوله — بعد خلاصه من اعتقاله وانخلاع ابن عمار عن مرسية واجتماعهما عند الوزير الأجل أبى بكر بن عبد العزيز أيام رياسته ببلنسية[٤] : « أبا العيناء لا أنت ولا أنا » ، وكان ابن عمار أخفش . ومنها وقد أرسل إليه وقت القبض عليه يخيره فى خِلعة يلبسها[٥] ، فقال لرسوله : « لا أختار

(١) من كبار شيوخ القراءات ، أصله من شاطبة ، وقدم على بلنسية فى أول شوال سنة ٦١٠ وقرأ عليه ابن الأبار ، عمر فوق المائة ، إذ ولد سنة ٥١٤ أو٥١٦ وتوفى يوم الثلاثاء ٩ شوال ٦١٤ .

راجع تكملة ابن الأبار ، رقم ٩٣٨ ج ٣١٣/١ — ٣١٤ .

(٢) فى الأصل : وعريب ، وجعلها دوزى (ص ١٨٨) : ابن عريب وهو تصحيح فى محله لأن المراد محمد بن عريب بن عبد الرحمن بن عريب العبسى ، أبو الوليد ، من أهل سرقسطة وسكن مرسية ، وقد ذكر ابن الأبار فى ترجمته له (رقم ١٦٠ ص ١٨٠ — ١٨١ من « المعجم » أن « الرئيس » أبا عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر أجاز له . ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) سيفصِّل ابن الأبار هذه الحوادث فيما يلى من الكلام عن ابن طاهر ، وهناك تفصيل يكمل هذا عند ابن بسام ، الذخيرة (قسم ٣ ، جاياتجوس) ورقة ٥ ا وب وما يليها .

(٤) كان أبو بكر بن عمار الشاعر هو الذى خلع ابن طاهر عن بلنسية وسجنه كما سيقول ابن الأبار ، وكان المعتمد بن عباد قد أرسل ابن عمار فى جيش ليستولى على مرسية ، فلما تم ذلك لابن عمار استبد بمرسية وأراد أن يستقل بها ، فسلط عليه المعتمدُ ابنَ رشيق ، فتمكن هذا من خلع ابن عمار ، وخلص ابن طاهر من سجنه ، وخرج الاثنان إلى بلنسية حيث اجتمعا عند صاحبها أبى بكر بن عبد العزيز ، ولابن بسام عبارة لطيفة فيما أصاب ابن عمار على يد ابن رشيق ، أن الأول كان لسان حاله يقول : « أنفقت مالى وحج الجمل ! »

(٥) أى أن ابن عمار أرسل إلى ابن طاهر — بعد أن قبض عليه وسجنه — يسأله عما يختار من الثياب .

من خِلَعه — أعزه الله — إلا فروة طويلة ، وغِفَارة ضئيلة » فعرفها ابن عمار واعترف بها وقال : « نعم ، إنما عرّض بزِيِّي يوم قصدته ، وبهيئتي حين أنشدته » . وقد جرى له مع أبى بكر بن عبد العزيز فى معنى الدعابة والمطايبة ما احتمله له بفضل رجاحته . وأبو بكر حركه فذكر الفول ، وكان أبو عبد الرحمن مولعاً به ومكثراً لأكله ، فعرض له هو — بل صرّح — بما كان فى لسانه من عقلة ، وهو إذ ذاك/ضيفه[1] . وخبر خلعه : وذكر ابن بسام وغيره ، وقرأت فى [٩٠ – ب] تاريخ الكاتب أبى بكر محمد بن يوسف بن قاسم الشلبى تلميذ الكاتب أبى بكر ابن القصيرة وأحد كتاب المعتمد محمد بن عباد ، قال : كان ابن عمار قد نزل ضيفاً على ابن طاهر فى صعوده إلى ابن رَيْمُنْد صاحب برشلونة[2] ، فاستبان ضعفه ، فداخل[3] أعيان مرسية مُخَبِّلا ومخذِّلا . ثم وصل ذلك عند اجتماعه بريمند ، بمعاقدته على أن يعينه فى محاصرته ، وبذل له عن ذلك عشرة آلاف مثقال ،

---

(١) هذا الخبر مضطرب ، ولم أجد أصله لأصوبه رغم كثرة ما كتب عن ابن طاهر هذا . ومن أسف أن ابن بسام قال عندما أشار إلى ولع ابن طاهر بالنوادر — بعد أن ذكر بعضها : « إلى نوادر كثيرة ، وأوابد عنه مأثورة ، إيرادها خارج عن غرض هذا التصنيف ، وليست من شرط هذا التأليف » (مخطوطة القسم الثالث ، ص ٥ ا) .

ولكن النادرة فى مجملها مفهومة ، يفهم منها أن أبا بكر عبد العزيز بن أبى عامر حرك أبا عبد الرحمن بن طاهر إلى التندر ، فذكر الفول ، فرد ابن طاهر بشىء يتصل بالفول — وهو عقلته — ملمحاً إلى عقلة كانت فى لسان أبى بكر بن عبد العزيز .

وبالإضافة إلى الباب الطويل الذى أداره ابن بسام على أبى عبد الرحمن بن طاهر ، والفصل الطويل الذى اختصه به ابن خاقان فى القلائد (ص ٥٦ وما بعدها) ذكر الدكتور شوقى ضيف فى تعليقاته الضافية على تحقيقه لمُغرب ابن سعيد (رقم ٥١٣ ج ٢ ص ٢٤٧ وما بعدها) بقية المراجع التى تستقى منها أخبار هذا الرجل الذى تعتبر حياته نموذجاً لاضطراب حيوات أهل ذلك العصر .

(٢) المراد Raimundo (Ramón) Berenguer II el Fratrecid كونت برشلونة من سنة ١٠٧٦ إلى سنة ١٠٩٦ ، وهو ابن رايموندو بيرنجير الأول الملقب بالعجوز المتوفى سنة ١٠٧٦ ، ولهذا يسمى الأول منهما ابن ريمند .

(٣) الأصل : فدخل .

على أن ينحدر بعسكره إلى مُرسية ، ويأتى هو فى عسكر ابن عباد ، ويرهن كلُّ واحد منهما مُعاقِدَه ما يثق به ، فرهن البرشلونى ابن عمه ، وأصعد ابن عباد ابنَه المسمى بالرشيد فى جيش إشبيلية وابن عمار معه . فاجتمعا بريمُند عليها على ميعادٍ عيَّناه ، وحاصرا مُرسية وشنّا الغارات عليها فلم ينالوا منها أكثر من ذلك .

وكان ابن عمار — عند فصوله من إشبيلية — قد قدَّر أن يُنظَر له فى المال المذكور ويُلْحَق به ، وذلك لأجَلٍ ضربه البرشلونى ، فانصرم الأجل ولم يصل المال . وتحرك المعتمد إلى قرطبة ، ثم إلى جيّان ، ومعه الرهينة ، على عادته من التؤدة والالتواء . وأبطأ على ريمند ما عوقِد عليه ، واعتقد أن ابن عمار مكر به ، فقبض عليه وعلى الرشيد وقيدهما .

وانقلب عسكر إشبيلية مفلولا ، والمعتمد قد فَصل من جيّان(١) وشارف

---

(١) جيان ، مدينة وكورة فى التقسيم الإدارى للأندلس الإسلامى . والبلد يقع على نهر الوادى الكبير إلى شرقى قرطبة ، وكانت الكورة من أعمر نواحى الأندلس وأغناها وأكثرها سكاناً . أما البلد فيقع على السفح الشمالى الشرقى لجبل كُوز Jabalcuz غربى وادى بُلُّون Guadalbullón وهو نهير صغير يصب فى الوادى الكبير . والبلد يقع على ارتفاع ٥٤٩ متراً ، ولهذا يصفه جغرافيو العرب بالحصانة والامتناع ، وخاصة قصبته . وجيان اليوم مديرية واسعة من مديريات منطقة الأندلس (وتتكون من ثمان مديريات : ولبة Huelva وقادس Cadix وإشبيلية Sevilla وقرطبة وجيان Jaén ومالقة Malaga وغرناطة والمرية Almería) . وقد ذهب دوزى إلى أن أصل اسم جَيَّان Ucien اللاتينى ، ولكن عامة المتخصصين لا يرون ذلك . وكانت جيان أيام العرب من الكور المجنَّدة ، نزلها جند قنسرين ، ومن أشهر من خرج منها جمال الدين بن مالك الجيانى صاحب الألفية . وفى العصر الذى تدور فيه الحوادث التى يتحدث عنها ابن الأبار كانت جيان متنازعة بين أمراء الطوائف ، وقد صارت — قبيل دخول المرابطين — إلى بنى عباد ، ومنها أراد المعتمد أن ينفذ إلى شرق الأندلس ويضم مرسية ، فاستعان بأبى بكر بن عمار فى ذلك وطلب معاونة الكونت رايموندو بيرنجير كما رأينا ، فلم يوفق . وقد سقطت جيان فى يد النصارى نهائياً سنة ١٢٤٨ على يد فرناندو الثالث فى الوقت الذى استولى فيه على قرطبة .

عملَ شَقُورَة(١) . فلما وصل إلى وادى آنة(٢) لم يمكنه خوضه لمدّه بالسيول ، فأقام على شاطئه الغربى ، و إذا سُرعان فَلّ العسكر قد أطلوا على الشاطئ الشرقى ، فاقتحمه منهم فارسان أجازا إليه وأخبراه بالنبأ الكريه ، فسُقط فى يده ونكص على عقبيه ، وقد استوثق من الرهينة ، ورجع إلى جيّان . وقد كان ابن عمار أوصى إليه مع هذين الفارسين أن يقيم لعله يلحق به ، فورد عليه بعد تمام عشرة أيام ، ونزل على وادى بُلُّون ، وكتب كتاباً وطواه ، وبعث به أحد فرسان عبيده إلى جيّان ، وفيه شعر يأتى ذكره بعدُ وأوله :

* أصدِّق ظنى أم أصيخ إلى صحبى *

فجاوبه المعتمد عنه بما أنَّسه . فوصل إليه وبكى بين يديه ، ثم اعترف بالخطأ فى السالف ، وتوافق معه على إطلاق رهينة البرشلونى مع المال ، لينطلق الرشيد بوصولهما من الاعتقال ، فكان ذلك . وانصرف البرشلونى / إلى بلاده ، وعاد الرشيد إلى إشبيلية . [٩١ - ١]

وحكى غيره أن ابن عباد سعى فى خلاص الرشيد ، حتى فداه بثلاثين ألفاً ضربها زُيُوفاً ، ولحق الرشيد بأبيه المعتمد .

---

(١) مدينة كانت إذ ذاك من عمل جيان وتسمى اليوم Segura de la Sierra وينسب إليها نهر شَقُورة Segura وهونهر مرسية ، يمر بها وبأوريولة Orihuela ثم يصب فى البحر الأبيض المتوسط . وجبل شقورة الذى يتحدث عنه الإدريسى (ص ٦٨) وابن عبد المنعم الحميرى (رقم ٩٥ ص ١٠٥) يسمى الآن Sierra de Segura ، وهى اليوم بلدة تابعة لمركز أُرثيرة Orcera فى مديرية جيان . وصارت فى آخر العهد المرابطى مركز الثائر ابن هَمُشْك . انظر التعليق رقم ٤ على الترجمة الفرنسية للروض المعطار ، ص ١٢٨ .

(٢) أستبعد أن يكون المراد نهر Guadiana المعروف ، ويغلب على ظنى أن المراد نهير صغير من نهيرات نهر مرسية يمر ببلدة أنَّه ، وهى اليوم Anaya على مقربة من مرسية . وكانت من المدن السبع التى عاهد عليها تدمير العرب . انظر كتابنا : فجر الأندلس ، ص ١١٥ .

قال ابنُ قاسم المذكور فى تاريخه : وعاد لابن عمار فى مُرسِيَة رأيُه الدَّبَرِىّ . ولجّ به مَيَلانُه ، فذكر للمعتمد — أو زوَّر — أن أهل مُرسية قد داخلوه وخاطبوه ، وأظهر لهم كتباً ذكر أنهم كتبوها إليه — زاد غيره : وذلك فى سنة أربع وسبعين . قال : وأشار إليه بتجهيز عسكر ثان يتقلده ، فلم يخالفه — يعنى المعتمد — وفَصل عن إشبيلية بعسكرها ، ووصل إلى قرطبة — وعليها الفتح ابن المعتمد ، وهو يومئذ حاجبُ أبيه — فضم خيلَ قرطبة إلى عسكر إشبيلية ، وسهر فى اجتيازه هذا ليلةً عند « الفتح » ، إلى أن شارف الصبح ، فقال أحد الخصيان : « قد انصدع الفجر » ، فأنشأ ابن عمار يقول :

إليك عنى ، فليـــلى كله صبحُ وكيف لا وسميرى الحاجبُ الفتحُ ؟

قال : ثم تقدم ابنُ عمار إلى مُرسية ، واجتاز فى طريقه على « حصن بَلج »[1] وعاملهُ يومئذ عبد الله بن رشيق ، هكذا سماه ابن قاسم الشلبى هذا — وغيره يقول فيه : عبد الرحمن ، وهو الصحيح . قال : فلما سمع به ابن رشيق خرج إليه على أميال من الحصن ، ورغب إليه فى النزول عنده ، فأجابه ابن عمار إلى ذلك . واحتفل ابن رشيق فى إنزاله احتفالا استطرفه ابن عمار ، وآل به إلى أن قدمه على جيشه ، ولم يعلم أنه يحمل منه الداهية الدهياء والداء العياء ، فوصل إلى مُرسيَة وضايقها مدة ، غَدَرَ له فى أثنائها حصنُ مُولَة[2] ، فاستعمل عليه ابنَ

(١) حصن كبير كان على مقربة من جيان ، وموضعه الآن قرية Vilches التابعة لمركز كارولينا Carolina فى مديرية جيان :

Cf : MADOZ, *Diccionario Geográfico - Estadístico - Histórico*. Madrid 1850, tomo XVI p. 88 b.

(٢) مولة Mula : كانت إحدى المدن السبع التى تكونت منها ولاية تدمير التى تعاهد تدمير مع العرب على تركه مستقلا فيها (انظر كتابنا : فجر الأندلس ص ١١٥) ، وظلت بعد ذلك من المعاقل الكبيرة فى كورة تدمير ، وهى اليوم تابعة لمديرية مرسية وقاعدة قسم قضائى فيها ، =

رشيق وترك معه جملة من الخيل ، وصدر إلى إشبيلية وقد برّح بمرسية تكرُّر الحصار وانقطاعُ المواد بانخزال مُولَة عنها .

وما زال ابن رشيق يغاديها ويراوحها بالغارات ، ويداخل أهلَها فى القيام على ابن طاهر ويمنيهم الحظوة ، حتى لان قيادُهم وصرحوا له بالانحياز[1] ، ووصلت كتبهم على يديه إلى ابن عمار وهو بإشبيلية . قال ابن قاسم : ولقد شهدتُ ابنَ عمار فى القصر بإشبيلية يقرأ هذه الكتب — وكانت أزيد من عشرين — فلما استوفاها قال لنا : «كأنكم بفتح مرسية من غد إلى بعد غد» ، فكان كذلك .

ولما تم لأهل مرسية تدبيرهم مع ابن رشيق ، تحرك من مُولَة نحوهم على وقت معين ، فلما وصل إلى ظاهرها صرخوا بدعوة ابن عبّاد ، وفتحوا أبوابها لذلك الميعاد ، فدخل ابن رشيق فى أنصاره بشعاره ، وأخرج / ابنَ طاهر من داره إلى السجن ، وكتب من قصر مرسية وقد تملكها ، وأخذ لابن عباد بيعة أهلها . [٩١ - ب]

وحكى غيره أن ابن طاهر لما قُبض عليه اعتقل بحصن مُنْتْ أَقُوط[2] ، إلى أن ورد كتاب المعتمد بتسريحه ، فلحق بأبى بكر بن عبد العزيز ببلنسيَّة ، لسعيه فى ذلك وشفاعته فيه . وقد قيل إن ابن طاهر هرب من معتقله ، بإعانة ابن عبد العزيز وتنبيهه على الوجوه الميسَّرة لخلاصه .

= وهى تقع فى حف جبل صغير يسمى باسمها عليه بقايا حصن عربى يسمى قصر مولة Alcázar de Mula ، وقد سقطت مولة فى يد فرناندو الثالث المعروف بسان فرناندو سنة ١٢٢٦ .

Cf : MADOZ, *op. cit.* tomo XI, 1848, p. 679 - 681.

(١) الأصل : بالإنجاز.

(٢) منت أقوط : حصن من حصون مرسية القريبة منها ، ذكره ابن حازم القرطاجنى فى البيت التسعين بعد المائتين من مقصورته ، وهى بالإسبانية Monteagudo وهى اليوم قرية تابعة لبلدة مرسية قاعدة المديرية التى تحمل ذلك الاسم ، وكانت بقايا حصنها لا تزال قائمة إلى منتصف القرن الماضى .

Cf : MADOZ, *op. cit.* XI, 534 - 536.

E. GARCIA GOMEZ : *Observaciones sobre la Qaṣīda Maqṣūra de Abū-l-Ḥasan Ḥāzim al Qarṭayannī*, Al - Andalus, vol. I, fasc. 1, p. 103.

قال ابن بسام فى « كتاب الذخيرة » من تأليفه : ومُدَّ لأبى عن الرحمن بن طاهر هذا فى البقاء ، حتى تجاوز مَصارعَ جماعة الرؤساء ، وشهد محنةَ المسلمين ببلنسية على يدى الطاغية الذى كان يدعى الكنبيطور(1) ، وحصل لديه أسيراً سنة ثمان وثمانين ، يعنى وأربعمائة . كذا قال ابن بسام ، وإنما دخل الكنبيطور بلنسيةَ سنة سبع وثمانين .

وتوفى أبو عبد الرحمن ببلنسية وصُلى عليه بقبلة المسجد الجامع منها إثر صلاة العصر من يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأخيرة سنة ثمان وخمسمائة ، ثم سِير به إلى مرسية ودفن بها وقد نيف على الثمانين .

وعلى مكانه من البراعة والبلاغة فى الرسائل ، فلم أقف له على شعر سوى قوله فى مقتل القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون على يدى أبى أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافرى ، عند انتزائه ببلنسية وانتقاله من خطة القضاء إلى خطة الرئاسة ، وكان أخيف :

أيها الأخيف مهلاً فلقد جئتَ عويصا

---

(١) هو السيِّد الكنبيطور — أو الكمبيطور — El Cid Campeador الفارس المغامر القشتالى الذى قام بدور كبير فى تاريخ شرق الأندلس وتاريخ إسبانيا النصرانية خلال القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، واسمه Rodrigo Dfaz de Vivar ، وقد كتبنا عنه وعن علاقاته بالمسلمين بحثاً مطولا فى مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مجلد سنة ١٩٥١ . ويسمى أيضاً بالسيِّد El Cid وهو النداء الذى كان يخاطبه به أتباعه ، وهو اللغة الدارجة فى لفظ السيِّد العربى . وقد توفى السيِّد فى ١٠ يوليو ١٠٩٩ .

أنظر عنه :

DOZY, *Le Cid,* dans *Recherches*, 3e édition (1881), II, 1—283.

RAMON MENÉNDEZ PIDAL, *La España del Cid,* 2a edicion (Madrid, 1947).

LÉVI-PROVENÇAL, *Le Cid de l'histoire* dans *Revue Historique, CLXXX,* 1937.

إذ قتلتَ المَلْكَ يحيى وتقمّصتَ القميصـا
رب يوم فيه تُجزَى لم تجد عنه محيصا

فقضى الله أن تسلط عليه الطاغية الـكَنْبيطُور ، بعد أن أمَّنه فى نفسه وماله عند دخوله بلنسية صلحاً ، وتركه على القضاء نحواً من عام ، ثم اعتقله وأهلَ بيته وقرابته وجعل يطلبهم بمال القادر بن ذى النون . ولم يزل يستخرج ما عندهم بالضرب والإهانة وغليظ العذاب ، ثم أمر بإضرام نار عظيمة كانت تلفح الوجوه على مسافة بعيدة ، وجيء بالقاضى أبى أحمد يرسف فى قيوده ، وأهله و بنوه حوله ، فأمر بإحراقهم جميعاً . فضج المسلمون والروم ، وقد اجتمعوا ، ورغبوا فى ترك الأطفال والعيال ، فأسعفهم بعد جهد شديد . واحتُفر للقاضى حفرة — وذلك
[٩٢ – ا] بوَلْجَة[(١)] / بلنسية — وأدخل فيها إلى حُجْزته ، وسُوِّىَ الترابُ حوله ، وضُمت النار نحوه . فلما دنت منه ولفحت وجهه ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقبض على أقباسها وضمها إلى جسده يستعجل المنية ، فاحترق رحمه الله ، وذلك فى جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة[(٢)] ؛ ويومَ الخميس منسلخ جمادى الأولى من السنة قبلها كان دخول الـكنبيطور المذكور بلنسية .

---

(١) ولجة – بالإسبانية huelga – هى الرحبة الواسعة التى تستعمل للنزهة وأصلها عربى – مولجة هى الأرض التى ينعطف عليها النهر فتصبح محاطة بالماء من ثلاث جهات . وقد وجدت ولجات كثيرة قرب مدن أخرى ، ولكنى لم أعثر على ولجة بلنسية . وفى بلنسية اليوم موضع يسمى رحبة القاضى Rahbatolcadi أمام كنيسة سانتا كاتالينا Santa Catalina ، وأصلها مسجد من مساجد بلنسية الإسلامية ، وقد حول إلى كنيسة بهذا الاسم بعد سقوط البلد نهائيا فى أيدى النصارى . ولعل هذا هو الموضع الذى أحرق فيه ابن جحاف . ولم يحقق متندث بيدال ذلك الموضوع ، لأنه – أحسب – رغم دفاعه عن هذا العمل البشع الذى أتاه القمبيطور ، يشعر فى نفسه بشناعته . وقد اختفى موضع رحبة القاضى من بلنسية اليوم .

(٢) قص ابنُ بسام فى القطعة القيمة التى أوردها فى القسم الثالث من الذخيرة (ص ١٨ ب من المخطوط وما بعدها) تحت عنوان : « ذكر الخبر عن تغلب العدو عليها وعودة المسلمين =

ثم ملكها الرومُ ثانية ، بعد أن حاصرها الطاغية جاقم البرشلونى من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست وثلاثين ، وفى هذا اليوم خرج أبو جميل زيان ابن مدافع بن يوسف بن سعد الُجذامى من المدينة — وهو يومئذ أميرها — فى أهل بيته ووجوه الطلبة والجند ، وأقبل الطاغية وقد تزيّى بأحسن زى فى عظماء قومه ، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة ، فتلاقيا بالوَلجة ، واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلماً لعشرين يوماً ، ينتقل أهله أثناءها بأموالهم وأسبابهم . وحضرتُ ذلك كله ، وتوليتُ العقد عن أبى جميل فى ذلك . وابتُدئ بضَعَفة الناس ، وسُيِّروا فى البحر إلى نواحى دانية ، واتصل انتقال سائرهم برًّا وبحراً . وصبيحةَ يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور كان خروج أبى جميل بأهله من القصر فى طائفة يسيرة أقامت معه ، وعند ذلك استولى عليها الروم ، أحانَهُم الله[1] .

=إليها» (يريد بلنسية) أورد فيه تاريخ هذا المسكين جعفر بن جحاف وما أصابه وأصاب بلنسية على يد السيِّد . وقد نشر هذه القطعة دوزى *Recherches*, **II, p. VI—XVII** وترجمها إلى الفرنسية فى الفصل الكبير الذى أداره على السيِّد فى « أبحاثه » وقد أشرنا إليه . وأورد كذلك فى صفحة **XXXIV** ترجمتى الضبى والسيوطى لأبى جعفر أحمد بن عبد الولى البتِّى البلنسى ، من علماء بلنسية ، وقد أحرقه السيد أيضاً . وانظر دفاع رامون مننذ پيدال عن ذلك العمل فى ص ٥١٨ — ٥١٩ فى الجزء الثانى من كتابه الذى ذكرناه « إسبانيا فى عصر السيِّد » .

(١) مراجعنا العربية قليلة عن سقوط بلنسية الأخير وخروجها من دار الإسلام ، وربما كانت هذه الإشارة من ابن الأبار أوفى ما لدينا ! فى حين أن المراجع الإسبانية كثيرة جداً ، ذكر بعضها أنطونيو بايِّستيروس فى تعليقاته الوافية التى أضافها على الفقرة التى ذكر فيها سقوط هذا البلد العربى الكبير . وكان الذى استولى عليه خايمه الأول المعروف بالغازى **Jaime I el Conquistador** ، وكان المحرض الأكبر على ذلك **Hugo Folcalquer** رئيس طائفة الاسبتارية **Orden del Hospital** فى إسبانيا و **Blasco de Alagón** من كبار أشراف قطلونية . وكان استسلام البلد وناحيته نتيجة لحروب طويلة بين رؤساء البلد من المسلمين . وقد =

١٣١ — أحمد بن رشيق الكاتب، أبو العباس

كان أبوه من موالى بنى شُهيد ، ونشأ بمرسية ، وانتقل إلى قرطبة وطلب الأدب فبرز فيه ، وبَسَق فى صناعة الرسائل ، مع حسن الخط المتفق على نهايته . وشارك فى سائر العلوم ، ومال إلى الفقه والحديث ، وبلغ من رياسة الدنيا أرفع منزلة . وقدمه الأمير أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى على كل من فى دولته ، وولاه جزيرة ميورقة ، فكان ينظر فيها نظر العدل والسياسة ، ويشتغل بالفقه والحديث ، ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم ، ويصلح الأمور جهده . وهو آوى الفقيه أبا محمد بن حزم ، حين نُعِى عليه بقرطبة وغيرها خلافه مذهب مالك ،
[٩٢-ب] وبين يديه تناظر هو والقاضى أبو الوليد الباجى . قال / الحميدى فى تاريخه — وأكثر خبره عنه — : ما رأينا من أهل الرئاسة من يجرى مجراه ، مع هيبة مفرطة وتواضع ، وحلم عُرف به مع القدرة ، وله رسائل مجموعة متداولة . وذكر أنه مات بعيد الأربعين وأربعمائة عن سن عالية ؛ وهو القائل يراجع أبا الحسن ابن سِيدَه الضرير معتذراً عن صلة وجه بها إليه من ميورقة ، وكان قد كتب إليه من دانية يستمنحه[1] :

أدأب، دهرى ، ولو تطاول لى   فى حَطِّ ثُقْلٍ من الغرامة بى
أحــدثه لى تصاونٌ وهوًى   فى عفةٍ من دميمِ مكتسَبِ

— بدأ خايمه حملته فى يوليو ١٢٢٣ بالاستيلاء على بُرْيانة Burriana ثم استمر التقدم سنة بعد سنة حتى دُخلت بلنسية وسلمت كما وصف ابن الأبار فى سبتمبر ١٢٣٨ .

Cf : ANTONIO BALLESTEROS Y BERRETA, *Historia de España* (2a edicion, Barcelona, 1948), III, 212-215.

والتعليقات والمراجع ص ٣٦٤ — ٣٧٠ .

(١) معظم المادة — فيما عدا الأبيات وخبر أبى محمد بن حزم — وارد فى جذوة المقتبس للحميدى ، رقم ٢٠٧ ص ١١٤ — ١١٦ .

فمن رآنى وظاهرى لِغِــنًى فباطــنى قلةٌ على رُتَب
أستغفر الله ، بل له نعمٌ وهى بذنبى إليــه لم تَجِب

١٣٢ — محمد بن مروان بن عبد العزيز الكاتب ، أبو عبد الله

أصله من قرطبة ، وسكن بلنسية ، ويعرف بابن رَوْبَش ، وسيأتى ذكر نسبه عند ذكر ابنه الوزير الأجل أبى بكر أحمد بن محمد . وكان أبو عبد الله هذا قد رأسَ فى آخر دولة المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر صاحب بلنسية ؛ فلما توفى المنصور وملك ابنُه المظفر عبد الملك بن عبد العزيز ، تمشَّت حاله معه على ما كانت عليه فى حياة أبيه . وكان عبد الملك ضعيفاً ، تخلعه صهره المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة ، فى سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وفى ليله عَرَفة لتسع خلون من ذى الحجة منها ، وملك بلنسية وما إليهـا من بلاد الشرق ، فاستخلف عليها أبا عبد الله بن عبد العزيز هذا ، وجعل إليه تدبير أمرها . ثم انتقل ذلك عند وفاته إلى أبى بكر ابنه ، فتناهت فيها حاله بعد موت المأمون بن ذى النون ، واستبد بالرئاسة ، وجرى على أحمدِ سَنَنٍ منْ السياسة ؛ ذكر هذا الخبر أبو بكر محمد بن عيسى بن مُزَيْن فيما وقفت عليه من تأليف له مختصر فى التاريخ .

وأما ابن حَيَّان فذكر هذا المخلوعَ عبدَ الملك وأساء الثناء عليه ، وحكى أنه كان ، فى مصير ملك أبيه إليه ، قد تخلى عن / أمر الإمارة أجمعه ، وفوضه إلى [٩٣ - ا]
وزيره أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، الماضى لعبد الملك(١) ، مكانه عند توليه

(١) المراد محمد بن عبد العزيز والد أبى بكر ، وهو الذى كان يمضى الأمور لعبد الملك ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبى عامر . وظاهر أنه لا قرابة بين الكاتب محمد بن عبد العزيز =

وأشبع الكلام فى صفة خلع عبد الملك ، ونسب محاولته إلى أبى بكر دون أبيه ، فدل ذلك على وفاته قبلها ، والله أعلم . ومن شعر أبى عبد الله بن عبد العزيز ما جاوب به الوزير أبا عامر بن عبدوس ، وقد كتب إليه :

يا أطيب الناس أغصاناً وأعراقاً — وأعذب الخلق آداباً وأخلاقاً
ويا حيَا الأرض ، لِمْ نكّبْتَ عن سَنَنى — وسُقْتَ نحوىَ إرعاداً وإبراقا ؟
ويا سنَا الشمس ، لِمْ أظلمتَ فى بصرى — وقد وسِعْتَ بلادَ الله إشراقا ؟
من أى بابٍ سعت عينُ الزمان إلى — رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا ؟
قد كنتُ أحسَبُنى فى حُسن رأيك لى — أنى أخذتُ على الأيام ميثاقا
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك ما — آسَى عليه ، وأبدِى منه إشفاقا
قد كنتُ أوليكَ إحساناً وإشفاقا — وأثنى عنك مهما غبتَ مشتاقا
وما أَلَوْتُك نُصحاً لو جزيتَ به ، — ولم يكن من ذميم الغدر ، ما عاقا
وكان من أملى أن أقتنيك أخاً — فأخفق الأملُ المأمول إخفاقا
وقلتُ : غرسٌ من الإخوان أكلَؤُه — حتى أرى منـــه إثماراً وإيراقا
فكان — لما انتهى إزهارُه ، ودنا — إثمارُه — حنظلاً مرًّا لمن ذاقا

— وسيط المنصور بن أبى عامر ، إنما هو تشابه أسماء . وظاهر أن محمد بن عبد العزيز أو ابنه أبا بكر أحمد قد تمالأا مع المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذى النون على خلع سبط ابن أبى عامر ، وتولاها الأب (محمد) باسم المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذى النون . وذلك هو الذى جر على بلنسية البلاء ، لأنه جعلها تبعاً لطليطلة ، فلما تنازل عن طليطلة القادرُ حفيد المأمون تعهد له ألفونسو السادس بتمهيد الأمر له فى بلنسية ، فسار إليها فى حماية السيِّد القمبيطور الذى ندبه ألفونسو لذلك . فلما ثار أهل بلنسية على القادر بقيادة القاضى جعفر بن جحاف وقتلوه زعم السِّيد أنه صاحب الحق فى المطالبة بدمه وبدأ يحاصرها وبدأت مأساته فيها . وقد خلط رامون منندث پيدال بين بنى عبد العزيز هؤلاء فى كلامه عن أحوال بلنسية قبل تدخل السيد فى شئونها ، فليتنبه إلى ذلك عند مراجعته . وقد فصل الأمر ابن حيان (برواية ابن بسام فى الذخيرة ، قسم ٣ ص٤٨ ب وما بعدها) فى غضون ترجمته لأبى عامر التاكُرُنِّى .

فالآن أخلَقَ ما بينى وبينك مِن ثوب الوداد ـ لسوء الفعل ـ إخلاقا
ولستَ أولَ إخوانـٍ سقيتهمُ صفوى وأعلقتهمْ بالنفس إعلاقا
فما جزَوْنى بإحسانٍ ولا عرفوا قدرى ولا حفظوا عهداً وميثاقا

١٣٣ ـ محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهرى (١)
ذو الوزارتين ، أبو بكر

أصله من قرية بشِلْب (٢) تعرف بشَنَبُوس ، ونشأ خاملا ينتجع بشعره ويطوف على ملوك الطوائف / عصرَه ؛ وقد تقدم ذكر اعترافه بقصد ابن طاهر [٩٢ - ب] فى الهيئة التى عرّض له بها فى نادرته .

وتعلق فى أول أمره بالمعتمد محمد بن عباد ، حين وجهه أبوه المعتضد محارباً لشِلْب ، فنزع إليه ، وبلغ من المنزلة لديه أن غلب عليه . ثم صحبه بإشبيلية ، وكان يُحضِره مجالسَ أنسه ويستدعيه إليها ، ويؤثره على خاصته ويستريح إليه بسره ؛ ومن ذلك قوله وكتب به إليه :

قد زارنا النرجسُ الذكىُّ وحان من يومنا العَشِىُّ
ونحن فى مجلسٍ أنيق وقد عطشنا ، وثَمَّ رِىُّ
ولى خليلٌ غـــدا سمِيِّ ياليتـــهُ ساعدَ السَّمِىُّ

(١) الأصل : المهدى ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) شلب Silves مدينة صغيرة حالياً فى جنوب البرتغال تابعة لمديرية « الغرب Algarve » . وانظر موجزاً لتاريخها فى العصور الإسلامية فى دائرة المعارف الإسلامية : ٤٤٣/٤ ، وانظر أيضاً المادة الطيبة عنها فى الروض المعطار ، رقم ٩٦ ص ١٠٦ وص ١٢٩ من الترجمة الفرنسية مع التعليقات .

فأجابه واصلا وقائلا :

لبيك لبيك من منادٍ له الندَى الرحبُ والندِىُّ
ها أنا بالبـاب عَبْدُ قِنٍّ قِبْلتُـــه وجهُك السنىُّ
شرّفه والداه باسمٍ شرّفْتَه أنتَ والنبىُّ

وسرّى[1] إلى ابن عمارٍ أنّ المعتمد كتب من قرطبة إلى بعض كرائمه شعراً يعتذر فيه من اللحاق بها ، آخره « إن شاء ربى أو شاء ابن عمار » ، فقال :

مولاى ، عندى لما تهوَى مساعدةٌ كما تتابعَ خطف البارق السارى
إن شئتَ فى البحر فاركب ظهر سابحةٍ أو شئت فى البر فاركب ظهر طيارِ
حتى تَحُلَّ وحِفظُ الله يكلَؤُنا ساحاتِ قصرك واتركنى إلى دارى
وقبلَ خلْعِ نِجادِ السيف فاسعَ إلى ذاتِ الوشاح وخذ للحب بالثار
ضماً ولثماً يُغنِّى الحلْىُ بينكما كما تَجاوَبُ أطيـار بأسحار

كما حكى أبو الطاهر التميمى السرقسطى فى ديوان شعر ابن عمار من جمعـــه عند إيراد هذه القطعة .

وقال ابن بسام فى « كتاب الذخيرة » : ذُكر أن المعتمد أقام برهة بقرطبة
[٩٤ - ا] يرفع بعض الأمور السلطانية / فسئم طَلَقَه ، وتذكر — على عادته — خلقه ، ودعته دواعى نفسه ، إلى قينته وكأسه ، فاستشار يومئذ ابنَ عمار — وكان خاطَبَه فى ذلك بشعر ، وظن عنده أهبة ، إذ كانت عليه منه بعض الرِّقبة — فوجده

---

(١) كذا فى الأصل ، وصوبها دوزى (بنوعباد ٢/٨٨) : ووشى ، ولا وجه له هنا . ولا بأس بسَرى فى هذا الموضع .

أهتكَ ستراً ، وأقلّ عن اللذات صبراً ، وأشار عليه بتعطيل الثغر ، وإضاعة الأمر ، وجاوبه على ذلك بهذا الشعر — وذكر الأبيات .

ووجّه المعتمدُ أبا بكر بن عمار إلى شِلْب متفقداً لأعمالها ، فلما ودعه أنشده وقد اهتاج شوقه إليها ، وتذكر معاهد صباه وعهوده فيها ، إذ كان والياً من قبل أبيه المعتضد عليها :

ألا حَىِّ أوطانى بشِلْبٍ ، أبا بكر وسلهن : هل عهدُ الوصال كما أدرى ؟
وسلِّم على قصر الشَّراجِبِ عن فتًى له أبداً شوقٌ إلى ذلك القصرِ
منازل آسادٍ وبيضٍ نواعمٍ فناهيك من غيلٍ وناهيك من خِدْر
وكم ليــلةٍ قدْ بِتُّ أنعَمُ جِنْحَها بمُخْصِبةِ الأرداف مُجدِبةِ الخصر
وبيضٍ وسمرٍ فاعلاتٍ بمهجتى فعالَ الصِّفاح البيض والأَسَل السُّمْر
ليالٍ بسَدِّ النهر لهواً قطعتُها بذات سوارٍ مثل منعطف البدر
نضتْ بُردَها عن غصن بان منعَّمٍ نضير كما انشق الكَمامُ عن الزهر

واتصل بالمعتمد فى بعض سفاراته عنه إلى جليقية أن الطاغية أذفونش ثقفه هنالك ، ثم وردَ الخبرُ بعدُ بضدّ ذلك ، فلما قدم ابنُ عمار كتب إليه المعتمد :

لما رأيتَ نأى الكرى عن ناظرى وصرفتُه لما انصرفتَ عليهِ
طلب البشيرُ بشارةً يحظى بها فوهبتُ[١] قلبى واعتذرت إليه

إلى غير ما أوردت من الدلائل على لطف المنزلة ، وتمكن الحظوة ، وتضاعف الأثرة ، وحب الرئاسة فى رأسه يدور ، إلى أن نفذ بمصرعه على يديه المقدور .

ومن بديع صنيع ابن عمار إتلاف أشعاره المقولة فى الامتِيَاح[٢] ، وقصائده

(١) الأصل : فوهبته .
(٢) جعلها دوزى (بنوعباد : ٢/٨٩) : الاصطناع ، ولا محل لهذا التبديل فإن الكلمة فى الأصل صحيحة ، وفى موضعها .

[٩٤ - ب] المصوغة فى الانتجاع ، ومحو آثارها ، فما يوقف منها اليوم على شىء سوى / أمداحه فى المعتضد عباد ، وما لا اعتبار به لنزوره .

وقد ألَّف أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمى شعرَه ورتبه على حروف المعجم ، ولا شك أنه بحث عنه فى مظانِّه ، واستفرغ جهده فى جمعه ، فلم يقع له على غير تقريظ المعتضد ، وأرى ذلك خدمةً منه لابنه المعتمد .

وكان ابن عمار شاعر الأندلس غير مدافَع ولا منازَع ، إلا أن مساوئ أفعاله ذهبت بمحاسن أقواله : أدمن الخمر ، وهوَّن على نفسه الغدر ، فأداه ذلك إلى رَداه ، وكان كالذى نفخ فوه وأوْكتْ(١) يداه . قال ابن بسام : ولما خبط أبو بكر بن عمار سَمُرَات(٢) ملوك الأندلس بعصاه ، وتردد ينتجعهم بمكائده ورقاه — وإنما كان يطلب سلطاناً ينثر فى يده(٣) سلكه ، وملكاً يخلع على نفسه(٤) ملكه — جعل أبا عبد الرحمن بن طاهر موقع همِّه ، ووجْه أمِّه .

ولما ألقى المعتمد لابن عمار ما بيده(٥) ، بعثه على حرب ابن طاهر ، بُغَاءً لنفسه ، وبناءً على أُسِّه ، فأقبلَه وجوهَ الجياد ، وأخذ عليه بالثغور والأسداد ، حتى فتَّ فى عضده ، وانتزع سلطانه من يده . ولما قال عزمه وفعل ، وقام وزنُ أمره واعتدل ، مد يده وبسطها ، وكفر نعمة ابن عباد وغمَطها ، وانتزى له من

(١) الأصل : وأركت . و« نفخ فوه وأوكت يداه » مثل معروف .

(٢) فى الأصل بدون شكل . وسمُرات جمع سمرة وهو نوع من شجرة العضاة جيد الخشب ، والمراد على هذا أنه تردد عليهم بمدائحه (اللسان : ٦/٤٥) .

(٣) جعلها دوزى : يديه .

(٤) جعلها دوزى (بنوعباد : ٢/٩٠) : عِطْفه .

(٥) نص ابن حيان كما جاء فى الذخيرة لابن بسام (قسم ٣ ، جايانجوس ، ورقة ٥ ا) وعنه ينقل ابن الأبار هنا : ولما ألقى المعتمد لابن عمار ما بيده ، وقلده — على ما شرحناه فى أخباره — تدبير دولته وبلده ..

حينه على مرسية ، وقعد بها مقعد الرؤساء ، وخاطب سلطانه مخاطبة الأكفاء ، مستظهراً على ذلك بجر الأذيال ، وإفساد قلوب الرجال ، معتقداً[(١)] أن الرئاسة كأس يشربها ، وملاءة مجون يسحبها . فقيض له يومئذ من عبد الرحمن بن رشيق ، عدوٌّ فى ثياب صديق ، مِن رجلٍ مِدره خَتّرٍ ، وجُذَيلٍ[(٢)] خديعةٍ ومكر ، فلم يزل يطلُع عليه من الثنايا والشِّعاب ، حتى أخرجه من مُرْسِيَةَ لا كالشهاب[(٣)] . قال : فصار ابنُ عمار مع ابن رشيق تحت المثل : « أنفقتُ مالى وحجٌّ الجمل ! » . وقد تقدم ذكر السبب فى اعتقال الرشيد بن المعتمد ، وحصوله مع ابن عمار بأيدى الروم[(٤)] ، وانهزام عسكره المحاصِر لمرسية . قال ابن بسام : وفى أثناء تلك الحال ، التى أفضت بالرشيد إلى الاعتقال ، كتب — يعنى ابن عمار — إلى المعتمد بهذه الأبيات :

أصدّق ظنى أم أصيخُ إلى صحبى وأقضى[(٥)] غريمى أم أعُوج مع الركبِ ؟
إذا انقدتُ فى رأيى مشيتُ مع الهوى وإن أتعقّبه نكصتُ على عَقْبى
/ وإنى لتثنينى إليكَ مودةٌ يغيِّرها ما قد تعرّض من ذنبى[(٦)] [٩٥-١]

(١) الأصل : ومعتقداً . ويبدو أن ناسخ الذخيرة أسقط عبارة قبل هذه الكلمة ، وبقيت واو العطف ، فحذفناها للسياق .

(٢) جعلها دوزى (بنو عباد : ٢/٩٠) : وجزيل بالزاى ، والصواب ما أثبتناه . وهو تضمين لقول أبى بكر الصديق فى خطبة السقيفة : وأنا جذيلها المُحَكَّك .

(٣) كذا فى الأصل ، وقد أسقط دوزى حرف « لا » ، وما ورد فى الأصل أصح .

(٤) الأصح أن يقال هنا : بأيدى الإفرنج ، لأن المراد هنا رامون بيرنجير الثانى صاحب برشلونة ، وكان مؤرخو الأندلس يسمون أهل برشلونة بالإفرنج ، وقد سبقت سياقة الخبر بتفصيل أوفى فى ترجمة أبى عبد الرحمن بن طاهر .

(٥) جعلها دوزى (بنوعباد : ٢/٩١) : وأُقْضِى ، ورسم الأصل أصح .

(٦) وردت القافية فى القصيدة كلها بدون ياء : ذنبِ ، قربِ ، قلبِ .. الخ ، فأضفت الضمير للمعنى .

فما أغرب الأيام فيما قضت به تريني بُعْدى عنك آنسَ من قُربى
أخافُك للحق الذى لك فى دمى وأرجوك للحب الذى لك فى قلبى

قال : وهذا البيت — على سهولة مبناه — من أحسن ما قيل فى معناه ، وبمثله فلتُخدع الألباب ، وتُستعطف الأعداء للأحباب . إلا أن المصراع الأول كأنه شيء تكهّنه من شانه ، وطِيَرَة ألقاها الله على لسانه . وصَدق : كان له فى عنقه رِبْقٌ ، وفى دمه حق ، حتى احتال له فتاله ، والمرء يعجز لا المحالة .

وفيها يقول :

وكم قد فَرَتْ يمناك بى من ضريبةٍ ولا غرو يوماً أن يفلَّ من غَربى
وأعلمُ أن العفو منك سجيةٌ فلم يبق إلا أن تُخفِّفَ من عَتْبى
ولى حسناتٌ لو أمتُّ ببعضها إلى الدهر لم يُرتعْ لنائبةٍ سربى

فأجابه المعتمد بقوله :

تقدمْ إلى ما اعتدتَ عندى من الرحبِ ورِدْ تَلْقَكَ العُتبى حجاباً عن العتبِ
متى تَلْقَنى تَلْقَ الذى قد بَلَوْتَه صفوحاً عن الجانى رؤوفاً عن الصحب
سأوليك منى ما عهدتَ من الرضا وأصفح عما كان — إن كان — من ذنب
فما أشعَرَ الرحمٰنُ قلبىَ قسوةً ولا صار نسيانُ الأذِمّةِ من شِغْبى
تكلَّفتُه أبغى به لك سلوةً وكيف يعانى الشعرَ مشترَكُ اللب ؟

فلم يزده جوابُ المعتمد إلا توحشاً ونفاراً ، وتوقفاً عن اللحاق به وازوراراً .

هذا ما أورد ابنُ بسام من خبر ابن عمار فى هذه القضية ، وابن قاسم الشِّلْبى — فى تاريخه المجموع فى أخبار المعتمد محمد بن عباد — أمتنُ علماً بها ، وأحسن سرداً لها ، وقد مضى من ذلك ويأتى ما يصح به قولى إن شاء الله تعالى .

وأما أبو الطاهر التميمى فحكى أن ابنَ عمار كتب إلى المعتمد بحال أوجبت إيحاشاً :

* أصدِّق ظنى أم أصيخُ إلى صحبى *

الأبيات المتقدمة إلى آخرها ، وزاد فيها بيتا وهو :

/ ولا بدَّ ما بينى و بينك من نَثاً[(١)] يُطبِّقها ما بين شرق إلى غربِ [٩٥ - ب]

وأورد جوابَ المعتمد عنها كما تقدم ، ثم قال بعَقب ذلك : وقال أيضاً ، وكتب بها إليه — يعنى المعتمد — وقد ارتهن زعيمُ برشلونة ابنَه الرشيد لمالٍ توقَّف له[(٢)] عنه وظُن بابن عمار فى ذلك سعىٌ ، قال : وذلك فى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة :

أأركبُ قَصْدى[(٣)] أم أعُوجُ مع الركبِ فقد مرتُ من أمرى على مركبٍ صعبِ؟

وأصبحتُ لا أدرى أفى البُعد راحتى فأجعله حظى ، أم الخيرُ فى القرب

على أننى أدرى بأنك مؤثرٌ ، على كل حال ، ما يزحزح من كربى

أيُظلِم فى عينى كذا قمرُ الدجى وتنبو بكفى شفرةُ الصارمِ العضب ؟

[حنانيك فيمن][(٤)] أنت شاهد جِدِّه وليس له ـ حاشا انتصاحك ـ من حسْب

[وما جئتُ شيئا فيه بَغْى][(٥)] بطالب[(٦)] يضاف به رأيى إلى الضعف والخب[(٧)] .

(١) نثاً – على وزن نَوًى – هو الحديث الذى ينتشر ويذيع . (اللسان : ٢٠/١٧١) .

(٢) الأصل : لم .

(٣) فى قلائد العقيان لابن خاقان (ص ٩٠) : أأسلُك قصداً .

(٤ و ٥) بياض فى الأصل ، والتكملة من القلائد (ص ٩٠) .

(٦) فى القلائد : الطالب .

(٧) فى القلائد : العُجب .

[سِوى أننى أسلمْتَنى لمُلمـــةٍ][1] فَلَلْتَ بها[2] حدى وكسَّرت من غَربى
أما إنه لولا [عوارفك][3] التى جرت فىَّ جرْىَ الماء فى الغصن الرطب
[لما سمتُ نفسـ]ـى[4] ما أسوم من الأذى ولا قلتُ إن الذنب فى ما جرى ذنبى
سأستمنِـحُ الرُّحْمى لديك ضراعةً وأسألُ سُقْيا من تَجاوُزك العذب
وإن نفحتْنى من سمائك حَرْجفٌ[5] سأهتف : يا بردَ النسيم على قلبى !

فأجابه المعتمد :

لدىّ لك العُتبى تُزاحُ عن العَتبِ وسعيُك عندى لا يُضاف إلى ذنبِ
وأعزِزْ علينا أن تصيبَك وحشةٌ وأنسُك ما تدريه فيك من الحب
فدَعْ عنك سوء الظنِّ بى وتَعَدَّهُ إلى غيره فهو المُمَكَّن فى القلب
قرِيضُك قد أبدى توحُّشَ جانبٍ فجاوبت تأنيساً وعِلْمُك بى حسبى
[٩٦-١] / تكلَّفته أبغى به لك سَلوةً وكيف يعانى الشعرَ مشترَكُ اللب ؟

هكذا أتى بالقطعتين وجوابهما على نسق ، وترجم فى الثانية بالتفرقة بينها وبين الأولى ، نخالف ابنَ قاسم وابنَ بسام كما ترى ؛ ويحتمل أن تكونا فى قصة واحدة .

قال أبو الطاهر : وقد كان خاطب أبا الوليد بن زيدون فى أول تعلقه — يعنى بالسلطان — بأبيات استعاد بعضها فى هذه القطعة ، وهى :

---

(١) بياض فى الأصل ، والتكملة من القلائد (ص ٩١) .
(٢) الأصل « به » ، والتصويب من القلائد .
(٣ و ٤) بياض بالأصل ، والتكملة من القلائد (ص ٩١) .
(٥) الريح الباردة الشديدة الهبوب .

تأملتُ منك البدرَ فى ليلةِ الخطبِ ونلتُ لديكَ الخصبَ فى زمن الجدبِ
وجرّدتُ من محروسِ جاهِك مرهفاً تولّتْ به خيلُ الحوادث عن حربى
وما زلتُ من نعماكَ فى ظل لذةٍ تذكّرُنى أيامُها زمنَ الحب
إذِ العيشُ فى أفياء ظلك باردٌ فمن مرتعٍ خصبٍ إلى موردٍ عذب
أحِينَ سقَى صوبُ اعتنائك ساحتى فنعّمها واهتزّ روضىَ فى تُرْبى
ثَنَيتَ امعطفٍ قد ثنيتُ مدائحى عليه ، وسِربٍ قد بَدّاتُ به سِربى ؟
أما إنه لولا عوارفُك التى جرتْ فىّ جرىَ الماء فى الغصن الرطب
لما ذُدتُ طيرَ الودّ عن شجر القِلَى ولا صنتُ وجهَ الحمد عن كَلَفِ العَتْب
ولكنْ سَأَكْنِى بالوفاء عن الجفا وأرضَى ببعدٍ بعدَ ما كان من قرب
وإن لفحتْنى من سمائك حَرْجَفٌ سأهتف : يا بردَ النسيم على قلبى !
وإنى إذا ثَلّدتُ جاهَك مطابى وأخفقتُ فيه ، قلت : يازمنى حسبى[1] !
أيُظلِم فى عينى كذا قمرُ الدجى وتنبو بكفى شفرةُ الصارم العَضْب ؟

وهذا أيضا مما نبّهتُ عليه قبلُ ، وعلى وقوعه نادراً ، حتى لا تعتل صحة المحكى عنه من ضياع منظوماته فى الانتجاع ؛ على أن حكم العتاب خارج عن هذا الباب .

وأما قصائده الشهيرة فى المعتمد وبنيه ، فلتوْفِيَة حق الاصطناع ، وتعفِيَة ما أوقعه فى الارتياع ، ودفعه / إلى الاستعطاف والاستشفاع . وإن أطلت [٩٦ - ٢] — بحسب الاضطرار — الكلام ، واستسهلتُ فى دعوى الاختصار اللامَ ، فلغرابة هذه الأخبار ، وبراعة ما يتخللها من الأشعار .

(١) وردت القوافى كلها دون الضمير المتصل .

ونعود إلى خبر ابن رشيق مع ابن عمار وما آل إليه أمره بعد ذلك : ذَكَر أبو بكر محمد بن يوسف بن قاسم الشلبى ما تلخيصه وإيجازه — مع زيادات تخيرتها ، وبعضه على المعنى دون اللفظ — أن ابن رشيق لما قرئ كتابُه — المتضمنُ دخولَه مرسية — بإشبيلية ، ارتاح ابن عمار وأعمل نظره فى اللحاق بها ، وأشار على المعتمد بذلك ، فما خالفه فُواقاً . فلم يترك ابنُ عمار بإشبيلية فى مِلك سلطانِه ، ولا مِلْكِ أحــــد من معارفه ، فرساً عتيقاً ولا مطيةً ولا زاملةً ، إلا استخرج ذلك من أيديهم رغبةً ورهبةً ، حتى لاجتمع له مائةُ جَنيبة ومائة زاملة ، وأحضر له التجار ما بأيديهم على اختلاف بضائعهم ، من الديباج والخز إلى ما دون ذلك من نفيس الـكُسا ، ليعمّ بذلك أهل مُرسية على قدر منازلهم عنده . ولم يَخْفَ عن ابن عباد وجهُ مراده ، فلما سلم عليه مودعاً قال له : « سر إلى خيرة الله ولا تظن أنى مخدوع » ، فقال : « لستَ بمخدوع ولـكنك مضطر » ، فلم عنه .

وخرج من إشبيلية على باب مَقَرَانَة[1] ، وأقام بظاهرها أربعة أيام يستوفى أغراضه ، ثم رفع ألويته وقرع طبوله ، وسار لا يمر ببلد من أعمال ابن عباد إلا استخرج منه كل ذخيرة . حتى وصل إلى مرسية فدخلها فى يوم مشهور ، وابن رشيق بين يديه قد برز له ، وخرج يزفه إلى القصر . وجلس فى اليوم الثانى مجلسَ التهنئة للخواص والعوام ، فسجعت الشعراء بأمداحه ، وقد تزيَّى بزىٍّ

(١) مَقَرَانة – وتكتب أيضاً : مَقَرينة – حى من أحياء إشبيلية ، سمى بهذا الاسم نسبة إلى قصر رومانى قديم كان فيه يسمى قصر مكاريوس **Macarius** . وحتّى القرن الماضى كانت هناك حديقة تسمى **Campo de los Macarios** ، وقد زالت هذه الحديقة الآن ، وحلت محلها مبان حديثة . ويقع حى مقرينة شمال البلد ، ولا زال قسم من السور القديم باقياً هناك ، وفيه باب مقرينة المذكور هنا ، وهو ليس الباب العربى القديم ، بل هو باب جديد وضع فى القرن الثامن عشر ، ولا يمتاز بأى جمال .

C : RAFAEL LAFFON, *Sevilla* (Barcelona, 1958) p. 29.

ابن عباد فى حمل الطَّويلة على رأسه ، وحكاه فى التصيير[1] وكتب : « ينفذ هذا إن شاء الله » فى أسفل قرطاسه ، وتختَّم فى كلتا يديه . وبلغه أن ابن عبد العزيز عاب ذلك عليه ، فكتب إليه :

قل للوزير وليس رأى وزير ‏ ‏ [أن يُتبَعَ التنزير بالتنديرِ][2]
ان الوزارة لو سلكت سبيلها ‏ ‏ وقف على التعزيز والتوقيرِ
وأرى الفكاهة جُلّ ما تأتى به ‏ ‏ [رُحماك][3] فى التعجيز والتصدير
وصلت دُعابتُك التى أهديتَها ‏ ‏ فى خاتم التأمين والتأمير [٩٧ - ا]
وأخلتها للطاهرىّ[4] ، فإن تكنْ ‏ ‏ نخليقـــة التقديس والتطهير
ولعل يوماً أن يصيِّر نعتهُ[5] ‏ ‏ فى طينة التقديم والتأخير
وترى بلدسيَّةً وأنت قُدارها[6] ‏ ‏ سينالها التَّدميرُ من تُدْمِير

---

(١) الأصل : التصير ، وقد صوبها دوزى كما أثبتناه (بنوعباد : ٢/٩٨) . والتصيير يراد به هنا التوقيع على الأوامر ، كأن يكتب مثلا : يصير هذا ، أى ينفذ . راجع تعليق دوزى اللاتينى (هامش ٩٧ من نفس الصفحة) حيث يقول إن معنى الفعل فى هذه الحالة : effecit ut fieret

(٢) بياض بالأصل ، والتكلة من القلائد (ص ٦٤ ، فى ترجمة أبى عبد الرحمن محمد ابن طاهر) . وقد جعلها دوزى (بنوعباد : ٢/٩٨) : « أن يتبع التنديرُ بالتنديرِ » .

(٣) بياض فى الأصل ، والتكلة من القلائد (ص ٦٤) . وقد ورد البيت هناك :

وأرى الفكاهة جلّ ما تأتى به ‏ ‏ رحماك فى التصدير والتظفير

(٤) المراد أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وقد سبق فى ترجمته ما يدل على اشتهاره بالفكاهة والنوادر .

(٥) فى القلائد : نَقشُه .

(٦) قُدار : رجل من ثمود يذهب المفسرون إلى أنه هو الذى أشار على قومه بعقر ناقة النبى صالح عليه السلام ، ويقولون إنه هو المراد بقوله تعالى فى سورة الشمس : « إذ انبعث أشقاها ، فقال لهم رسولُ الله : ناقةَ الله وسقياها ، فكذبوه ، فعقروها ، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها ، ولا يخاف عقباها » . وفى الأمثال : أشأم من قُدار .

وحكى غيره أن ابن طاهر هو الذى غمز على رسول ابن عمار المُغْلِم بخاتميه ، وأنه نسب أحدهما للمؤتمن بن هود والثانى لأذفونش بن فردلند[1] . وترجم أبو الطاهر التميمى على هذه القطعة فى مجموعه من شعر ابن عمار ، قال : وله للوزير[2] الأجل أبى بكر بن عبد العزيز وقد ندَّر فيه حين بلغه أن أذفونش ملك الروم أعطاه خاتما عند اجتماعه به ولِياذِه ، فراراً من الوحشة الواقعة بينه وبين ابن عباد ، وتخوفاً منه ، فقال[3] : أخاتم التأمير أم خاتم التأمين ؟ فقال ابن عمار ، واعتقد[4] إنفاذها إليه ، وذكر الأبيات وزاد فى آخرها :

فرسا رهان أتتما فتجاريا لنقول فى التقديم والتأخير

قال ابن بسام : واستعمل ابنُ عمار خِساسَ عبيده على الحصون ، وأقطعهم الضياعَ ، وأعرض عن النصيح ، وأقبل على الغَبوق والصَّبوح ، وابنُ رشيق فى خلال ذلك يستبدل أولئك الأوباش ببنى إخوته وأخواته ، وكانوا جماعة . حتى إذا صارت عن آخرها فى ضبطه ، وعلم أن أمر ابن عمار قد نُقل لابن عباد ،

---

(١) المراد ألفونسو بن فرناندو الأول ملك ليون الذى وحد قشتالة وليون بعد حروب طويلة أعقبت موت أبيه سانشو الملقب بالكبير Sancho el Mayor . وكان فرناندو الأول من أكبر الملوك الذين ساروا بالحرب مع المسلمين المعروفة بالريكونكيستا ، ولهذا يوصف بالعظيم El Magno . وخلف فرناندو الأول هذا ابناه : سانشو الثانى ملكاً على قشتالة وألفونسو على ليون ، ثم دارت حروب طويلة بين الأخوين انهزم ألفونسو خلالها ولجأ إلى المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة . وبعد موت أخيه سانشو اعتلى عرش قشتالة وليون باسم ألفونسو السادس ، وهو الذى استولى على طليطلة ، ثم انهزم فى موقعة الزلاقة . ومعظم علاقات ملوك الطوائف مع ألفونسو السادس ابن فرناندو الأول هذا .

Cf : RAFAEL BALLESTEROS Y BERETTA, ***op. cit*****, II, p.296 sqq.**

(٢) فى الأصل : بالوزير ، وما أثبتناه أصح (وانظر أيضاً : بنوعباد ٢/٩٩) والمراد : ولابن عمار مخاطباً الوزير أبا بكر بن عبد العزيز .

(٣) أى قال ابن عبد العزيز متندراً بابن عمار .

(٤) اعتقد هنا معناها : عزم على ، أو قرّر . . وهو استعمال شائع فى الأندلس .

قطع عنه تلك المواد ، وأغرى الأجناد بطلب أرزاقهم منه ، فأيقظته الضرورة من سنة البطالة . وفى مدة إقبـــاله على سفاهته ، كان ابن عباد يستلطفه بأعيان الأصحاب ، فيذكِّرونه بالأذِمَّة ويوعدونه على [... ... ...] وجاهَرَ به[1] وكتب إليه المعتمد :

تغيَّر لى ــ فيمن تغير ــ حارثُ ورب خليلٍ غيرته الحوادثُ
أحارثُ إن شورِكتُ فيكَ فطالما نَعِمنا وما بينى وبينكَ ثالثُ

فجاوبه ابن عمار :

لكَ المثَلُ الأعلى ، وما أنا حارثُ ولا أنا ممن غيرته الحوادثُ
/ ولا شاركتْك الشمسُ فىَّ وإنهُ لينأى بحظى منك ثانٍ وثالثُ [٩٧-ب]
فديتُك ، ما للبِشر لم يَسْرِ برقُهُ ولا نَفَحتْ تلك السجايا الدمائثُ
أظن الذى بينى وبينَك أذهبتْ حلاوَتَه عنى الرجالُ الأخابثُ
تنكَّرتَ ، لا أنى لفضلك ناكرٌ لدىَّ ، ولا أنى لعهدك ناكثُ
ولكن ظنونٌ ساعدتْها نمائمٌ كما ساعدتْ صوت المثانى المثالثُ
أبعدَ انقضَا خمسٍ وعشرين حجةً[2] تجافتْ لنا عنها الخطوبُ الكوارثُ
مضتْ لم تُرَبْ منى أمورٌ شوائبٌ ولا تُليَتْ عنى مساعٍ خبائثُ

(١) الفراغ بين الحواصر بياض بالأصل ، وعبارة « وجاهر به » يمكن أن تقرأ « رجا هربه » ، وهكذا قرأها دوزى (بنوعباد : ٢/١٠١) ، ولكننى أرى أن الصواب ما أثبتُّه . ويمكن أن تقرأ العبارة هكذا : فيذكرونه بالأذمة ، ويوعدونه على [ما ذهب إليه من العصيان] وجاهر به .

(٢) فى الذخيرة (قسم ٢ مخطوطة بغداد ، ص ٢٦٨) جاء صدر هذا البيت هكذا :

* ألمّا مضت خمسٌ وعشرون حجة *

وهو أبلغ ، وأشبه بابن عمار .

حللتَ يداً بى هكذا ، وتركتَنى ... نِهاباً ، ولِلأيام أيدٍ عوابثُ
وهل أنا إلّا عبدُ طاعتِك التى ... إذا مِتُّ عنها قام بعدىَ وارثُ ؟
أعِدْ نظراً ، لا توهنِ الرأىَ ، إنهُ ... قديماً كَبَا هافٍ وأدرك رائثُ
ستذكُرنى إن بان حَبلى وأصبحتْ ... تئنُّ بكفيكَ الحبالُ الرثائث
وتطلُبنى إن غاب للرأى حاضرٌ ... وقد غاب منى للخواطر باعث
أعوذُ بعهدٍ نُطتَهُ بكَ أن تُرى ... تحلُّ عراه العاقداتُ النوافثُ

وذكر ابن بسام هذا الشعر بعد أن قال : وأفضت الحال بالرشيد إلى الاعتقال بأيدى نصارى الإفرنجة فى جملة من المال كانوا أكثروا بها[١] ، فحبسوا الرشيد بسببها إلى أن افتكّه أبوه المعتمد فى خبر طويل . وابن عمار صاحب ذلك الرحيل[٢] ، والملوم فى المعلوم من أمره والمجهول ، وفسادُ حاله عند المعتمد يتزايد ، وتدابُرُه يتساند . وفى أثناء ماوقع من تدبير تلك الأمور ، ونجوم ذلك الاستيحاش والتغيير ، خاطبه المعتمد عاتباً متمثلا بهذين البيتين — وقد كان خرج عنه — وأوردها[٣] وجواب ابن عمار إلى آخره .

---

(١) سبق أن ذكرنا هذا الخبر فى تعليقاتنا على ترجمة أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، والمراد هنا أن رامون بيرنجير الثانى أكثر فى المطالبة بالمال الذى وعده به ابن عمار فى نظير معاونته فى الحصول على مرسية لتضم إلى أملاك المعتمد بن عباد .

(٢) فى الأصل : الرعيل ، وجعلها دوزى (بنوعباد : ٢/١٠٢) : الدغيل ، والتصويب من الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٦٧) ، وابن عمار كان صاحب الفكرة فى الخروج إلى شرق الأندلس مع الرشيد بن المعتمد بجيش من إشبيلية للاستيلاء على مرسية — وبلنسية إن أمكن — بمساعدة كونت برشلونة فى الأولى وألفونسو السادس فى الثانية . وقد اشتهر ابن عمار بمداخلته للنصارى وقدرته على إقناعهم وكسب جانبهم ، ولهذا رأينا المعتمد يقول له عند وداعه : « إننى لست مخدوعاً » فرد عليه ابن عمار : « إنك لست بمخدوع ، ولكنك مضطر » ، أى مضطر إلى الاستعانة به فى هذا المطلب .

(٣) أى أن ابن بسام أوردها .

قال ابن قاسم : فكان لاينثنى عن هواه ، ولا يزلّ عن مرقاه ، حتى قال له من كان يعصيه من نصاحه : / تعرف الحصنَ الفلانى ؟ قال : نعم ، أليس صاحبه [٩٨ - ا] فلان من عبيدى ؟ فيقول له : لا والله ! ما فيه إلا فلان ابن أخى ابن رشيق ، أو ابن أخته(١) . وجعل يعدد له المعاقل ، ويذكر خروجها من أيدى ثقاته ورجاله ، فسُقط فى يده ، وفر على وجهه من مرسية إلى جليقية ، لاحقاً بأذفونش بن فردلند(٢) ، وشاكياً إليه غدرَ ابن رشيق رجاء إعدائه عليه . لم يذكر ابن قاسم مروره ببلنسيّة فى خروجه من مرسية ، وهو صحيح . وفى ذلك يقول يخاطب ابن عبد العزيز صاحبها ، وقد أخرج إلى لقائه رجلا استجهله(٣) :

تناهيتمُ فى برنا لو سمحتمُ ... بوجهِ صديقٍ فى اللقاء وسيمِ
وسَلسَلتمُ راحَ البشاشة بيننا ... لو أنكم ساعدتمُ بنديم
سألتمسُ العذرَ الجميلَ عن العُلا ... وأحتالُ للفضلِ احتيالَ كريمِ
وأثنى على روض الطلاقة بالجنى(٤) ... وإن لم أفز من نَشْره بنسيم

(١) جاء فى مذكرات الأمير عبد الله الزيرى : « وقدم إلى مرسية ابنُ رشيق ، فكان يطويها وينشرها ، وشبّك عليه المعاقل بقرابته ، واتخذ لنفسه صنائع مدة غفلة ابن عمار عنه ، وإقباله على راحته » .

(٢) الأصل : فرندلند . والصيغة العربية للاسم أقرب إلى صورته الأصلية **Ferdinandus** وهى مأخوذة من صيغة الأبلاتيف للاسم : **Ferdinando** مع قلب حرف **n** الأول إلى **l** . والمراد ألفونسو السادس .

وانظر عن محاولات ابن عمار مع ألفونسو السادس « مذكرات الأمير عبد الله الزيرى » ص ٨٠ — ٨١ .

(٣) جاء فى الذخيرة (قسم ٢ ، مخطوطة بغداد ، ص ٢٦٠) : « اجتاز ببنى عبد العزيز على بلنسية ، وكانوا يضمرون عداوته ، وتخلفوا عن لقائه ، وناب فى ذلك عنهم أقوام عوام ، فكتب إليهم . . »

(٤) الذخيرة (نفس المخطوطة والصفحة) : بالحيا .

بخلتم بأعيانِ الرجال(١) على النوى فلم تصِلُونا منهمُ بزعيم
ولكنْ سأستعدِى الوفاءَ وأقتضِى سماحَك بالأنسِ اقتضاء غريم

وحكى ابن بسام — فى أخبار ابن عمار من تأليفه — أنه قال هذا الشعر فى بعض رسالاته عن المعتمد واجتيازه ببلنسية ، لا عند فراره من مرسية .

قال ابن القاسم : وقد كان ابن رشيق قدَّم الحزمَ ، فاستمال أذفونش بألطافه وهداياه ، وغيَّره على ابن عمار ، فانصرف خائباً . ويقال إنه قال له بلسانه : « يا ابن عمار ، مثلك مثل السارق ، سرق السرقة فضيَّعها حتى سُرقت منه » . وعند ذلك عدل إلى سرقسطة ، بظاهرِ الخدمة لواليها المؤتمن أبى عمر يوسف بن المقتدر بن هود والنيابة عنه بالوزارة ، فأمر له بدار تحمله ومن معه ، وأدرَّ عليه من الإجراء ما وسِعهم ووسِعه ، وتجافى عنه مع ذلك فأقام على البطالة مقبلا ، وفى ذلك يقول وقد عُذِل عن الإدمان :

نقمتم علىَّ الراحَ أدمِنُ شُربَها وقلتم : فتى لهوٍ وليس فتى مجدِ
/ ومن ذا الذى قاد الجيادَ إلى الوغى سواى ، ومن أعطى كثيراً ولم يُكْدِ؟ [٩٨ - ب]
فدَيتُكمُ . لم تفهموا السرَّ ، إنما قليتُكمُ جهدى فأبعدتكم جهدى

وحكى غيره أنه سئم تلك الحالة ، فرحل إلى صاحب لاردة المظفر حسام الدولة أبى عمر يوسف بن سليمان المستعين ، وكان أكبر أولاده والذى يُحادّ المقتدر لما كان عليه من الشجاعة والأدب ، المفضل به على أهل بيته(٢) ، فأكرمه

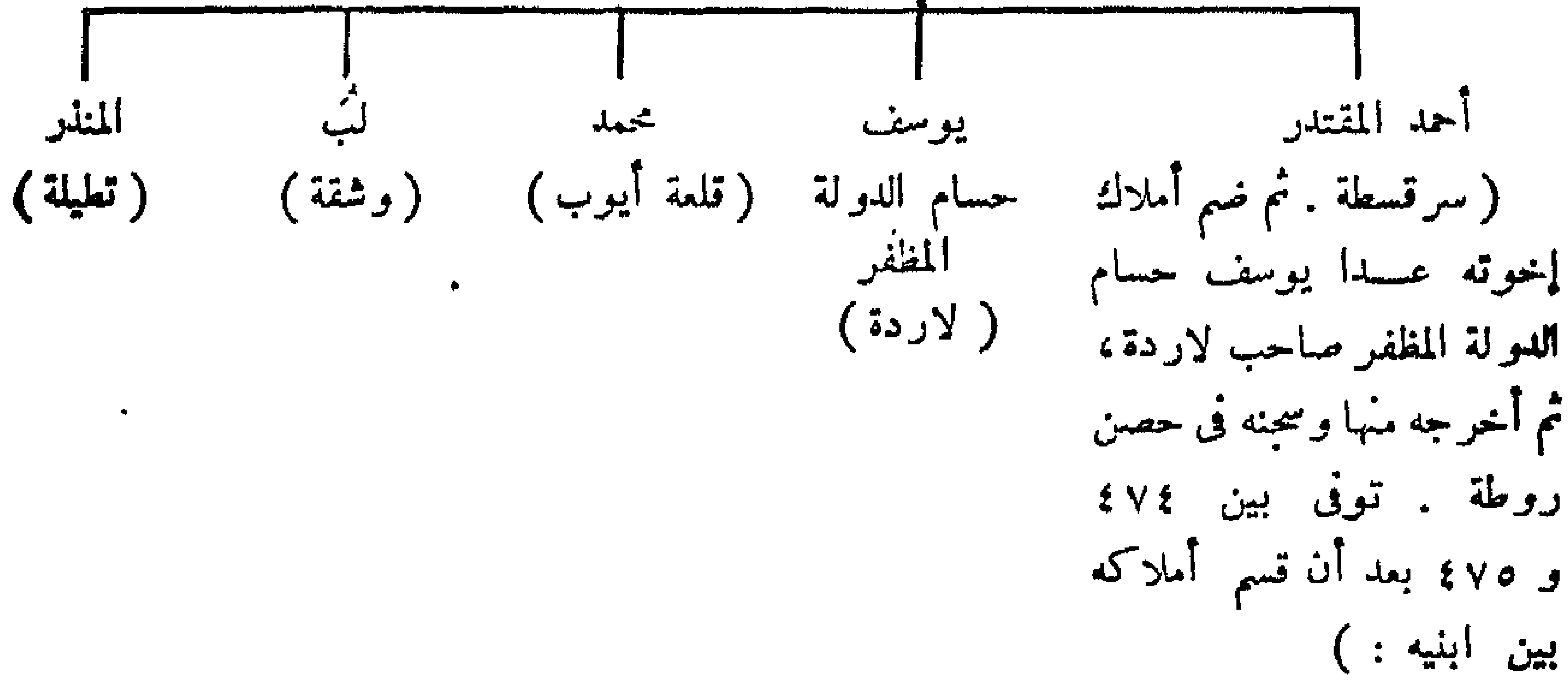
---

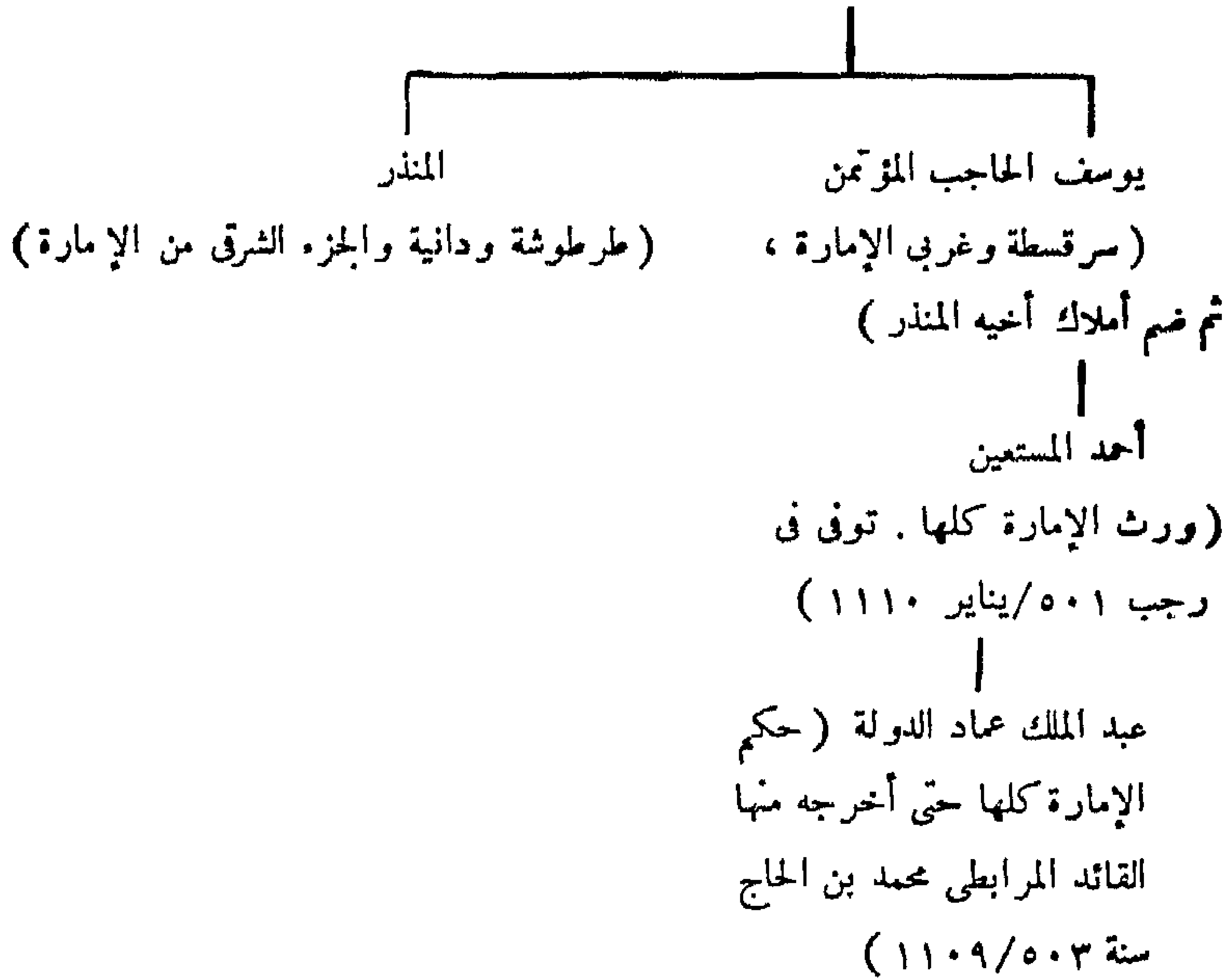
(١) الذخيرة : ضننتم بأعلاق الرجال .

(٢) هنا خطأ فى سرد أسماء أمراء بنى هود وتسلسلهم ، ولتصحيحه نورد فيما يلى جدولا بأمراء هذه الأسرة ليستعين به القارئ على تصحيح الخطأ :

سليمان بن محمد بن هود :

(أول من استبد بالثغر الأعلى من بنى هود . استولى على لاردة سنة ٤٣١ ثم سرقسطة وبقية الثغر سنة ٤٣٨ وقبل موته قسم أملاكه بين أولاده الخمسة) :





سنة ٥١٢ / ١١١٨ سقطت سرقسطة والثغر الأعلى نهائياً فى يد ألفونسو المحارب بعد وفاة محمد بن عبد الله مزدلى آخر قواد المرابطين وحكام المسلمين فى الثغر الأعلى .

وأنزله ثم [.....][١] وكرّ عائداً إلى سرقسطة . وبلاردة قال قصيدته الفريدة التى أولها :

علىّ ، وإلا ما بكاء الغمائمِ وفىّ ، وإلا ما نياحُ الحمائمِ ؟

و[. . .][٢] أنفذها إلى المعتمد وهى تُنيف على تسعين بيتاً ، مرّ له فيها إحسان كثير . ومن فاحش الغلط قول ابن بسام أن ابن عمار قال هذه القصيدة لما خاف من المعتضد لغلبته على ابنه المعتمد ، ففر من إشبيلية ولحق بشرق الأندلس ، وتمكن من المؤتمن بن هود . قال : ومن هنالك خاطبه بها ، فلما قرعتْ سمع المعتمد وجّه عن ابن عمار على الترغيب والتمكين واستوزره عدة سنين ، إلى الميقات المضروب والأجل المكتوب ؛ حكى ذلك فى « كتاب الذخيرة »[٣] .

وفى أخبار ابن عمار من تأليفه — ولا أدرى كيف غاب عنه — أن ما ادعاه — لو صح — كان قبل الستين أو الخمسين وأربعمائة ، وولايةِ المؤتمن فى جمادى الأولى سنة أربع وسبعين . ولِقائل أن يقول : لعل ابن عمار صحبه فى حياة أبيه المقتدر ، وهو إذ ذاك مرشح لمكانه ، فيلزمه أن يأتى على مقاله بما يؤمّنه من إبطاله . والمتعارف أن ابن عمار لم يصحب المؤتمن بسرقسطة ، إلا عند فراره من مرسية . فغلطُ ابنِ بسام لا خفاء به ولا امتراء فيه .

قال ابن قاسم : واتفق أن انتزى عامل لابن هود — يعنى المؤتمن —

— انظر بحثنا : سرقسطة والثغر الأعلى فى عصر المرابطين . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة مجلد ١١ ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ .

(١) بياض فى الأصل .

(٢) بياض بالأصل ، ويبدو أنه لم يسقط شىء ، فإن الكلام متصل فى غير حاجة إلى زيادة .

(٣) قال ابن بسام ذلك فى القسم الثانى (مخطوطة بغداد) ص ٢٤٩ .

فى معقل منيع من أعماله ، وكانت بينه وبين ابن عمار معرفة ، فضمن له استنزاله . وسار إليه ، فلما نزل بساحته تشوّف ذلك العامل إلى برِّه ، ولم ير بأساً فى إرقائه إلى قصبة حِصنه فى رَجُلين من جملته ، فأوعز ابنُ عمار إلى الصاعدَين معه أن : « صُبّا سيفَكما عليه إذا رأيتمانى أماشيه ويدى فى يده ، ولو قتلتمانى وإياه » ، ففعلا ذلك . وفر أصحابه عند قتله وألقوا بأيديهم إلى ابن عمار ، متطارحين / عليه [٩٩ - ١] ومستشفعين به إلى المؤتمن ، فضمن لهم تأمينه إياهم وصفحه عن جناياتهم ، وخاطبه بذلك فورد جوابه بإمضاء ما التزمه عنه من الإغضاء ، ولَطُف محلُّه عنده واستأنف الاعتناء بشؤونه ، فخاطب المعتمد فى تسريح عياله وأبنائه الذين بإشبيلية ، فلم يَبعُد له عن الإسعاف . على أنه كتب فى أثناء مراجعته يحذره منه :

والشيخ لا يترك أخــلاقَهُ حتى يُوارَى فى ثرى رمْسِهِ
إذا ارعوى عاد إلى ضدهِ[1] كذى الضَّنَى عاد إلى نُكسه

قال : وكان إقبالُ الدولة علىُّ بن مجاهد صاحب دانية ، قبل غلبة ابن هود عليه — يعنى المقتدر ، وذلك فى شعبان من سنة ثمان وستين وأربعمائة — قد استعمل ابنَه سراجَ الدولة على معقل شَقُورَة ، فلما استولى المقتدر على دانية واحتمل أباه إلى سرقسطة ، انفرد هو بشقورة و [ضبطها][2] ثم مات حتف أنفه وخلف على حُرَمه وولده فى قصبتها عبدَين ، أبوهما عبد لأبيه من سَبْى سردانية ، هما إبراهيم وعبد الجبار ابنا سُهَيْل ، فرأيا أنهما لا يستقلان بضبط المعقل ، فجعلا يساومان به الرؤساء المحيطين بهما ، حتى وصلت إشارتهما[3] إلى المؤتمن بن هود . فللذى اتفق لابن عمار قبلُ مع عامل المؤتمن المنتزى عليه ،

---

(١) المشهور : إذا ارعوى عاد إلى غيِّه .
(٢) بياض فى الأصل ، وقد أضفت هذه الكلمة للسياق .
(٣) الأصل : إشادتهما .

سولت له نفسه الخائنة إعمال تلك الحيلة فى ابنى سُهَيل ، أو استنزالهما بالإرغاب فى الثمن ، فضمن لابن هود أمرهما ، وطلب منه تجهيزه فى عسكر يستعين به على محاولته ، فأسعفه . ولما وصل إلى حضيض شقورة لم يقدّم شيئاً على الصعود إليهما مع صاحبيه الملازمين له ، وهما « جابر » و « هادٍ » اللذان يقول فيهما من كلمة له :

عطّلتُ من حَلْىِ الرِّكاب جيادى وسَلبتُ أعناقَ الرجال صِعادى

فإذا كُسرتُ فثَمَّ خِدنٌ « جابرٌ » وإذا ضَلَلتُ فثم آخرُ « هادِ »

كذا أنشد ابن قاسم ، ولا يُعرف هـذا البيت فى قصيدته . وهى شهيرة جليلة ، يراجِـع بها أبا عيسى بنَ لَبُّون أو أخاه أبا محمد . والبيت الأول يرويه أبو الطاهر التميمى :

[٩٩ - ب] /عَطّلتُ من حَلْىِ السروج جيادى وسلبتُ أعناق المَطى صِعادى

قال : ولـما انتهى ابن عمار من مصعدها إلى دَرجٍ لا يتخطاه الصاعد حتى يُجذَب بضَبعِه ، تقدم هو فرُفع بالأيدى ، وأشير على صاحبيه فولّيا منحدرين . واحتُمل هو إلى ذِروة القصبة فشد وِثاقه ، وانصرف عسكر سرقسطة . وكان ابن عمار قد أحقد هذين العبدين ، حين كتب أيامَ رئاسته بمرسية إليهما بشعر أوله :

شمخت بـكم فشمختُمُ الأجبالُ [... ...](١) تستنزل الأفعالُ

وبعد قبضهما عليه طلبا بيعه من رؤساء الأندلس ، فتثاقلوا جميعاً عن ذلك ، وخفّ ابنُ عباد إليه ، فأنفذ نحوَهما بكل ما سألاه ابنَه يزيد المسمى بالراضى ، فنزلا على حكمه وأسلماها إليه وإياه إليه(٢) . فقدّم على الحصن ، وانصرف إلى أبيه

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) أى أسلما قصبة شقورة وابن عمار إلى يزيد الراضى بن المعتمد .

المعتمد وهو بقرطبة ، وابن عمار بين يديه مقيد بين عِدْلَىْ تِبْنٍ على هُجُنٍ زوامل العسكر ، وميل به إلى سجن قد أعد له . وعند قدوم الراضى شقورة لتسلمه كتب إليه :

قالوا : أتى الراضى ، فقلتُ : لعلها[1] خُلعت عليه من صفات أبيه
فألٌ جرى فيه المؤيد واهباً لىَ من رضاه ومن أمان أخيه
قالوا : نعم ، فوضعتُ خدى فى الثرى شكراً له ، وتيمُّناً ببنيه
يا أيها الراضى وإن لم تلقنى من صفحة الراضى بما أدريه
هَبْكَ احتجبتَ لوجهِ عذرٍ بيِّنٍ بَذلُ الشفاعةِ أىُّ عذرٍ فيه ؟
سهِّلْ على يدك الكريمة أحرفاً فى من أسرتَ فتنثنى تَفْديه

ولما قارب قرطبةَ قال يخاطب المأمونَ الفتح بن المعتمد مستشفعاً به :

هلا سألت شفاعةَ المأمونِ أو قلتَ ما فى نفسه يكفينى ؟
ما ضر لو نبَّهتَه بتحيةٍ يسرى النسيمُ بها على دارِين[2]

يقول فيها :

بيدٍ من « المأمون » أوثقُ عصمةٍ لو أن أمرى فى يد المأمونِ[3]

---

(١) فى الأصل : لعله .

(٢) المراد هنا دارِين التى ذكرها ياقوت (٢٥/٤) وقال إنها فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، وذِكرُها كثير التوارد فى الشعر العربى . والمراد – إذا صح هذا – تحية تحمل عطر المسك .

(٣) فى الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٨٠) :

بيدى من المأمون أوثق عصمة ولو أن أمرى فى يد المأمون

وهذه الرواية أصح . وقد وردت « بيدى » فى المخطوط مصحفة : يبدى .

وعلى هذه الصورة تكون « المأمون » الثانية كناية عن المعتمد نفسه ووصفاً له بأنه مأمون .

[١٠٠-١] /أمرى إلى ملكٍ إليــه أمره وكفَاه من فوق ، كفاه ، ودُونِ[1]

يا « فتحُ » جرَّدها عنايةَ فارسٍ[2] دَرِبٍ على نصر الولىِّ أمينِ[3]

واقْرِن شفاعتَك الكريمةَ عنده بتواضع عن عزةٍ ، لا هُونِ

فى شِكَّةٍ من هيبةٍ وسكينةٍ وبضجةٍ[4] من رحمـة وحنينِ

يا فتحُ إنْ نازلتَه مستنزلاً فاهناً بفتحٍ من رضاه مبينِ

[وليخلُصنَّ إليك][5] من أنفاله عِلقٌ يَشُد عليه كفٌّ ضنينِ

وكتب إلى الرشيد بن المعتمد يستشفع به :

قل لبرق الغمام : ظاهِرْ بريدى قاصداً بالسلام قصرَ الرشيدِ[6]

فتقلَّبْ فى جوِّه كفؤادى[7] وتناثَر فى صحنــه كالفريد

---

(١) فى الذخيرة (نفس القسم والصفحة) :

* وكفاك من فوق ، كفاك ، ودون *

(٢) كلمة « فارس » هنا مستعملة استعمالا لطيفاً يشبه استعمال ما يقابلها فى الإسبانية caballero ، ويراد به الرجل الشهم الكريم ذو الأريحية .

(٣) فى الذخيرة :

* بطلٍ على حربِ الولىِّ أمينِ *

(٤) وردت هذه الكلمة على هذه الصورة فى الذخيرة أيضاً ، ولكن المعنى يقتضى أن نقرأ هنا : ونصيحةٍ .

(٥) بياض فى الأصل أكلته من الذخيرة ، ونص المصراع هناك :

* وليخلصن إليك من أعلاقه *

(٦) فى الذخيرة :

قل لبرق الغمام مظهراً لبريـد قاصداً بالسلام قصر الرشـيد

وفيه خطأ عروضى فضلا عن عدم انسجام المعنى .

(٧) الأصل : كفو ، وجعلها دوزى (بنوعباد : ٢/١١١) : كفووج ! وقد أكملت اللفظ من نص الذخيرة .

وانتحِبْ فى صلاصِلِ الرعد تحكِى ضجَّتى فى سلاسلى وقيودى
فإذا ما اجتلاك أو قال : ماذا ؟ قلتَ : إنى رسول بعضِ العبيد
بعضُ من أبعدتْه عنك الليالى فاجتنى طاعة المحب البعيد

ثم قال يخاطب المعتمد وهو بقرطبة :

سجاياك — إن عافيْتَ — أندى وأسمحُ وعذرُك — إن عاقبتَ — أجلى وأوضحُ
وإن كان بين الخطَّتين مزيةٌ فأنت إلى الأدنى من الله أجنحُ
حنانيْك فى أخذى برأيك ، لا تُطع وُشاتى ، ولو أثنوْا علىَّ وأفصحوا
وإنَّ رجائى أنَّ عندك غير ما يخوض عدُوى اليومَ فيه ويمرح
ولِمْ لا ، وقد أسلفتُ ودًّا وخدمةً يكرّان فى ليل الخطايا فيُصبح ؟
وهبْنى قد أعقبتُ أعمالَ مفسدٍ أما تفسَدُ الأعمالُ ثُمَّتَ تَصْلُح ؟
/أقِلنى بما بينى وبينك من رضاً له نحو روح الله بابٌ مفتَّحُ [١٠٠-ب]
وعفٍّ على آثار جُرمٍ جنيتهُ بهبَّة رُحْمى منك تمحو وتُمْصِح[1]
ولا تستمع زور الوشاة وإفكهم[2] فكل إناء بالذى فيه يرشح
سيأتيك فى أمرى حديثٌ ، وقد أتى بزُور بنى عبد العزيز مُوشَّح
تخيَّلتهم[3] ، لا دَرَّ لله دَرُّهم ! أشاروا تِجاهى بالشمات وصرحوا

---

(١) مصح الكتاب يمصَح مصوحاً : دَرَس أو قارب ذلك (اللسان : ٣/٤٣٥) وهو لازم لا يتعدى إلا بالباء أو بالهمزة فيقال مَصَحْتُ به أو أمصَحْتُه ، ولهذا شكلته : تُمْصِح .

(٢) الورقة التى تضم بقية القصيدة فى مخطوط الذخيرة (القسم الثانى) عندى ناقصة . وقد راجعت هذه البقية على نصها عند عبد الواحد المراكشى فى المعجب ، ص ١٢٧ . ونص هذا المصراع عنده :

* ولا تلتفتْ قول الوشاة ورأيهم *

(٣) فى المعجب (ص ١٢٦) : كأنى بهم .

وما ذاك إلا ما علمتُ ، فإننى إذا ثُبْتُ لا أنفك آسو وأجرح
وقالوا : سيَجزيه فلانٌ بذنبه فقلتُ : وقد يعفو فلانٌ ويصفح
ألا إن بطشاً للمؤيد يرتمى[1] ولكن عفواً للمؤيد يرجُح
وبين ضلوعى من هواه تميمةٌ ستنفع لو أن الحِمام يُجَلَّح[2]
وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا سوى أن ذنبى ثابتٌ متصحِّح
نعم لى ذنبٌ ، غير أنَّ لِحلمِه صَفاةً يزلُّ الذنبُ عنها فيفصحُ
سلامٌ عليه كيف دار به الهوى إلىّ فيدنو ، أو علىّ فينزَح
ويهنيه إن متُّ السُّلُوُّ فإننى أموت وبى شوق إليه مبرِّح

وكل ما صدر عن ابن عمار فى نكبته فمن حُرِّ كلامه ، وكفى بهذه القصيدة حُسن براعة ولطف ضراعة . وقد كان خاطب المعتمد قبل ذلك من معتقله بأبيات منها :

والله ما أدرى إذا قالوا : غداً يوم اللقاء
ما أقتــلَ الحالين لى إن كان خوفىَ أو حيائى

فما أصغى إليه ولا أبقى عليه .

وحكى أبو محمد عبد الملك بن أحمد بن صاحب الصلاة الباجى ، عن بعض الكُتّاب ، أنه ماشَى أبا جعفر بن عَطية الوزير — فى صَدَره عن الأندلس

(١) وردت الكلمة فى الأصل : يوتمى ، والتصويب من المعجب .

(٢) الأصل يجلّح ،وقد صوبتها بعد مراجعة لسان العرب (٣/٢٤٩ – ٢٥٠) والمراد يُزال أو يُكشف .

إلى مراكش ، وقد أحس بالتغير / عليه وتمكن أعدائه منه فى مغيبه ، وذلك [١٠١-ا] فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة — قال : فرأيته مستوحشا قلقاً ، فاستدنانى واستنشدنى قول ابن عمار :

سجاياك – إن عافيتَ – أندى وأسجحُ وعذرك – إن عاقبتَ – أجلى وأوضحُ

فأنشدته القصيدة إلى آخرها ، فلما أكملتها قال : لقد كان ابن عباد قاسيَ القلب .

وقول ابن عمار فيها : « سيأتيك فى أمرى حديثٌ » البيت ، أراد به الوزيرَ الأجلَّ أبا بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، وكان واحدَ وقته رفعةً وجلالةً ، وضدَّ ابن عمار صيانةً وأصالةً ، فتولَّع بانتقاصه ، وغَرِيَ[1] بذمِّه ، فكان لا يصدُر عنه مجتازٌ به إلا أبلغه قدْحَه ، ولا يَرِد عليه شاعر إلا ألزمه ثَلْبَه ، ولا يحضره ضيف إلا أسمعَه استراحتَه فيه ، تعرُّضَ المشروف للشريف ، حتى خاطَب أهلَ بلنسية يغريهم به ويحضهم على القيام عليه . وقيل : إنما قال ذلك حين غدره ابن عبد العزيز فى حصن « جُمِلَّة »[2] من أعمال مرسية[3] :

خَبِّر بلنسيةً ، وكانت جنةً أنْ قد تدلَّتْ فى سواء النارِ
غدرتْ وفيًّا بالعهود ، وقلما عَثَر الوفيُّ سعَى إلى الغدَّار
يا أهلَها من غائبٍ أو حاضرٍ وقطينَها من راسخٍ أو طارِ

---

(١) أى أُولِعَ ، والمراد أن ابن عمار هو الذى تولع بذم ابن عبد العزيز .

(٢) جُمِلَّة Jumilla مدينة فى مديرية مرسية ، وهى مركز إدارى وقاعدة بلدية ، على ٧٤ كيلومتراً من مرسية .

Cf : *Diccionario Geográfico de España*, tomo XI, p. 290 - 292.

(٣) قال ابن بسام هنا (الذخيرة قسم ٢ ص ٢٧٠) : وفى بنى عبد العزيز أيضاً يقول (أى ابن عمار) مغرياً بهم ، خاطباً لنفسه ، ونحلَها ابنَ المطرز الشاعر .

جازوا بنى عبدِ العزيز فإنهمْ جرّؤوا إليكم أسوأ الأقدار

يقول فيها :

جاء الوزيرَ بها يكشّف ذيلَه عن سوءةٍ سَوْءى وعارٍ عارِ
نكث اليمينَ وجار عن سَنن التقى وقضى على الإقبال بالإدبار
آوى لينصُر من نَبَا المثوى بهِ ودهاه خِذلانٌ من الأنصار
ما كنتمْ إلا كأمةِ صالحٍ فرماكمْ من طاهرٍ[1] بقُدَار
هذا وخصّكمْ بأشأمِ طائرٍ ورمى ديارَكمْ بألأمِ جارِ

وفى هذه القصيدة :

كيف التفلّتُ بالخديعة من يدىْ رجلِ الحقيقةِ من بنى عمارِ

[١٠١–ب] / فذيّله المعتمدُ — لما اتصل به هذا الشعر — بقوله معرِّضا بابن عمار وزاريًا عليه .

الأكثرين مُسوّداً وملّكاً ومتوجًا فى سالف الأعصارِ
والمؤثِرين على العيال بزادهمْ والضاربين لِهامةِ الجبّـــار
الناهضين من المهود إلى العلا والمُنهِضين الغارَ بعد الغار[2]
إن كوثِروا كانوا الحصى،أوفوخِروا فمن الأكاسرِ من بنى الأحرار
يُضحِى مؤمِّلهم يؤمِّلُ سيبهُ ويبيتُ جارُهمُ عزيزَ الجار

(١) الأصل : ظاهر ،والتصويب من الذخيرة (قسم ٢ — ص ٢٧١) والمرادأبوعبدالرحمن محمد بن طاهر.

(٢) هذه أيضاً رواية الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٧٢) ، ولكن دوزى جعلها :

* والمنهضين القار بعد القار *

تبكي عليهم شَنَّبُوسُ بعَبرةٍ كأتِيِّها المتدافع التيــــار

يقول فيها :

ياشمسَ ذاك القصرِ ، كيف تخلَّصَتْ فيه إليكِ طوارقُ الأقــدارِ

[لما] تنَلْكِ شَعوبُ حتى جاوزتْ غلْبَ الرقاب وسامىَ الأسوار(١)

يريد بشمسٍ أمَّ ابن عمار ، وبشَنَّبُوس قرية أوائله من نواحى شِلْب — فاهتاج ابن عمار لذلك واستوحش . وبلغت أبياتُ المعتمد إلى ابن عبد العزيز فطار بها سروراً ، وأحدثت له فى نفسه على ابن عمار مكيدة ، وذلك أنه دس إلى مرسية نبيلاً من يهود الشرق(٢) ، لابَس ابنَ عمار حتى اطمأن إليه ، وأحله محل الرواية لأشعاره فى هجاء ابن عباد ، ومن ذلك قوله :

ألا حَيِّ بالغرب حيًّا حِلالا أناخوا جِمالاً وحازوا جَمالاً

وعَرِّجْ بيَوْمِينَ(٣) أمِّ القُرى ونَمْ ، فعسى أن تراها خيالا

---

(١) أكملت بياض الأصل فى هذا البيت من الذخيرة ، ونصه هنالك :

لما تنلك شعوب حتى جاوزت غلب الرجال وسامى الأسوارِ

قال ابن بسام فى الذخيرة بعد أن أتى بهذه الأبيات (قسم ٢ ص ٢٧٣) : وشنبوس التى ذكر هى قرية ببادية شلب ، كانت مقرسلف ابن عمار . وقوله : «يا شمس ذاك القصر» كانت والدة ابن عمار — زعموا — كانت تدعى بشمس مصغرة » وعلى هذا فقد كان اسمها شميس أوشميسة .

(٢) قال ابن خاقان فى ترجمته لابن عمار فى القلائد (ص ٩٢) فى سياق نماذج من شعره : فمن بديع ذلك ما طالع به أبا الفضل بن حسداى يصف موضعه المعتقل فيه :

أدرك أخاك ولو بقافيــة كالطَّل يوقظ نائمَ الزهـر

ومن المعروف أن أبا الفضل بن حسداى كان صديقاً لأبي بكر بن عبــد العزيز ، وهو الذى كتب خطابات الدعوة لزواج المستعين بن المؤتمن بن هود بينت أبى بكر بن عبد العزيز (راجع ترجمة أبى الفضل بن حسداى فى القلائد ، ص ١٨٤ — ١٨٥) . فهل يكون هذا هو اليهوى الذى استعان به ابن عبد العزيز فيما أراد بلوغه من ابن عمار؟

(٣) كذا ضبطت فى الأصل ، وقد سبق أن ذكرنا فى تعليقاتنا أن رسمها يُبورِين أضبط .

لتسأل عن ساكنيها الرماد ولم تر للنـــار فيها اشتعالا

وفيها إقذاع . ومنها :

سأكشف عِرضك شيئاً فشيئاً وأهتك سترك حالاً فحالا

ويَوْمِينُ اسم قرية منها أَوَّلِيَّةُ بنى عباد ، فلما حصل اليهودى منها — وهى بخط يده — على بغيته ، طار بها صادراً إلى ابن عبد العزيز ، فطيَّرها مُدرَجةً [١٠٢-ا] طىَّ كتابه إلى المعتمد ، فكان ذلك مما أحنقه / على ابن عمار وأحفظه .

ولما أتاه به ابنهُ يزيدُ الراضى ، أقام بقرطبة عدة ليالٍ يُحضِره فى كل ليلة منها راسفاً فى قيوده ، فيقرره على غدره ويوبخه بفعله ، ويوقِفه على أشعاره المدرجة إليه طىَّ كتاب ابن عبد العزيز . ثم انحدر به إلى إشبيلية فسجنه فى بيت خامل من بيوت القصر أياماً ، ثم قتله بيده . وكان أسرُه بشَقُورَة لستٍّ بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وقدومُ الراضى به على قرطبة يوم الجمعة السادس من رجب فيها .

وقيل إن القادِمين به مع الراضى لما سلموه إلى القصر ، دُعوا ذلك اليوم بعد العصر فى سلاحٍ شاكٍ وتعبئة ظاهرة ، ليصحبوه إلى إشبيلية ، فأقاموا على ذلك إلى الليل ينتظرون تسليمه إليهم ، ثم لم يرعهم إلا خروج المعتمد والشمع بين يديه ، والحُرَمُ حواليه ، وابن عمار بينهن على بغل ، وهن يهزأن به ويتضاحكن منه ، فأعرَبتْ حاله يومئذ بمبادئها عن سوء العاقبة فيها . وورد على المعتمد غيرُ ما خطابٍ فيه بالشفاعة ، فسدَّ الباب فى ذلك وشدَّ صِفادَه[١] هنالك .

---

(١) الأصل : صفاره . وجعلها دوزى (بنوعباد : ١١٨/٢) حصاده . وقد راجعتها على نص الذخيرة ، وابن الأبار يتابعه هنا ، وصوبتها من هناك (قسم ٢ ص ٧٥ ٣)

وحدث أبو بكر المنجم أن ابن عمار استدعى سَحاءة ودواة فى اعتقاله بقصر إشبيلية ، فبعث المعتمد إليه بزوج كاغد ، فكتب إليه شعراً يستعطفه به ، فعطف عليه وأحضره ليلتَه تلك ووعده العفوَ عنه . فخاطب ابنُ عمار الرشيدَ بن المعتمد بذلك ، فلمح المخاطبةَ وزيرُه عيسى ابن الأستاذ أبى الحجاج الأعلم ، فأشاع الحديث ، وبلغ ذلك أبا بكر بن زيدون — وكان شديد العداوة لابن عمار[1] — فتخلَّف عن الركوب إلى القصر حتى وجَّه فيه المعتمد ، فعرَّفه أن مجلسه مع ابن عمار وصل إليه ، فازداد المعتمد حنقاً عليه ، وُحرِّك ذلك من ضِغْنه ، وقال لأحد الحجابيب : « سل ابن عمار كيف وجد السبيل — مع الترقيب — إلى إفشاء ما أخذتُ معه البارحة فيــه ؟ » ، فسلك سبيل الإنــكار[2] ، ثم قال : « إنى خاطبتُ الرشيدَ وأعلمته بمـا وعَدنى به مولانا من العفو » ، فاتقَّد المعتمد وقام من فوره وأخذ — زعموا — طَبْرَزِيناً[3] ودخل إليه ففزع

---

(١) فى الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٨٣) : « وانتهى الخبر إلى الوزير أبى بكر بن زيدون ، صاحب الدولة وقته ، وعداوته لابن عمار أوضح من أن تشرح ، فدمغته من ذلك دامغة ، وبات بليلة النابغة»

(٢) الذخيرة هنا أكثر تفصيلا (قسم ٢ ص ٢٨٣) : « فلما سأله أنكر ، قال المعتمد : فما أراد بالكاغد الذى طلب ؟ قال إنه أخبر أنه كتب إليه فيه بشعر . قال : هو فى ورقة مفردة ، فما فعل بالأخرى من الزوج الكاغد المبعوث به إليه ؟ قال : كتب فيه مسودة ذلك الشعر . قال المعتمد : خذها منه لأقف على ذلك ، فلما لم يجد بداً من النطق بالصدق رجع إلى الحق ، وقال : إنى خاطبت الرشيد . . الخ » .

ومثل ذلك عند عبد الواحد المراكشى ، مع خلاف فى الألفاظ (المعجب ، ص ١٢٧ — ١٢٨)

(٣) طَبْرَزِين : فأس مرهف الحدين **hache à deux tranchants** . جاء فى القاموس المعروف بالفوكابوليستا ***Vocabulista in Arabico*** (الذى نشره سكياپاريلى **Schiaparelli** فى فلورنسا سنة ١٨٧١) : **bipennis** (= ذو حدين) و **pica ferri** (= فأس من حديد)

— كما[1] كان فى قيوده — إلى تقبيل رجليه ، فضرب به ثم أمر فأُجهز عليه .
ومما يشهد أنه باشر قتلَه قولُ عبد الجليل بن وهبون يرثيه ببيت مفرد وهو :

[١٠٢-ب] /عجبًا لمن أبكيه ملءَ مدامعى وأقول : لا شُلت يمينُ القاتلِ

وأخبر ذو الوزارتين صاحب المدينة أبو محمد عبد الله بن سَلَام — بتخفيف اللام — الشِّلْبى ، وكان من صميم إخوان ابن عمار ، قال : إنى لفى أرْجَى ما كنتُ لإقالة ابن عمار ، وقد هيأتُ لخروجه مجلساً من أحسن مجالس دُورى يقيم فيه ريثما تُخلى له دُورُه ، إذا رسول المعتمد يستدعينى ، فما شككتُ فى تمام ما كنت أريده لابن عمار . فلما وصلت فَصِيل القصر ، إذا هو متشحِّط فى دمائه ، مُمرَّغ فى ثيابه طريح فى قيده . فقال لى الفتيان : « يقول لك السلطان : هذا صَديقك الذى كنتَ أعددتَ له ، سِرْ بِهِ وأنزِلْه » ، فأمرت من حضرنى من الحرس بسحبه فى أسماله ، طوراً على وجهه وتارةً على قَذَالِه ، إلى أساس جِدار قريب من سواقى القصر ، فطُرِح فى حوض محتَفَر للجيّار ، وهُدِم عليه شَفيرُه .
قال ابن قاسم الشِّلْبى — وأكثر خبر ابن عمار عنه ، إلى ما تخلله من الزيادات المفيدة عن ابن بسام وغيره : ووُجد له فى قِرابه بعد قتله بخط يده :

= وجاء فى قاموس بطرس القلعى .

PEDRO DE ALCALA, *Vocabulista aravigo en letra castellano.* Granada, 1505.

hacha que corta de dos partes (= *فأس يقطع من الناحيتين*) . وجاء فى كتاب « مفيد العلوم ومبيد الهموم » وهو تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواردة فى الكتاب المنصورى للرازى (تحقيق چورچ س . كولان وهـ . ب .ج . رِنو ، الرباط ١٩٤١) : هو فأس السَّرج ، أى أنه كان يعلق فى السرج . ويكتب أحياناً طَبَرْزِين .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس : ٢/٢١ .

(١) الأصل : لما ، والتصويب من الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٨٤) .

يقول قوم : إن المؤيدَ قد أحال فى فِديتى على نقدهْ
فقلت : ماذا الشراء ثانيةً تُرى لمعنًى يريب من عنده ؟
أوحشنى ، والسماحُ عادتُهُ سماحُه بالعــــلاء[1] فى عبده
الحمد لله ، إنْ يكن حرجاً فليس فى مثلها سوى حمــــده
وحيلةٍ إن وصلتُ حضرتَهُ أجملُها رغبــــةً إلى جُنده
لو سامحوا فى الفِرِنْدِ أرمُقهُ من طَرفه لم أخَفْه من غمده
لــكنْ على الغرب عارضٌ زَجِلٌ[2] مرتميـــاً بالشرار من زنده
أخضر يَفْتَرُّ من جوانبــــهِ كالبحر فى جَزْره وفى مَدِّه
ياربِّ بشِّر برحمـــةٍ وحياً يونس من برقه ومن رعده

ويُحــكى عن المعتمد فى قتل ابن عمار خبر طريف من الحدثان ، تلخيصه أنه كان — أيامَ مُقامه بشِلْبٍ — قد أخذ/ عليه وأمره إذا دعا أصحابه أن يكون [١٠٣-] أول داخل وآخر خارج ، ليأنس به ويتمتع بأدبه ، فكان يجده ينفر من ذلك ، ويُــكثر التسلل من مجلسه . فتقدم ليلةً إلى أصحاب سُدَّته بترقُّبه ومنعه بعد وعيد شديد . وقام ابن عمار — على عادته — فلم يحفل المعتمد بذلك ، حتى إذا انفضَّ من كان عنده طلبه فما وجده . فأحضر الموكلين بترقبه وأخذ فى تعنيفهم ، فأخبروا أنهم لم يعاينوه ولا خرج عليهم ، فراب المعتمدَ أمرُه ، وشهر سيفه وجعل يطلبه والشمع بين يديه . فلما انتهى إلى بعض الدهاليز ، إذا بحصير مطوىّ ، وابن عمار فيه أغمضُ من سر خفىّ ، عريان كأنه أفعوان ، فأمر بحمله وجعل يعجب من

(١) الذخيرة : بالغلاء .
(٢) الرجل هو الذى تصوت فيه الريح .

فعله ، ولابن عمار بكاء [ورَوْ][1] ع مفرط . فلما أفرخ روعه ، ورقأ دمعه ، سأله عن شأنه فأخبر أنه — كلما أخذت منه الشمُول — [سمع كأن][2] قائلا يقول : « هذا يقتلك ! »[3] فينفُر عند ذلك ويَنْفَرّ[4] ، ويحمل نفسه على القرار فلا تقر ، حتى أمضى الله على يديه ما كُتب من ذلك عليه ؛ والمقدر كائن .

أتيت بخبر ابن عمار على الكمال ، فكثيراً ما يُتشوف إليه ؛ ولا يوقف عليه ؛ وما أعلم أحداً ساقه هذا المساق ، ولعل عذر الإفادة يقاوم لومَ الإطالة . ومن شعره فى غير ما تقدم ، أهدى إلى المعتمد ثوب صوف بحرى يوم نيروز وكتب معه :

لما رأيتُ الناس يحتشدون فى إتحاف يومك جئتُه من بابهِ
فبعثتُ نحو الشمس شبهَ أياتها[5] وكسوتُ متنَ البحرِ بعضَ ثيابه

فوجَّه إليه المعتمد بمكبَّة فضةٍ فيها خمسمائة دينار — وقيل خمسة آلاف دينار — ذهباً وكتب معها :

هِبةً أتتك من النضار أُلوفُها[6] فاغنم جزيلَ المال من وَهّابه

---

(١) لم يرد فى الأصل من هذه الكلمة إلا حرف العين . وقد وردت الحكاية عند ابن بسام (الذخيرة ، قسم ٢ ص ٢٨٥) بلفظ مختلف ، فهو يقول فى هذا الموضع : « وابن عمار يبكى فيضحك ، ويشكو فيشكّك» . وأورده عبد الواحد المراكشى فى أسلوبه السهل الواضح ؛ وهو يقول هناك (المعجب ، ص ١١٨) وهو يقص الخبر بلسان ابن عمار : « فلما رآنى فاضت عيناه دموعاً ، وقال : يا أبا بكر ، ما الذى حملك على هذا ؟ »

(٢) تكملة من الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٨٥) يقتضيها السياق .

(٣) فى الذخيرة : يا مسكين ! هذا يقتلك !

(٤) كذا فى الأصل ، ولم أجد انْفَرّ فى باب فَرَرَ فى المعاجم ، ومعناه — أحسب — يطلب الفرار .

(٥) أى شبه ضيائها .

(٦) فى الأصل « طيبها » وورد لفظ « ألوفها » إلى جانبه ، وكأن الناسخ أراد أن يصحح به لفظ « طيبها » . و« ألوفها » أوفق للمعنى ، فأثبتناه .

فلو أنّ بيتَ المال يحوى قُفْلُه أضعافَها لـكسرتُه عن بابه
وملأتُ منه يديكَ لا مستأثراً فيه عليك لـكى تُرى أولَى به
فالبحر يطفح جودُه لك زاخراً لما كسوتَ البحرَ بعضَ ثيابه

وأهدى أيضاً تفاحاً و إجّاصاً إلى بعض أصحابه[1] وكتب معها :

/ خُذها كما سَفرتْ إليك خدودُ أو أوْجَستْ فى راحتيْك نهودُ [١٠٣-ب]
دُرَراً من التفاح تُنثَر بيننَا ولها بأجياد الغصون عقودُ
خذها وناوِلْها النِّدامَ فإنها راحٌ دهاها فى الشتاء جمود
وشفَعتُ بالإجّاص قصداً ، إنه شكلُ الجمال وحدُّه المحدود
عذراً إليكَ فإنما هى أوجُهٌ بيضٌ تقارنها عيونٌ سود

وأهدى أيضا خمراً وطبقاً فيه تفاحتان ورمانتان وكتب معها[2] :

خذوها مثلما استهديتموها عروساً ، لا تُزَفُّ إلى اللئـام
ودونـكمُ بها ثديَىْ فتـاةٍ أضفتُ إليهما خدَّىْ غلامِ

وله فى الخرشف :

ونَبْتِ ماءٍ وتُربٍ جودُها أبداً لمن يُرجِّيه فى ثوب من البخَلِ
كأنها ، فى جمالٍ وامتناعِ ذُرًى خَوْدٌ من الروم فى درعٍ من الأَسَلِ

---

(١) فى الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٦٠) أنه أهدى ذلك إلى ذى الوزارتين أبى عيسى بن لُبُّون .

(٢) فى الذخيرة : واستهدى منه بعض إخوانه خمراً ، فبعث بها مع تفاحتين ورمانتين ، وكتب مع ذلك .

ولم يورد ناسخ « الحلة » الأبيات ، بل ترك مكانها فراغاً ، فأتيت بها برواية ابن بسام فى الذخيرة (قسم ٢ ص ٢٦٠) .

وله فى طبق من الفضة مذهَّبِ الباطن :

وسماء من الغِنَى قد أسالتْ ذهباً فى قرارةٍ من لُجَيْنِ
فاجتنتْ حولَها العيونُ بلطفٍ زَهرَ الُحسنِ من بنانِ اليدينِ

وله فى زورق :

وجاريةٍ مثل الهلال ألِفتُها على نَهَرٍ مثل السماء رقيقِ
تَجلَّى لنا الإصباحُ وهو زمردٌ فألقتْ عليه الشمسُ ثوبَ عقيقِ

وله ، وضمَّن أوائلَ الأبيات اسمَ قينة[1] :

نفسى — وإن عذَّبتِها — تهواكِ ويهزُّها طربٌ إلى لُقيـــاكِ
عجباً لهذا الوصل أصبح بيننا متعذراً ومُناىَ فيـــه مُناكِ
ما بالُ قلبى حين رامَكِ لم ينلْ ولقـــد ترومكِ مقلتى فتراكِ
[١٠٤-ا] / اللهُ أعلمُ ما أزور لحاجـــةٍ ذاك المحلَّ لغيرِ أنْ ألقاكِ
ليتَ الرقيبَ — إذا التقينا — لم يكنْ فأنالَ رِيًّا من لذيذ لَمَاكِ
متنزهاً فى روض خدكِ شارباً كأسَ الفتور تُديرها عيناكِ
حَكَتِ الغصونُ جمالَ قدكِ فانثنتْ والفضلُ للمحكىِّ لا للحاكى
لا تعزُبى ياروضـــةً ممطورةً حتى أمدَّ يدى إلى مَجْناكِ

وله :

أنا ابن عمارَ لا أَخْفَى على بشَرٍ إلا على جاهلٍ بالشمسِ والقمرِ
وبين طبعى وذهنى كلُّ سابقةٍ كالسهم يُبْعد بين القوس والوتر
إن كان أُخِّر فى دهرى فلا عجبٌ فوائد الكتب يُستلحقن فى الطُّرر

(١) أوائل الأبيات الأربعة الأولى تكون اسماً معروفاً لجارية : نُعْمَى . أما أوائل الأبيات الباقية فلا تكوّن إلا لفظ « المحل » .

لم أجد هذه الأبيات الثلاثة فى ما جمع أبو الطاهر التميمى من شعر ابن عمار ، فأضفتها إليه وكتبتها فى نسختى منه . وقد وقعت فى بعض نسخه : وكذلك قوله مبتدِهاً فى المعتصم محمد بن معن بن صمادح ، وقد مرَّ بقصره وحوله جماعة من الشعراء كانوا قد مدحوه ، وأبطأ عنهم عطاؤه وتعذر عليهم القول فى استنجازه ، فارتجل على ألسنتهم :

يا أيها الملكُ الذى شاد العلا مَعْنٌ أبوه وخالُه المنصورُ
بفِناء قصرِكَ عُصبةٌ أدبيةٌ لا زال وهو بجَمعهم معمورُ
زَفُّوا إليك بناتَ أفكارٍ لهمْ واستبطأوكَ ، فهل لهن مهور ؟

١٣٤ — أبو محمد بن هود الجذامى ، ذو الوزارتين

لم أقف على اسمه ، وهو أحد النجباء الأدباء من أهل بيته ملوك سرقسطة والثغر الأعلى ، ونَبَتْ به دارُهم فتجوَّل بمُوسطَةَ الأندلس وغربِها قاصداً رؤساءها ، واختص منهم بالمتوكل عمر بن محمد بن الأفطس ، فولاه مدينة الأشبونة من أعماله ، ثم صُرِف عنها وصَدر محمودَ السيرة معروفَ النزاهة . وهو القائل / فى خروجه من سرقسطة يخاطب قومه : [١٠٤–ب]

ضللتم جميعاً ، آلَ هودٍ ، عن الهدى وضيَّعتمُ الرأىَ الموفقَ أجمعا
وشِنتم يمين المُلك بى فقطعتم بأيديكم منها — وبالغدر — إصبَعا
وما أنا إلا الشمس غير غياهبٍ دجت ، فأبت لى أن أنير وأسطعا
وإن طلعتْ تلك البدورُ أهلةً فلم يبق إلا أن أغيب وأطلعا
ولا تقطعوا الأسباب بينى وبينكم فأنفُكم منكم وإن كان أجدعا

وله وقد احترق بيته أيام مقامه بطليطلة :

تركت محلى جنـــةً فوجدتُه على حكم أيدى الحادثات جهنما

لتصنع بى الأيام ما شئن آخراً فما صنعت بى أولاً كان أعظما

وله فى المتوكل أيام سلطانه بيابُرة :

[... ... .] [... ...] فالذى يخشى من الحذر

[... ... ...] [... ... ...] بالخبر(١)

وله مما نُقش على رِئاس سيف المتوكل :

لا تخشَ ضيماً ولا تصبح أخا فَرَقٍ إذا رِيَاسى فى يُمنى يديكَ بَقِى

أصبحتُ أمضَى من الحيْنِ المتاح فَصُلْ على الكُماة وبى عند الوغى فَثِقِ

لولا فتورٌ بألحاظِ الظباء إذاً لقُلتُ إنى أمضَى من ظُبى الحدق

وله وقد سئل عما اكتسبه فى ولايته :

وســــائلٍ لىَ لمـا صدَرْتُ عما وَليتُ :

ما نلت ؟ قلت : ثناءً يبقى معى ما بقيتُ

فإن أمتْ كان بعدى مخـــلداً لا يموتُ

[١٠٥ - ا] /عفت الفضولَ لعلمى أن ليس يُعدم قوتُ

وصُنتُ قدرىَ عنها مجمِّـــلاً فغَنِيتُ

(١) ورد هذان البيتان فى الأصل هكذا ، معظمهما بياض ، ولم أعثر عليهما فى أى موضع آخر لأكملهما ، وقائلهما يكاد أن يكون مجهولا حتى من ابن الأبار ، وهو من سلائل بنى هود الذين تفرقوا فى نواحى الأندلس بعد أن استولى المرابطون عليها ، ثم سقوطها نهائياً فى يد ألفونسو المحارب على ما حكيناه . وسيعود بيت بنى هود إلى الظهور بعد ذلك كما سنرى .

١٣٥ – أبو عيسى بن لُبُّون(١) ، ذو الوزارتين

هو لُبُّون بن عبد العزيز بن لُبُّون(٢) ، وكان من جملة أصحاب القادر يحيى

(١) يكتبه بعضهم بفتح اللام ، وصحته فيما أرى بضمها . فهو صيغة التكبير من الاسم المعروف لُبّْ ، وهو إسبانى معرب ، من lobo أى ذئب شبه الجزيرة . وقد قال عنه المقرى فى نفح الطيب (١/١٨٥) : « ولها سبع يعرف باللُّبّ ، أكبر بقليل من الذئب ، فى نهاية القحة ، قد يفترس الرجل إذا كان جائعاً » . ولفظ lobo إسبانى دارج من lupus اللاتينى ، ويقال فى الدارج أيضاً lupo ويسمى به الناس ، ويسمون أيضاً باسم lup . أما López فعناه ابن لُبّْ .

وعلى هذا فلُبُّون إما أن تكون Lobón أو Lupón ، وفى كلتا الحالتين تضم اللام ، وهى صيغة تكبير أخذتها اللغة الإسبانية عن اللاتينية ، وقبسها العرب وطبقوها على أسمائهم فقالوا : حمدون وزيدون وفرحون .

(٢) المادة التى يقدمها ابن بسام فى القسم الثالث من الذخيرة عن أبى عيسى بن لبون لا تغنى كثيراً (وهى ساقطة من مخطوطة أكاديمية التاريخ فى مدريد وموجودة فى مخطوطة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد) . أما ابن سعيد فقد أورد ذكر بنى لبون فى الفصل الخاص بلورقة ، وقال : ملكها فى مدة ملوك الطوائف أبو محمد عبد الله بن لبون ، وتوفى ، فورثها أخوه أبو عيسى ابن لبون الذى ملك معقل مُرْبِيطَرْ من أعمال بلنسية ، ووليها بعده أخوه أبو الأصبغ سعد الدولة ابن لبون ، وصارت للمعتمد بن عباد ، إلى أن تداول عليها ولاة الملثمين ، إلى أن كانت الفتنة عليهم ، فقدَّم أهلها أبا محمد عبد الله بن جعفر بن الحاج . (المغرب : ٢/٢٧٥ – ٢٧٦) .

والمعروف أن أبا عيسى بن لبون كان قاضياً ووزيراً فى بلنسية أيام أبى بكر بن عبد العزيز ، فلما توفى هذا فى ٧ صفر ٤٧٨/٦ يونيو ١٠٨٥ اضطرب أمر بلنسية ، وانقسم أهلها قسمين : قسما مال إلى تصييرها ابنى هود أصحاب سرقسطة ، وقسما مال إلى إسلامها لبنى ذى النون أصحاب طليطلة . وفى نفس الوقت كان السِّيد القمبيطور معسكراً مع جنوده فى منطقة بلنسية ، فأطمعه اختلاف أهلها فى الاستيلاء عليها ، وفرض عليها ضريبة ثقيلة وأقام فيها وكيلا له يسمى ابن الفرج ليجمع الإتاوة . وفى هذه الظروف فضل ابن لبون الانسحاب من البلد ، فلجأ إلى مربيطر دار أهله ، وبعد ذلك بقليل دخل بلنسية القادر حفيد المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة ، بعد أن أسلم هذا البلد الأخير لألفونسو السادس ، فى مقابل مساعدة هذا الأخير له على تولى حكم بلنسية . وقد دخل القادر فى حماية قوة قشتالية كبيرة يقودها أَلْبَرْ هانس Alvar Hanez من =

ابن ذى النون . ورأسَ بمُرْبيطَر من أعمال بَلَنْسِيّة ، ثم تخلّى عنها لأبى مروان عبد الملك بن رَزِين ، صاحب شَنْتَمَرِيَّة الشرق ، أيامَ تغلب رُذْرِيق المعروف بالكنبيطور على بلنسية و إحراقه لرئيسها أبى أحمد بن جحّاف ، وسار معه إلى شَنْتَمَرِيَّة ؛ ثم ندم بعد ذلك واستقل ما كان يُجْرى عليه فقال :

ذرونى أجُبْ شرقَ البلاد وغربَها لأشفىَ نفسى أو أموتَ بِدائى
فلستُ ككلب السوء يُرضيه مربضٌ وعظمٌ ، ولكنى عُقابُ سماء
تحُوم لكيما يدرك الخِصبَ حومها أمامَ أمامى أو وراء ورائى
وكنتُ إذا ما بلدةٌ لى تنكرتْ شددتُ إلى أخرى مَطىّ إبائى
وسِرتُ ولا ألوى على متعذرٍ وصَمّمْتُ لا أصغى إلى النصحاء
كشمسٍ تبدّتْ للعيون بمشرقٍ صباحاً ، وفى غربٍ أصيلَ مَساء

وله من أخرى فى مثل ذلك :

خليلىّ ما بالى على صدق عَزمتى أرى من زمانى وَنْيَةً أو تعذُّرا
ووالله ما أدرى لأىّ جريمةٍ تجَنَّى ، ولا عن أى ذنب تغيَّرا
ولم أكُ عن كسب المكارم عاجزاً ولا كنتُ فى نَيْلٍ أُنيلُ مقصِّرا
لئن شان تمزيقُ الزمان لدولتى لقد رَدَّ عن جهلٍ كثيرٍ وبصَّرا
وأيقظ من نوم الغَرارة نائماً وكسَّب علماً بالزمان وبالورى

= كبار فرسان ألفونسو السادس ، وزعم السِّيد القمبيطور أنه يمثل ملك قشتالة فى هذه الناحية وأنه حامٍ للقادر بن ذى النون ضد خصومه من أهل البلد ، وأخذ يحاصره ، وبدأت بذلك محنة بلنسية وأهلها على يد السِّيد ، وقد فصلها ابن علقمة فى كتابه « البيان الواضح عن المُلِم الفادح » وقد عثرنا على قطع منه . انظر علاوة على المراجع الواردة فى التعليق :

DOZY, *Recherches (1ère* édition, 1848), 465 et note 2.

Primera Crónica General (1906), 549.

وكان أبو عيسى معدوداً فى الأجواد ، موصوفاً بتجويد القريض . وطالت إقامته فى كنف ابن رَزين إلى أن توفى هنالك ، وقيل بل توفى بسَرَقسْطة .

وأما أخوه أبو محمد عبد الله بن لُبُّون ، فكان والياً على لُورْقَة/ وتوفى بها [١٠٥-ب] بعد وقيعة الزلاّقة بيسير — وسيأتى ذِكره — فقال أبو عيسى يرثيه ويذكر أخويه المتوفيين قبله — أبا وهب عامراً وكان ضابطاً لقصر بلنسية ، وأبا شجاع أرقم وكان والياً على وَبْذَة[1] من سنت ابرية[2] — وكان إبراهيم أبو الأصبغ من كبار أصحاب المأمون بن ذى النون وهو الذى استخلف على بلنسية فى خروجه لتملك شاطبة :

قل لصَرفِ الحِمام : لِمْ ذا التناهى فى تلقِّيك لى بهٰذى الدواهى ؟
كان فى « عامرٍ » و« أرقمَ » ما يكـ ـفى ، فهلا أبقيتَ « عبد الإلٰه » ؟
فَبِهِ بعدُ كنت أستدفع الخطـ ـب وأسطو على العِدا وأباهى
أى شمسٍ وافَى عليها أفول فَلَّ غَرْبَىْ عزائمى ونَواهى

وله يخاطب أبا اليَسَع كاتبَ أخيه والذى خلفه بعدُ على لُورْقَة :

لو كنتَ تشهد يا هـذا عشيّتَنا والمُزْنُ يُمسِك أحياناً وينحدرُ
والأرض مصفرةٌ بالقَطْر كاسيةٌ أبصرتَ تبراً عليه الدرُّ ينتثر

وهذا كقول الأسعد بن بلِّيطة ، وأجاد ما أراد :

لو كنتَ شاهدَنا عشيةَ أمسِنا والمزنُ يبكينا بعينَىْ مذنبِ

---

(١) وَبْذَة Huete مركز لقسم إدارى فى مقاطعة كُونْكَة Cuenca ، وتقع على بعد ٥٠ كيلومتراً غربى هذه الأخيرة . وتقع وبذة على نهر وبذة ، أحد نهيرات نهر تاجه .

(٢) كذا ، والمراد — دون شك — شَنْتَبَرِيَّة Santáver ، فإن وبذة تقع فيها بحسب التقسيم الإدارى الأندلسى .

والشمس قد مدتْ أديمَ شعاعها ... فى الأرض تجنح غيرَ أنْ لم تغربِ
خِلتَ الرذاذَ بُرادةً من فضةٍ ... قد غُربلتْ من فوق نطْعٍ مُذْهَبِ

ولابن لُبُّون :

سقى أرضاً ثَوَوْها كلُّ مُزنٍ ... وسايَرهمْ سرورٌ وارتيــاحُ
فما أَلْوَى[1] بهم هُلكٌ ولـكنْ ... صروف الدهر والقــدر المتاحُ
سأبكى بَعــدَهم حزناً عليهم ... بدمعٍ فى أعِنَّتِــه جِماحُ

وله :

ياليت شعرى، وهل فى «ليت» من أربٍ؟ ... هيهات، لا تُبتَغى[2] من «ليت» آرابُ
أين الشموسُ التى كانت تطالعُنا ... والجوُّ من فوقه لليل جلبابُ ؟
[١٠٦-١] / وأين تلك الليــالى إذ تُلِمُّ بنا ... فيها وقد نام حُرّاس وحُجّابُ ؟
تُهدِى إلينــا لُجيناً حشوُه ذهبٌ ... أناملُ العاجِ والأطرافُ عنّابُ

وله :

قم يا نديمُ أدِرْ علىّ القرْقَفَا ... أوَ ما ترى زَهرَ الرياض مُفوّفَا ؟
فتخالُ محبوباً مُدِلاًّ وَرْدَها ... وتظن نرجسَها مُحبًّا مُدنفَا
والجُلّنارَ دماءَ قتــلى معركٍ ... والياسمينَ حَبــابَ ماء قد طفا

وله :

يارب ليلٍ شربنا فيه صافيةً ... حمراءَ فى لونها تَنْفِى التباريحا

---

(١) الأصل : الورى ، وصوبتها للمعنى والوزن .
(٢) الأصل : تُنْتَقى ، وصوبتها للمعنى .

ترى الفَراش على الأكواس ساقطةً كأنما أبصرت منها مصابيحا

وله يعاتب :

لحا اللهُ قلبي ! كم يحنُّ إليكمُ وقد بِعتمُ حظى ، وضاع لديكمُ
إذا نحن أنصفناكمُ من نفوسنا ولم تُنصفونا ، فالسلامُ عليكمُ !

وله فى زهده و إقلاعه والتزامه بيته عند انخلاعه :

نفضتُ كفى من الدنيا وقلتُ لها : إليكِ عنى فما فى الحق أغتبنُ
من كِسْرِ بيتى لى روضٌ ، ومن كتُبى جليسُ صدقٍ على الأسرار مؤتمنُ
أدرِى به ما جرى فى الدهر من خبرٍ فعنده الحق مسطورٌ ومختزَنُ
وما مضى بى سوى موتى ويدفننى قومٌ وما لهم علم بمن دفنوا

١٣٦ — أبو عامر بن الفرج ، ذو الوزارتين (١)

كان من بيت رئاسة ، تصرّف آباؤه وقومه مع بنى ذى النون ملوكِ طليطلة . و إلى أبى سعيد منهم — وهو وال على كُونْكَة — توجّه المظفرُ عبد الملك ابن المنصور عبد العزيز بن أبى عامر ، حين خلعه المأمون بن ذى النون من

(١) أورد عنه ابن بسام (الذخيرة ، قسم ٣ ، مخطوط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، وهو غير مرقم) بعد ترجمة ابن طاهر مادة قصيرة لا تغنى ، وقد نقل ابن سعيد معظمها فى المغرب (٢/٣٠٣ — ٣٠٤) . وأحسن ما لدينا عنه ما أورده ابن سعيد من كلام الحجارى فى المسهب (المغرب ، ٢/٣٠٤) وفيه « وكان أبوبكر بن عبد العزيز يقصدهم (فى بلنسية) لمكانهم من بلده ، ويخفى لهم ما أظهره بعدُ من حسده ، فتصدى لهم بالموبقات ، وأخرجهم عن بلنسية ، فتفرقوا على حواضر ملوك الطوائف ، وكلٌّ صادف محلا قابلا ، وصار أبوعامر وزيراً للمأمون ابن ذى النون (فى طليطلة) » .

بلنسية فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . وأبو عامر هـذا هو القائل يستدعى أبا محمد المصرى(١) إلى مجلس أنس :

أنا قد أهبتُ بكم وكُلُّكُمُ هوًى وأحقُّكم بالشكر منى السابقُ

[١٠٦-ب] /والشمسُ أنتَ وقد أطلَّ طلوعُها فاطلع وبين يديك فجرٌ صادقُ

وله يعتذر :

ما تخلَّفتُ عنك إلا لعذرٍ ودليلى فى ذاك حرصى عليكا

هبكَ أن الفرار عن غير عذرٍ أتراه يكون إلا إليكا ؟

وله إلى وسيم من معارفه يستدعى منه خمراً لعلاج ابنه :

أرسل بها مثلَ وُدِّكْ أرقَّ من ماء خدِّكْ

شقيقة النفس فانضحْ بها جوى ابْنِى وعبدِكْ

١٣٧ — أبو الحسن بن اليسع الكاتب ، ذو الوزارتين(٢)

كتب لأبى محمد بن لُبُّون صاحب لُورْقَة ، وخلَفَه عليها بعد وفاته ، واستبد

(١) أبومحمد عبد الله بن خليفة القرطبى ، عرف بالمصرى لطول إقامته بمصر . وقد وصفه ابن بسام فى الذخيرة (القسم الرابع ، مخطوطة مصورة بجامعة القاهرة ، ورقة ١٢٠) بأنه كان « شيخ الفتيان وآبدة الزمان ، وخاتمة أصحاب السلطان ، وكان رحل إلى مصر واسمه خامل ، وسماؤه عاطل ، فلم ينشب أن طرأ على الأندلس وقد نشأ خلقاً جديداً ، وجرى إلى النباهة طلقاً بعيداً » ، وقال إن المطاف انتهى به عند المأمون بن ذى النون ، وقال إنه اشتهر بالطب ولذلك لقب بالحكيم ، ثم انتقل إلى إشبيلية ، وخدم المعتمد بن عباد حتى خُلع هذا ، وقد توفى يوم الجمعة منتصف رجب سنة ٤٩٠ .

انظر أيضاً : المغرب لابن سعيد (١٢٨/٢ — ١٢٩) وتعليقات الدكتور شوقى ضيف .

(٢) لم يورد أحد ممن ترجموا له اسمه الكامل . وأضاف ابن خاقان فى القلائد (ص ١٦٧) أن المعتمد بن عباد ولاه مرسية ، فصار فيها قائداً ووزيراً ، فائتمر به أهلها وخلعوه ، بسببه إسرافه فى الخمر والمجون على الأغلب .

بضبطها دون بنيه ، إلى أن تخلى عنها للمعتمد محمد بن عباد ، وندِم عليه بقرطبة ، وحضر غزوة الزَّلاَّقة معه . وذكر أبو بكر بن قاسم الشِّلْبي فى تاريخه المجموع فى أخبار ابن عمّار ما يخالف هذا ، وسيأتى نصه بعدُ إن شاء الله تعالى . وكان ابن اليسع ماجناً صاحب بطالة وراحة ، أديباً شاعراً ؛ وهو القائل يخاطب أبا بكر ابن اللبانة :

تشرّق آمالى وسعيي يغرّبُ ... وتطلُع أوجالى وأُنسِيَ يغرُبُ

سَرَيْتُ أبا بكرٍ إليك وإنما ... أنا الكوكب السارى تخطاه كوكبُ

فبالله إلا [ما][1] مَنحتَ تحيةً ... تَــكُرُّ بها السَّمْعُ الدرارى وتذهب

وبعدُ فعندى كلُّ عِلْقٍ تصونُهُ ... خلائق لا تفنى[2] ولا تتقلب

كتبتُ على حالين : بُعدٍ وعُجمةٍ ... فيا ليت شعرى كيف ندنو فنُعرب ؟

وكان فى ليلة الشك من شعبان بخارج قرطبة ، إذ قدِم على المعتمد فى لُمَّة من أعيانها ، منهم أبو الحسين بن سِرَاج ، وقد غلبوه على المسير معهم ، فخرج مكرهاً وغرضه الاستراحة ، وكان تحته فرس عتيق . فأخذ معهم فى أمره حيلة فى إجرائه والانفصال عنهم على تلك الحال ، وركضه مولياً عنهم وراجعاً إلى منزله / ليخلو [١٠٧-١] براحته ، فما انصرفوا إلا وهلال رمضان ظاهر ؛ فكتب إليه أبو الحسين ابن سراج :

عَمْرِى أبا حسنٍ لقد جئتَ التى ... عطفَتْ عليك ملامة الإخوانِ

لما رأيتَ اليومَ ولّى عمــرُه ... والليــل مقتبل الشبيبةِ دانِ

والشمس تنفُض زعفراناً بالرُّبى ... وتفتُّ مِسكتَها على الغيطان

---

(١) إضافة من المغرب (٢/٨٦) يستقيم بها الوزن .

(٢) الأصل : لا تبقى ، والتصويب من المغرب لابن سعيد ، وقد جعلها دوزى (ص١٩٤) : تبلى .

أطلعتَها شمساً وأنت عطاردٌ وحففتَها بكواكب الندمانِ
وأتيتَ بدعاً فى الأنام مخلداً فيما قرنتَ ولات حين قرانِ
ولهيتَ عن خِلٍّ صفاء لم يكن يلهيهما عنك اقتبالُ زمانِ
غَنِيا بذِكركَ عن رحيقٍ سلسلٍ وحدائقٍ خُضرٍ وعَزفِ قِيانِ
ورضيتَ فى دفع الملامة أن تُرَى متعلقاً بالعذر من حسّانِ

فراجعه بقوله :

وأنا أسأتُ فأين عفوُك مُجمِلاً هبنى عَصيتُ اللهَ فى شعبانِ
لو زرتَنى والآن تحمد زَوْرَتى كنتَ الهلالَ أتى بلا رمضانِ

وله فى أبى بكر بن القَبْطُورْنة يستهدى مشروباً وهو ببَطَلْيَوْس فى غزاة الزلاّقة :

عطشتُ أبا بكرٍ وكفُّك دِيمةٌ وذُبتُ اشتياقاً والمزار قريبُ
نخففْ ولو بعض الذى أنا واجدٌ فليس بحقٍّ أن يُضاعَ غريبُ
ووفِّر لنا من تلك حظًّا نُرى به نشاوَى ، وبعد الغزو سوف نتوبُ

فوجَّه إليه مطلوبه وتضييفاً معه وكتب إليه :

أبا حسنٍ مثلى بمثلِك عالمٌ ومثلُك بعد الغزو ليس يتوبُ
فخُذها على مَحضِ الصفاء كأنها سَنًا مالَها بعد الحساب ثُؤُوبُ

وله إلى أبى بكر بن عمار :

لما دنوتَ وعندى حظ من الشوق وافِ
[١٠٧-ب] /قدَّمتُ قلبىَ قبلى فصنْه حتى أوافى

ولما تحرك المعتمد إلى لُورْقَة — فى الجيش الذى ترك عنده ابن تاشفين

بعد غزوة الزَّلاقة ، وغرضه التمكن من ابن رشيق لتمنّعه عليه بمرسيَة — كتب إليه أبو الحسن بن اليسع وقد قرب منه :

هٰذى سماؤك فلتصعد إلى أملٍ أمنيَّتى منه رعيى فى كواكبها
منعتُها وملوكُ الوقتِ تطلبُها سعياً لمُلكك فلتهنأ به وبها

وقصد المعتمد مرسية فى هذه الحركة فلم يظفر منها بطائل ، وخدعه ابنُ رشيق وداخلَ الواصلين معه من المرابطين على جيش ابن تاشفين ، فانصرف إلى إشبيلية . وفى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ؛ حرك المعتمد ابنَ تاشفين للغزو ، بعد أن أجاز إليه البحر ، ولقيه على وادى سَبُوا[1] وبمنعطف منه يعرف « بالدَّخْلة » ، فقصدوا جميعاً حصن أُلْييط — وبينه وبين لُورْقَة اثنا عشر ميلا — والروم يعيثون منه فيما حوله ، وابن رشيق يعينهم . وعلم الطاغية أذفونش بذلك ، فتحرك لغياث الحصن والدفاع عن أهله ، فوقع الانزعاج واستراب ابن تاشفين ، وتحيز إلى لورْقَة وأقام هناك أياماً . ويقال إن جيش الطاغية فى حركته هذه نيَّف على ثمانية عشر ألفاً بين خيل ورَجْل ، فأهلكهم الله بالوباء ولم ينصرف إلا فى أقل من خمسة آلاف . ولما فصلت جيوشُ المسلمين مع ابن تاشفين — وقد صار أمر مرسية إلى المعتمد ، وكان ابن رشيق فى قبضته — ترك ابنَ اليسع على أُورْقَة والياً ، وترك ابنَ رشيق مسجوناً عنده[2] ؛ فقال فى ذلك أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورْقى :

---

(١) كذا ورد الاسم فى الأصل ، والمشهور بدون ألف بعد الواو وبتسكين السين : « سبْتُو » . وقد رسمه البكرى أيضاً بالألف بعد الواو (انظر فهرس الأعلام) .

(٢) أورد الأمير عبد الله الزيرى فى مذكراته (ص ٧٩ — ٨١ ، ثم ص ١٠٩ — ١١٢) تفاصيل وافية عما صنع ابنُ رشيق أول الأمر مع ابن عباد وابن عمار فى مرسية ، ثم موقفه أثناء حملة لييط ، وكيف ترك يوسف بن تاشفين الفقهاء يفتون فى أمره ، فقرروا « إزاحته عن المسلمين » ، فسُلم إلى المعتمد بن عباد فقتله .

قل لى ، أبِنْ لى ، هل تأملتَها أو هل تدبرتَ لها عاقبهْ ؟
بالأمس أعيتْك رشـــيقيةٌ واليومَ أحدثتَ لها صاحبهْ

هذا خبر ابن الشِّلْبي مع ما انضاف إليه من غيره .

١٣٨ — حَريز بن حَكم بن عُكّاشة

[١٠٨-ا] /صحب أبوه حَكم أبا الحسن إبراهيم بن يحيى المعروف بابن السَّقّاء(١) ، وزير أبي الوليد بن جَهْوَر رئيس قرطبة ، فسُجن عند قتله مع أصحاب الجرائم ،

(١) أورد ابن بسام فى الذخيرة (قسم ١ مجلد ٢ ص ١١٤ وما يليها) فصلا كبيراً لابن حيان عن بنى جهور وولايتهم لأمر قرطبة أيام أبي الحزم بن جهور وابنه الوليد وابنى هذا عبد الرحمن وعبد الملك ، وكيف قسم أبو الوليد بينهما شئون الإمارة ، فجعل عبد الرحمن للشئون الإدارية والمالية وعبد الملك للشئون العسكرية . وكان عبد الملك شهما جريئاً ، وهو الذى قتل ابن السقاء وخلص دولة بنى جهور منه . ويفهم من كلام ابن حيان (ص ١٢٣) أن ابن السقاء كان صاحب الأمر فى قرطبة أيام أبي الوليد بن جهور ، فحسده عليه ابنُ عباد ، وكان طامعاً فى قرطبة ، فأوقع بينه وبين عبد الملك بن أبي الوليد حتى قام عبد الملك بقتله . وفى القسم الرابع من المجلد الأول من الذخيرة (القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٨٦ وما يليها) أورد ابن بسام فصلا آخر لابن حيان فى نفس الموضوع فصّل فيه تاريخ أبي الحسن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء هذا ، وذكر كيف نشأ فقيراً يبيع السَّقَط فى درب ابن أبي سفيان فى قرطبة ، ثم صار متولياً للنظر فى المسجد الجامع ، ثم اختاره أبو الوليد بن جهور ورفعه إلى الرياسة والوزارة ، فتغيرت حاله وأغراه السلطان وطمع فى المال حتى أصبح من الأغنياء ، واستبد بأمور البلد و « اتخذ لنفسه جند سوء » ليستظهر بهم على أقادم الجند بقرطبة ، واتخذ لنفسه داراً خاصة بالغلمان سماها الناس « دار اللذة » فقام عليه عبد الملك بن أبي الوليد محمد بن جهور وقتله بيده مع نفر من أصحابه يوم السبت ٢٣ رمضان ٤٥٥ . وقد ريع أبو الوليد لمقتل وزيره ، ولكنه لم يستطع شيئاً ، وفى هذا اليوم يقول ابن حيان : « سُلبت كسوة مسجد ابن السقاء وثرياه ، وعطلت فيه الصلاة ، فصار مثوى للثاوى » .

وكان حَكم بن عكاشة من رجال ابن السقاء هذا .

إلى أن هرب من محبسه ولحق بالمأمون بن ذى النون فنصح له . وكان شهماً صارماً ، فولاه بعض الحصون المجاورة لقرطبة ، فدخلها بعد خلع بنى جَهْوَر فى خبر طويل[١] ، وقتل أميرها حينئذ عَبّاداً الملقب بسراج الدولة بن المعتمد محمد ابن عباد ، و بعث برأسه إلى المأمون وهو ببلنسية ، وذلك فى سنة سبع وستين وأربعمائة ، فورَد المأمونُ قرطبةَ وأقام بها نحواً من ستة أشهر ، ثم توفى فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، واحتُمل إلى طليطلة فدُفن بها . و بقى حَكَمُ ابن عُكّاشة بقرطبة ، نائباً عن القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن ذى النون ، بعد أن جُددت له البيعة بها ، و بلغ ذلك المعتمدَ محمد بن عباد فأقبل فى جموعه طالباً بثأر ابنه عَبّاد . وعلم ابن عُكّاشة أنه لا طاقة له به ، فهرب عند ذلك وأسلم قرطبةَ فدخلها المعتمدُ ، وأتبعه خيلا لحقته فقُتل وجيء له به فصُلب مع كلب[٢] .

وولىَ ابنُهُ حَرِيز هذا قلعةَ رَبَاح[٣] للقادر بن ذى النون ، وهو الذى

---

(١) فصل ابن حيان (الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ٢ ، ص ١٣٣ وما يليها) هذه الأحداث . وكان خلع بنى جهور سنة ٤٦٢ ، خلعهم المعتمد بن عباد ، وكان عبد الملك بن أبى الوليد محمد ابن جهور قد طلب منه مدداً يدفع به خطر المأمون بن ذى النون عن قرطبة ، وكان قد ضايقها وحكمها مدة ، فبعد انصراف ابن ذى النون قام جند المعتمد بخلع بنى جهور ونفاهم هو إلى جزيرة شلطيش .

(٢) روى ابن بسام أخبار هذه الحوادث عن ابن حيان (الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ، ص ١٢٣ وما بعدها) ولكن كلامه فى تلك القطعة يخلو من تلك الصراحة وذلك الوضوح اللذين تعودناهما منه .

(٣) قلعة رباح مدينة تابعة لمدينة طليطلة فى التقسيم الإدارى الأندلسى ، وتوصف بأنها — مع طلبيرة **Talavera** — حد فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين ، ويحددها الرازى بأنها شمال شرق قرطبة وجنوبى طليطلة ، وأنها تقع على وادى آنة ، وهى مسماة فى الأغلب باسم التابعى على بن رباح اللخمى الذى اشترك فى فتح الأندلس . وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن هو الذى بنى حصنها ومدّنها ، وحلت محل مدينة أوريط **Oreto** القديمة . وقد سقطت قلعة رباح =

امتحن أبا الحسن بن السِّيد البَطَلْيَوْسى(١) لما اتهمه وكاتبَه بمداخلة المتوكل بن الأفطس صاحب بَطَلْيَوْس ، فبطش بالكاتب وأفات نفسَه ، وحبس أبا الحسن فى بيت ضيق ، وكان يُجرى عليه رغيفاً لا شيء معه ، إلى أن ضعف وهلك .

وقُتِل حَرِيز فى سنة ثمانين وأربعمائة على حصن مَسْطَاسَة(٢) ، وقد كان

= فى يد ألفونسو السادس مع طليطلة سنة ١٠٨٥/٤٧٦ ، وقد استعادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بعد انتصاره فى وقعة الأرك بعد أن تبادلها المسلمون والنصارى عدة مرات ، وقد سقطت وخرجت عن حوزة الإسلام نهائياً سنة ١١٤٧ . وأصبحت بعد ذلك مركزاً لطائفة مشهورة من الرهبان المرابطين (كالداوية والاسبتارية) وهى طائفة قلعة رباح La Orden de Calatrava التى تجردت لحرب المسلمين ومغاورتهم ، وموضع قلعة رباح العربية يسمى اليوم Castillo de Calatrava la Vieja على ١٢ كيلومتراً شمال شرق مدينة Ciudad Real عاصمة المديرية التى تحمل نفس الاسم جنوبى مديريتى مدريد وطليطلة .

راجع : الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميرى ، رقم ١٥٠ ص ١٦٣ وص ١٩٦ من الترجمة الفرنسية وتعليق ٢ ، وكذلك .

MADOZ, *op. cit.*, V. 269 - 273.

(١) لا نعرف صلة أبى الحسن بن السِّيد البطليوسى هذا بالعالم المعروف أبى محمد عبد الله ابن محمد بن السِّيد النحوى الفقيه الفيلسوف مؤلف الكتب الكثيرة مثل كتاب « الحلل فى شرح أبيات الجمل » و« شرح الموطأ » و« التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة » و « كتاب الحدائق » (مدخل فى المنطق والفلسفة) . وقد ولد هذا الأخير سنة ١٠٥٢/٤٤٤ فى بطليوس وتوفى فى بلنسية سنة ١١٢٧/٥٢١ . وإذا حسبنا حساب التواريخ كان ابن السيد العالم ابناً أو ابن أخ لأبى الحسن المذكورهنا .

انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، رقم ٦٣٩ ص ٢٨٧ . وقد نشر آسين پلاثيوس دراسة وافية عن أبى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى كمقدمة لتحقيقه لكتاب « الحدائق » :

MIGUEL ASIN PALACIOS, *Ibn al-Sid de Badajoz y su «Libro de los Cercos»* (*Kitab al-Hadaiq*). Al-Andalus, 1940, tomo V, fasc. 1, pp. 45 - 154.

(٢) مسْطاسَة Mestanza قرية فى مديرية Ciudad Real تابعة لمركز كامپو دى كالاتراڤا Campo de Calatrava (فحص قلعة رباح) غير بعيد من المُدَوَّر Almodóvar del Rey

Cf : MADOZ, *op. cit.* XI., p. 397.

أهل فَحْص البَلوط(١) أسروه ، وسيق إلى المعتمد فمنّ عليه وأطلقه . ومن شعره ما حكى الفتحُ بن عبيد الله فى « كتاب مطمح الأنفس » من تآليفه أن الوزير أبا مروان بن مثنى كتب إليه :

يا فريداً دون ثانِ وهلالاً فى العِيانِ
عُدِم الراحُ فصارتْ مثل دُهن البَلَسانِ

فبعث بمطلوبه وجاوبه بقوله :

جاء من شِعرك روضٌ جاده صَوْبُ البيانِ
فبعثناها سُلافاً كسجاياك الحسانِ
/يافريداً لا يُجارَى بين أبناء الزمانِ [١٠٨-ب]

---

(١) فحص البلوط كورة متوسطة الاتساع فى التقسيم الإدارى الأندلسى ، يقول الرازى إنها تقع جنوب غربى أوريط (وادى الحجارة) وقال إن سهلها تحيط به جبال البرانس المعروفة الآن باسم جبال طليطلة وتسمى اليوم **Los Pedroches** ، وهى الجزء الشمالى من مديرية طليطلة بين **Hinojosa del Duque** وجبال المعدن **Sierra de Almadén**. وكانت أهم مدن الكورة فى العصور الإسلامية بِطْرَوْش **Pedroche** وغافق، ويسميه الإدريسى إقليم البَلالِطَة ؛ والنسبة لفحص البلوط البَلُّوطى .

انظر : ياقوت ، معجم البلدان : ٣٦٥/٤ — الإدريسى ، ص ١٧٥ والترجمة الفرنسية للوزى ، ص ٢١١ — الروض المعطار ، رقم ١٢٧ ص ١٤٠ والترجمة الفرنسية ص ١٦٨ وتعليق ١ .

١٣٩ — عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، أبو عبيد — الوزير

هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب [بن عمرو من أبناء][1] الأمراء [... ...][2] يكنى أبا [عبيد الله . ولى][3] أبو زيد محمد بن أيوب وَلْبَةَ وشَلْطِيش[4] وما بينهما من الثغر الغربى وأصلهم من لَبْلَة[5] .

---

(١) كتبنا فى بحثنا عن « الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس » (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٧ و ٨ ، ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ، ص ٣٠٣ وما بعدها) بحثاً مطولا عن أبى عبيد البكرى وبيته رجعنا فيه إلى كل ماكتب ونشر عنه . والثابت لدينا أنه عبد الله ابن عبد العزيز بن أيوب بن عمرو ، فجعلنا اسمه هكذا مع أن الناسخ ترك فراغاً بين« عبد العزيز» و« ابن محمد » . وأكملنا النسب بعد ذلك ، وأضفنا عبارة « من أبناء » للسياق .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) فى التقسيم الإدارى الأندلسى تدخل ولبة وشلطيش فى كورة أكشونبة **Ocsonoba** ، وكانت تشمل الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة مما يلى كورة إشبيلية غرباً ، وجزء منها داخل فى حدود البرتغال حالياً ، وفيه شِلْب **Silves** ، والباقى داخل فى حدود إسبانيا . وولبة **Huelva** وشلطيش **Saltes** داخلتان اليوم فى زمام مديرية ولبة الحالية . أما ولبة فيطلق حالياً على مديرية كبيرة مساحتها ١٠٠٨٥ كيلومتراً مربعاً تتاخم مديريتى إشبيلة وقادس من الشرق وحدود البرتغال من الغرب ، وشمالها مديرية بطليوس ويمر فيها نهر صغير يسمى النهر الأحمر **Rio Tinto** ونهر آخر يسمى الأوديل **Odiel** ومصباهما متقاربان فى خليج واسع تقع فيه جزر صغيرة ، أكبرها شلطيش **Saltes** . وبين المصبين ، على رأس يفصل بينهما ، تقع ولبة الحالية ، وهى ميناء كبير ومركز هام لصيد السمك وقاعدة المديرية المسماة باسمها . وقد سقطت ولبة وخرجت من دار الإسلام نهائياً سنة ٦٤٦/١٢٤٨ على يد فرناندو الثالث المعروف بالقديس ، وسقطت تبعاً لها جزيرة شلطيش . ويشرب أهل شلطيش من مياه الأمطار ، يخزنونها فى صهاريج ، وينقل إليها الماء من ولبة بالسفن إلى الآن ، كما كان الحال أيام العرب .

(٥) فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت لبلة **Niebla** قاعــدة كورة تحمل نفس الاسم تقع شمالى كورة أكشونبة المذكورة فى التعليق السابق ، وكانت تسمى لبلة الحمراء . ولبلة على خمسين كيلومتراً غربى إشبيلية ، على الضفة الغربية للنهر الأحمر **Rio Tinto** ، وهى تابعة لمديرية —

وكان أيوب بن عمرو قد وَلى خطةَ الردِّ بقرطبة ووَلى أيضاً القضاء ببلده ، وسَماه ابنُ حَيّان فى الذين سمعوا من هشام المؤيد ما أمرَ بعقده للمنصور محمد بن أبى عامر مجدِّداً للألفة ، وسمَّى معه محمد بن عمرو أخاه ، وتاريخ هذا العقد شهر صفر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . وذكر أبو القاسم بنُ بشكوال أيوبَ بن عمرو المذكور فى تاريخه .

قال ابن حيان : لما تولى الوزيرُ أبو الوليد بن جَهْوَر الإصلاح بين ابن الأفطس والمعتضد – بعد امتداد شأوِهما فى الفتنة – وسَنى اللهُ السلمَ بينهما فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين – يعنى وأربعمائة – اعتدى إثْر ذلك المعتضدُ على جارَيْه ابنِ يحيى أمير لَبْلَة وأبى زيد البكرى أمير شَلْطِيش ووَلْبَة ، فأخرجهما عن سلطانهما الموروث ، وحصل له عملُهما بلا كبير مؤونة ، وضمه إلى سائر عمله العريض . وازداد بذلك المعتضدُ سلطاناً وقوة ، وذلك أنه لما خلا وجهُه من المظفر بن الأفطس فرغ لابن يحيى بلَبْلَة ، وصمَّم فى قصده بنفسه ، فنزل له عن لَبْلَة وخرج عن البلد ، وانزعج إلى قرطبة مسلوبَ الإمارة ، لائذاً بكنف ابنِ جَهْوَر سادِّ الخَلَّة ومأوى الطريد . وكان من الغريب النادر أن شاركه المعتضد بقطعة من خيله وصَّلته إلى مأمنه بقرطبة .

ثم سقط إلينا[1] النبأ بعدُ بامتداد يده إلى البكرى بوَلْبَة وشَلْطِيش . وكان

= ولبة . وقد ذهب پروفنسال إلى أن أصل اسمها لاتينى هو **Ilipla** ولكن الغالب أنه **Nebula** بدليل أن النسبة إليها **nebulense** . وقد دخلت لبلة فى حوزة الإسلام على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤/٧١٤ وخرجت عنها نهائياً سنة ٦٥٥/١٢٥٧ على يد ألفونسو العاشر .
انظر : صفة الأندلس للرازى ، ص ٩١ – ياقوت : ١/٣٧٨ – الإدريسى ، ص ١٧٤ – الروض المعطار ، رقم ١٥٨ ص ١٦٩ ، والترجمة الفرنسية ص ٢٠٣ .

(١) فى الأصل : إليها . وقد أسقطها دوزى فيما نشر من كلام ابن حيان فى الذخيرة (بنوعباد : ١/٢٥٢) والصحيح «إلينا» لأن المتكلم هنا هو ابن حيان ، وهو يروى الأخبار من مقامه فى قرطبة بحسب ورودها إليه ، وعبارة «سقط إلينا النبأ» كثيرة الورود عنده .

هذا الفتى وارثَ ذلك العمل لأبيه ، وكان أبوه من بيت الشرف والحسب والجاه والنعمة ، والاتصال القديم بسلطان الجماعة ، وكان له واسلفه إلى[1] إسماعيل بن عَبّاد — جَدِّ المعتضد — وسائلُ وأذِمَّة خلَّفاها فى الأعقاب ، اغترَّ بها عبدُ العزيز البكرى فبادر البعثةَ إلى المعتضد ساعةَ دخل لَبْلَة يهنئه بما تهيأ له منها ، وذكَّره/ [١٠٩-أ] بالذِّمام الموصول بينهما ، واعترف بطاعته وعرض عليه التخلى عن وَلْبَة وإقراره بشَلْطِيش إن شاء ، فوقع ذلك من المعتضد [موقع إرادة][2] ، ورد الأمر إليه فيما يعزم عليه ، وأظهر الرغبـــة فى لقائه وخرج نحوه يبغى ذلك . فلم يطمئن عبدُ العزيز إلى لقائه ، وتحمَّل بسُفنه جميعَ مالِه إلى جزيرة شَلْطِيش[3] ، وتخلى للمعتضد عن وَلْبَة ، فحازها حوزه لِلَبْلَة ، وبسط الأمانَ لأهلها ، واستعمل عليها ثقة من رجاله ، ورسم له القَطْعَ بالبكرىّ ، ومنعَ الناسَ طُرًّا من الدخول إليه ، فتركه محصوراً وسط الماء ، إلى أن ألقى بيده من قرب[4] . ولم يعزُب عنه الحزمُ ، فسأل المعتضد أن ينطلق انطلاقَ صاحبه ، فأمّنه ولحق بقرطبة ..

وبوشِرَ منه رجل سَرِيٌّ عاقل عفيف أديب ، يفوت صاحبَه ابنَ يحيى خلالاً وخصالاً ، إلى زيادةٍ عليه ببيت الثَّرْوِ والشرف ، وبابنٍ له من الفتيان ، بذَّ الأقرانَ جمالاً وبهاء وسَرْواً وأدباً ومعرفةً ، يكنى أبا عبيد[5] .

وتحدث الناس من حزم عبد العزيز يومئذ ، أنه لما احتل شَلْطِيش عَلِم أنه لا يقاوم عَبّاداً ، فأخذ بالحزم أولا ، وتخلّى له عنها بشروط وَفَى له بها ، فباع منه

---

(١) فى الذخيرة (بنوعباد : ٢٥٢/١) : قِبَل ، وهو أصح .

(٢) فى الأصل : فوقع له ذلك من المعتضد ، فقومت العبارة على نص كلام ابن حيان فى الذخيرة ، وأضفت الناقص .

(٣) نص الذخيرة المنشور (بنوعباد : ٢٥٣/١) : « وتحمل بسبقه بجميع ماله إلى جزيرة شلطيش » ، ونص ابن الأبار أصح .

(٤) أى بعد قليل .

(٥) يريد أبا عبيد الله بن عبد العزيز البكرى العالم اللغوى الجغرافى المعروف .

سفنه وأثقاله بعشرة آلاف مثقال ، واحتل قرطبة فى كنف ابن جهور المأمون على الأموال والأنفس ، وصفت لعبّاد تلك البلاد لو أن شيئاً يدوم صفاؤه[1] ؛ والمُلك الباقى لله وحده .

وحكى غيره[2] أن البكرى فى قصده قرطبة اجتاز « بإقليم البَصَل » وطَلْيَاطَة[3] ، وقد أعدّ المعتضدُ له النزلَ والضيافةَ هنالك ، ومذهبُه القبضُ عليه وعلى نعمته ، فقدّم إلى صاحب قَرْمُونة[4] محمد بن عبد الله البِرْزالى يُعلمه باجتيازه عليه ، وبأنه لا يأمن غائلةَ عبّاد ، وسأله مشاركتَه وخفارتَه ، فعجّل له

---

(١) جعلها دوزى (بنوعباد : ٢٥٣/١) : وإن شاء الله يدوم صفاؤها ! وعلق على لفظ الجلالة فى الهامش بقوله : hoc vocabulum ego addidi (هذه الكلمة أضفتها) .

(٢) أى غير ابن حيان .

(٣) طَلْيَاطَة قرية كانت على سبع مراحل شمال إشبيلية ، وتسمى اليوم Tejada ، وهى اليوم خرائب مهجورة despoblado على ٣٠ كيلو متراً شمال غربى إشبيلية . ومن ضواحى إشبيلية اليوم موضع يسمى Tablada كتبه ابن عذارى أيضاً طلياطة ، فى كلامه عن غزوات المجوس (النرمانيين) على الأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ، والأصح أنه طلباطه وهو Tablada مع تقديم حرف على حرف . وهذا الموضع اليوم مطار بظاهر إشبيلية .

Cf : DOZY, *Recherches*, 3e éd. I, 308 - 309.

والروض المعطار رقم ١٢١ ص ١٣٨ ، والترجمة الفرنسية ص ١٥٥ وتعليق ٦ — وبحثنا عن « غزوات النورمان فى المغرب والأندلس » ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية سنة ١٩٥٠ .

(٤) قَرْمُونة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت قرمونة كورة واسعة تضم مدناً أخرى وحصوناً كثيرة ، وقاعدتها تحمل نفس الاسم (انظر : صفة الأندلس للرازى ، ص ٩٤ وياقوت ١٩٦/٤) . وأوسع وصف لمدينة قرمونة أورده ابن عبد المنعم الحميرى فى الروض المعطار (رقم ١٤١ ص ١٥٩) والترجمة الفرنسية ص ١٩٠ . وأصل اسمها لاتينى : Carmo . وقد دخلت قرمونة فى حوزة الإسلام سنة ٧١٢/٩٢ وسقطت نهائياً سنة ١٢٤٧/٦٤٤ فى يد ألفونسو الثالث . وهى Carmona الحالية وهى مركز إدارى فى مديرية إشبيلية ، وتقع على بعد ٣٥ كيلومتراً شمال شرقيها . (انظر مادة زيبولد فى دائرة المعارف الإسلامية ، ح ١ (ص ٨٤٩ أ) .

قطعة من خيل مجردة ، لقيته بموضع اتفقا عليه . ولم يَأْلُ البكرىّ على موضع النزل ، وحثّ حمولته حتى لقيته خيلُ ابن عبد الله ، فوصل معها إلى قرمونة ، ثم توجه منها إلى قرطبة ونجا من حبائل المعتضد .

قال : وكانت مدة البكريين بشَلْطِيش وما إليها إحدى وأربعين سنة .

فى أول هذا الخبر عن ابن حيان ذِكْرُ ابنِ يحيى وأبى زيد البكرى . وأبو زيد إنما هو محمد بن أيوب والد عبد العزيز ، ولم يدرك المعتضدُ زمانَه ؛ وأما عبد العزيز فكنيته أبو المصعب ، وكان جواداً / ممدحاً ، وفيه يقول أبو على [١٠٩-ب] إدريس بن اليمانى من قصيدة فريدة — وكان إدريس هذا مقدما فى فحول شعراء الأندلس[1] :

فِدًى للتى لم يَثْنِ لِينٌ فؤادَها ... على كبدٍ جارَ الفراقُ فآدَها

من البيض ريا فى رداء ذوائبٍ ... يُبارى سوادُ العين منها سوادَها

يقول فيها :

---

(١) أبو على إدريس بن اليمان ، قال فى حقه الحميرى فى الجذوة : « شاعر جليل عالم ، ينتجع الملوك فينفق عليهم [شعره] ، ذكره أبو عامر بن شهيد فنسبه إلى بلده ، فقال : اليابسى ، وينسبه آخرون فيقولون : الشّبينى بالباء المعجمة ، لأن الغالب على بلده شجرة الشبين وهى شجرة الصنوبر (تسمى فى الإسبانية Sabina) ، وقد أدركتُ زمانه ولم أره » (الجذوة ، رقم ٣١٣ ص ١٦٠) .

ونقل نفس المادة الضبى (بغية ، رقم ٥٦٠ ص ٢٢٢) .

وقد عقد له ابن بسام فصلا فى الذخيرة (قسم ٣ ورقة ٦٠ وما بعدها من مخطوطة جايانجوس ، وترجمة إدريس بن اليمان هناك ناقصة الأول ، فرجعت إلى مخطوط معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد) وهو يقول بعد أن يذكر نسَبه اليابسى : « وأخبرت أن أصله من قسطلية العرب من عمل شنت برية ابن هارون (كذا) ، وبدانية قرأ وبها نشأ ومنها انبعث » . ثم ذكر بعد ذلك كيف حدد أجر قصيدة المديح بمائة دينار كاملة .

[... ... ...] الروض [...] [١] سقاها الصبا السلسال حتى أنادَها [٢]
تقود بلا رفق خيولَ مدامعى لتُورد هيجاءَ الملام ورادَها
وما أنصفَتْها حين ضنت بجودها عليها وحثَّت بالطِّراد جيادَها
أفدْتُ غداةَ البَين منها التَماحةً شكرتُ صنيعَ البينِ بى إذ أفادَها
أعيدى سَقَى مثْواكِ ألعَسُ أشْنَبُ إذا مرضتْ أرضُ الأحبةِ جادَها
يضوع بواديك الأغنُّ أغانياً متى ما يُعِدْها لم تَملَّ مُعادَها
إذا ما أجادت كفُّه حول روضةٍ حسِبنا جَدَى [٣] عبدِ العزيز أجادها

ثم تصرف فى المديح تصرفَه فى النسيب وأحسن وأبدع .

وابن يحيى هو يحيى بن أحمد بن يحيى اليَحْصُبِىّ من أهل لَبْلَة ، استولى عليها أحمد أبوه فى بضع عشرة وأربعمائة ، وملكها نحواً من عشرين سنة ، إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين فوليها بعده .

وكان أبو عبيد البكرى من مفاخر الأندلس ، وهو أحد الرؤساء الأعلام ، وتواليفه قلائد فى أجياد الأيام ؛ ذكره ابنُ بشكوال فى تاريخه ، وحكى أنه كان يمسك كتبه فى سَبَانِى الشَّرب [٤] وغيرها إكراماً لها . قال : وجمع كتاباً فى إعلام

(١) لم يورد ابن بسام هذه القطعة فيما أورد من شعر إدريس بن اليمان ، ولم أجدها فى مرجع آخر.

(٢) أناد = أمال (ناد ، ينود ، نَوْداً ونُوَاداً ونَوَداناً – تمايل من النعاس . اللسان ٤/٤٤١) .

(٣) فى الأصل : جرى ، وصُوبت فى الهامش بخط مخالف .

(٤) سبانى جمع سَبَنِيَّة وهى المنديل الكبير أوالملاءة البيضاء ، وهو لفظ إسبانى : sabana ، ولا زال يستعمل فى المعنى الثانى فى إسبانيا إلى اليوم . وسَبَانى الشَّرب هى المناديل الكبيرة التى كانوا يستعملونها أثناء الطعام . وكانت تتخذ من رفيع القطن أو الكتان ، وهى أغلى السبانى . وبلغ من إعزاز أبى عبيد البكرى للكتب أنه كان يلفها فى السبانى الغالية .

نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، أخذه الناس عنه ؛ وتوفى فى شوال سنة تسع وثمانين وأربعمائة[١] .

وحكى الفتح بن عبيد الله — فى ما وجد بخط ابن حيّان على زعمه — أن أبا عبيد صار إلى محمد بن مَعْنٍ صاحب المرية ، فاصطفاه لصُحبته وآثر مجالسته والأنس به ، ورفع مرتبته ووفر طعمته[٢] . ومن شعره يخاطب أبا الحسن إبراهيم ابن محمد بن يحيى المعروف بابن السَّقّاء ، وزير أبى الوليد بن جَهْوَر بقرطبة ، وقد خرج رسولا إلى باديس بن حَبُّوس بغرناطة ، أنشدها / له ابن حيّان [١١٠-ا]
فى تاريخه الكبير ونقلتُها من خط أبى الوليد بن الدباغ المحدِّث :

كذا فى بروج السعد ينتقل البدرُ ... وتحسُن حيث حلّ آثاره القطْرُ
وتقتسم الأرضُ الحظوظَ : فبقعةٌ ... لها وافرٌ منها ، وأخرى لها نَزْرُ
لَذَلّ مكانٌ غابَ عنه مُمَلَّكى ... وعَزَّ مكانٌ حَلَّه ذلك البدرُ
فلو نقلتْ أرضٌ خطاها لأقبلتْ ... تهنيه بغداذٌ بقُربك أو مصرُ

وله فى المعتمد محمد بن عباد عند إجازته البحرَ مستجيراً بيوسف بن تاشفين :

يهونُ علينا مركبَ الفلك أن يرى ... محيى العلا لما نبا مركبُ الجدِّ[٣]

---

(١) هذا كلام ابن بشكوال فى الصلة (بتحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٢) ، رقم ٢٦٣ ص ١١٧ .

(٢) راجع مناقشتنا لهذه العبارة فى كتابنا « الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس » ص ١١٨ — ١١٩ .

(٣) البيت قلق ، ولم يروه إلا ابن الأبار من أصحاب الأصول التى وردت إلينا ، وقد ورد فى الأصل هكذا :

يهون علينا مركبُ الفلك أن يرى ... محيى العلا لما قبا مركب الجد

وقد قومته على قدر فهمى لمعناه ، وربما كان أول الشطر الثانى : مُحَسِّبًا .

فجزتَ أجاج البحر تبغى زلالَهُ   وذقتَ جَنى [الأهوال] (١) تبغى جنى الشهد
يذكرنا ذاك العبابُ إذا طما   ندى كفكَ الهامى على القرب والبعد

ومنها :

محمدُ يا ابنَ الأكرمين أرومةً   ليَهْنِكَ تشييدُ المكارم والمجدِ
فلو خُلِّد الإنسانُ بالجد والتُّقَى   وآلائه الحُسنى ، لهُنِّئتَ بالخلدِ

وله :

أجَدَّ هوًى لم يألُ شوقًا تجددا   ووجداً إذا ما أتْهمَ الحبُّ أنجدا
وما زال هذا الدهرُ يلحَنُ فى الورى   فيرفع مجروراً ويخفض مبتـــدا
ومَن لم يُحطْ بالناس علماً فإننى   بلوتهمُ شتى : مسوداً وسيدا

وله ، وكان مولعاً بالخمر منهمكاً فيها :

خليلىَّ إنى قد طربتُ إلى الكاسِ   وتُقتُ إلى شم البنفسج والآسِ
فقوموا بنا نلهو ونستمعُ الغِنا   ونسرق هذا اليومَ سرًّا من الناسِ
فليس علينا فى التَّعلُّل ساعةً   وإن وقعتْ فى عقبِ شعبانَ من باسِ (٢)

(١) أضفتها للسياق والوزن ، وقد راعيت فيها المقابلة بين « الأهوال » و« جنى الشهد » مثل المقابلة بين « أجاج البحر » و« زلاله » فى المصراع الأول .

(٢) بعد هذه القطعة تقرأ فى المخطوط : « وأنشد له ابن فرج فى الحدائق :

سقيا لهم من ظاعنين حسبتهم   وسط الموادج لؤلؤاً مكنـــونا

الأبيات . .

وهى لا يمكن أن تكون لأبى عبيد البكرى ما دام راويها هو ابن فرج فى الحدائق ، فإن ابن فرج كان معاصراً للحكم المستنصر وعاش إلى أيام المنصور بن أبى عامر وتوفى أثناءها ، وقد رجحنا — لهذا — أنها لعبد الله بن عبد العزيز المروانى الذى سبق ذكره ، وقد شرحنا فيما سبق سبب هذا الخلط .

المائة السادسة

١٤٠ — يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجى ، أبو على

أمير إفريقية . ملك بعد أبيه تميم فى منتصف رجب سنة إحدى وخمسمائة ، وتوفى ثانى عيد الفطر سنة سبع وخمسمائة ، وتخلف من الولد الذكور نيفاً وثلاثين .

ولم يطل أمد ولايته . استغرقت عمره إمارة أبيه فلم يرث سلطانه إلا وهو ابن ثلاث وأربعين وسبعة أشهر إلا أياما .

مولده بالمهدية لأربع بقين من ذى القعدة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وبرز للناس راكبا ، ثم عاد إلى قصره فخلع على وزرائه خلعا نفيسة ، ووهب للأجناد والعبيد أموالا جمة ، ومما أنشد فى ذلك اليوم :

سقى الغيثُ قبراً ضم أكرمَ مفقود يعزَّى به فى الناس أفضلُ موجودِ
مضى فائزاً بالخلد أفضلُ والدٍ وشرَّف هذا المُلكَ أشرفُ مولودِ
وأحياه يحيى من ردى كل مُلحدٍ وولَّى تميمٌ عنه أكرمُ ملحودِ
فقد طابت الدنيا بأعلى مؤيَّدٍ كما فازت الأخرى بأكرم موءودِ
أرى النشأةَ الأولى أعيدت فأقبلت بمُلك سليمانَ وفقدانِ داوودِ

وليحيى هذا شعر ضعيف منه قوله :

ألا يا منتهى طــــربى ومَن لم يَعْدُها أربى
إذا ما كنتِ حاضرةً شربتُ الراحَ بالنُّخَبِ
ومهما غبتِ عن بصرى فواحَـــزَنى وواحرَبى
فجودى بالوصال على شريف القدر والحسب
وسَقِّيـــــه معتَّقةً لهـــا تاج من الحَبَب
مليكٌ مُلِّـكتْ كفا ه رِقَّ العُجْم والعَرب

وله :

ألا حبذا يومُنا بالحِمَى وقد قارن القمرُ المشترِى
وجاء الحبيبُ إلى منزلى برَيَّا القرنفُلِ والعنبرِ
[١٤٣-ب] / وغنت لنا قينة حلوة بنظم من الشعر كالجوهر
إذا كان حبى حِذا ناظرى شربتُ المُدامَ ولم أسكَرِ

قال أبو الصلت : وكنا بين يديه فى يوم من شعبان شديد البرد فقال بديهاً :

أما ترى القرَّ قد وافتْ عساكرُه فادفعْه منتصراً بالفَرْوِ والشَّرَرِ
وقهوةٍ عُتِّقت فى الدَّنِّ صافيةٍ يصفُو بها عيشُ حاسيها من الكدر

وقال لى ولبعض كتابه : « أجيزا » ، فعملنا على جهة الاشتراك ، وجُلُّه للكاتب :

يا مَن حُلاه جمال الكُتْب والسِّيَرِ ومَن ندى يدِه مُغنٍ عن المطرِ
ذَعَرْتَ عبديْكَ لما قلتَ مرتجلا ضَرْباً من الشعر يُعْيِي أشعرَ البشرِ :
« أما ترى القرَّ قد وافت عساكرُه » ، البيت والذى بعده .
فطاوعاك وقالا تابِعَين ، ومَن يُجارِ سَحْبانَ لا يأمنْ من الحَصَرِ :

« تسعى عليك بها هيفاء ناعمةٌ تسبي العقولَ بحُسن الدَّلِّ والحَوَر
كأنَّ غُرتَها الغراء شمسُ ضحًى تبدو لعينك فى ليلٍ من الشَّعَر »

١٤١ — رشيد الدولة أبو يحيى محمد بن عز الدولة أبي مروان عبيد الله بن المعتصم محمد بن مَعن بن صُمادِح

ذَكره أبو عامر السالمى فى تاريخه ، وقال : نشأ بعد انقراض مُلكهم ، فتكلف بالآداب وبرّز فيها ، ثم تاق إلى الرئاسة فقيِّد ، فمن قوله فى السجن :

أحبَّتُنا الكرامُ بَغَوْا علينا وبغيُ المرء معطبةٌ ونارُ
وقالوا الهُجْرَ لمّا يعلموهُ وهُجْرُ القولِ مَنقصةٌ وعارُ
صبرتُ على مقارعةِ الدواهى وطبعُ الحرِّ صبرٌ واتّجارُ
/ وقلتُ : لعلها ظُلَمُ الْمتّ وحالُ الليلِ آخرُها النهارُ [١٤٤–١]
فإنْ يكُنِ الردى يكنِ اصطبارٌ وإن تكنِ [المُنى][1] يكنِ اغتفارُ

وله فى ذلك :

صبراً على نائباتِ الدهرِ إنّ لهُ يوماً كما فتكَ الإصباحُ بالظُّلَمِ
إن كنتَ تعلمُ أن اللهَ مقتدرٌ فثق به تلقَ رُوحَ اللهِ من أَمَمِ
وقلما صبر الإنسانُ محتسباً إلا وأصبح فى فضفاضة النِّعم

---

(١) بياض بالأصل ، وقد أكملها دوزى (أبحاث ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٩ من الذيول) من الذيل والتكملة لعبد الملك المراكشى ، المخطوط ورقة ١٢٠ ظهر.

وذكر أبو على بن الأشيرى أنه كان مع أبي يحي هذا وعمِّه رفيع الدولة بن المعتصم بداخل تِلمسان ، فى حصارها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة — وتاشفين ابن على بن يوسف بن تاشفين فى ذلك الوقت بظ هرها فى محلاته وجموعه — قال : فورد على الموحدين ، أعزهم الله ، فتحٌ ضربوا له طبولَهم[١] . فقال رفيعُ الدولة — وكان مسنًّا — لابن أخيه أبي يحي : لولا كبر سنى وضعفى لسكنتُ عندهم ، حرصاً عليهم ونظراً لنفسى . فقال أبو يحي : تعال نقل شعراً نجعله عُدَّة . فقال رفيع الدولة ، وكان ذا بديهة :

لِعبـــدِ المؤمنِ المَلِكِ يدور السعدُ فى الفَلَكِ

فقال أبو يحي :

همامٌ نورُ غُــرَّته كضوء البدر فى الحَلَكِ

فقال ابن الأشيرى :

فيمِّمْهُ تجـــدْ مَلِكاً عليه سـكينةُ المَلَكِ

ولا تجزع فليس له على القُصّاد من دَرَكِ

قال : وشاعت هذه الأبيات و[... ...][٢] إلى تلمسان [و بلغت][٣] أبا بكر بن مَزْدَلى نخاف قائلوها ، وكان رفيعُ الدولة إذ ذاك مقدَّماً على بنيان سور الرَّبَض منها[٤] بحيلة . قال ابن الأشيرى : وكنت أرى فى النوم من يقول

(١) روى أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق فى كتاب «أخبار المهدى ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين» (بتحقيق ليڤى پروڤنسال ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٩٥ وما بعدها) هذه الحوادث بتفصيل . ورواها أيضاً — نقلا عن أبي على الأشيرى — صاحب الحلل الموشية ، ص ١٠٩ وما بعدها .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٤) هنا شيء ناقص فى معنى : وأرادوا التخلص من جريرتها . ولم يترك الناسخ بياضا .

[...] به [...] سفر فارغة ، فذكرت ذلك لأبي يحي بن صُمادح [... ... .../ [١٤٤-ب] ... ...] من خصه بالنعم السابغة [...] لجرى القدر بذلك [... ...][1] فيسير ولزْبَرْتير[2] هذا علج لبني تاشفين من كبار قوادهم وأبطال رجالهم ، كانت له

(١) لم أستطع استكمال النص هنا رغم وفرة المراجع التي تحدثنا عن هذه الحوادث في تفصيل كبير ، بل لدينا معظم ما قال أبو على الحسن الأشيرى الذى ينقل عنه ابن الأبار هنا ، ولكن أصل هذا الخبر غير موجود .

انظر : كتاب أخبار المهدى ابن تومرت للبيدق ، ص ٩٤ وما يليها . الحلل الموشية ، ص ١٠٨ وما يليها . والقطعة القيمة المجهولة المؤلف التى نشرها ليفى پروفنسال فى مجلة إسپيريس تحت عنوان :

Notes d'histoire Almohade, Hespéris, tome X, 1930, p. 49 sqq.

أما ابن الأشيرى الذى نقل عنه ابن الأبار كثيراً هنا فهو « حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب ، يعرف بابن الأشيرى ، ويكنى أبا على ، من أهل تلمسان . نشأ بها ، وأخذ عن الأستاذ أبى على بن الخراز ، وأخذ بالمرية عن أبى الحجاج بن يَسَعْون سنة ٥٤٠ ، وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب ، يغلب عليه الأدب ، وكان ناثراً ناظما ، وله مجموع فى غريب الموطأ وقفت عليه بخطه ، ومختصر فى التاريخ سماه بنظم اللآلى » (التكملة رقم ٦٦ ج ١ ص ٢٦) . وقدتوفى الأشيرى سنة ٥٦٩/١١٧٣ — ١١٧٤ . وكان أول الأمر كاتباً لتاشفين بن على بن تاشفين ، ثم أصبح من كتاب الموحدين . انظر « نظم الجمان » لابن القطان بتحقيق الدكتور محمود على مكى (تطوان ، ١٩٦٤) ص ١٧٦ تعليق ٣ .

(٢) الربرتير — ويكتبه البيدق دائماً الأبرتير — قائد قطلونى مشهور فى أخبار المرابطين أيام على بن يوسف وابنه تاشفين اسمه Reverter ، وأصله من فرسان النبلاء فى برشلونة ، أسره أمير البحر المرابطى على بن ميمون وسيق إلى مراكش ؛ حيث دخل فى خدمة المرابطين وجعله على بن يوسف « قائداً للروم » أى رئيس فرقة الجند النصرانى المرتزق التى كانت تعمل فى صفوف المرابطين . وقد أبلى الربرتير بلاء حسناً فى الدفاع عن دولة المرابطين أمام الموحدين ، وقتل عند تلمسان قبل مقتل تاشفين بن على بن يوسف بقليل سنة ٥٣٩/١١٤٤ — ١١٤٥ . وقد وصف البيدق ظروف موته بتدقيق كبير ، وقال إنه مات معه نفر آخر من الجند الرومى ذكر منهم شُوين (Juán) وغَشْتُون (Gaston) وبطريان (Adriano أو Pedroyano). وكان للربرتير ابن أسلم وتسمى بعلى ، ويعرف بعلى بن الربرتير ، كان من بواسل جنود الموحدين ، وهو الذى انتصر على بنى غانية فى جزيرة ميورقة ، وكانوا قد اعتصموا بها أيام أبى يوسف يعقوب المنصور الموحدى . وقد قتل فى الحروب التى وقعت بعد ذلك بين بنى غانية والموحدين فى إفريقية سنة ٥٨٣/١١٨٧ . انظر « نظم الجمان » ، ص ٩٦ تعليق ١ .

فى الحروب مقاوم شهيرة . وكان مقتل تاشفين ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين المذكورة . وجّه ابنَه إبراهيم[1] وليَّ عهده إلى مراكش، خوفاً عليها فى شعبان ، وسار كاتباً معه أبو جعفر بن عطية[2] ، واستقر هو

= انظر الترجمة الفرنسية لأخبار المهدى ابن تومرت للبيدق ، ص ١٣٩ ، هامش ١ ، وأبحاث دوزى : ٢/٤٣٧ — ٤٤٢ ، وكتاب :

FRANCISCO CODERA, *Decadencia y desaparición de los Almorávides en Espana*. **Zaragoza, 1899, p. 180 sqq.**

وسنشير إلى هذا الكتاب فيما يلى باسم : اضمحلال المرابطين لكوديرا .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين ، كان آخر أمراء المرابطين ، ولد سنة ٥٢٥ فى الأندلس ، وفيها نشأ . ولاه أبوه عهده يوم تولى هو ، ثم أرسله إلى قرطبة « برسم القراءة فيها » أى ليتعلم ، وفى أثناء الحرب مع الموحدين عند تلمسان استدعاه أبوه وجدد له العهد ، ثم أرسله إلى مراكش ليقيم فيها ويشترك فى الدفاع عنها ، وكانت سنه إذ ذاك ١٣ سنة . وبعد أن استولى عبد المؤمن بن على على الجناح الشرقى من دولة المرابطين ، وقتل تاشفين بن على بن يوسف أصبح إبراهيم بن تاشفين أميراً للمسلمين أواخر سنة ٥٣٩ ، ثم كر عبد المؤمن فاستولى على فاس ثم سبتة ثم سلا ، وتقدم لحصار مراكش فسقطت فى يده بعد حصار وقتال عنيفين ، ووقع فى يده إبراهيم بن تاشفين ، فأراد العفو عنه لصغر سنه ، ولكن أشياخ الموحدين « عزموا عليه فى قتله ، فضربوا رقبته رحمه الله تعالى ، وأبيد أمر اللثام » ، وكان ذلك حوالى منتصف شوال سنة ٥٤١ .

انظر القطعة المجهولة المؤلف التى نشرها ليڤى پروڤنسال فى مجلة إسپيريس (وقد أشرنا إليها فى التعليق قبل السابق) ، ص ٦٠ — ٦٩ . أخبار المهدى ابن تومرت ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .. الحلل الموشية ، ص ١١١ وما يليها.

(٢) أبو جعفر أحمد بن جعفر بن عطية القضاعى المراكشى ، كان من كبار الكتاب والأدباء أيام المرابطين ، وكان أخوه أبو عقيل بن عطية أديباً كاتبا مثله ، وأصلهما القديم من قرية بناحية طرطوشة بالأندلس . وقد ولد أبو جعفر أحمد بن عطية فى مراكش ، وعندما زالت دولة المرابطين اختفى حتى أمن ، ثم أظهر نفسه وعفا عنه عبد المؤمن بن على واستكتبه ، ثم جرت عليه بعد ذلك محنة انتهت بقتله وأخيه أبى عقيل فى أواخر ٥٥٣.

انظر : المعجب لعبد الواحد المراكشى ، ص ١٩٨ — ٢٠٠ . إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر (دمشق ١٩٦١)، ص ٢٢٥ — ٢٢٩ . الإحاطة لابن الخطيب : =

بوَهْران ، ولجأ إلى حصنٍ شرع فى بنيانه فى تلك الأيام . فقصده الموحدون وأضرموا النار حوله ، فلما رأى ذلك ودع أصحابه ليلا ، واقتحم — والنار محتدمة — باب الحصن ، فوُجد من الغد ميتاً لا أثر فيه لضربة ولا طعنة . ويقال إن فرسه صرعه ، وسيق فصُلب .

وقال غير ابن الأشيرى : كان مَهلك تاشفين بخارج مدينة وَهْران ؛ تردى به فرسُه في البحر فهلك وتكسَّرا جميعاً . وكان قصَد الرِّباط بخارج وَهْران على البحر ، فى قطعة من أصحابه ، ليقوم به ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور ، فنُبِّه عليه الموحدون أعزهم الله ، فطرقوهم ليلا فى جمع وافر وأحدقوا بالرِّباط ، وفيهم أمير الأمراء ، والمخصوص بنصر الألوية ونُجْح الآراء ، الشيخ المعظم المجاهد المقدس المرحوم أبو حفص عمر بن يحيي — رضوان الله عليه — وارث الممالك ومورثها ، ومطفئ نار الفتن والتجسيم مؤرِّثُها(١) ، الذى كانت الفتوح تنثال عليه ، وتتلاقى لديه ، وكتائب النصر والرعب تسير خلفه و بين يديه . فلما علم تاشفين بهم ، ركب وخرج هو وأصحابه مستميتين ، فوقع تاشفين على من يليه

— ١/٢٧١ — ٢٧٩ . و«مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » ، حققها ونشرها ليڤى پروڤنسال (رباط الفتح ١٩٤١) ص د — ه من المقدمة .

(١) يلاحظ انتهاز ابن الأبار لأى فرصة للإشادة بأبى حفص عمر بن يحيى جد الحفصيين (انظر أيضاً « إعتاب الكتاب » ، ص ٢٢٦) ، غير عالم أن أبا زكريا حفيده سيكون قاتله .

وأبو حفص عمر كان من أوائل أنصار محمد بن تومرت ، وهو من قبيلة هنتاتة ، ويذهب عبد الواحد المراكشى إلى أن اسمه الأول كان فَصْكَة ابن أُمْزال ، وأن ابن تومرت سماه أبا حفص عمر ، وكان يعرف بعد ذلك باسم عمر إينتى (أى الهنتاق) . أما ابن خلدون فيقول إنه عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن على ، وعرف باسم عمر إنتى ، وأنه من قبيلة فَصْكات ، وفصكات حفيد وانودين .

انظر تعليق ليڤى پروڤنسال على الترجمة الفرنسية لأخبار المهدى ابن تومرت للبيدق ، ص ٥٠ تعليق ٤ .

من محاربيه ، وظن الأرض متصلة فهوى به فرسه ، وتمزق بأسفل المَهْوى وانهزم عسكرُه . وذلك بعد مكثه فى الحرب خمسة أعوام إلا أشهراً ثلاثة ، ما آوى إلى بلد ، ولا عرّج على أهل ولا ولد ؛ ومن يحاربُ أمرَ الله محروب[1] . واتصل مقتلُه بابن أخيه يحيى بن أبى بكر بن على بن يوسف — وهو المعروف بابن الصّحراوية — وكان بتلمسان ، فخرج منها فى أصحابه وأسلمها .

[١٤٥-ا] وخرج أبو يحيى بن صُمَادِح / وابن الأشيرى مهاجرين[2] ، فقُبِلا .

ولأبى يحيى منهما قصائد مطولات فى مدح الأمر العالى[3] . وفى هذا الخبر أن ابن الصحراوية كان بتلمسان ؛ وقد تقدم عن ابن الأشيرى أن أبا بكر بن مزدَلى كان والياً عليها فى هذه السنة المذكورة ، فلعله وَلِىَ بعدَه ، أو كان مدداً له فى تلك المدة .

---

(١) هذه العبارة غريبة من ابن الأبار ، وهى تضمين لشطر من بيت شعر .

(٢) المهاجر – فى المصطلح الذى وضعه محمد بن تومرت لطبقات الموحدين – هو من يترك بلدَه وأهله وينضم إلى الموحدين أثناء قتالهم للمرابطين . وطبقات الموحدين – بحسب ما أورده أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيذق (ص ٣٢ وما بعدها) – هى : أهل الجماعة ، أهل خمسين ، المضافون إلى أهل خمسين فى التميز ، المهاجرون ، المهاجرون من العبيد ، القبائل ، عامة عبيد المخزن ، المحتسبون ، الغزاة ، الحفاظ ، أهل الحرب .

وقال ابن الأبار بعد ذلك : فقُبلوا ، أى أن الموحدين قبلوا هجرتهم إليهم . وكان يحدث كثيراً أن ترفض هجرة رجل أوقبيلة ، فيقتل أوتسترق القبيلة كلها .

(٣) الأمر العالى يراد به الدعوة الموحدية .

١٤٢ – أحمد بن الحسين بن قَسِىّ ، أبو القاسم

أول الثائرين بالأندلس عند اختلال دولة الملثمين ، وهو رومى الأصل من بادية شِلْب . نشأ مشتغلا بالأعمال المخْزَنية[1] ، ثم تزهد – بزعْمه – وباع ماله وتصدق بثمنه ، وساح فى البلاد . ولقى أبا العباس بن العريف[2] بالمرية ، قبل إشخاصه إلى مراكش ، ثم انصرف إلى قريته . وأقبل على قراءة كتب أبى حامد الغزالى فى الظاهر ، وهو يستجلب أهلَ هذا الشأن محرضاً على الفتنة وداعياً إلى الثورة فى الباطن . ثم ادعى الهداية مَخْرقةً وتمويهاً على العـــامة ، وتسمَّى بـ « الإمام » . وطُلب فاستخفى ، وقُبض على طائفة من أصحابه فأزعِجوا إلى إشبيلية .

(١) ابن الأبار يستخدم هنا المصطلح المغربى ، والأعمال المخزنية هى الحكومية ، ولم يعرف هذا الاستعمال فى المصطلح الأندلسى .

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن العريف الصنهاجى ، أصل أبيه محمد من طنجة « وإنما سمى بالعريف لأنه كان صاحب حرس الليل ، وعريف القوم القيم بأمره » . ثم انتقل إلى المرية ، وهناك ولد ابنه أحمد ، وأراد له أن يتعلم الحياكة ، ولكن الصبى اتجه إلى الدراسة ونبغ فى علوم الفقه والأدب ، وكانت المرية مركز الصوفية فى الأندلس إذ ذاك ، فمال إلى التصوف وطريق التزهد ، واجتمعت حوله طائفة كبيرة من المريدين . وكما هى العادة ، نشأ الخلاف بين هذه الطائفة من الصوفية وبين الفقهاء ، وكان لهم السلطان الأعلى إذ ذاك أيام على ابن يوسف بن تاشفين . وتزعم مناهضة الصوفية القاضى ابن الأسود ، واستطاع أن يثير مخاوف الدولة من جهة ابن العريف ، فاستقدمه على بن يوسف مع صاحبيه أبى بكر محمد بن الحسين الميورقى وأبى الحكم بن بَرّاجان . وقد لقى ابن العريف كل إكرام من على بن يوسف وأطلق سراحه ، ولكنه مات بعد ذلك بمراكش .

انظر الدراسة التى قدم بها آسين پلاثيوس لتحقيقه لكتاب محاسن المجالس لابن العريف (باريس ١٩٣٣) .

ولما دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، أشار من موضع استخفائه على أصحابه « المريدين » أن يسيروا مع محمد بن يحيى الشَّلْطِيشى — المعروف بابن القابلة ، وكان يسميه بالمصطفى ، لاختصاصه الكلى بكتابته ، واطلاعه على أموره ، ثم قتله بعد ذلك — وأمرهم أن يغدروا قلعة مِيرْتُلَة[1] — وهى إحدى القلاع المنيعة بغرب الأندلس — فى وقتٍ رسمه لهم من هذه السنة القارضة مُلكَ اللمتونيين بمقتل تاشفين أميرهم فى رمضان منها . فكمنوا بالرَّبَض — وهم نحو من سبعين رجلا — وتغلبوا عليها سَحَرَ ليلة الخميس الثانى عشر من صفر منها ، بعد أن قتلوا بوّاب القلعة . وأعلنوا بدعوة ابن قَسِىّ ، وأقاموا على ذلك إلى أن وصلهم فى غرة شهر ربيع الأول فى جمع وافر من المريدين شعارهم التهليل والتكبير[2] ، فصعد إلى قصبتها واحتل بقصرها ، وشرع فى مخاطبة أعيان البلاد [١٤٥-ب] مخَبِّباً / وللفتنة [محزباً][3] ، فاستجاب له كثير منهم ، وأولهم أهل يابُرة ،

(١) مِيرْتُلَة — وتكتب أيضاً مارتُلَة ومَرْتُولة — فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت من مدائن كورة باجة Beja فى البرتغال الحالية ، وكانت هذه الكورة تلاصق كورة قرطبة من الغرب وتقع جنوب كورة ماردة . ويصف ياقوت قصبتها بأنها أمنع حصون إقليم الجوف ، أى غرب الأندلس . واسم ميرتلة فى القديم Myrtilis ، وتقع على نهر وادى آنه ، على ٤٥ كيلومتراً من مصبه . وقد كانت مدار صراع طويل بين الموحدين والنصارى ، حتى سقطت فى أواخر العصر الموحدى .

انظر : وصف الأندلس للرازى ، ص ٣٧ . ياقوت : ٨ / ٢٢٤ . الإدريسى ، صفة الأندلس والمغرب ، ص ١٧٥ و ١٧٩ . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميرى بمادتين : رقم ١٦٥ ص ١٢٥ (مارتلة) ورقم ١٨٣ ص ١٩١ (ميرتلة) .

(٢) انظر عن ثورة ابن قسى فى ميرتلة ، والثورة على المرابطين فى الأندلس عامة مقالنا « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، أى من ٥٢٠ إلى ٥٤٠/١١٢٦-١١٤٥ » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٣ سنة ١٩٥٥ ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) بياض فى الأصل ، وقد اخترت هذه الكلمة على وزن « مخَبِّباً » السابقة لها ، ولا تخرج الكلمة الناقصة عن هذا المعنى .

ثم أهل شِلْب . واتسع [على المرابطين][1] خرق لم يَرْقَعُوه ، وهجم عليهم حادث طالما توقعوه .

وآلت الحال بابن قَسِيّ إلى أن خُلع بمِيرْتُلَة ، ثم أعيد ، ومنها هاجر إلى الموحدين أعزهم الله ، فقدم عليهم بسَلاَ متبرئًا من دعاويه ، وتائبًا مما أسلفه [من مساويه][2] فى ربيع الآخر سنة أربعين . ثم انصرف فى المحرم سنة إحدى وأربعين صحبـــة الجيش الذى افتتح جزيرة طَرِيف ثم الجزيرة الخضراء[3] .

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) بياض فى الأصل .

(٣) فى التقسيم الأندلسى الإدارى كانت الجزيرة الخضراء كورة صغيرة تشتمل على مدن كثيرة ، منها أسطبونة **Estepona** وجبل طارق (جبل الفتح) وجزيرة طريف (انظر صفة الأندلس للرازى ، ص ٩٧) وقاعدة الكورة هى مدينة الجزيرة الخضراء ، وتسمى أيضاً الخضراء وجزيرة أم حكيم ، نسبة إلى جارية لطارق بن زياد خلفها هناك قبل صدوره لفتح الأندلس . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميرى بمادة وافية تعتبر أوفى ما لدينا ، فوصفها ومنطقتها فى العصر الإسلامى أحسن وصف وأدقه (رقم ٧٢ ص ٧٣ – ٧٥) . وقد سقطت الجزيرة الخضراء نهائياً فى يد ألفونسو الحادى عشر سنة ٧٤٣/١٣٤٢ بعد موقعة طريف المسماة موقعة نهر طريف – وبالإسبانية **El Rio Salado** – وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية قادس ويكتب اسمها **Algeciras** (الجزيرة) وهى الطرف الجنوبى لشبه الجزيرة مواجهة لسبتة ، وعلى لسان فى البحر حذاءها تقع جبل طارق .

أما جزيرة طريف فليست جزيرة على الحقيقة ، وإنما هى رأس بارز فى الطرف الأقصى الجنوبى لشبه الجزيرة جنوب غربى الجزيرة الخضراء بقليل ، وعليه يقوم بلد صغير يسمى اليوم **Tarifa** ، والاسم نسبة إلى طريف بن زرعة الذى أرسله طارق بن زياد فى بعث استطلاعى ليختبر أحوال شبه الجزيرة قبل عبور الجيوش الإسلامية . وقد سقطت جزيرة طريف فى يد سانشو الرابع ملك قشتالة سنة ٦٩٢/١٢٩٢ وحاول بنو الأحمر استعادتها مراراً بمعاونة المرينيين والبرتغاليين ، وبالفعل استعادوها . وقد وقعت الموقعة النهائية التى أخرجت جزيرة طريف من دار الإسلام فى سبتمبر ١٣٤٠ ، واشترك فيها يوسف بن الأحمر وأبو الحسن المرينى ضد الإسبان والبرتغاليين ، وانتصر فيها الإسبان والبرتغاليون . وهى الآن بلد صغير وميناء لمراكب الصيد ، والبلد يمتاز بجو عربى مغربى خالص .

ولما فُتحت شِلْب تُرِكَ ابن قَسِيّ عليها والياً ، ومنها كان قدومه فى شهر رمضان من السنة مهنئا بفتح إشبيلية ، وكان فتحها يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان .

و بعد عوده إلى شِلْب ظهر منه غيرُ ما فورق عليه ، إلى أن صرّح بالخلاف ، وداخل الطاغية ابنَ الرِّيق صاحب قلنبرية[1] فى إعانته و إمداده ، فأظهر إجابته إلى مراده ، و بعث إليه بفرسٍ وسلاح ، فأنكر ذلك أهل شِلْب ، وفتكوا به فى « قصر الشَّرَاجِب » منها موضع سكناه فى قصة طويلة ، ونصبوا مكانَه ابنَ المنذر[2] الأعمى ، معلنين بدعوة الموحدين ، وذلك فى جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وخمسمائة . ومن شعر ابن قَسِيّ بين يدى ثورته :

إذا صَفَرٌ الأصفار جاء فإنما يجىء بأمرٍ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي
وشهرا ربيعٍ فيهما كلُّ آيةٍ وعند جمادى ينقضى أمدُ الخَبْلِ

وله :

وما تَدفعُ الأبطالُ بالوعظ عن حِمًى ولا الحربُ تُطفَى بالرُّقَى والتمائمِ
ولكنْ ببيضٍ مرهَفاتٍ وذُبَّلٍ مواردها ماء الطُّلَى والغلاصمِ
ولا صُلحَ حتى نطعنَ الخيل بالقَنا ونضربَ بالبيضِ الرِّقاق الصوارمِ
ونحن أناسٌ قد حمتْنا سيوفُنا عن الظلم لما جُرِمُ بالمظالمِ

---

(١) المراد هنا Alfonso Henrique ملك البرتغال ، وكانت البرتغال إذ ذاك إمارة حديثة الانفصال عن مملكة قشتالة و ليون .

(٢) أبو الوليد محمد بن المنذر الذى ثار على المرابطين فى شلب فى نفس الوقت ، وسيتحدث عنه ابن الأبار فيما بعد .

/ وكان أبو عمر أحمد بن عبد الله بن حَرْبُون الشلبي من كتّابه ، وفيه يقول : [١٤٦-١]

اهربْ إلى الله وابرَأْ من أحمد بن قَسِيّ
أو فاتخــذه إماماً واكفر بكل نبيّ

وكتب إليه يمدحه :

لم أرَ جُوداً لمُمتَاحِ علَّمنى صــنعةَ امتداحِ
قد خلق الله راحتيه من طينة البأس والسماح
ألقى على الجود نور بِشرٍ فجاء كالغيث فى الصباح
راش إمامُ الهدى جَناحى وليس فى الحق من جُناح
أريتَنى اليوم كيف أورِى وكنتُ أصلدتُ فى اقتداحى
تبــارك الله أىُّ جِدٍّ أُفرِغَ فى قالَب المزاح

فقال ابن قَسِيّ يجيبه :

جدَدْتَ جِدًّا بلا مزاحِ ورُضْتَ معتادةَ الجماحِ
حَلَّيْتَه من نتاج فكرٍ حَوْليِّه ، ثقفَةَ القِداح
دهماء قد لُطِّمتْ بليلٍ وخُوِّضت لجــةَ الصباح
إن سوبقتْ بالرياح جاءت بلقاء فى مقدم الرياح
أهديتهــا والزمانُ بادٍ صلاحُه لذوى الصلاح(١)
فكانتِ الزَّهرَ لانتسامٍ وكانتِ الزُّهرَ لالتمــاح
فأقبلتْ بى على اغتباقٍ ليلا ، ويوماً على اصطباح
وكنت أعتدُّ أنَّ رمحى فى الطعن من أثقف الرماح

(١) هذا البيت — كبقية القصيدة — من مخلع البسيط ، وفيه زحاف يسير .

حتى طلعتم لدى عَجَاجٍ كالليل غشّى من النواحى
فمِن لَمُوحٍ من العوالى ومِن لَمُوعٍ من الصِّفاح
/فثَمّ كسَّرتُ من صِعادى وثَمّ ألقيتُ بالسلاح [٤٦ ب]
وبعدُ ، يا من أعار خُلقى حُلًى من أخلاقه السِّماح
فها أنا اليومَ فى بِساطىْ هزلٍ وجِدٍّ من امتداح
أُعطِى إلى الجِد صَفْح رسْمٍ باقٍ ، وللهزل صفح ماح
فأعقِبُ المزحَ حالَ جِدٍّ والجِدُّ أولَى من المزاح

١٤٣ — محمد بن عمر بن المنذر ، أبو الوليد

أحد أعيان شِلب ونبهائها ، من بيت قديم فى المولَّدين . وكان من أحسن الناس وجهاً ، ولازم التعلم بإشبيلية فى صغره حتى تميز بالمعارف الأدبية والفقهية . ووَلِىَ خطة الشورى[1] ببلده ، ثم تزهد وانزوى ، ورابط على ساحل البحر فى

(١) خطة الشورى : كان يقوم بأمر القضاء فى الأندلس هيئتان : الفقهاء المشاوَرون والقضاة . فأما المشاوَرون فكانوا جماعة من كبار الفقهاء والعلماء يختارهم الأمير أو الخليفة ليستشيرهم فى أمر القضاة والأحكام ، ولم يكونوا هيئة بمعنى الكلمة تجتمع معاً فى مجلس خاص كالوزراء . بل كانوا فرادى ، يختار الأمير من يراه صالحاً للشورى ، ثم يبعث إليه بما يريد ليفتى فيه ، وقد يستقدمه إلى القصر . وكان المشاوَرون أعلى من القضاة مرتبة ، بل كانوا فى مراتب الوزراء من حيث المكانة والجاه . وفى بعض العصور تميز بعض المشاوَرين حتى صار كالرئيس لهؤلاء المفتين ، ويسمى لهذا برأس الفتيا أو رأس المشيخة ، وقد يسمى شيخ المرأسين أو شيخ البلد . وكانت المشورة أو الفتيا أعلى المناصب التى يطمح إليها الفقيه ، وإن لم تكن منصباً حكومياً محدد الوظيفة والراتب والسلطان . وكان المشاورون يبدون رأيهم فى القضاة ، فلا يعين كبارهم إلا برأيهم . أما القضاة فهم المعروفون ، وأكبرهم قاضى قرطبة أو قاضى الجماعة ، وكان فى منزلة الفقهاء المشاورين ، وقد يمتاز عليهم إذا أهلته ملكاته لذلك . ونظام القضاء فى الأندلس فى حاجة إلى دراسة شاملة .

رباط الرَّيحانة ، وتصدق بماله . وصاحَب أحمد بن قَسِيّ الدّعى ، وامتُحن من أجله ، ثم خلص من ذلك . واتّبعه عند ثورته ، وقام فى بلده بدعوته ، مستعينا على ذلك بأبى محمد سِيدرَاى بن وزير الثائر بيابُرة قبله ، وكانت بينهما — قيل[1] — صحبة وصداقة ثم سار إلى حصن مرجيق[2] . من أعمال شِلْب ، وقد ضبطه الملثمون فتغلب عليهم وقتلهم .

وسرى خبرهم إلى من كان منهم بباجة ، فطلبوا من أهلها تأمينَهم ، على أن يلحقوا بإشبيلية . و إثر خروجهم منها ، دخلها ابنُ المنذر فى العسكر الذى أمده به ابنُ وزير — وعليه أخوه أحمد وخالُه عبد الله بن على بن الصُّمَيْل — ثم قدم هو وأبو محمد بن وزير على ابن قَسِيّ فى أول شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وقد استقر بقلعة مِيرْتُلَة قبل ذلك بشهر ، فسلما عليه بالإمارة ، وأذعنا له بالطاعة ، فأقر ابنَ وزير على باجة وما والاها أميراً ، وابنَ المنذر على شِلْب وما والاها كذلك .

ثم انصرف ابنُ وزير ، وتَلَوَّم ابنُ المنذر بمِيرْتُلَة أياماً ، وقد أبدى منافسةَ ابنِ / وزيرٍ وحسادتَه . ثم لحق ببلده ، حتى إذا اجتمع عسكر أُكْشُونُبَة[3] [١٤٧-١]

(١) قرأها دوزى (ص ٢٠٢) : قَـبْلُ .

(٢) حصن مرجيق : لم أجد موضعاً بهذا الاسم بالضبط ، وإنما توجد فى مديرية الغرب El Algarve فى جنوب البرتغال مدينة تسمى Monchique باسم جبال مُنْشِيق Sierra de Monchique . ومدينة منشيق تابعة لمركز فارو Faro الإدارى وهى مشهورة بمياهها الكبريتية .

(٣) أُكْشُونُبَة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت أكشونبة Ocsonoba كورة كبيرة جنوبى كورة باجة وغربى كورة إشبيلية ، وهى تقابل الآن مديرية الغرب El Algarve فى البرتغال الحالية . وكانت تضم حصوناً كثيرة ومدناً أكبرها شلب . وكانت كورة بحرية اشتهرت بدور صناعة لبناء السفن أكبرها فى قاعدتها شلب . وقد ذكر ابن عبد المنعم الحميرى أن أهلها عرب من اليمن وغيرها ، وأن أهل بواديها — أى ريفها — فى غاية الكرم (الروض المعطار ، رقم ٩٦ ص ١٠٦-١٠٧) . وياقوت (معجم البلدان) يكتبها أكشونيَّة بالياء ، وهو خطأ =

إلى مَن عنده من الشِّلْبيين وأصحابه « المُريدين »[1] ، قدم على ابن قَسِيّ ثانيةً ، يُظهر الجد فى نصرته والعمل على نشر دعوته ، فسُرَّ بمقدمه وجَدد له عهده على ما بيده ، وسمّاه « العزيز بالله » . ثم عبر وادى آنة متقدماً فى جمعه إلى وَلْبَــة فدخلها ، وامتد منها إلى لَبْلَة فقاتلها حتى ملَــكها ، بمعاونة يوسف بن أحمد البطروجى أحد مَرَدة الثوار من هؤلاء المريدين ، وأنزل من تمنع فى بروجها من الملثمين .

وطمح به الاغترارُ إلى إشبيلية — وقد نُمِى إليـــه أنها حينئذ دون أمير يضبطها — فتحرك من لَبْلَة نحوها ، ودخل حصن القصر وطَلْيَاطَة من أعمال شَرَفها[2] — وقد كثف جمعه وكثر حشده — فانتهى إلى الحصن الزاهر ودخله .

— ويظن أن أكشونبة كان الاسم القديم للموضع الذى قامت فيه بعد ذلك شنتمرية الغرب وهى المسماة اليوم فارو **Faro** . وذهب هوبنر **Hübner** إلى أن موضعها تقوم فيه اليوم بلدة **Estoy** على عشرة كيلومترات شمالى فارو التى كانت تسمى **Milreu** (انظر دائرة المعارف الإسلامية : ٣/١٠٣٧ ب . والترجمة الفرنسية للروض المعطار ص ١٢٩ ، وتعليق رقم ٥٠ . وصفة الأندلس للرازى ص ٩١ . والإدريسى ، فهرس الأعلام .

(١) « المريدون » : يطلق فى هذا العصر فى الأندلس على أتباع شيوخ الجماعات الصوفية المرابطة التى كثرت إذ ذاك ، ومصدر الحركة كلها المرية وشيخها الكبير أبو العباس بن العريف . وباستثناء ابن العريف وكبار أتباعه الذين ذكرناهم فى التعليق الخاص به ، تحولت بقية الجماعات الصوفية إلى جماعات من المحاربين الذين يطلبون الملك ، ومنهم ابن قسى وابن المنذر وابن حمدين . ولم يتجه أحد منهم إلى الجهاد مع اتساع ميدانه إذ ذاك ، بل صرفوا همهم فى محاربة المرابطين ، وقد قضى الموحدون على هذه الجماعات .

(٢) شرف إشبيلية يراد بها المرتفعات الواقعة إلى غربها ، وتسمى اليوم جبال أنديڤالو **Sierra de Andévalo** وهى جزء من جبال سيِرا مورينا **Sierra Morena** التى كان العرب يسمونها جبال المعدن . وتمتد منطقة الشرف حتى تصل إلى لبلة وباجة ، وقد قال عنها ابن عبد المنعم الحميرى فى سياق كلامه عن الزيت الذى اشتهرت به إشبيلية (نقلا عن الإدريسى) : « فيجتمع هذا الزيت من الشرف ، وهو مسافة أربعين ميلا كلها فى ظل شجر الزيتون والتين ، أوله مدينة إشبيلية وآخره مدينة لبلة ، وسعته اثنا عشر ميلا ، وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة —

وبظاهر اطريانة[1] انكشف أصحابه أمام طائفة من جيش أبي زكرياء يحيى بن علي بن غانية[2] .

= بالحمامات والديار الحسنة ، وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال » . ويسمى الشرف الآن Ajarafe انظر : الإدريسي ، صفة المغرب والأندلس ، ص ١٧٨ - الروض المعطار ، رقم ١٤ ص ١٩ ، والترجمة الفرنسية ص ٢٥ .

(١) كذا في الأصل : اطريانه ، والأشهر بدون ألف : طريانة ، وهي Triana ضاحية لإشبيلية موجودة إلى اليوم على الضفة الغربية للوادي الكبير . وقد ذكر أبو الفدا في « تقويم البلدان » (ص ١٦٧) أنه كان يصلها بإشبيلية قنطرة من القوارب ، أما الآن فهناك قنطرة كبيرة تحمل نفس الاسم . ويفهم من كلام ابن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار (رقم ١١٧ ص ١٢٧) أن طريانة كانت حي الصناع وأصحاب الحرف . وأصل اسمها Irajana مسماة باسم منشئها القيصر تراجان .

(٢) رأس أسرة بني غانية الثائرين على الموحدين بعد زوال أمر المرابطين في الأندلس ، وهو من قبيلة مسّوفة ثانية القبائل الصنهاجية الكبرى التي قام عليها مُلك المرابطين بعد لمتونة . ولد يحيى بن غانية في قرطبة وتلقى العلم فيها ، وكان فارساً نجداً ظهرت بسالته من أول الأمر حتى ليقول ابن الخطيب أنه طلق امرأته - وكانت فائقة الجمال - حتى لا تشغله عن الحرب ، وقد جعله علي ابن يوسف بن تاشفين عاملا على إستجة ، فأبلى بلاءً حسناً في مدافعة ألفونسو المحارب ملك أرغون عندما أغار على الأندلس وأوغل فيه حتى الجنوب .

وكان والد يحيى - وهو علي بن يوسف المسّوفي - من كبار رجال يوسف بن تاشفين ، وهو الذي زوجه من قريبة له تسمى غانية ؛ وأظن أن الأصح أن يقال غانيّة ، نسبة إلى غانة . وقد أنجب منها علي بن يوسف ابنين : محمداً ويحيى هذا ، عرفا بابني غانية كما يقال أبو بكر بن الصحراوية نسبة إلى أمه . وفي أيام علي بن يوسف أرسل محمد بن غانية إلى ميورقة ليطفىء ثورة هناك ، وهناك أقام إلى أن قضى الموحدون على سلطان المرابطين في المغرب فاعتصم فيها ورفض البيعة للموحدين . أما أخوه يحيى فقد تولى - كما رأينا - إستجة وأبلى بلاء عظيماً ، ثم أقيم عاملا على مرسية وبلنسية حيث استطاع أن يهزم ألفونسو المحارب سنة ٥٢٨/١١٣٣ - ١١٣٤ ، ثم تصدى لحرب الثائر ابن قسي كما يقول ابن الأبار وهزمه في إشبيلية وحاصره في لبلة . وعندما اشتد ضغط النصارى على قرطبة جاهدهم ما استطاع حتى ردهم عنها ، ثم اتصل بالقائد الموحدي بَرّاز بن محمد المسوفي الذي ولاه عبد المؤمن بن علي على إشبيلية ودخل في طاعة الموحدين ، فولوه قرطبة وقرمونة في مقابل تسليمه جيان . ثم اختلف مع الموحدين ودافعهم عن قرطبة مستعيناً بألفونسو السابع ، وبمعاونته استولى على الجزيرة الخضراء ، ثم تحالف مع الثائر ابن عياض على =

وكان لما بلغه أمرُ لَبْلَة وبلادِ الغرب قد بادر من قرطبة بالخروج لغزو أهلها ، فوافى إشبيليةَ وابنُ المنذر يعيث فى نواحيها ، فعيّن من أصحابه لاتّباعهم وعبور الوادى نحوهم مَن هزمهم وطردهم ، وقُتل عدد وافر منهم . فأسْرى ابنُ المنذر ليلةً إلى لَبْلَة ، وأقام بها يومين يحصنها ، ثم لحق بِشِلْب وترك يوسف البَطروجى بها . فنازله ابنُ غانية فى جيوشه ثلاثةَ أشهر ، وذلك فى كَلَب الشتاء وحدَّته ، إلى أن بلغه قيامُ ابن حَمْدِين[1] بقرطبة ، فانصرف عنها إلى إشبيلية ، وقد تغير على الناس واشتد حذرُه منهم ، فجرت له معهم ولهم معه قصص طويلة .

ولما سمع ابنُ قَسِىّ بقيام ابن حَمْدِين ، أمر ابنَ المنذر هذا أن يعسكر ويسير هو ومحمد بن يحيى — المعروف بابن القابلة ، كاتب ابن قَسِىّ وصاحبه — إلى قرطبة طمعاً فى دخولها ، وخاطب معهما أهلَها يرغبهم فى أمره ، ويحرضهم على القيام بدعوته ؛ وكان بالرَّبَض الشرقى مَن له حِرص عليه ورغبة فيه ، كأبى الحسن ابن مؤمن وغيره . فتحرك ابنُ المنذر وصاحبُه بعسكر شلب ولَبْلَة / فوجدوا [١٤٧-ب] أحمد بن عبد الملك بن هود سيف الدولة ، قد جاء به أهل قرطبة من بعض ثغورها المجاورة لها وملّكوه عليهم ، وطردوا ابنَ حَمْدِين فانحاز إلى الحصن

— الموحدين وتمكن من ضم سبتة إلى بلاده وأقام عليها يحيى بن أبى بكر الصحراوى . وقد تجرد عبد المؤمن بن على للقضاء عليه ، فتخلى عن قرطبة ولجأ إلى غرناطة فى ١٠ شعبان سنة ٥٤٣/ ٢٤ ديسمبر ١١٤٨ . أما أولاده فقد لجأوا إلى عمهم محمد بن غانية المسوفى صاحب الجزائر الشرقية ، واشتركوا معه ومع أبنائه فى حرب الموحدين . واستمر بنوغانية شوكة فى جنب الدولة الموحدية ، وعبروا البحر واستولوا على بجاية فى المغرب ، ولم ينته أمرهم إلا فى أيام محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين . وقد ألف فى تاريخهم ألفريد بل كتاباً وافياً :

ALFRED BEL, *Les Banou Ghanya*, Paris 1903.

(١) حمدين بن محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبى ، وسيترجم له ابن الأبار فى الحلة . انظر التكلة ، رقم ١١٩ ص ٣٨ . وبغية الملتمس للضبى ، رقم ٣٨٥ .

المعروف بفُرَنجولُش(١) ، ومنها أعادته العامةُ ، لما قامت على ابنِ هود وقتلت وزيره ابنَ شَمّاخ ، وفر هو بعد اثنى عشر يوماً من دخولها ولم يعد إليها بعدُ .

وانصرف أصحابُ ابن قَسِيّ خائبين ، وبعد وصولهم إليه استدعى أبا محمد سيدراى بن وزير للاجتماع به ، فتوقف وارتاب ، لما كان من قبضه عليه بقصبة مِيرْتُلَة وخلْعه ثم صرْفه إلى حاله أثناء مغيب ابن المنذر فى قصد إشبيلية .

ولما يئس منه ابنُ قَسِيّ أمر ابنَ المنذر بمحاربته ، فهزمه ابنُ وزير وقبض عليه واعتقله بمدينة باجة . ثم تذكر يوماً خالَه وقد صارت إليـــه بَطَلْيَوْس وأعمالُها ، إلى ما كان بيده من بلاد الغرب ، فأمر خالَه عبد الله بن الصُّمَيْل — المذكور قبلُ — بأن يسير إلى باجة ويستخرج ابنَ المنذر من سجنه ويسمل عينيه ، ففعل ذلك . وأقام فى معتقله إلى أن فتح الموحدون ، أعزهم الله ، باجة وسائر بلاد الغرب ، فأنقذه الله على أيديهم وعاد إلى شِلْب .

وكان يجالس ابنَ قَسِيّ فى ولايته عليها من قِبل الموحدين إلى أن خَلع دعوتهم وانسلخ من طاعتهم وداخَل النصارى ، فاستراح ابنُ المنذر إلى وجوه بلده بما كان عنده من باطن أموره ، ودبر معهم — وهو ذاهب البصر — قتْله ، فتم ذلك كما تقدم ذكره . وخلَفه فى ولايته قائماً بالدعوة المهدية خلّدها الله ، وذلك فى جمادى الأولى سنة ست وأربعين نخيف منه أن يثور ثالثةً ، فنُقل إلى إشبيلية ، بعد أن خلَعه ابنُ وزير وملَك شِلْب دونَه فى خبر ذكره ابنُ صاحب

---

(١) فرنجولش **Hornachuelos** بلدة صغيرة فى مديرية قرطبة حاليا ، تقوم على تل مرتفع ، وقد ذكرها ابن عبد المنعم الحميرى : رقم ١٢٨ ص ١٤٣ والترجمة الفرنسية ص ١٧١ والتعليقات . وانظر :

Cf : MADOZ, *op. cit.* IX, p. 261 - 262.

الصلاة فى كتاب « ثورة المريدين » من تأليفه . وبعد ذلك أجاز البحر إلى سَلَا ، فتوفى بها سنة ثمان وخمسمائة .

ومن شعره يخاطب ابنته ، وتوفيت بعد خلعه وسَمْل عينيه :

أواحدتى قد كنتُ أرجوكِ خِلفةً لعينىّ ، أختيك اللتين سبا الدهرُ
رضيتُ بحكمِ الله فيما [أصابنى](١) إذا لم يكن يسرٌ فيا حبذا العُسرُ

[١٤٨-أ] /وله ، وبعث به إلى أبى بكر بن المنخَّل(٢) ، فى نكبته ، وكان قد استوزره فى ولايته :

يا واحدى مِن ذا الورى بولائه ووحيدَهمْ — إن ناظَروا — بذكائِه
أما الكلامُ فقد ملَكتَ زمامَهُ نوعاً فنوعاً فانفرِدْ بلوائه
إن شئتَ فانظِمْ دُرَّ لفظٍ رائقٍ يحكى حمامَ الأيكِ حالَ غِنائه
أو شئتَ فانثر من كلامكَ جوهراً تغلو به الأرباحُ عند شرائه
يا طالباً علمَ الكلام تحققاً أبشِرْ فقد أدركتَه بلقائه
إن كنتَ تبغى كشفَ غامضِه فقد أنجحتَ ، فانزلْ وارتبطْ بفنائه
واسمع إذا ألقى إليك معلِّماً والقَنْ — هُديتَ الحقَّ — من إلقائه
من كان يرتاد الشفاء لنفسه فلديه منه ما يَفِى بشفائه
ما إن يناظر حائراً فى دينه إلا اهتدى وشفاه من أدوائه

(١) بياض فى الأصل .

(٢) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنخل المهرى الشِّلْبى ، ذكره ابن الأبار فى التكملة وأثنى عليه بأنه كان أحد الأدباء المتقدمين والشعراء المجودين ، وروى شيئاً من شعره ، وقال إن له ديوان شعر ، وأنه توفى فى حدود سنة ٥٦٠ (رقم ٧٣٠ ص ٢١٤) . وانظر أيضاً :

وإذا تَخُطُّ يمينه(١) في مُهْرَقٍ أهدى لنا الحسَنَ بحُسن رُوائه
إيهٍ أبا بكرٍ ، وماذا مِن أخٍ ناديتُ غيرَك لم يجبْ لندائه
عثرت بيَ الدنيا فأصبح مُعرضاً عنى كأنى لم أدِنْ بإخائه
ومنحتُه ودى وصنتُ إخاءه من نائبات الدهر حالَ بلائه
ورعيتُ ظَهر الغيب حَقَّ جواره وحفظتُه من خلفه وورائه
فعدا علىّ ولم أظنَّ ببغيِه وأنا بحالٍ من أمان عـــدائه
لو أننى ممن تسوء ظنونُه ما نالنى ما نال من تِلقائه
ما ساء فِعلى مرةً فيسوء بى ظنٌّ بمن قَدَّمتُ لى بولائه

فأجابه بقصيدة ، منها :

/ يا مُلبِسى النُّعمى بحسن ثنائه ومميِّزى(٢) نقداً بصدق ولائهِ [١٤٨-ب]
ألقى علىّ مديحَه فلبِستُهُ بُرداً ، وردَّ علىّ فضلَ ردائه
وأعارنى من خُلْقِه وصفاته فسحبتُ ذيلَ الوَشْيِ من صَنْعائه
لَبَّيْك من داعٍ تيم حبُّه قلبى ، فصيَّره إلى سَودائه
إن كان أبناء الزمان تشبهوا بأبيهمُ ، ما أنتَ من أبنائه
فذَرِ الحسودَ لما به فدواؤه فى موته ، وحياتُه من دائه
لله دَرُّك من فتًى عبثتْ به أيدى الزمان فأخلقتْ بعَلائه
أفديه من حرٍّ جفاه زمانُه لو كان يسمح دهرُنا بفدائه
قد كان مثلَ السهم ينفذ فى الوغى والنصرُ معقود برأس لوائه



= المغرب لابن سعيد ، ج ١ ص ٣٨٧ وتعليق الدكتور شوقى ضيف .
(١) الأصل : يمناه ، والتصويب للوزن .
(٢) الأصل : وميز لى . وقد صوبها دوزى كما أثبتناها .

شهماً إذا دجت الخطوب تبلَّجت لعقولنا الأقمارُ من لألائه
شِيَمٌ كأزهار الربيع وراءها هِمم تَحطُّ النجمَ من عُلَوائه
وإذا ترقَّى منبراً لمُلمّةٍ عطَف القلوبَ على مناهج رائه
كانت لياليه نجومَ زماننا فتناثرت حُمَماً على ظَلْمائه

وله إلى ابن المنخَّل أيضاً :

لئن غضَّ منك الدهرُ يوماً بأزْمةٍ فحسبُك أن تُلفَى وأنت صبورُ
فليس أسًى يبقى وإن جلّ ، مثلُ ما – على كل حالٍ – لا يدوم سرور
أيوجد فى الدنيا من الناس صاحبٌ إذا أعرضتْ أبقى ؟ لَذاك عسيرُ . .
طلبتَ عزيزاً لا يُنال ، فإن يكنْ فإن أبا بكرٍ بذاك جدير
رضيتُ به حظًّا من الناس كلهمْ فما بعدَه حُرٌّ إليه نشير

فأجابه بقوله :

[١٤٩-أ] / تجافَ عن الدنيا وعن بَردِ ظلِّها فإنَّ بُروداً لا يدوم حَرُورُ
فدَيتُك ، لا تأسفْ لدُنيا تقلَّصتْ وأوحشَ يوماً منبرٌ وسرير
وإن عَرِيَتْ جُرْدُ المَذاكى وذُلِّلَتْ أسودٌ ، فلم يُسمع لهن زئير
وغودرت الراياتُ تهفو كأنها جوانحُ من ذعرٍ عليك تطير
وكانت ولم تُذعَرْ عليك كأنها إذا رفرفتْ يومَ الهياج نسور
طلبتَ وفاءً ، والوفاءُ سجيةٌ ولكنَّها – أمُّ الوفاء – نَزُور
رأيتُك تبغى مثلَ نفسك فى العلا طِلابٌ لَعَمْرِى ما أردتَ عسير
ومن ذا [الذى][1] يسمو سموَّك للعلا ويعفو عن الزلات وهو قدير .

(١) أضفت هذه الكلمة لوزن الشعر.

ولابن المنخَّل فيه يرثيه من قصيدة :

بأىِّ حسامٍ أدفع الخطبَ بعد ما   فقدتُ الحسامَ المُنذِرىَّ اليمانيا ؟
ومَن لى بمِثل المنـــذرىِّ محمدٍ   صديقًا صدوقًا أو خليلاً مصافيا ؟
وقد كنتُ أستدنى البعيدَ برأيهِ   فيأتى على حكم الإرادة دانيا

١٤٤ — على بن عمر بن أضحى الهمدانى ، أبو الحسن

هو على بن عمر بن محمد بن مُشرّف بن أحمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب — بالغين المعجمة — ابن يزيد بن الشِّمر ، من همدان ، فى ذؤابة شرفها وصميم بيوتاتها . وقد تقدم ذِكر نباهةِ سلفه ، وقيامِ محمد بن أضحى بأمر العرب بعد سعيد بن جُودِىّ السَّعْدِىّ فى خلافة الأمير عبد الله بن محمد ، ولِمَ سُمى والدُ عبد اللطيف « غريبًا » حتى غلب عليه — وإنما اسمُه خالد ، ويزيد بن الشِّمر أبوه هو الداخل إلى الأندلس .

ووُلد أبو الحسن على بن عمر هذا بالمَرِيّة فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، ووَلِى قضا ها بعد أبى عبد الله محمد بن يحيى بن الفَرّا الزاهد ، ثم صُرِف بعبد المنعم بن سَمَجُون(١) ، وأعيد / بعده ثانيةً . [١٤٩-ب]

ولما انقضت دولة الملثمين فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، ودعا ابنُ حَمْدِين

---

(١) ترجم له ابن الأبار فى التكلة (رقم ١٨١٦ ص ٦٥٣) ولم يذكر أنه ولى قضاء المرية . وهو عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن سمجون اللواتى ، من أهل طنجة ، أبو محمد . نشأ بغرناطة وتفقه على نفر من شيوخها ، منهم أبو على بن سُكَّرة الغسانى الصدفى . ولى قضاء إشبيلية بعد صرف أبى مروان الباجى عن ولايته الثانية ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة ، واستعفى ولم يُعفَ . توفى فى شعبان سنة ٥٢٤ .

لنفسه بقرطبة ، خاطب أبا الحسن بن أضحى يحضه على اتّباعه — وهو إذ ذاك بغرناطة ، وقاضيها أبو محمد بن سِمَاك — فقام بدعوة ابن حَمْدِين ، وتابَعه أهلُ بلده ، وأخرجوا الملثمين من المدينة ، فتحصنوا بالقصبة ونشب القتال بين الطائفتين ، فاتصل ذلك مدة .

وذكر أبو محمد بن صاحب الصلاة أن الذى قام عليه ابنُ أضحى من الملثمين هو على بن أبى بكر — المعروف بابن فَنّو[1] ، وهى أخت على بن يوسف بن تاشفين . كان أميراً عليها[2] بعد أبى زكرياء بن غانية ؛ قال : واستصرخ — يعنى ابن أضحى — بابن حَمْدِين بقرطبة ، وبابن جُزَىّ قاضى جيّان ، فوجّه إليه ابنُ حَمْدِين ابنَ أخيه علىَّ بنَ أبى القاسم أحمد — المعروف بابن أم العِمَاد — فى عسكر قرطبة ، وعلم بذلك سيفُ الدولة أحمد بن هود[3] ، فعجّل ودخل مدينة غرناطة ، وانصرف ابنُ أم العِماد خائبا .

---

(١) فَنّو ابنة يوسف بن تاشفين ، وقد تزوجت ابن عمها أبا بكر يحيى بن أبى يحيى ابن تاشفين وأنجبت منه علياً المذكور هنا .

ويعرف من بنات يوسف بن تاشفين وأبنائه عدد نوردهم فى الجدول التالى :

يوسف بن تاشفين

أبو بكر سير ، أكبر أولاده . توفى ٤٧٨/١٠٨٦	أبو الطاهر تميم الملقب بالمعز	على الذى خلف أباه يوسف	يحيى	أبو محمد إبراهيم	أبو عبد الله محمد بن عائشة	رقية	كوت أو كوتة	تميمة أم طلحة	فنو

ويُظن أن غانيّة التى تزوجت على بن يوسف المسوفى ، والد يحيى بن غانية الذى ذكرناه ، كانت ابنة يوسف بن تاشفين ، ولكن الغالب أنها كانت من بيت يوسف بن تاشفين فحسب .

(٢) أى على غرناطة .

(٣) سيف الدولة أحمد بن هود هذا هو ابن عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستعين صاحب سرقسطة . وكان عماد الدولة عبد الملك بن هود رجلا ضعيف النفس شديد الحرص على البقاء فى سرقسطة بأى ثمن ، وكان المرابطون قد استقروا فى مرسية وبلنسية وتطلعوا نحو سرقسطة ، —

وتعاون ابنُ هود مع ابن أضحى على قتال الملثمين وحصارهم بالقصبة أشهراً ، وفى أثناء ذلك جرحوا ولدَ ابن هود وأسروه وأدخلوه القصبةَ ، فمات من جراحه فغسلوه وكفنوه وجعلوه فى نعش ، ودفعوه إلى أبيه فدفنه .

قال : ثم مات القاضى ابنُ أضحى ، وتقدم ابنُه محمد بعدَه مع الرعية فى معاونة ابن هود . ثم إن ابنَ أبى جعفر قاضى مرسية الثائرَ بها جيَّش لمعونة أهل غرناطة ، فلما وصل إلى ما يقرب منها — وهو فى ألفى فارس من أهل الشرق — خرج الملثمون إليه فهزموه وقتلوه وكثيراً ممن كان معه ، ودفن هو بغرناطة . وعجز ابنُ هود ففر إلى جيّان ، وكان قد ترك بها ابنَ عمه نائباً عنه وابن مشرف البَراجلى(١)

= فتحالف عبدالملك بن هود مع ألفونسو الأول الملقب بالمحارب ملك أرغون ونَبَرَّة (٤٩٩ – ٥٢٩ / ١١٠٤ – ١١٣٤) ، فأسرع القائد المرابطى محمد بن الحاج ودخل سرقسطة سنة ٥٠٣/١١٠٩ ، وانتقل عبد الملك بن هود إلى حصن روطة **Rueda** حيث أقام فى حماية ألفونسو المحارب وتوفى سنة ٥٢٤ / ١١٣٠ وقام من بعده ابنه أحمد سنة ٥٢٥ / ١١٣١ أو ٥٢٦/١١٣٢ ، وكان معدوداً فى جملة أتباع ألفونسو المحارب يقاتل من يأمره بقتاله ، مسلما كان أو غير مسلم . ثم تنازل عن روطة لألفونسو السابع ملك قشتالة فى مقابل إقطاع بناحية طليطلة حتى سنة ٥٣٩/١١٤٤–١١٤٥ وهى السنة التى قتل فيها تاشفين بن على بن يوسف وبدأت الثورة على المرابطين فى الأندلس ، فأسرع أحمد بن هود واحتل قرطبة بمعاونة أهلها وألفونسو السابع . وقد فصلت مدونة ألفونسو السابع ***Cronica del Emperador Don Alfonso* VII** كيف اتفق أحمد بن هود مع ملك قشتالة على أن يعمل على إشعال الثورة على المرابطين ، وفصلت كذلك كيف اشترك أحمد بن هود فى حملة ألفونسو المحارب على الأندلس والتخريب الذريع الذى أنزله ببلاد المسلمين . وبعد ذلك يبدأ أحمد بن هود دوره فى هذه الفتنة التى قامت على المرابطين فى الأندلس وكادت تقضى على ما بقى منه إذ ذاك لولا تدارك الموحدين إياه ، والمسئول عن ذلك رجال مثل ابن حمدين وابن قسى وأحمد بن هود وسيدراى بن وزير ومن إليهم . وقد تسمى أحمد بن هود هذا بسيف الدولة ، وتكتبه المراجع الإسبانية **Zafadola** .

Cf. : Fr. CODERA, *Decadencia y desaparición de los Almorávides,* p. 71 sqq.

(١) الأصل : وإن مشرف ، ويغلب أن صحتها ما أثبتناه . والبراجلى نسبة إلى البراجلة ، وهى مجموعة من أقاليم كورة إلبيرة كل منها تسمى بُرجالة : برجالة أَنْدَرَة ، وبرجالة أبى جرير ، وبرجالة قيس ، وبرجالة النليول وغيرها .

فوقها له . وتغلب الملثمون على مدينة غرناطة ، وفر محمد بن علي بن أضحى إلى المنكب ، ثم منها إلى حصن بني بشير .

وحكى غيره أن ابن أضحى لما دعا لابن حَمْدِين في رمضان سنة تسع وثلاثين ، تمنع الملثمون بقصبة غرناطة — وكانوا جماعةً أهلَ بأسٍ ونجدة ، فيهم بقية أمرائهم ونقاوة أبطالهم — فحاربوه ثمانيةَ أيام ، إلى أن وصل من جيّان بعضُ قواد الثغر مدداً لابن أضحى ، فاضطربت[1] محلته بالمصلى ، وانضاف إليه من غرناطة جمع وافر ، / فخرج إليهم الملثمون من الغد ، وهزموهم أقبح هزيمة ، [١٥٠-أ] وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . ثم عادوا إلى القصبة ، وضيقوا على ابن أضحى وأهل البلدِ ، ومنعوهم المرافق ، ودامت الحرب بين الطائفتين بداخل المدينة وخارجها ، إلى أن ورد ابنُ أبي جعفر القائم بمُرْسِية في جموع وافرة — يقال إنهم كانوا اثني عشر ألفاً ، بين خيل [ورجل][2] فخرج إليه الملثمون مستميتين ، وقد اشتدت شوكتُهم وكثفت جماعتُهم ، فهزموه وقُتل ابنُ أبي جعفر ، ولم ينج من عسكره إلا القليل ؛ وانصرف الملثمون إلى معقلهم ظاهرين على عداتهم ظافرين في حركاتهم .

ثم قدم ابنُ هود ، ودخل غرناطة من باب مَوْرور ، ومعه ابنُه عِماد الدولة فخرج إليه ابنُ أضحى راجلا ، وسلم عليه وأنزله . واستسقى ابنُ هود ، فأمر له ابنُ أضحى بقدحِ زجاج فيه ماء معدٌّ لإتلاف مَن يشربه ، فعند إخراجه صاحت به العامةُ : « لا تشربْه يا سلطان ! » ، وحذَّرته العاقبةَ ، فخجل ابنُ أضحى ، وتناول القدحَ وعبَّ فيه ينفي الظِّنَّة بذلك عنه ، فمات من ليلته .

ونزل ابنُ هود ببعض البساتين بظاهر غرناطة ، وأقام هنالك عشرةَ أيام ،

(١) الأصل : فاضطرب .
(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

ثم انتقل إلى القصبة الحمراء ، والقتالُ بين الملثمين وأهل المدينة متصل . وفى بعض تلك الأيام أثخنوا ابنَه جراحاً وأسروه ، فمات من ليلته ، فدفعوه إلى أهل البلد مكفناً ليدفنوه أو يحملوه . ولم يُقِم ابنُ هود بعد ذلك إلا نحو شهر فى مظالم وتنويع مغارم ، حتى لَهَمَّ به أهلُ غرناطة ، فانخزل عنهم ليلا وفر إلى مُرسية ، وقيل إلى جَيّان .

وقام بعدَه بأمر غرناطة أبو بكر محمد بن أبى الحسن بن أضحى ، وذلك فى أول سنة أربعين وخمسمائة ، وأقام ثمانية أيام يُغادَى ويُراوَح بالقتال ، حتى هرب من ليلة الجمعة القابلة إلى المنـكَّب[1] . وعند هربه تصالح أهلُ المدينة والملثمون — وأميرُهم على بن فَنُّو قد توفى ، فخلفه ميمون بن يَدَّر بن ورقاء — وقيل : بل دخلها عنوةً على أبى على المنصور بن محمد بن الحاج فى نيابته عن يحيى بن على ابن غانية ، وأقام إلى أن أسلمها إلى الموحدين أعزهم الله سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وكان أبو الحسن بن أضحى — فى حداثته وبعدها — أبىَّ النفس ، عالى الهمة ، فقيهاً يناظَرُ / عليه ، أديباً ، صاحبَ بديهة . قرأتُ بخط أبى عبد الله [١٥٠ب]
محمد بن أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عَبّاد البَلَنْسِىّ ، وحدثنى الحافظُ أبو الربيع ابن سالم عنه ، وأنشدنى ذلك غيرَ مرة ، قال : قال أبى : أنشدنا صاحبُنا أبو بكر بن الغفائرى ببَلَنْسِيَّة — وكتبها لى بخطه — قال : أنشدنى الشيخ المحدث[2]

---

(١) المنكّب ، تسمى اليوم Almunécar وهى فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز مُطْرِيل Motril فى مديرية غرناطة ، وهى على ٢٣ كيلومتراً غربى مطريل . وفى المنكب نزل عبد الرحمن الداخل عندما عبر إلى الأندلس من المغرب .

انظر : الإدريسى ، ص ١٩٩ — الروض المعطار رقم ١٧٩ ص ١٨٦ والترجمة الفرنسية ص ٢٢٥ .

(٢) الأصل : المـ ، وقد أكلناها بما يناسب المعنى .

أبو حفص عمر بن محمد بن عمر اليَحْصُبِي قال : أنشدنى القاضى أبو الحسن بن أضحى لنفسه ، وقد دخل مجلسَ علىّ بن يوسف بمراكش ، فلم يَحْتَفِلْ به أحد ، ونزل حيث انتهى به المجلسُ ، فحضره هذان البيتان فاستأذن الأميرَ فى إنشادهما فأذن له فقال :

نحن الأهِلَّةُ فى ظلامِ الحِنْدِسِ حيث احتلَلْنا ثَمّ صدرُ المجلسِ
إن يبخلِ الزمنُ الخؤونُ بعزِّنا ظُلماً فلم يذهب بعزِّ الأنفسِ

فأمر بترفيعه فى المجلس — لو قال « يذهب » مكان « يبخل » لكان أجود .

وله :

يا ساكنَ القلبِ رفقاً كم تقطِّعُهُ اللهَ فى منزلٍ قد ظلّ مثواكا
يشيِّدُ الناسُ للتحصين منزلَهم وأنت تهدمه بالعُنف عيناكا
واللهِ واللهِ ما حبى لفاحشةٍ أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله :

أزِف الفراقُ وفى الفؤادِ كُلومُ ودنا الترحُّلُ والحِمامُ يحومُ
قل للأحبة : كيف أنعَمُ بعدَكمْ وأنا أسافر والفؤاد مقيمُ ؟
قالوا : الوَداعُ يهيج منك صَبابةً ويثير ما هو فى الهوى مكتوم
قلت : اسمحوا لى أن أفوز بنظرةٍ ودعوا القيامةَ بعد ذاك تقوم

وله :

روحى لديكِ فرُدِّيه إلى جسدِى مَن لى على فقده بالصبر والجَلَدِ ؟
بالله زورى كئيباً لا عزاء له وشرِّفيه ومثواه غداةَ غدِ

لو تعلمين بما ألقاه يا أملى بايعتِنى الودَّ تُصْفِيه يداً بيدِ
عليكِ منى سلام الله ما بقِيَتْ آثارُ عينيك فى قلبى وفى كبدى [١٥١-١]

وله :

وشمعةٍ يحملها شادنٌ يسترُ وجهاً قمريًّا بها
فكان كالشمس على نورها يكسِفُ منها البدرُ حيث انتهى

وله ، وكتب به إلى ذى الوزارتين أبى جعفر بن أبى [...][1] القرطبى معتذراً :

ومستشفِعٍ عندى بخير الورى عندى وأولاهمُ بالشكر منى وبالحمدِ
وصَلت فلما لم أقم بجزائه لففتُ له رأسى حياءً من المجدِ

وله فى الزهد يخاطب [...][2] :

علىُّ ، قد آنَ أن تتوبا ما أقبحَ الشيبَ والعيوبا
شِبتَ ، وما تُبتَ من بعيدٍ سوف تُرى نادماً قريبا
تركب للهو والمعاصى صعباً وتستسهل الذنوبا

---

(١) سقطت بقية الاسم من الأصل ، ولم أجد من أهل هذه الفترة من يحتمل أن يكون المراد هنا إلا أبا جعفر أحمد بن عبد العزيز بن أبى الخير الأنصارى المعروف بالمَوْرُورى ، من أهل سرقسطة وسكن قرطبة ، وهو من تلاميذ أبى على الصدفى ، ذكره ابن الأبار فى المعجم ، رقم ٧ ص ١١ .

(٢) هنا أيضاً سقط اسم المخاطَب ، ويفهم من الأبيات أن اسمه على . والغالب أنه قال هذه الأبيات مخاطبا نفسه .

١٤٥ — مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان ابن عبد العزيز ، أبو عبد الملك

لما انتهى إلى بلنسية الخبرُ بقيام أبي جعفر حَمْدِين بن محمد بن حمدين وبيعته بقرطبة وبجامعها الأعظم في يوم السبت الخامس من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وبانصراف ابن غانية عن لَبْلَة — وقد أعجزه أمرُها وتعذر عليه فتحُها — اضطرب أهل بلنسية وواليها حينئذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن على ، ابنُ أخى أبى زكرياء بن غانيةَ(١) ، وقاضيها أبو عبد الملك هذا — ولاه تاشفين بنُ على بن يوسف فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة — فاجتمعا فى الحين ، على منافسةٍ كانت بينهما فى الباطن ، واتفقا على الائتلاف وترك الخلاف . وحضر الناسُ بالمسجد الجامع ، فقام فيهم مروانُ خطيباً يذكِّر بجهاد اللمتونيين للروم ، ونصْرِهم للجزيرة ، واستنقاذِهم بلنسية من أيديهم ، ويحض على التمسك بدعوتهم والوفاء لهم . ثم قام / عبدُ الله بن محمد [١٥١–ب] الوالى ، وتكلم بما حضره فى هذا المعنى ، وذكَّر الناسَ بما انتظم بينهم وبين عمه من الصحبة ، وانفصلوا .

---

(١) لكى تتضح العلاقة بين هذين الاثنين نورد الجدول البيانى التالى :



فنُمِى إلى عبد الله من القول — عن القاضى وغيره — ما أزعجه ؛ وليلةَ يوم الأربعاء ، الثامن عشر من رمضان ، أنفذ عيالَه وأثقالَه إلى شاطبة ، وأصبح هو بالوَلَجَة[1] . فدار بينه وبين الجند ما أوجب تمزيقَ خبائه ، وللفور أخذ فى الفرار مع قومه . فلما استقروا بشاطِبة ، أغارت خيلُه على جهات بلنسية فاكتسحت ما وجدت ، وتطلع الناسُ إلى ابن عبد العزيز ، ورغِب إليه الجندُ والعربُ ووجوهُ أهل البلد فى التأمُّر عليهم ، فأبى وقال : « اختاروا من شيوخكم مَن تقدِّمونه » ، فاتفقوا على بعض اللَّمتونيين الباقين ببلنسية بعد فرار عبد الله ابن محمد . وتمشَّتِ الحالُ على هذا أياماً .

وأراد هذا المجتَمَعُ عليه من لَمْتُونة أن يقبض على ابن عبد العزيز ، فلم يستطع . ثم خامره الروع ، فلحق بشاطبة ، هو والباقون معه من أشياعه . وحينئذ وقع الإجماعُ على ابن عبد العزيز ، فاستخفى إلى أن انفرد به أبو محمد عبدُ الله ابن عِيَاض قائدُ الثغر ، وعبدُ الله بن مَرْدَنِيش وقالا له : « هذا الأمر لا بد لك منه ، والرأى المبادرة » ، فقبل ذلك وتم [أمرُه][2] والبيعة له يومَ الاثنين الثالث من شوال[3] ، وولَّى عبدَ الله بنَ عياض الثغرَ وما والاه ، وضم إلى نظَره ما كان بأيدى أصهاره بنى مَرْدَنِيش قبل ظهورهم . والملثمون أثناء ذلك يغيرون على الجهات ، ويعيثون فيما يجاورهم من البسائط والمعاقل ، فاستدعى ابنُ عبد العزيز أجنادَ الثغر ، ونهض بهم إلى منازلة شاطِبة . فانحدر الملثمون من قصبتها إلى المدينة ،

---

(١) ولجة بلنسية ، سبق أنْ تكلمنا عنها .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٣) يلاحظ تسرع أولئك الناس فى الحركة والوثوب بالأمر ، فإن بيعة ابن حمدين فى قرطبة كانت فى ١٥ رمضان ٥٣٩ ، ولابدّ أن الخبر وصل بلنسية بعد أيام ، وفيما بين وصول هذا الخبر و٣ شوال حدث كل ذلك بما فيه من اتفاق ونقض وهروب وغارة وحرب واختفاء ، ثم ظهور وعرض وتمنع وقبول .

ونهبوا الديار وسبوا النساء ، وقدم ابنُ عبد العزيز على هذه الحال يومَ الجمعة الثامن عشر من شوال ، فكانت بينه و بينهم مواقفات ظهر فيها عليهم ، حتى لجأوا إلى القصبة منهزمين .

ووصل أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر بعسكر مُرسية فى آخر شوال ، فأقاما على حصار شاطبة ، متفقَين فى الظاهر ، مختلفَين فى الباطن ، وكل واحد منهما يرى أنه أولى بها .

[١٥٢-أ] واضطربت / مُرسية إثرَ ذلك ، فتوجه إليها ابنُ أبى جعفر مصلحاً ومسكِّناً ، ثم عاد إلى حصار شاطبة . ووصل ابنُ عياض بأهل الثغر معيناً لأميره ابنِ عبد العزيز ، فلم يجد عبدُ الله بن محمد بدًّا من الفرار ، ولحق بالمَرِيَّة فى خبر طويل ، ومنها ركب البحر إلى أبيه محمد بن على ، وهو بمَيُورْقَة قد ملكها واستقر فيها برأى أخيه أبى زكرياء يحيى بن على ، عند ثورة العامة بإشبيلية منصَرَفَه من حصار لَبْلَة .

ولما هرب عبدُ الله من قصبة شاطبة استولى عليها ابنُ عبد العزيز صلحاً ، فحصَّنها وعيَّن لها ضابطاً وصدَر إلى بلنسية ، فيقال إنه دخلها راكباً على جمل فى زى الجند ، وجُددت له البيعةُ يومَ قدومه ، وذلك فى صفر سنة أربعين . وانصرف ابنُ أبى جعفر إلى مُرسية ، ثم قُتل على إثر ذلك بجهة غرناطة ، فانضافت لَقَنْت(١) وأعمالُ شاطبة إلى ابن عبد العزيز .

---

(١) لقنت : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت لقنت مدينة من مدائن كورة تدمير (صفة الأندلس للرازى ، ص ٧٠ – ٧١) ، وقد وصفها الإدريسى (صفة الأندلس والمغرب ، ص ١٩٣) – ونقل ابن عبد المنعم الحميرى نص كلامه (رقم ١٦١ ص ١٧٠) – بأنها مدينة صغيرة ، بها سوق ومسجد جامع ومنبر ، ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر ، وبها قصبة منيعة جداً ، وعلى صغرها تنشأ بها المراكب السَّفَرِية والحراريق . ولقنت قرضة قديمة سماها الرومان Ilicitanus ، ومن هنا جاء اسمُها فى العربية ومنه اسمها اليوم أليكانتى Alicante ، وهى من المدائن السبع التى صالح عليها تُدمير ، ولهذا دخلت فى كورة تدمير فى التقسيم الإدارى . –

وعند استقلاله بالرئاسة خانه الجندُ ، ولم تَفِ الجبايةُ بالواجبات ، فتعللوا عليه بذلك ، وعزموا على خلعه ، وخاطبوا ابنَ عِيَاض يستعجلونه فى الوصول إليهم من مُرسية — وكان قد ملكها بمداخلة أهلها وخلعَ أبا عبد الرحمن بنَ طاهر[1] منها فى العاشر من جمادى الأولى من سنة أربعين المذكورة — فلم يَرُع ابنَ عبد العزيز إلا إحداقُ الجند بقصره يومَ الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى المذكور — وحكى ابنُ صاحب الصلاة أن ذلك كان فى الخامس والعشرين منه — فخرج راجلا متنكراً ، وتدلَّى من سور بلنسية ليلا ، واعتسف الطريق دون دليل حتى لحق بجبال المَرِيَّة ، واجتمع بالقائد محمد بن ميمون ، فقَبض عليه وقيده وفاء لبنى غانية ، وأقام عنده إلى أن دفعه إلى عبد الله بن محمد[2] ، عدوِّ ابنِ عبد العزيز وطريدِه من بلنسية وشاطبة ، وقد ورد على المَرِية فى قِطَع

— وقد اضمحل أمر لقنت خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى ، وتنافس عليها الطامعون حتى عرض صاحبها أبو جميل زيان بن مردنيش على خايمه الأول المعروف بالفاتح ملك أرغون بيعها إياه مع ميورقة فى مقابل ٥٠٠٠ بيزانت من الذهب (البيزانت نحو دينار) ، ولكن هذا رفض العرض لأن لقنت وإقليمها كانت من النواحى التى اتفق ملوك النصارى على أن تكون من نصيب ملك قشتالة . وقد استولى عليها فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ١٢٥٨/٦٥٦ بعد حصار قصير . ولقنت اليوم عاصمة مديرية بحرية تحمل نفس الاسم تقع جنوبى مديرية بلنسية وشرق مديريتى البسيط ومرسية . وهى من أكبر موانى الساحل الشرقى لإسبانيا .

Cf. MADOZ, *op. cit.* I., 611 sqq.

(١) هو حفيد أبى عبد الرحمن بن طاهر الذى ترجم له ابن الأبار فيما سبق .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن على بن يوسف المسوفى ، وهو من بنى غانية ، وابن أخى يحيى بن غانيـة .

ميورقة برسم اتّباع العدو ، فعفّ عبدُ الله عن دمه ، واحتمله معه مقيداً ؛ ونقم الناسُ على ابن ميمون(١) فعلَه .

ويقال إن عبد العزيز لما غدر به الجندُ فر إلى قُلَيبيرة(٢) ، ثم رجع إلى بلنسية مستتراً ودخل دارَه القديمة ، فعُثر على خبره وطُلب حتى أحرِق بعضُ [١٥٢-ب] /دوره ، فخرج ثانيةً مستخفياً إلى مرسية ، واقتفى أثرَه يوسفُ بن هلال إلى مقربةٍ منها ، ففاته . وأقام هو بمرسية ثلاثةَ أيام ، ثم خرج منها إلى المرية فقبض عليه ابنُ ميمون .

ولما خلعه الجندُ قدّموا عبدَ الله بن محمد بن سعد بن مَرْدَنِيش نائباً عن ابن عِيَاض ، وأسكنوه قصرَ بلنسية ، وقدِم ابن عِيَاض فى آخر جمادى الأولى — وقد وافتْه بيعةُ أهلها فى طريقه إليها — فأقام بها ناظراً فى أمورها ومصلحاً لثغورها . ثم عاد إلى مرسية ، وترك صهرَه أبا محمد بن سعد ببلنسية أميراً عليها من قِبَله — وهو عمُّ أبى عبد الله بن سعد ، أمير الشرق بعد ذلك والمعروف

(١) محمد بن ميمون هو أمير البحر أيام المرابطين ، وكانت له فى أيامهم مواقع كبيرة فى الدفاع عن الجزائر الشرقية وسواحل بلنسية وتدمير ، وهو الذى أسر الرُّبَرْتِير القائد القطلونى الذى ذكرناه آنفا ، ثم دخل بعد ذلك فى خدمة الموحدين وقاد أسطولهم .

(٢) الأصل قُلَّبيرة ، ولم أجد فى ناحية بلنسية موضعاً بهذا الاسم ، والموجود **Cullera** فرجح عندى أنها المرادة هنا . وقليبيرة ميناء صغير جنوبى بلنسية ، وهو تابع لمديريتها على مقربة من سُوَيْقَة **Sueca** جنوبى البحيرة **Albufera** المعروفة هناك . وقد ذكر مادوث أنها كانت تسمى أيام المسلمين **Colira** (قليرة) . وقد سقطت قليبيرة فى يد خايمه الأول ملك أرغون سنة ١٢٣٦/٦٣٤ ، أسلمها إليه صاحبها جميل أبو زيان ، فأقطعها ملك أرغون بفرسان المعبد لمواصلة الحرب ضد المسلمين .

Cf : MADOZ, *op. cit.* VII, p. 278 sqq.

وانظر أيضاً الترجمة الفرنسية للروض المعطار ، ١٢٦ **تعليق ٢** .

بصاحب البَسيط[1] ، لأنه استشهد فيه مع سيف الدولة بن هود . وقَبض أهلُ

(١) البسيط : هذه واحدة من المرات القلائل التي ورد فيها اسم « البسيط » في مراجعنا العربية ، مع أن هذا الموضع الصغير أعطى اسمه لمديرية كبيرة في إسبانيا اليوم Albacete وقاعدتها تحمل نفس الاسم . ويغلب على الظن أن موضع مدينة البسيط الحالية هو موضع الحصن الذي كان يسمى « اللُّجّ » ، لأن ابن الأبار سيقول بعد ذلك بمناسبة مقتل عبد الله بن سعد بن مردنيش : « بالموضع المعروف باللُّجّ وبالبسيط على مقربة من جِنْجَالَة »Chinchilla. فأما حصن اللج فقد ورد في الروض المعطار (مادة شلبطرة ، ص ١٠٨) باسم حصن الثلج ، وهو خطأ . وفي مادة « العقاب » (Las Navas de Tolosa) (قال الحميري إن الناصر الموحدي في طريقه إلى المعركة عسكر قرب حصن شلبطرة واللج ، واستولى عليهما ، مما يفهم منه أن حصن اللج قريب من شلبطرة Salvatierra ، وهذا يصدق على مكان مدينة البسيط الحالية . وقد ذكر الضبي « البسيط » في مقدمة « البغية » التي يوجز فيها أحداث الفترة التي يتكلم عنها ابن الأبار هنا ، فقد قال إن المستنصر بن هود خرج مع ابن عياض « إلى غزوة البسيط » واستشهد بها في نصف شعبان سنة ٥٤٣ (البغية ، ص ٣٣) .

وأما جنجالة فتسمى الآن Chinchilla de Monte de Aragón وهي بلدة صغيرة في مديرية البسيط على ١٥ كيلومترا جنوب شرقي العاصمة . وقد ذكرها الإدريسي (ص ١٧٥) وقال إنها مشهورة ببسط الصوف ، وذكرها أيضاً ياقوت بالإمالة الأندلسية : جنجيلة ، ومن هنا أتى النطق الإسباني : تْشِنْشِيَّا . ويفهم من هذا كله أن البسيط كان يطلق على حصن اللج أو حصن آخر مجاور له في منطقة واسعة تكثر فيها الحصون مثل شلبطرة . وكان إقليم البسيط على هـذا يشمل القسم الشمالي الشرقي من كورة مرسية وجزءاً من إقليم المانشا (La Mancha) من اللفظ العربي « المَنْجى » وهي الأرض المرتفعة – وجزءاً من إقليم قشتالة الحديدة ، أي ما يقابل مديرية البسيط الحالية . ولم تشتهر هـذه الناحية إلا في أواخر العصور الإسلامية ، وقد كانت أراضيها موزعة بين كور قرطبة وغرناطة ومرسية وبلنسية . وبعد انهيار التنظيم الإسلامي انكمشت كورة قرطبة إلى الغرب وغرناطة إلى الجنوب ومرسية وبلنسية إلى الشرق ، ونتجت عن ذلك مساحة واسعة تقوم فيها حصون متفرقة مثل اللج وشلبطرة وجنجالة أطلق عليها اسم « البسيط » ، وقد سمي حصن اللج بحصن البسيط نسبة إلى هذه المساحة الواسعة . وقد سقطت حصون البسيط وجنجالة وشلبطرة والإقليم كله بعد سنة ١١٤٦/٥٤١ بقليل .

وإلى سنة ١٤٠٣ كانت « البسيط » بليدة صغيرة تابعة لجنجالة ، ثم مدنت – أي اعتبرت مدينة من الناحية الإدارية – سنة ١٤٠٥ ، ثم وسعها الملكان الكاثوليكيان – فرناندو وإيزابيلا – سنة ١٤٩٢ ، فأنشآ إلى جانبها مباني جديدة مازالت تزيد مع الزمن حتى قامت مدينة جديدة إلى جانب القديمة ، وأصبح موضع هذه الأخيرة يعرف باسم Villavieja (البلد القديم) أو –

الثغر على أبي جعفر أحمد بن جُبير[١] — وهو والد أبي الحسين الأديب الزاهد — واحتملوه مقيداً إلى حصن مُطَرْنيش[٢] — وهو من أمنع معاقل بلنسية ، وسُجن فيه إلى أن فَدَى نفسَه بثلاثة آلاف دينار ، إلى ما نُهِب له من دفاتر وذخائر ، فسُرِّح وتوجه إلى شاطبة واتخذها داراً .

= Villa cerrada (البلد المغلق) . وهذه التسمية الأخيرة تدل على أن المراد حصن اللج القديم وما يحيط به من أرض مسورة ، ثم عرف هذا القسم القديم من البلد — ولا زال يعرف إلى اليوم — باسم Alto de la Villa (أعلى البلد) إشارة إلى أنه يقوم على مرتفع ، فى حين نشأ البلد الجديد على السفح . وقد أنشئت مديرية البسيط Provincia de Albacete بمرسوم ملكى صدر فى يناير ١٨٣٤ ، واعتبرت مدينة « البسيط » عاصمتها .

ولما كانت ناحية البسيط وحصونها لم تذكر فى الحوليات الإسلامية إلا فى أواخر العصر المرابطى فإننا نستنتج من ذلك أن ذكرها كان نتيجة لضياع كثير من الأراضى من أيدى المسلمين وصعوبة الثبات فى نواح عامرة مرغوب فيها ، ومهددة تبعاً لذلك ، فكانت حصون مثل اللج وجنجالة وشليطرة ملجأ ومعتصماً لمغامرين من طراز سيف الدولة بن هود ومروان بن عبد العزيز . وقد ارتبطت أسماء هذه الحصون بكثير من المآسى التى شهدتها هذه الحقبة وما تلاها ، ففيها — كما سيروى ابن الأبار — قتل — أو انتحر — سيف الدولة بن هود ، وعلى حدودها الجنوبية المتاخمة لمديرية جيان وقعت معركة العقاب Las Navas de Tolosa فى منتصف صفر ٦٠٩/١٧ يوليو ١٢١٢ التى انهزم فيها محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين ، وتلاشى بعد ذلك رويداً رويداً سلطان الموحدين فى الأندلس ، وتلاشى أيضاً الأمل فى الثبات على جبهة الوادى الكبير ، وارتد المسلمون إلى ما يلى ذلك جنوبا ، وتمكنوا من الثبات على خط نهر شنيل ، مكتفين بما يقع جنوبه .

انظر — بالإضافة إلى المراجع التى ورد ذكرها فى متن التعليق — مواد جنجالة وشليطرة والعقاب فى الروض المعطار — دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مادة البسيط Albacete بقلم فرديناند زايبولد ، ج ١ ص ٢٥٣ ب ، و :

MADOZ, *op. cit.*, I, p. 243 *sqq.*

AMBROSIO HUICI MIRANDA, *Las Grandes Batallas de la Reconquista durante las Invasiones Cristianas* (Madrid, 1956) p. 231 *sqq.*

(١) الرحالة ، صاحب الرحلة المعروفة .

(٢) مُطَرْنيش Montornes مدينة صغيرة اليوم فى جنوب مديرية برشلونة فى أرض مرتفعة كثيرة الحصون . وفى العصور الإسلامية كانت من حصون الحدود بين كورة طرطوشة =

واستطالت الأيدى على سائر أصحاب ابن عبد العزيز ، وانتُهب القصر أياماً ؛ وعند إشخاصه مقبوضاً عليه إلى ميورقة سُجن فى بيت مظلم مُطبَق كان لا يعرف النهار فيه من الليل ، وتُرك أوقاتاً دون غذاء ولا ماء ، وأقام مسجوناً نحواً من عشرة أعوام وقيل اثنى عشر عاماً . وفى سجنه ذلك قال قصيدة يعارض بها أبا مروان الجزيرى[1] أولها :

يا نفسُ دونَكِ فاجزعى أو فاصبرى طلع الزمانُ بوجهه المتنمّرِ

وهى طويلة ضعيفة لم يمر له فيها كبيرُ إحسان ، فلذلك تركتُها . ثم إنه تخلص من معتقَله بسعى أبى جعفر بن عطية الوزير فى ذلك ، حتى خوطب إسحاق بن محمد بن على بتسريحه وقد وَلى ميورقة بعد قتل أبيه محمد وأخيه عبد الله[2] فى سنة ست ، بل سبع ، وأربعين وخمسمائة ؛ وجنح إلى الموحدين أعزهم الله فامتثل إسحاق ذلك ، ووجَّه به إلى بِجَاية ومنها توجَّه إلى مراكش ،

= وكونتية برشلونة . وبعد زوال الخلافة وخلال عصر الطوائف تداعى خط الحصون الذى كان يؤمن بلاد الإسلام فى هذه الناحية ، ولم يبق للمسلمين إلا بعض الحصون المنيعة مثل مطرنيش هذا ، وعندما استولى السِّيد القمبيطور على بلنسية صارت مطرنيش فى يد ملك أرغون ، وعندما استعاد المرابطون بلنسية عاد حصن مطرنيش إلى الإسلام ، ثم خرج من أيديهم عندما استولى خايمه الأول على بلنسية وتوابعها . ويسمى الحصن فى بعض النصوص اللاتينية : Mons Orenes (جبل أورنس) .

Cf : R. MENÉNDEZ PIDAL, *La Espana del Cid*, I, p. 504, 533, II, 771 — 772.

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى ، وقد سبق التعليق عليه . والقصيدة المشار إليها هنا قصيدة « فى الآداب والسنة » كتب بها إلى بنيه ينصحهم ، ومنها :

واعلم بأن العلم أفضل رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر

انظر : جذوة المقتبس للحميدى ، رقم ٦٢٤ ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٢) هؤلاء جميعاً من بنى غانية .

فسعى له ابنُ عطية فى حضور المجلس السلطانى . ولما طولب[1] قال يغرى به ويحرض عليه ، غامطاً حقَّه وكافراً يدَه :

[١٥٣-١] /قل للإمام ـ أطال الله مُدتَه قولا تبينُ لذى لُبٍّ حقائقُه :
إن الزَّرَاجِين[2] قومٌ قد وَتَرْتَهُمُ وطالبُ الثأر لا تؤمَنْ بوائقُه
وللوزير[3] إلى أربابهم مَيَلٌ لذاك ما كَثُرتْ فيهم علائقُه
فبادرِ الحزمَ فى إخماد نارهمُ فربما عاق عن أمرٍ عوائقُه
الله يعلم أنى ناصح لكمُ والحق أبلج لا تخفَى طرائقُه
همُ العدوُّ ومن والاهمُ كهمُ فاحذر عدوَّك واحذر من يصادقُه

فكانت هذه الأبيات من أقوى الأسباب فى قتل ابن عطية رحمه الله . وله أيامَ خموله بالمغرب يصف حاله :

أفٍّ لدنيا تقلبتْ بى تقلُّبَ المشى والغُدُوِّ
قد كنتُ فيما مضى عزيزاً مُساميَ النجمِ فى العلوِّ
فحالىَ الآن لو رآها بكى لها رحمةً عدوِّى

وتوفى بمراكش سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، ومولده سنة خمس وخمسمائة .

(١) أى ولما طولب أبو جعفر بن عطية ، وقد سبق أن فصلنا ذلك .

(٢) الزراجين والزراجنة صفة يستعملها بعض كتاب الموحدين ويعنون بها المرابطين . جاء فى أخبار المهدى محمد بن تومرت للبيذق (ص ١٢) : « جماعة الملثمين الزراجنة الساكنين بالسوس دمرهم الله » ، وفى ص ٢٨ : « وكان الناس فى القتال مع الزراجنة » ، وقال فى تفسير عبارة قالها ابن تومرت بالبربرية : « يعنى بالباطل الزراجنة وما كانوا عليه » . الخ . وقال ابن القطان فى تفسير هذا اللفظ إنه جمع زَرْزَجان وهو طائر أسود البطن أبيض الريش شبه ابن تومرت به المرابطين لأنهم « بيض الثياب سود القلوب » .
(انظر نظم الجمان بتحقيق الدكتور محمود مكى ص ٨٥) .

(٣) يريد بالوزير أبا جعفر بن عطية .

١٤٦ — محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن ابن طاهر القيسى ، أبو عبد الرحمن

لأهل بيته فى قِدم الرئاسة وكرم السياسة ذكر مأثور وأثر مذكور ، وقد أوردتُ كلامَ أبى مروان بن حَيّان فى أوّليتهم . وكان أبو عبد الرحمن الأولَ منهم فى الرسائل ، كأبى عبد الرحمن الأخير فى علوم الأوائل ، ذلك للبيان والتشقيق ، وهذا للنظر والتحقيق .

وأول[1] من ثار بمرسية بعد انقراض الدولة اللمتونية أبو محمد بن الحاج الاورق — وهو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم — قدّمه أهلُ مرسية فدعا لابن حَمْدِين أياماً من شهرى رمضان وشوال سنة تسع وثلاثين وخمسمائة — وهى السنة التى كثر فيها الثوار بشرق الأندلس وغربها من القضاة وغيرهم — ثم أظهر التبرم بما حُمِّل ، وأحب الانخلاع مما قُلِّد .

واتفق أن وجّه سيف الدولة بنُ هود قائداً من قواده يعرف بعبد الله بن فتوح/ الثَّغْرى إلى مرسية ، فأخرج ابنَ الحاج منها للنصف من شوال المذكور ، [١٥٣-ب] ودعا لابن هود ، ثم أخرِج .

(١) يورد ابن الأبار فيما يلى موجزاً لأحداث شرق الأندلس خلال هذه الفترة المضطربة التى مرت بين زوال أمر المرابطين واستقرار الأمر للموحدين فيما بقى للإسلام فى هذه الناحية . وقد ترجم ابن الأبار لبعض من سيجىء ذكرهم فى هذا السرد فى بعض كتبه الأخرى ، فترجم لأبى محمد بن الحاج وهو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافرى فى « المعجم » ، رقم ٢١٤ ص ٢٣٣ — ٢٣٥ ؛ ولأبى جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الخشنى (من أهل مرسية ، يكنى أبا جعفر ويعرف بابن أبى جعفر الخشنى) فى التكملة رقم ٦٣٤ ج ١ ص ١٨٠ ؛ ولأبى العباس المعروف بابن الحلاّل وهو أحمد بن محمد بن زيادة الله الثقفى فى « المعجم » رقم ٢٨ ص ٤٠ ؛ ولمحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى فى التكملة ، رقم ٧٧٤ ص ٢٣٨ .

وقدِم أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى جعفر الخُشَنى الفقيه فى آخر شوال هذا ، فتولى بالتدبير بقيةَ العام وأشهراً من سنة أربعين ، وكان يقول فى قيامه بالإمارة : « ليست تصلح لى ولست لها بأهل ، ولكنى أريد أن أمسكَ الناسَ بعضهم عن بعض حتى يجىء مَن يكون لها أهلا » . وتوجه إلى شاطبة يعين أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز على محاصرة مَن بها من الملثمين ، ثم خرج غازياً إلى غرناطة ومعيناً للقاضى أبى الحسن بن أضحى ، فى جيش ضخم وجمع كثيف يحكى أنه بلغ اثنى عشر ألفاً بين خيل ورَجْل ، وقد اشتدت شوكةُ الملثمين بقصبتها ، وانضاف إليهم من قومهم خلق كثير ، فبالغوا فى التضييق على مدينتها وأكثروا القتل فى أهلها . ولما سمعوا بمسير ابن جعفر نحوهم تأهبوا له و برزوا لدفاعه — ويقال إن عبد الله بن محمد بن على بن غانية كان فيهم ، قبل لحاقه بأبيه وقدومه عليه ميورقة إلى أمثاله من الأعيان ولاتهم ومشاهير حماتهم — فهزموا ذلك الجمع بمقربة من غرناطة ، وقُتل ابنُ أبى جعفر .

وذكر ابنُ صاحب الصلاة أن عبد الله الثَّغْرى كان قائداً بكُونْكَة[1] ، فلما سمع بقيام ابن حَمْدِين خرج إليه وأقام لديه ؛ واتفق أن وصلته مخاطبةُ أهل

---

(١) فى التقسيم الإدارى للأندلس كانت كُونْكَة (وتكتب أيضاً : قُونْكَة) مدينة من أعمال كورة شنتبرية Santaver (انظر : ياقوت : ٧/ ١٨٦) ولا ذكر لكورة مستقلة بهذا الاسم فى الترجمتين الإسبانية والبرتغالية لجغرافية الرازى ، لأن المترجمين عدلوا التقسيم بحسب ما كان الأمر عليه أيام ألفونسو العاشر ، ولهذا فهى تذكر هناك مع مدينة سالم . وكانت كونكة من أمنع حصون الثغر الأدنى ، ولهذا فإننا نظن أن عبد الله الثغرى المذكور هنا سمى بالثغرى لأنه كان قائداً فى هذا الحصن . وفى أثناء الفتنة التى يتحدث عنها ابن الأبار كانت كونكة قد أصبحت تابعة لبلنسية ، وفى عصر الموحدين اشتد الصراع حول كونكة ، وانتهى الأمر بأن أسلمها صاحب بلنسية إلى ألفونسو الثامن ملك قشتالة فى مقابل سكوته عنه ، وكان ذلك سنة ٦٢٠/١٢٢٣ . ثم أصبحت مدار حرب طويلة بين مملكتى أرغون وقشتالة . وهى اليوم قاعدة مديرية تحمل نفس الاسم . والبلد نفسه يقع على نهر وَقَر Huecar أحد نهيرات نهر شقر R. Júcar على ١٧٠ كيلومتراً جنوب شرق مدريد .

مرسية يذكرون تقديمَهم أبا محمد بن الحاج ، وأنه استعفى من ذلك ، فأنفذ إليهم الثَّغْرى واليًا ، وقدَّم أبا جعفر بن أبى جعفر قاضيًا . قال : فورد يومَ الثلاثاء منتصفَ شوال سنة تسع وثلاثين .

وظهر من أبى جعفر حبُّ الرئاسة ، فحشد الناسَ لقتال الملثمين بأُورِيُولَة[1] ، وغدر بهم عند نزولهم على الأمان فقتلهم . ثم داخَل أهلَ بلده مرسية فى أن يؤمِّروه ، ويتقدم للقضاء أبو العباس بن الحلاّل[2] ، ولقيادة الخيل عبدُ الله الثغرى ، فلم يخالفوه .

وبعد انعقاد البيعة له نبذ طاعةَ ابن حَمْدِين ، ودعا لنفسه ، واقتصر لقبه على « الأمير الناصر لدين الله » وأسقط منه « الداعى لإمام المسلمين »[3] . وقَبض على الثغرى فسجنه وصهريه ابنى مسلوقة ، وصيَّر قيادةَ الخيل لزَعْنون ، أحد وجوه الجند .

---

(١) أوريولة : هى إحدى المدائن السبع التى عاهد عليها تُدمير ، وعند تحويل بلاد تدمير إلى كورة أيام عبد الرحمن الداخل أصبحت أوريولة من كبار مدائنها . ذكر ذلك الرازى وقال إنها بلدة أولية (صفة الأندلس ص ٧٠/٧١ ، وكرر نفس الكلام الإدريسى ، ص ١٧٣ . وياقوت : ٢١٣/١ يكتبها أريول) واختصها أحمد بن أنس العذرى بمادة طويلة ، وذكرها كذلك أبو الفدا فى تقويم البلدان (بتحقيق رينو ودى سلان) ص ١٧٩ . ويذهب العذرى وابن عبد المنعم الحميرى (الروض المعطار ، رقم ٣٢ ص ٣٤) إلى أن أصل اسمها المدينة الذهبية ، وهذا صحيح ، لأن أصل اسمها Aureola ، واسمها الآن Orihuela ، وهى مركز إدارى فى مديرية مرسية ، تبعد عنها ٢٣ كيلومترًا إلى الشمال الشرقى .

انظر بالإضافة إلى المراجع المذكورة : د. م. إ. ج ٣ ص ١٠٦٧ .

(٢) ترجم له ابن الأبار فى « المعجم » (رقم ٢٨ ، ص ٤٠) وهو أبو العباس أحمد ابن محمد بن زيادة الله الثقفى المعروف بابن الحلاّل وقال إنه : « قاضى قضاة الشرق من أهل مرسية ، ولبيّته بها نباهة . ولاه الأمير محمد بن سعد (بن مردنيش) قضاء عمله ثم نكبه وهلك فى معتقله بأُنْدَه Onda من ثغور بلنسية سنة ٥٥٤ » .

(٣) « الداعى لإمام المسلمين » هو اللقب الذى اتخذه لنفسه القاضى ابن حمدين .

[١٥٤-أ] ثم توجَّه إلى شاطبة معيناً لابن عبد العزيز/فى حصار الملثمين المتمنعين بقصبتها — ورئيسهم إذ ذاك عبد الله بن محمد بن غانية — فثارت العامةُ بمُرسية عند مغيب ابن أبى جعفر عنها ، وسرَّحوا الثَّغْرى وصهريه من معتقلهم ، فلحق بها وأطفأ تلك النائرة(١) . وهرب الثَّغْرى إلى كُونَكة(٢) ، وعاد هو إلى حصار شاطبة ، إلى أن هرب عبدُ الله بن غانية منها ، فأتبعه ابنُ أبى جعفر خيلا سلبت ما تحمَّل من المال ، وأفلت هو فلحق بالمرية .

ولما تغلب ابنُ عبد العزيز على شاطبة ، عاد ابنُ أبى جعفر إلى مرسية ، وذلك فى صفر سنة أربعين . ثم توجه بعد ذلك إلى غرناطة مغيثاً أهلَها ، فلقيه الملثمون بخارجها فهزموا جموعه وقتلوه(٣) .

وعند انصراف الفَلِّ إلى مُرسية ، أجمع أهلُها على تأمير أبى عبد الرحمن بن طاهر هذا ، وذلك فى أواخر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، فانتقل إلى القصر ودعا لابن هود ، ثم لنفسه بعده ، وقدَّم أخاه أبا بكر على الخيل . وكان ابن حَمْدِين قد وجَّه ابنَ أخيه — وهو المعروف بابن أم العِمَاد — بعسكر فرُد خائباً ، ثم أعاد توجيه عسكر آخر مع ابن عمه المعروف بالفُلْفُلى ، صحبةَ أبى محمد ابن الحاج وابن سَوَّار وغيرهما من الواصلين من أهل مُرسية إليه ، فصُد عن دخولها وطولب الماثلون إليه .

وأقام ابنُ طاهر فى إمْرته أياماً ريثما خوطب أبو محمد بن عياض بتعجيل الوصول إليهم ، فعجل المسير نحوهم ، وتلقاه زَعْنُون ، وهو وال على أُورَيُولة ،

(١) النائرة : الحقد والعداوة ، وقال الليث : النائرة الكائنة تقع بين القوم ، وقال غيره : بينهم نائرة أى عداوة (اللسان : ٧/١٠٦ ، السطر الأخير) .

(٢) وردت الفتحة على النون فى الأصل ، فتركتها كما هى .

(٣) فى الترجمة التى اختصه بها ابن الأبار فى التكملة (رقم ٦٣٤ ص ١٨٠) يقول إن مقتله كان فى صفر سنة ٥٤٠ ومولده مع الخمسمائة ، وقيل إنه لم يبلغ عند موته ٣٥ سنة .

فبرئَ منها(١) إليه وملّكه إياها ، ولحق به الذين خاطبوه من مرسية يحرضونه على قصدها ، ولا عِلم لابن طاهر بذلك ، بل تمادى على تحسين الظن بالذين قدموا من لقاء ابن عياض . وقد برز الناسُ إلى لقائه ، ثم دخل القصر الكبير لايدافعه عنه أحد ، وذلك فى العاشر من جمادى الأولى من السنة . وانتقل ابنُ طاهر إلى الدار الصغرى ثم [خاف على نفسه](٢) فتركها وانتقل إلى داره ، وعفّ ابنُ عياض عن دمه لعلمه بضعفه . وكان مع شهامته حسن السيرة .

وفى هذا الشهر خَلع الجندُ مروانَ بن عبد العزيز ببلنسية ، واستدعوا ابن عياض فأمّروه ، وأقام أميراً على شرق الأندلس داعياً لابن هود إلى أن قُتل/ [١٥٤-ب] بالبَسيط(٣) ، وداعياً بعد ذلك لنفسه .

وخالفه عبدُ الله الثّغْرى إلى مرسية فى بعض أسفاره منها ، فدخلها وانتزى فيها . وكان قد أنفذه رسولا إلى الطاغية أذفونش ، ليعقد معه السلم ويمالئه على صاحب بَرشلونة ، فعاد من سفارته هذه وزعم أن أذفونش أمّره على مرسية(٤) ، واستعان على دخولها بطائفة من أهل الفساد كانوا يشايعونه ، فتم ذلك وهرب محمدُ بن

(١) أى أسلمه إياها . وقد قرأها دوزى ، ص ٢١٩ : فرمى .

(٢) أكملت هذه العبارة بما يناسب السياق ، وقد اخترتها لقول ابن الأبار فى ترجمته فى التكملة (رقم ٧٧٤ ص ٢٣٨) : « ورأس بمرسية بعد انقراض الملثمين يسيراً ، ثم تخلى عن ذلك ، وتلوّن للناس رغبة فى السلامة . وتوفى بمراكش سنة ٥٧٤ » .

(٣) توضيحاً لهذه العبارة نقول إن الذى قتل فى « البسيط » هو سيف الدولة أحمد بن هود .

(٤) قال كوديرا تعليقاً على ذلك : يفهم من « مدونة الإمبراطور » (ألفونسو السابع ملك قشتالة) أن سيف الدولة بن هود كان قَصَلا (أى تابعاً) لألفونسو الأول ، وأنه كان يحكم مرسية باسمه ، فلما قتل سيف الدولة فى البسيط أعطى الإمبراطور مرسية إقطاعاً لخلفه عبد الله بن فرج الثغرى . ولم تطل مدة حكم هذا الأخير فى مرسية ، فقد تولاها من أوائل ذى الحجة ١٥/٥٤٠ مايو ١١٤٦ إلى ٧ رجب ١٣/٥٤١ ديسمبر ١١٤٦ وهو تاريخ موته . وقد ضرب لنفسه عملة تحمل تاريخى سنتى ٥٤٠ و ٥٤١ وسمى نفسه فيها « الرئيس عبد الله بن فرج » .

Cf : CODERA, *op. cit.*, p. 109 - 110.

سعد بن مَرْدَنِيش — نائب بنى عِيَاض فيها — فلحق بلَقَنْت ، وذلك فى أوائل ذى الحجة من سنة أربعين .

ثم قُتل الثَّغْرى سابعَ رجب سنةَ إحدى وأربعين ، واستولى ابنُ عياض ثانيةً على مُرسية وسائر بلاد الشرق ، إلى أن قضى نحبه من سهم رُمى به فى بعض حروبه مع الروم ، يومَ الجمعة الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين ، فكانت ولايتُه عاماً وتسعة أشهر وعشرين يوماً ، وحُمل إلى بَلَنْسية فدُفن بها ، ومحمدُ بن سعد إذ ذاك والٍ عليها ، فقام بمواراته . وعلم أهلُها بعهد ابنِ عياض إليه بالإمارة من بعده ، فبايعوا له — ويقال : بل نصبه أهلُها لذلك دون عهد .

وأما أهل مُرسية فأمضوا نيابة علىّ بن عبيد عن ابن عياض بعد وفاته ، إلى أن تخلى هو فى أواخر جمادى الأولى من السنة عما بيده لأبى عبد الله محمد بن سعد ابن محمد بن سعد الجُذامى بن مَرْدَنِيش — وجدُّه هو المعروف بذلك[1] —

(١) لم يترجم ابن الأبار لابن مردنيش ، إذ ليس له شعر ، مع أنه أكبر وأخطر الثائرين الذين ظهروا فى شرق الأندلس فى الفترة من زوال أمر المرابطين إلى دخول الموحدين الأندلس . وقد عوض فرانثيسكو كوديرا هذا النقص ، فاختص ابن مردنيش بدراسة مطولة فى كتابه عن اضمحلال المرابطين وزوال أمرهم من الأندلس .

Decadencia y desaparición de los Almoravides en Espana, p. 111 sqq.

ولا يتسع المجال لإيراد ملخص لهذا البحث هنا (والكتاب كله جدير بترجمة كاملة) . ونكتفى هنا بالإشارة إلى تحقيقه للاسم ، فإن مَرْدَنِيش أو مردانيش أو مَرْذَنِيش ليس اسماً عربياً ، مما يقطع بأن نسبته الجذامية ليست صحيحة . والواقع أن أصله من أهل شبه الجزيرة ، وقد يكون جده مردنيش هذا دخل فى ولاء بعض الجذاميين وانتسب إليهم ، وهو فرض مقبول ؛ لأن دار بطون جذام بن عَدِىّ بن الحارث بن مرة بالأندلس كانت « شذونة والجزيرة وتدمير وإشبيلية » (الجمهرة لابن حزم ، ص ٣٩٦) .

وربما كان أصل الاسم Martinez ، وفى هذه الحالة كان ينبغى أن يكتب بالعربية : مرتينش أو مردينش . أما أن تكون صحة الاسم Martinéz لتتمشى مع النطق العربى فأمر غير ممكن ؛ لأن هذا الاسم لا يمكن نطقه مع نبر المقطع الأخير ، ولهذا فقد اقترح كوديرا أن يكون أصل =

فقوى سلطانه ، وعظم شأنُه . واشتد حذر ابنِ طاهر هذا منه ، لما كان يسمع ويبصر من شهامته وحزامته ، وربما عرض له ابنُ سعد بما يزيده حذراً منه وانقباضاً عنه ، فأخذ فى التلون وأقبل على الانهماك والإدمان ، [و زهد فى الإمارة](١) وطلب السلامة من غائلتها وقطع معه مدته [خائفاً](٢) إلى أن توفى ابنُ سعد منسلَخَ رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ، فأفرخ روعه ، ورسخ بالدخول فى الدعوة المهدية أمنُه ، وتوفى بمراكش سنة أربع وسبعين — أكثرُ هذا الخبر المنسوق عن ابن صاحب الصلاة ، وجلُّه [...](٣) مع ما اندرج فيه زيادة ، عن غيره مستفادة .

= الاسم Martinus أو Mardonius . وهذا الأخير من أسماء البيزنطيين ، وكانت لهم جالية كبيرة فى قرطاجنة الحَلْفاء غير بعيد عن مرسية .

وكان محمد بن سعد بن مردنيش فى هيئته ولباسه وسلاحه أقرب إلى نصارى شبه الجزيرة منه إلى مسلميها ، وكان يتكلم لغاتهم الإسبانية والقطلونية بطلاقة ، وكان الكثير من رجاله وجنده نصارى ، بل أعطى واحداً منهم — هو Pedro Ruiz de Azagra — مدينة شنتمرية الشرق (شنتمرية بنى رزين) إقطاعاً وسمح له بأن يقيم فيها أسقفية ، وكان هو نفسه حليفاً وفَصَلاً لملك قشتالة وكونت برشلونة . ويسمى فى المراجع النصرانية باسم لُبّ Lobo أو Lope أو الملك لُبّ El Rey Lobo

وكان ابن مردنيش يؤدى إتاوة لرايموندو برينجير الرابع Ramón Berenguer IV كونت برشلونة ولألفونسو السابع ملك قشتالة قدرها ١٠٠ مثقال من الذهب . وعندما مات كونت برشلونة هذا سنة ١١٦٨ تعهد ابن مردنيش بأن يدفع لخلفه ألفونسو الثانى ملك أرغون ٢٥ ألف دينار مرابطى فى السنة ، وكذلك كان يدفع إتاوة لجمهوريتى بيزا وجنوة فى بعض السنين . وكانت بينه وبين هنرى الثانى ملك انجلترا مراسلات ومهاداة . ورغم هذه الإتاوات كلها فقد انتزع كونت برشلونة من شرق الأندلس طرطوشة (سنة ١١٤٩) ثم لاردة وأفراغة Fraga ومكناسة Mequinenza أواخر ذلك العام نفسه .

(١ و ٢) أضفت هذه الكلمات .

(٣) بياض فى الأصل .

ومن شعر ابن طاهر :

[١٠٥-١] /تأيَّدْ على الشطرنج إن كنت لاعباً [... ... ...]
فما أمْره مما يعـــز وإنما يعزُّ علينـــا فيه نقضُ القرائح

وله وقد جرى ذكر سلطان المغرب بينه وبين قينة فى مجلسه فقال :

إمامٌ تناهى فى الأئمة فضـــلُهُ فأصبح مِنا النوعَ يفخر بالشخصِ

وقالت القينة :

تـكامل حتى جل عن وصف واصفٍ وأبدى لنـا ما فى الأنام من النقصِ

ولابنه أبى محمد عبد الحق بن أبى عبد الرحمن ، وهو لبنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى[1] ، وباسمه وكنيته سُمى وكُنى :

اختر مكانَ العز فاحللْهُ ولو عُوِّضتَ منه شقاوة بنعيم
هذا الحبيب وفيه أفضلُ أسوةٍ وهو المفدَّى عند كل كريم
لم يرضَ عضواً للمحب يحله غير الفؤاد وفيـــه نار جحيم

وله يمدح :

لما وجدتَ العالمين تقسموا قسمين : من حزبٍ ، ومن أعداء
قسَّمتَ عدلَك فيهمو قسمين قد شملاهمُ : من نعمة ، وشقاء
للأجر جاهدتم عِداةَ الدين لا أن العداةَ لـكم من الأكفاء

وله من قصيدة :

---

(١) المراد أبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى الذى يترجم له ابن الأبار فى هذه المادة .
ويفهم من هذه الفقرة أن أمه كانت بنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى .

هجرتَ من الدنيا لذيذَ نعيمها لأنك لا ترضاه إلا مخلَّدَا
وقضَّيتَ شهرَ الصوم بالنيةِ التى رقيتَ بها فى رُتبةِ القُدس مُصْعِدَا
وودَّعَ عن شوقٍ إليك مبرِّح فلو كان ذا جفنٍ لبات مسهَّدَا

يقول فيها :

تفقَّدْ بحُسْن الرأى عبداً مؤمِّلا دعاه رجاء الفوز أن يتعبدا
وإن كان عُظْمُ الذنبِ صغَّر قدرَهُ فإن سليماناً تفقد هُدهُدَا

وهذا نحوُ ما أنشدَنا الأستاذُ أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار بن محمد الرعينى بحضرة تونس حرسها الله ، قال : أنشدنا أبو البركات الواعظ المصرى المعروف بالزيزارى — وقد رأيت أنا أبا/ البركات هذا وسمعتُ وعظه بجامع بلنسية فى [١٥٥-ب] سنة ثمان وستمائة :

ومن عادة السادات أن يتفقدوا أصاغرَهم ، والمكرماتُ مصائدُ
سليمان فى ملك تفقد هدهداً وأصغر ما فى الطائرات الهداهدُ

وكل ما عثرت عليه من منظوم عبد الحق هذا ومنثوره منصوص فى كتابى المترجَم بـ « إيماض البرق فى أدباء الشرق » .

١٤٧ — عبد الله بن خَيار الجيانى ، أبو محمد

عداده فى المتوثبين[1] ، وكان عاملا على مدينة فاس فى دولة الملثمين ثم استبد بها يسيراً فى قيامه عليهم بالدعوة المهديّة ، وعلى يديه كان فتحُها ، والموحدون

(١) فى الهامش بخط مخالف : صح : من المتأدبين .

أعزهم الله إذ ذاك بمكناسة فأسرعوا الوصول إليها ، وأمَّنوا أهلَها عند دخولها عصرَ يوم الأربعاء الرابع عشر من ذى قعدة سنة أربعين وخمسمائة ، وقيل عند الفجر منه(١) .

وذلك أن واليها يحيى بن أبى بكر بن على بن يوسف المعروف بابن الصحراوية أعرس تلك الليلة بامرأة من قومه فشغله ابنُ خِيار بكثرة ما أهدى إليه عن النظر لنفسه ، وقد واعدَ الموحدين تمكينَهم من البلد لما أمكنته الفرصة ، فدخلوا عند الفجر ، ولم يكن ليحيى محيص عن الفرار والنجاة بنفسه فيمن خفَّ معه من أصحابه وانتهوا إلى طَنجة ، ثم أجازوا البحر منها إلى الأندلس .

---

(١) روى أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق هذه الحوادث بتفصيل (أخبار المهدى ابن تومرت ، ص ٩٨ — ٩٩) ، وقدسبق أن ذكر نفس المؤلف فى كلامه عن دخول ابن تومرت فاس فى صورة آمر بالمعروف ناه عن المنكر شيئاً عن الجيانى هذا ، فقال : « وكان مظفر يحكم فاس والجيانى مشرفهم بعدما كان مقدماً على الجيارين . وكان الجيانى له حظ عظيم ، حتى لم يكن فى زمرة الحَشَم أحظُّ منه ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا . فعند خروج الجيانى للقصر خرج المعصوم (يريد المهدى ابن تومرت) من فاس متوجهاً لبلاد السوس ، وغدا نحو مكناسة ، والله الموفق للصواب » (ص ٦٥) .

ويفهم من هذا أن حاكم فاس كان رجلا يسمى « مظفر » ، وقد ذهب ليڤى پروڤنسال فى تعليقه على الترجمة الفرنسية لهذه الفقرة (ص ١٠٢ من الترجمة ، تعليق ٢) أن مظفراً هذا كان من الصقالبة الذين خدموا المرابطين ، واعتمد فى ذلك على عبارة للمقرى (طبعة أوربا ، ج ٢ ص ٢١٩) يقول فيها « مظفر الخصى » . وأما لفظ « المشرف » فقد ترجمه پروڤنسال : **prévôt de la population** ، ولكن يفهم من عبارة للبيدق (ص ١٠١) أن المشرف كان المسئول عن شئون المال .

ولم يشر البيدق إلى هذه الحيلة التى دبرها الجيانى على ابن الصحراوية . وفى ص ١٠١ نرى بوضوح كيف كان الجيانى هذا متآمراً مع الموحدين على أرباب نعمته المرابطين . وفى آخر ذلك الخبر يقول البيدق (ص ١٠٢) : « وقلع الخليفة رضه مع الموحدين أعزهم الله بأجمعهم إلى مكناسة ، وترك فى فاس أبا عبد الله محمد بن يحيى الكدميوى والجيانى الذى كان استفتاحها على يديه » .

وجلّت حالُ ابنِ خِيَار هذا بعدُ ، وكانت له من الدولة العلية مكانة سنية ، وهو القائل فى محاولاته :

لنا فى جَناب الدين والخير آمالُ تسكّنها سعدٌ عتيدٌ وإقبالُ

نحوز بها فوزاً ونُحرز غِبطةً فعند الإمام العدل صفح وإفضال

وإنى لأرجو أن أفوز بليلةٍ فيُشرق عَسّالٌ ويشبع عسال

وفيه يقول أبو بكر يحيى بن سهل اليَكّى(١) عند تناهى حاله فى الحظوة والوجاهة :

أيا ابنَ خِيَارٍ بَلغتَ المدى وقد يُكسَفُ البدرُ عند التمامْ

/فأين الوزير أبو جعفرٍ(٢) وأين المقرَّبُ عبدُ السلامْ(٣) [١٥٦-١]

---

(١) الأصل : البَكّى بالباء ، والصواب بالياء . وهو أديب شاعر مذكور فى شعراء الموحدين ، ترجم له الضبى فى « البغية » ، رقم ١٤٧٩ ص ٤٨٨ وقال إنه كان « خبيث الهجاء » ، وهو منسوب إلى يَكّة ، مدينة صغيرة إلى شمال مرسية تسمى Yecla . وأما قراءته « البكى » ونسبته إلى بلد يسمى بَكّة « وهى مدينة بنواحى طريف » فغير صحيحة ، إذ ليس هناك بلد يسمى بَكّة ، إنما الموجود لَكّه وهى الصورة العربية للفظ Lago (البحيرة) والمراد به البحيرة المعروفة بالخندق Lajanda شمال مدينتى الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف ، وعندها وقعت الموقعة بين طارق بن زياد ولذريق . انظر ذلك مفصلا فى كتابنا « فجر الأندلس » ، وانظر عن اليكى :

HENRI PÉRÈS, *La poésie à Fès sous les Almoravides et les Almohades.* Hespéris, tome XVIII, 1934.

وانظر : كتاب « زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر » لأبى بحر صفوان بن إدريس التجيبى المرسى ، بتحقيق عبد القادر محداد . بيروت ١٩٣٩ ، ص ٧٧ وتعليق ٢ .

(٢) المراد أبو جعفر بن عطية ، وقد سبق ذكره .

(٣) المراد عبد السلام الكومى الملقب بالمقرَّب . مات مخنوقاً بأمر عبد المؤمن بن على سنة ٥٥٧ . راجع ترجمته فى المعجب لعبد الواحد المراكشى ، ص ١٩٨ .

يريد أبا جعفر أحمد بن جعفر بن عطية الوزير الكاتب ، و نُكب فى صفر من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائه ، وفيه قُتل هو وأخوه أبو عَقِيل عطية بخارج مراكش ، ولأبى جعفر إذا ذاك ست وثلاثون سنة ، مولده سنة سبع عشرة وخمسمائة ولأخيه ثلاث وعشرون سنة وأصلهما من قَمْرِلَة[1] قرية بطَرطُوشة من شرق الأندلس ونسبهما فى قُضاعة .

ويريد بالمقرّب عبدَ السلام بن محمد الكومى وهو أخو بندة لأمها ، وتقلد الوزارة بعد أبى جعفر بن عطية ، وكان كثير السـ[عاية] به شديد [الحسد له لايطيق الصبر] عليه ولا إمهاله[2] فيما وصل إليه . [فلما صارت إليه الوزارة] أدلّ بقربه وقرابته[3] ، واستبد بالأموال وكثر التظلمُ من عماله ، فسُجن بتلمسان.

---

(١) قَمْرِلَة فرضة صغيرة على البحر الأبيض جنوبى طركونة Tarragona تسمى اليوم Cambrila وهى جنوب رأس سالو Cabo Salou مباشرة ، وهى تابعة لمركز ريوس Reus فى مديرية طركونة ، وتبعد عن ريوس بمسافة ١٩ كيلومتراً ، وتبعد عن طركونة بعشرة كيلومترات إلى الجنوب . انظر :

LÉVI-PROVENÇAL, *Un Recueil de lettres officielles Almohades. Etude Diplomatique et Historique.* **Hespéris XXVIII (1941), p. 5.**

Diccionario Geográfico de Espana, **tomo VI (1958), p. 115.**

(٢) أكملت هذه العبارة بما يناسب المعنى بعد أن راجعت الفصل الطويل الذى كتبه ابن صاحب الصلاة عن نكبة عبد السلام الكومى فى الفصل الذى عنوانه : « ذكر مادار من الأوامر العلية فى هذه الغزوة المنصورة ، غزوة المهدية » فى كتاب « المن بالإمامة » ، مخطوط أكسفورد ، نسخة مصورة ، ورقة ٢١ وما بعدها .

(٣) شرح ابن صاحب الصلاة قرابة عبد السلام الكومى من عبد المؤمن بن على (ص٢٥ من المخطوط) فقال إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج والدة عبد السلام (الكومى) « فولدت له ابنة تسمى بَنْدَة ، فكان يرى لنفسه حقاً ، ولم يعلم أن الملك عقيم ، وأن مسراته هموم ، ومُر عقابه كلوم . وكانت تلك الأخت بندة قد زوجها أمير المؤمنين رضى الله عنه من الشيخ المرحوم أبى حفص ، فلم تحسن عشرته ، فطلقها برأى أمير المؤمنين حين أساءت الزوجية معه ، وهجر أمير المؤمنين بندة » .

عند الانصراف من غزوة المهدية فى سنة خمس وخمسين إلى أن سُم فى طعامه فهلك ، وقيل إنه قُتل بالأرجل[١] .

[ومن بين][٢] ماقرأت فى بعض المعلقات أن عبد السلام هذا قصده جماعة من أهل سَلاَ فى وزارته فقعد عن برِّهم ولم يقض حاجتهم ، فكتب إليه أحدهم :

يا مَن يرى خيبةَ الراجين تَكرمةً ونيلَ ما أمَّلوا عجزاً وتقصيرَا
مهلاً فإنك خامٌ فى يدىْ زمنٍ وقد أعدَّ له كَمْداً وتقصيرَا[٣]

فقُتل فى اليوم الثانى من دفع الرقعة إليه بالأرجل .

واتفق أيضا مثل هذا لأبى العلا إدريس بن أبى إسحاق بن جامع[٤] فى

---

(١) فصّل ابن صاحب الصلاة موت عبد السلام الكومى مسموماً (نفس الورقة من مخطوط صاحب الصلاة) وملخص ذلك أنه بعد أن اتهم عبد السلام الكومى بسوء التصرف فى أموال قابس بعد دخولها فى طاعة الموحدين عقب استيلائهم على المهدية ، تكاثر عليه أعداؤه ، وفيهم نفر من السادة (أمراء الموحدين) فأمر عبد المؤمن بسجنه عندما وصل تلمسان ، ثم مال إلى العفو عنه ، فاتصل أعداؤه بالسجان وتواطأوا معه ، فصنع له السجان « ثَرْدة فى فروج » — أى ثريداً فى فروج — فأكلها ومات منها . وليس هناك ذكر لموته قتيلا بالأرجل .

(٢) أضفت هذه الكلمات للسياق .

(٣) كذا فى الأصل . ومن المستبعد أن تكون قافيتان متواليتان بكلمة واحدة ، إلا إذا كان المراد بالثانية التقصير ضد التطويل . وربما كانت صحة الكلمة « تصهيراً » من الصهر وهو الإذابة ، وذلك بقرينة وصفه إياه فى المصراع الأول بأنه « خام » . والكَمْد هو تغير اللون .

(٤) بنو جامع أسرة من أهل الإدارة والوزارة خدمت الموحدين من أيام المهدى إلى أيام العادل الموحدى . وأصلهم القديم من الأندلس ، من مدينة طليطلة ، وأول من نسمع به منهم إبراهيم ابن جامع ، نشأ بضيعة تسمى رُوطَة Rota بساحل مَدِينة شَرِيش على المحيط الأطلسى ، وهى غير روطة Rueda الثغر الأعلى ، « وبها مسجد مشهور بالفضل يزوره أهل الأندلس قاطبة كل =

وزارته : قصده بعض معارفه الناشئين معه فلم يرفع به رأسا ، فكتب إليه .

شُغلتَ بخدمة السلطان عنا ولم تدْر العدوَّ من الصديقِ

رويدَك عن طريقٍ أنت فيها فإن النائبات على الطريق

فنكب بعد ذلك بيوم ، وهذا من طريف موافقة الشعراء فى زجرهم للقضاء .

وكانت نكبة أبى العلا هذا فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، بعد أن

= سنة » كما يقول عبد الواحد المراكشى فى «المعجب» (ص ٣١٠)، ثم يقول بعد ذلك ، « ثم انتقل إبراهيم هذا إلى بر العدوة ، وكان يحاول صنعة النحاس ، فتعرف بابن تومرت فكان من أصحابه ، فهو معدود فيهم » . وقد ذكر البيدق أبا إسحاق إبراهيم بن جامع بين « أهل دار الإمام المهدى» (ص ٢٩) . وظل إبراهيم بن جامع فى رعاية محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن على ، حتى كان يعيش فى قصر هذا الأخير ، وفيه ولد ابنه إدريس الذى استوزره أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، وجمع ثروة طائلة وعاش فى قصر عظيم يطنب ابن فضل الله العمرى فى وصف سعته (الترجمة الفرنسية للجزء الخاص بالمغرب بقلم جودفروا ديموبين ، ص ١٨٨ و٢٦٢) . وكان لإدريس هذا أخ يسمى عبد الله بن إبراهيم بن جامع كان يتولى مدينة سبتة وجهاتها وقيادة الأسطول . وفى سنة ٥٧٣ غضب الخليفة أبو يعقوب يوسف على إدريس وأولاده ، فنفاهم إلى ماردة بغرب الأندلس حيث ظلوا ست سنوات حتى عفا عنهم الخليفة أبو يعقوب يوسف وهو فى طريقه إلى غزوة شنترين . أما عبد الله بن جامع فظل فى عمله ، وأنجب ولدا يسمى أبا سعيد عثمان ولاه الخليفة الناصر الموحدى طرابلس ، ثم ولاه الوزارة سنة ٦٠٥ . وقد اتسع سلطان أبى سعيد عثمان بن عبد الله بن جامع فى عهد المستنصر ، أبى يعقوب يوسف بن محمد الناصر ، خامس خلفاء الموحدين(٦٢٠-٦٢١) ، ووقع نزاع ومنافسة طويلة بينه وبين الوزير أبى زيد عبد الرحمن بن موسى بن وَجّان (أو يُوجّان) بن يحيى الهنتاتى . وعند موت المستنصر كان ابن وجان هذا من أكبر الساعين فى بيعة أبى محمد عبد الله بن أبى يعقوب المنصور الملقب بالعادل فى الأندلس منافساً لعمه عبد الواحد بن أبى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بمراكش ، وهو المعروف بعبد الواحد المخلوع (الروض المعطار ، ص ٦٧ - ٦٨ ، مادة جنجالة) . وقد وقف أبو عثمان سعيد بن جامع إلى جانب عبد الواحد ، فلما انتصر العادل بتأييد أشياخ الموحدين له على عمه فى سنة ٦٢١ نُفى إلى ناحية من جبال الأطلس ، وحاول أخوه أبو إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع - وكان أمير البحر - منع العادل من العبور إلى المغرب ، وفشل فهرب ومات فى بلاد هسكورة . ولا نسمع بعد ذلك عن بنى جامع .

انظر ، بالإضافة إلى المراجع المذكورة آنفاً : ابن خلدون ، العبر ج ٦ - و :

AMBROSIO HUICI MIRANDA, *Historia política del Imperio Almohade.* Tetuán, 1957. II, p. 448, y nota 1.

استكمل فى وزارته خمس عشرة / سنة وشهراً وعشرين يوماً . واعتُقل هو وابنُه [١٥٦-ب] يحيى وأقاما مغرَّبين بجهة إشبيلية ستة أعوام وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً إلى أن صفح عنهما وقت الانصراف من غزوة شنترين سنة ثمانين وخمسمائة[١] .

١٤٨ — أخيل بن إدريس الرُّندى الكاتب ، أبو القاسم

كتب فى أول أمره للملثمين ، ثم استكتبه أبو جعفر حَمْدِين بن محمد بن حَمْدِين فى إمارته [ورعى له][٢] صحبْته إياه أيامَ قضائه ، فلما دخل ابنُ غانية قرطبة وأخرج ابنَ حَمْدِين ، لحق أخيل برُنْدَة[٣] بلده واستبد بضبطها مُدَيدة ،

(١) جاء فى الجزء الرابع من البيان المغرب (طبعة أمبروزيو أويثى ميراندا وآخرين ، تطوان ١٩٥٦) فى سياق الكلام عن مسير أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على غرب الأندلس ، وعند الوصول إلى بطليوس (ص٦٢) : « وكان إدريس بن جامع مغرباً مع بنيه بماردة وحَيُّون الكومى كذلك ببطليوس ، فرغبوا من الخليفة أن يأذن لهم فى حضور هذه الغزوة ، فأذن لهم فى الحين ، ومشوا فى جملة المجاهدين » .

(٢) أضفت هاتين الكلمتين للسياق .

(٣) رُنْدَة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت رندة مدينة تابعة لإقليم تاكُرُنّا فى كورة استجة (صفة الأندلس للرازى ، ص ٩٩) ، وقد أسقط اسمها صاحب التعليق المنتقى من فرحة الأنفس (انظر : كورة استجة ، ص ٢٦) . وقد ذكرها ياقوت (٢٩٣/٤) وأبو الفدا (تقويم البلدان ، طبعة أوربا) ص ١٦٦ ، وابن بطوطة (طبعة ديفريميرى وسانجينيتى) ج ٤ ص ٣٦٣ ، وابن عبد المنعم الحميرى فى الروض المعطار ، رقم ٧٩ ص ٧٩ ، وأشادوا جميعاً بحصانتها .

واسمها معرب **Arunda** وهو اسمها أيام الرومان والقوط ، وهى قائمة على حافةخانق فى جبل يسميه صاحب الروض المعطار : طَلُوبَرَّدو هوالمعروف بجبال رندة **Serranía de Ronda**. وتحت البلد يوجد الخانق المسمى باسم التاجه **el Tajo** عمقه ١٦٠متراً ، يجرى فيه نهر وادى اللَّبَن **Guadalevín** الذى يتصل بعد ذلك بوادى آرُه **Guadairo** . ورندة مشهورة فى التاريخ الأندلسى لأن جبالها كانت مركز ثورة عمر بن حفصون ، فعلى مقربة منها تقع قلعة بُبَشْتَر **Bobastro** بين قمم جبال رنده . ثم كان لها شأن فى عصر الطوائف الأول ، ثم صارت جزءاً من مملكة =

لحسده أهلُها وداخلوا أبا الغَمْر بن السائب بن غَرُّون فى التمكين منها – وهو يومئذ قائم بدعوة ابن حَمْدِين فى شريش وأرْكُش[1] – فتم ذلك . واستولى أبو الغَمْر على قصبة رُنْدَة الشهيرة المنعة دون قتال ولا نزال ، لركون أخيل إليه وثقته به ، فنجا بنفسه وما كاد . ونهب أبو الغَمْر ديار أصحابه ، وخلع طاعة ابن حَمْدِين ، ودانت له المعاقل المتصلة به ، فأمِن أمرَه . وقيل : بل سَجن أخيل ثم سرّحه ، فكان عند أبى الحكم بن حَسُّون بمالقة ، ومنها توجه إلى مراكش فأوطنها ، واتصل بأبى جعفر بن عطية الوزير ، وعلى يديه أعيد ماله . ولم يزل هنالك مكرماً ، وفى طبقته مقدماً ، إلى أن وَلى قضاء قرطبة ، ثم قضاء إشبيلية . وكان سمحاً ، جواداً ، بليغاً ، مدركاً .

وحُكى لى أنه لما أراد الانفصال من مراكش لقى أبا جعفر بن عطية فأنشده :

يا من يَعِز علينا أن نفارقهمْ وِجدانُنا كلَّ شيء بعدكم عدمُ

=غرناطة . وقد سقطت فى أيدى فرناندو وإيزابيلا بعد حصار ٢٠ يوماً فى ٤ جمادى الأولى سنة ٨٩٠/٢٠ مايو ١٤٨٥ . وهى اليوم تابعة لمديرية مالقة (انظر المادة الخاصة بها فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ١٢٤٥ – ١٢٤٦) .

أما تاكُرُنّا فمنطقة جبلية هى التى تسمى اليوم باسم جبال رندة . ولفظ تاكرنا بربرى يوجد فى نواح كثيرة من المغرب فى صور مختلفة بعض الشىء ، أشهرها تَكْرُونة فى تونس . انظر :

W. MARÇAIS ET ABDURRAHMAN GUIGA : *Textes arabes de Takroûna*. I, Paris, 1925. VIII, n. *l*.

وقد حاول دوزى أن يفسر الاسم بقوله إنه مكون من اسم الإشارة البربرى «تا» واللفظ اللاتينى «كورونا» ، ولكن أحداً لم يقبل هذا الاشتقاق . وقد ذكرها ابن عبد المنعم الحميرى (رقم ٦٣ ص ٦٢) وقال إنها « مدينة أزلية تنسب إليها الكورة » ، ثم عاد فصحح نفسه وقال إنها إقليم من أقاليم استجة قاعدته رندة – وهذا هو الصحيح .

(١) أرْكُشْ : تسمى اليوم Arcos de la Frontera ، وكانت فى التقسيم الإدارى الأندلسى تابعة لكورة شريش شذونة . وهى اليوم من مدن مديرية قادس على خمسين كيلومتراً شمال شرقى القاعدة قادس .

فأجابه أخيل :

إذا ترحَّلتَ عن قومٍ وقد قدروا ألا تفارقَهم ، فالراحلون همُ

وتوفى بإشبيلية سنة ستين — أو إحدى وستين — وخمسمائة . ومن شعره يراجع بعض الأدباء :

وفاؤكَ قد رضيتُ به حبيباً ورأيُك قد قنعتُ به نصيبَا
وودُّك لا أريد به بديلاً وبِرُّك لا أقوم به مُثيبا
/مكارمُ منك قد عَبَّتْ عُباباً على العافين وانهالت كثيبا [١٥٧-أ]
وطبعُك لو نفحت به هشياً لعاد الروض مطلولا خصيبا[1]
وعهدُك كالشباب وليس مما يكون مآلُ نُضرته المشيبا
وذاك الشِّعر أم سحرٌ حلالٌ فتنتَ به المُساكتَ والمجيبا

وله أيضاً :

إليكَ أخذتُ حبالَ الذِّمام وفيكَ تعلمتُ نظمَ الكلام
فأرسلته جائلا كالرماح[2] وصُلْتَ به ثائراً كالحسام
وما كنتُ منه ولكنها أيادٍ تفجِّر صُمَّ السِّلام
[تروم الإ] صارةَ فى كل [يوم فنلتَ] الإصابة من كل رام[3].

---

(١) ورد هذان اللفظان فى الهامش بخط مخالف .

(٢) الأصل : حائراً كالوراح ، ولا معنى له .

(٣) أضفت ما بين الحواصر للسياق والوزن . وقد ورد لفظ الإصارة هكذا : صاره . وقد أخذت لفظ الإصارة من الصَّيِّر وهو القبر (اللسان : ٦/١٤٨) ، وراعيت فى هذا التوازن بين الإصارة والإصابة الواردة فى الشطر الثانى . والمعنى بعد هذا الإكمال : أنك تروم الموت كل يوم فى ساحات القتال ولكنك تنتصر وتصيب كل رام .

وتثنى الغصون على هزة كأن بها سكرات المدام
وكلٌّ تَهنَّأَ[(١)] إقبـاله ولا كإياب الأمير الهُمامْ
فتى المكرُمات تصدّى لها بحُكم الكهول وسِنِّ الغلام
[فأغنى][(٢)] لعشر مضت من سنيه[(٣)] [وأبلغ][(٤)] فى النائبات المقام
وساق إلى المسلمين التى أنارت لهم فى اعتكار الظلام
وشوّق أضعافَ ما اشتاقه ولولا التصبر كان الغرام
وقاسى ليتّدِع المسلمون [وأنكى ليهلك][(٥)] أهل اللئام
ونافر منهم أفاعى الرجا ل تبعث من ضغنها بالسّمام
وجاراهمُ طلقَ المكرمات فكان على الرغم منهم إمام
وأعشاهمُ فى سماء العلا بنور هلالٍ كبدر التمام

ووجدتُ منسوباً إليه — والصحيح أن ذلك لأبى جعفر عبد الله بن محمد ابن جُرْج القرطبى[(٦)] ، وهو عندى بالإسناد إليه :

[١٥٧ب] / أما ذُكاء فلم تصفرّ إذ جنحتْ إلا لفُرقة ذاك المنظر الحسنِ
رُبًى تروق وقِيعانٌ مزخرفةٌ وسائحٌ مَدَّ بالهطّالة الهُتُنِ
وللنسيم على أرجائه حَبَبٌ يكاد من رقةٍ يُجلى على الغصنِ

(١) الأصل : تَهَنَّى .
(٢) أضفتها للسياق والوزن .
(٣) الأصل : سنِّه ، ولا يستقيم به الوزن .
(٤) أضفتها للسياق والوزن.
(٥) أضفت هذه الكلمات للسياق والوزن .
(٦) عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى المطرف عبد الرحمن بن سعيد ابن جُرْج ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد (فى النص يقول إنه أبو جعفر) . سمع من عدد من الشيوخ منهم أبو القاسم بن بشكوال ، وأجاز له ما رواه وألفه . توفى يوم الجمعة ٨ شعبان ٦١٤ ، ودفن بمقبرة أم سلمة ومولده سنة ٥٣٥ . فهو على هذا من معاصرى ابن الأبار . انظر : التكملة ، رقم ١٤٣٨ ج ٥١٠/١ .

١٤٩ — أحمد بن يوسف بن هود الُجذامى ، أبو جعفر

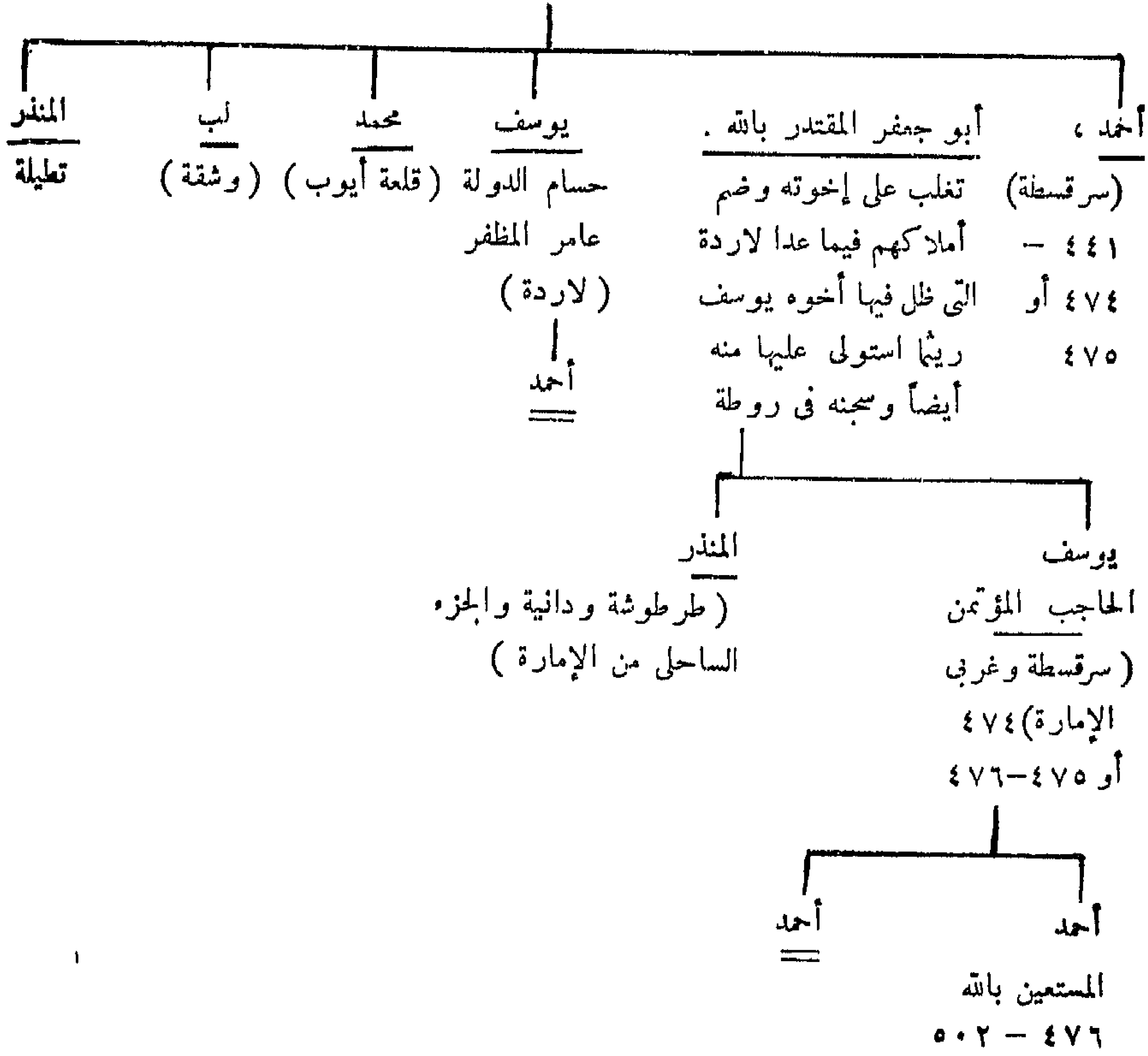
هو أحمد بن حسام الدولة أبى عامر يوسف بن عضد الدولة أبى أيوب سليمان ابن المؤتمن أبى عامر ، ويقال فى كنيته : أبو عمر يوسف بن المقتدر بالله أبى جعفر أحمد بن المستعين بالله أبى أيوب سليمان بن محمد بن هُود الجُذامى[1] .

---

(١) على هذا يكون أبو جعفر هذا إما من أولاد أحمد المقتدر بن سليمان بن محمد بن هود أو من أولاد أخيه يوسف حسام الدولة الملقب بالمظفر بن سليمان بن محمد بن هود ، والقول الثانى أصح ، فهؤلاء أصحاب لاردة ، وإليك شجرة النسب تبين هذين القولين :

أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود (٤٣٨ — ٤٤١)

كان من كبار وجوه الجند بالثغر الأعلى ، وعند قيام الفتنة استولى على لاردة سنة ٤٣١ ، ثم دخل سرقسطة وأصبح صاحب الثغر الأعلى كله سنة ٤٣٨ ، وعند موته فرق بلاد الثغر الأعلى على أولاده الخمسة كما يلى :



عبدالملك عماد الدولة : لم يطل حكمه ، إذ استولى على سرقسطة والثغر الأعلى القائد المرابطى =

وكان آباؤه وأهل بيته أمراء سَرقسطة والثغر الشرقي ، غلبت عليهم دون ملوك الطوائف الشجاعة والشهامة ، وقبضوا أيديَهم فقلَّت أمداحهم ، وترك الشعراء انتجاعهم ، إلا في الغِبِّ والنادر ، على سعة مملكتهم ووفور جباياتهم .

وأول ملوكهم أبو أيوب سليمان بن محمد ، المتلقِّب من الألقاب السلطانية بالمستعين بالله صاحب لاردة ، وصار إليه مُلك سَرقسْطة وما معها ، بعد مقتل منذر بن يحيي بن منذر بن يحيي التجيبي الأخير : فتك به ابنُ عم له يسمى عبد الله بن حَكم ، وحز رأسه وسط قصره ، وذلك غرةَ ذى الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة[1] ، ودعا لابن هُود أولَ أمره ، ثم ثار به أهل سَرقسْطة ، فلحق بحصن رُوطة اليهود[2] — أحد معاقلها المنيعة ، وقد كان أعده لنفسه — ونجا بفاخر ما اشتمل عليه من ذخائر آل مُنْذِر . ونهب العوام قصر سَرقسْطة إثرَ خروجه ، حتى قلعوا مَرْمَره

= محمد بن الحاج سنة ٥٠٣/١١٠٩ وضمها لدولة المرابطين .

راجع بحثنا عن « سرقسطة والثغر الأعلى في عصر المرابطين » . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة . مجلد ١١ ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ .

وقد قلنا هناك إن المنذر خامس أولاد سليمان بن هود هو نفسه لب ، وأن أولاد سليمان على هذا أربعة ، ولكن ما أثبتناه في الجدول هنا أصح .

(١) سبق تفصيل هذه الحوادث والتعليق عليها .

(٢) رُوطَة : في التقسيم الإداري الأندلسي كانت تابعة لمدينة (أي للكورة الثغرية) سرقسطة (انظر صفة الأندلس للرازي ، ص ٧٨) ، وهي غير روطة شريش التي ذكرناها . والمراد هنا **Rueda de Jalón** أي روطة نهر الخالون ، وهو شلون أحد نهيرات نهر إبره ، وهي اليوم تابعة لمديرية وشقة **Huesca** . وهناك مواضع أخرى تسمى **Rueda** في هذه الناحية (انظر : مادوث ، ج ١٥ ، ص ٥٩٠ — ٥٩١ . وقد سقطت روطة هذه في يد ألفونسو المحارب ملك أرغون عندما سقطت سرقسطة سنة ٥١٢/١١١٨) .

وطمسوا أثره ، لولا تعجيل سليمان بن هُود ، فملَكَ البلد فى المحرم سنة إحدى وثلاثين ، وأورثه بنيه حين توفى سنة ثمان وثلاثين(١) .

وحظى بولايته — دون إخوته — ابنُه أبو جعفر أحمد الملقب بالمقتدر ، وكان أقواهم سلطانًا . وهو الذى استرجع مدينة بَرْبَشْتَر(٢) وافتتحها على النصارى

(١) انظر الجدول السابق فى تعليقنا على سليمان بن هود . وانظر أيضاً : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ١٧٠ — ١٧١ . وابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) مأساة بَرْبَشْتَر Barbastro من أشنع ما أصاب المسلمين فى الثغر الأعلى خلال فترة الطوائف ، وقد روى خبرها ابن حيان وأورده ابن بسام فى القسم الثالث من الذخيرة فى سياق كلامه عن بنى هود ، وأورده المقرى فى نفح الطيب مع تحريف كثير (طبعة أوروبا ، ج ٢ ص ٧٤٩) ، وابن عذارى فى الجزء الثالث من البيان المغرب (ص ٢٢٥ — ٢٢٨) ، ودرسها دوزى دراسة وافية فى الجزء الثانى من أبحاثه ، فى بحثه الطويل عن غزوات النورمان فى إسبانيا Les Normands en Espagne (ص ٢٥٠ وما يليها) والجزء الخاص بكائنة بربشتر فى ص ٣٣٢ وما يليها .

وخلاصتها أن نفراً من النورمان الذين سمح لهم شارل الأبله Charles le Simple ملك فرنسا بالإقامة فى الإقليم الذى عرف باسمهم من فرنسا بعد ذلك Normandie قاموا بنشاط واسع فى الغزو والنهب والسلب فى شتى نواحى أوروبا (ومنهم تفرع النورمان الذين فتحوا انجلترا سنة ١٠٦٦ بقيادة وليم الفاتح) . وقد غزا بعضهم إيطاليا واتصل بالبابوية ، وهناك نصحهم الناس بالاتجاه لحرب المسلمين فى الأندلس ، فسارت حملة قوية منهم من جنوب فرنسا يقودها رجل يسمى Robert Crespin وانضم إليهم نفر من الفرنسيين والإيطاليين وفاجأوا مدينة بربشتر واستولوا عليها بعد حصار أربعة أيام ثم نهبوها نهباً ذريعاً وقتلوا من أهلها ألوفاً وأسروا ألوفاً أخرى ، وكان ذلك فى جمادى الأولى ٤٥٦ .

وعندما انتشر خبر هذه الكائنة ريع المسلمون فى الأندلس كله ، ونهض أحمد بن سليمان ابن هود الملقب بالمقتدر ونادى المسلمين لتخليص بربشتر ، فتم لهم ذلك فى رمضان من السنة التالية . وعلى شناعة هذه الغزوة وما وقع فيها من القتل والسلب والنهب ، وجد باحث فرنسى أنها موضع للفخر ، وأراد أن يرد هذا الفخر إلى الفرنسيين . انظر :

P. BOISSONNADE, *La Croisade de Barbastro.*

وبربشتر مدينة ومركز إدارى فى مديرية وشقة ، تقع على نهر Cinca أحد نهيرات الإبره النابعة من جبال البُرت ، وتقع على ٦٠ كيلو متراً شمال شرق سرقسطة .

عنوة ، وخلع إقبالَ الدولة عليّ بن مجاهد من دانية ، وسيَّره إلى سرقسطة دار مُلكه ، وهنالك هلك سنة / أربع وسبعين⁽¹⁾ ، وفيها توفى المقتدر . [١٥٨-ا]

ووَلى بعدَه ابنُه أبو عامر يوسف بن أحمد الملقب بالمؤتَمَن ، فلم تطل مدته وتوفى سنة ثمان وسبعين .

ووَلى بعده ابنُه أبو جعفر أحمد الملقب بالمستعين بالله ، واستُشهد على مقربة من تُطيلَة يومَ الاثنين أول رجب من سنة ثلاث وخمسمائة⁽²⁾ .

ووَلى بعده ابنُه الحاجبُ عمادُ الدولة أبو مروان عبد الملك بن أحمد ، وشرط عليه أهل سرقسطة ألا يستخدم الرومَ ولا يلابسهم ، فنقض بعد أيام يسيرة ذلك — لما استشعر من ميل الناس إلى الملثمين — وأقام بحصن رُوطة . واستدعى أهلُ سرقسطة محمدَ بن الحاج اللمتونى والى بلنسية ، فوافاهم صبيحة يوم السبت العاشر من ذى قعدة سنة ثلاث وخمسمائة ، فأمكنوه من البلد ؛ وجرت قصص طويلة أفضت إلى تغلب الروم على سرقسطة فى يوم الأربعاء الرابع من شهر رمضان سنة اثنتى عشرة .

وقد كان عبد الملك هذا وجَّهه أبوه المستعين أحمد بن يوسف المؤتَمَن إلى يوسف بن تاشفين فى سنة ست وتسعين وأربعمائة بهدية سنية ، من جملتها أربعة عشر رُبُعًا من آنية الفضة ، مطرزة باسم جدِّه المقتدر والدِ جدِّه المؤتَمَن ، فقبلها

(١) ذكر ذلك بتفصيل ابن عذارى فى البيان المغرب ، ج ٣/٢٢٨ — ٢٢٩ .
وانظر : كليليا سارْنِلِّي تِشْرِكْوَا : مجاهد العامرى ، قائد الأسطول العربى فى غرب البحر المتوسط (القاهرة ١٩٦١) ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ، والمراجع المعطاة هناك .

(٢) استشهد فى وقعة ڤالتييرا Valtierra (أول رجب ٥٠٣/٢٤ يناير ١١١٠) وكانت مع ألفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمحارب . انظر بحثنا عن سرقسطة والثغر الأعلى ، ص ١٠٦ ، و :

ANTONIO BALLESTEROS, *op. cit.* II, 453.

ابنُ تاشفين وأمر بضربها قراريط ، فُرِّقت ليلةَ عيد النحر فى أطباق على رؤساء قومه وهو إذ ذاك بقرطبة وقد أشار إلى بيعة ابنه على بن يوسف بالعهد لحضر عبدُ الملك ذلك .

ولما توفى بروطة فى شعبان سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وَلِيَ بعدَه ابنُه أبو جعفر أحمد بن عبد الملك سيف الدولة المستنصر بالله — ويلقب أيضاً بالمستعين بالله ، وهو آخر بنى هُود مُلـكاً — فأقام برُوطة إلى أن تخلى عنها للطاغية أذفونش بن رَمُنْد المعروف بالسُّلَيطين[1] ، وعوضه منها بنصف مدينة

(١) عبارة ابن الأبار هذه بالغة الدقة ، وهى تبين لنا مَن المراد بلفظ السليطين ، ولماذا لقب بذلك . فأذفونش بن رمند هذا هو Alfonso Raimundez وأمه هى أُرّاكه Urraca ابنة ألفونسو السادس الذى استولى على طليطلة ، الذى يقول فى حقه ابن وَقّار (الذى أخذ ابن الخطيب عنه أخبار ملوك النصارى) : «وهذا الفُنْش المعمَّر هو الذى طغى واستحوذ على ملوك المسلمين ، وحزّب بين ملوك الطوائف إلى أن قمعه الله بلمتونة ، وهزمه هزيمة الزلاقة على يد يوسف بن تاشفين» . وكان ألفونسو السادس هذا قد فقد ابنه الوحيد شانْجُه Sancho فى موقعة أقْليش على يد المرابطين سنة ٥٠٢ / ١١٠٨ . وكانت ابنته أراكة قد تزوجت من رامن دى بورجونيا Raman de Borgona وأصله بورجونى من Bourgogne فى فرنسا ، فأنجبت أذفش بن رمند Alfonso Raimundez الذى ذكرناه . ثم مات هذا . وبعد موت ألفونسو السادس (١ يوليو ١١٠٩) سعى النبلاء حتى زوجوا أراكة هذه من ألفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمحارب ، حتى تتحد أرغون وقشتالة ، وقد تم هذا الزواج فى سبتمبر سنة ١١٠٩ وأصبح ألفونسو الأول بالفعل ملك أرغون وقشتالة .

وقد أهملت بهذا الزواج حقوق Alfonso Raimundez ابن أراكة وولى عهدها الشرعى ووريث ألفونسو السادس الشرعى ، فقام أنصاره يطالبون بحقه ، وثار النزاع بين حزب ألفونسو الأول المحارب الأرغونى وأنصار هذا الأمير المعارضين فى أن يكون الملك الأرغونى ملكاً على قشتالة ، وكان على رأس أولئك المعارضين الأسقف برناردو أسقف طليطلة ، وكان فرنسياً من رهبان دير كلونى ، فمازال يسعى لدى البابا بسكال الثانى حتى ألغى زواج ألفونسو الأول المحارب من أراكة . ولم يكن زواجاً سعيداً على أى حال ، فقد كان الشقاق مستمراً بين ألفونسو وأراكة . وتم الانفصال بينهما سنة ١١١٤ ، وتم الاتفاق على أن يكون ألفونسو المحارب ملكاً على أرغون وقشتالة ، وتكون أراكة ملكة على ليون وجليقية وذلك بعد حروب=

طُلَيْطِلَةَ[(١)] ، وذلك فى شهر ذى قعدة سنة أربع وثلاثين ، وسار معه فأنزله بها . وفى سنة تسع وثلاثين أخذت دولةُ الملثمين فى الانتقاض والانقراض ،

=طويلة . وعندما ماتت أراكة خلفها ابنها **Alfonso Raimundez** باسم ألفونسو السابع ، وقد سماه أهل الأندلس بالسليطين لأنه ولى عرش قشتالة صغير السن إذ كان تحت وصاية أمه أراكة ، وهو لقب يقابل التسمية اللاتينية التى كانت الحوليات المسيحية تطلقها عليه ، وهى **Rex Parvus** (أى الملك الصغير) . وعلى أى حال فقد بدأت بملكه دولة جديدة فى تاريخ ليون وجليقية ، هى الدولة البرغونية **La Casa de Borgona**

انظر :

PEDRO AGUADO BLEYE, *Manual de Historia de Espana*, II, (Madrid, 1947), p. 617 sqq.

ابن الخطيب : ذكر التعريف بما أمكن من ملوك الأندلس على الاختصار ، ذيل على كتاب أعمال الأعلام ، ص ٣٢٢ وما بعدها .

IBN, IDĀRI : *al - Bayān al - Mugrib*, nuevos fragmentos almorávides y almohades, traducidos y anotados por A. Huici Miranda, ed. Valencia, 1963, p. 201.

(١) سبق أن بينا خطأ هذا القول ، وأن الحقيقة هى أن ألفونسو السابع (وهو ألفونسو ابن رمند المعروف بالسليطين المذكور فى الهامش السابق) عندما استولى على روطة وادى خالون **Rueda de Jalón** من عماد الدولة عبد الملك بن أحمد المستعين بالله بن هود فى سنة ٥٢٥ أو ٥٢٦/١١٣١ جعله تابعاً من أتباعه وأعطاه إقطاعاً بناحية طليطلة . وأصبح عماد الدولة هذا من رجاله يخرج معه فى غزواته ، شأنه فى ذلك شأن سائر أفصاله (جمع فَصَّل وهو التابع الإقطاعى) الآخرين . وعندما توفى عماد الدولة عبد الملك بن هود خلفه ابنه أحمد بن عماد الدولة —الذى تلقب بسيف الدولة— فى إقطاعه ومركزه . وقد اشترك مع ألفونسو السابع فى حملته الكبيرة على الأندلس ، وهى التى وصل فيها إلى الجزيرة الخضراء وعاث فى بلاد الإسلام عيثاً شديداً (٥٢٨ — ٥٣٠/١١٣٣ — ١١٣٥) . وعندما وقع الانفصال بين ألفونسو المحارب وزوجته أراكة (راجع التعليق السابق) وانفصلت أرغون وقشتالة عن ليون وجليقية أصبحت روطة هذه من بلاد مملكة ليون وجليقية وملكتها أراكة حتى سنة ١١٢٦ ثم ابنها ألفونسو رايموندث المعروف بألفونسو السابع (السليطين) فاستنزل حسام الدولة أحمد بن عماد الدولة بن هود من روطة وعوضه بإقطاع فى ناحية طليطلة . ويبدو أن تأريخ ابن الأبار لهذا الحادث بذى قعدة ٥٣٤ (يونيو ١١٣٩) ليس دقيقاً ، لأننا نجد اسم سيف الدولة أحمد هذا بين أتباع ألفونسو السابع فى حملته على الأندلس سنة ١١٣٣ — ١١٣٥ (٥٢٨ — ٥٣٠) ، والأصح أن يكون ذلك قد حدث فى ذى قعدة سنة ٥٢٤/أكتوبر ١١٢٩ .

انظر : CODERA, *Almorávides*, p. 71 sqq.

وابن القطان : نظم الجمان (بتحقيق الدكتور محمود مكى) ص ٢٠٠ .

فخرج سيفُ الدولة هذا ثائراً بالثغور الجَوْفِيَّة ، ومنها ورد على قرطبة ، فدخلها بمداخلة أهلها إياه ، وممالأة ملإها على ذلك(١) . وانزعج ابنُ حَمْدِين أمامه ، فلحق بالمعقل المعروف بفُرَنْجُولِش ،/ثم خرج منها بعد اثنى عشر يوماً ، ناجياً [١٥٨-ب]
بنفسه ، وقد ثارت به العامةُ وقتلت وزيَره ابنَ شَمّاخ وطائفةً من أصحابه .

فقصد جَيّان وقد ثار بها قاضيها ابنُ جُزَىّ ، فتغلب عليه وملَكها . ثم سار إلى غرناطة فملَكها ، واضطربت عليه بها الأمور فأسلمها . وعاد إلى جَيّان ، فداخَلَه أهلُ مرسية واستدعوه ، فورد عليهم ودخلها يوم الجمعة الثامن عشر من رجب سنة أربعين . ولم يستكمل فى جميعها حولا واحداً .

وقد كان ابنُ عِيَاض تأمَّر بمرسية ودعا لابن هود هذا ، فوجَّه إليه ابنَه أبا بكر ، فبرز للقائه وأظهر الاحتفاء بمقدمه ، وسار به إلى بلنسية حين أمَّره أهلُها وخلعوا مروانَ بنَ عبد العزيز قاضيها ، ثم ولاه دانيةَ . وبلغ ابنَ عِيَاض ورودُ ابنِ هودٍ وحلولُه بقصر مرسية ، فعجل به اللحاق ، وقدم يوم الأحد المُوَفِّى عشرين من رجب ، مظهراً طاعتَه ومُمتثلا أمرَه . ونزل القصرَ الصغير ، فألقى إليه ابنُ هود بالأمور كلها ، وخصه باسم الرئاسة . وبعد ليالٍ قلائل توجها جميعاً إلى شاطبة ، وقد سبقهما إليها عبدُ الله بن سعد بعسكر بلنسية فى اتِّباع الروم المغيرين على نواحيها أصحابِ الطاغية أذفونش ، فاستُشهد ابنُ هود وابن سعد لما التقى الجمعان ، ونجا ابنُ عِيَاض . وكانت هذه الوقيعة الكبرى على المسلمين بالموضع المعروف

---

(١) أورد كوديرا (*Almorávides*, 76-77) قطعة عظيمة الأهمية هنا من :
***Crônica del Emperador D. Alfonso, Espagna Sagrada,* XXI p.330 sqq.**
فيها تفصيل تشاور الأندلسيين ومادعا إليه بعضهم من القيام على المرابطين والدخول فى طاعة ألفونسو السابع فى مقابل جزية يدفعونها له .

باللُّجِّ و بالبَسِيط — على مقربة من جنجالة — يوم الجمعة الموَفِّى عشرين لشعبان من سنة أربعين ، وقيل يوم السبت بعده .

وأبو جعفر بن حسام الدولة هو القائل يمدح من قصيدة :

علوتَ ، فما تسمو لمقدارك الشُّهْبُ وقد قصَّرتْ فى ما تسطِّره الكُتْبُ
وأنت إذا وجهتَ جيشَك رائداً تقدَّمه من بعض أنصارك الرعبُ
أقمت لنا الدينَ الحنيفىَّ ماثلا كأنّا نرى المهدىَّ ما ضمَّهُ التُّربُ
إذا خَلُصَتْ نفسُ الولىِّ لربِّه فغير عجيبٍ أن يوفِّقَــه الربُّ

وله :

يا باكياً عُمرَ الطلول بدمعــه أسفاً على ذاك الدم المطــلولِ
[١٥٩ - ا] / أودتْ ببُلِّكَ لوعةٌ صَدِيتْ لها صفَحاتُ ذاك الخاطرِ المصقولِ

وله :

ليت شعرى — ونحن بالمغرب الأقـ ـصى — متى تُزجَر الفَلاةَ الأَمُونُ ؟
بفلاةٍ ترى الرياحَ بها الهُــو جَ عَرتْهُنَّ فترةٌ وسكونُ
وتلوح البروق مثلَ سيوف الـ ـهند فيها أجفانهن الجفونُ
والسراب الرقراق فى صفحة البيـ ـداء يغشى الهضابَ ماء معينُ
تتبدّى لك الظعائن فيهــ(م)نَّ فقل أينقٌ بها أو سفــينُ
خطرت خطرة الغرام على القلـ ـب وحسب الفتى لها يستكينُ
أذكرتنى بلجاءَ وُرقٌ تجاوبـ ـن بنجدٍ حديثُهن شجونٌ
أطربتْنى أصــواتُهن على الأيـ ـكة ، قد يُطرب الحزينَ الحزينُ

ومنها :

يامَةَ القومِ والمنى يطمع المر ء إذا ما استقل يوماً قطينُ
إن تكونى قد استقر بك الرَّبْـ ـعُ فقلبى مع الرفاق رهين
أو تكونى سلوتِ عنا فلا والـ(م)ـله لم تسلُكِ الظباءُ العِين
أين للشمس أن تنال مُحيّا كِ وتعزَى لمعطفيك الغصون
غُررٌ لُحْنَ من دجى الشَّعرِ بيضٌ ما تجلَّت عن مثلِهن الدُّجون

١٥٠ — أحمد بن قام(١) الكاتب ، أبو العباس

دار سلفه بَيّاسَةَ(٢) ، وكانت لهم بها فى الفتنة رئاسة . وذكر أبو عمْرو بن

(١) كذا ورد الاسم فى الأصل بالقاف ، ولم أجد مثل هذا الاسم فى معاجم التراجم ، وإنما ورد « نام » بالنون مرتين فى تكملة ابن الأبار (رقم ١٢٠٦ و١٢٠٧ ج ٢ / ٤٢١) ولا أظن أن لأحدهما علاقة بأحمد بن قام هذا . فإن هذا من بياسة فى حين أن الاثنين الآخرين من سرقسطة ولبلة واسماهما مختلفان عن اسم المترجم له هنا . ولا شك أن المذكورين عند ابن الأبار يقرآن بالنون ، لأنه ذكرهما فى حرف النون ، ويحتمل أن يكون اسم المترجم له هنا أحمد بن نام بالنون .

(٢) بياسة Baeza : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت بياسة من كبار مدائن كورة جيان (صفة الأندلس للرازى ، رقم ١٨ ص ٦٩) وقد خلط مترجمو جغرافية الرازى بينها وبين بَسْطَةَ Baza فقالوا إن بياسة مشهورة بصنع المُصَلَّيات ، و الحقيقة أن بسطة هى التى اشتهرت بذلك . وكانت بياسة فى منطقة غابات اشتهرت بأخشابها ، وعلى مقربة منها موضع يسمى لِتْشُو سِكُو Lecho Seco اشتهر بهذه الأخشاب . وقد أخطأ ناشرو ياقوت فجعلوه لِتَنْكَشَة (انظر ج ٧ ص٢٢٢)، وصحة قراءته لِتْشُسِكُه . وبالإضافة إلى ياقوت (٣١٨/٢) وصف بياسة الإدريسى ، ص ٢٠٣ ، ونقل مادته ابن عبد المنعم الحميرى (الروض المعطار ، رقم ٥٧ ص ٥٧) ؛ وقد أشادوا كلهم بشهرتها بالزعفران . وأصل اسمها لاتينى Beatia

وقد سقطت بياسة مع جيان فى يد فرناندو الثالث سنة ١٢٣٦/٦٣٤ وفصل ابن عبد المنعم=

الإمام فى كتاب « سِمْط الجُمان وسِقْط الأذهان » من تأليفه أن أبا العباس هذا رحل عن الأندلس لبأْوٍ كان فيه استهواه ، وزهو جاوز به غايته ومداه . قال : وكثيراً ما كان يلحظ الجزيرةَ بعين الاحتقار ، ويُنزلها وأهلَها منزلة الصَّغار ، ويأنف أن تكون له دارَ قرار ، فلا يتمثل إلا

[١٥٩-ب] / أنا فى أمـــة تداركها الله غريبٌ كصالحٍ فى ثمـــودِ

حتى قوّض عنها خيامَه ، ومشى ما مشى ظلُّه أمامَه ، فما عُرف أين صَقَع ، ولا فى أى البوار وقع . وهو القائل من أبيات :

همُ وصلوا ليلِى بليلِ ابنِ حُندجٍ وقد كان — لولا بينهم — ليلَ مَتْبِجِ
ليالىَ لا نجمُ الزجاجة آفلٌ هناك ، ولا بدرُ النَّدِيِّ بمُدْلِجِ (١)
أردد طَرْفى بين برقِ مُدامةٍ وبرقةِ ثغرٍ منه تُحمَى بأدْعُجِ
فأرشف من تيّاك ريقةَ سلسلٍ وأرشف من ذيّاك ريقةَ أفلجِ
ولا شَدْوَ إلا صوتُ حَلْيٍ بِلَبَّةٍ ولا نُقلَ إلا وردُ خَدٍّ مضرج
ووجنةُ تفاحٍ وألحاظُ نرجسٍ وأصداغ ريحانٍ وخال بنفسج

[أراد(٢) بليل ابن حندج ليل امرئ القيس حيث يقول :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدولَه علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

= الحميرى ذلك . وتسمى اليوم Baeza وهى مركز إدارى فى مديرية جيان وتقع على ٤٠ كيلومتراً شمال شرقى جيان عاصمة المديرية .

cf : MADOZ, *op. cit.* III, 293 - 297.

(١) الأصل : مدلج .

(٢) وردت هذه الفقرة كلها فى الهامش بخط مخالف . وهى أشبه بالشروح التى يأتى بها ابن الأبار بين الحين والحين ، ولهذا فقد غلب على ظنى أنها من كلامه ، أسقطه الناسخ وأضافه مَن راجع الكتاب على الهامش ، وقد وضعت العبارة كلها بين معقوفتين زيادة فى التحرز .

وأشار بليل مَنْبِج إلى قول عبد الملك بن صالح ال[هاشمى][1] حيث سأله الرشيد عن دارة منبج ، فكان من وصْفه لها أن قال : ليلُها سَحَر كله]

وله فى المدح :

رصانةُ حِلمٍ سفَّهتْ كلَّ أحنفٍ وديمةُ جودٍ بخَّلتْ كلَّ حاتمِ
وفطنةُ علمٍ تحتَها إن دَجا الوغى جهالةُ رمحٍ أو سفاهةُ صارمِ

١٥١ — محمد بن حمدين بن على بن محمد بن عبد العزيز ابن حمدين التغلبي ، أبو الحسن

هو ابن عم أبي جعفر حمدين بن محمد بن على بن حمدين الثائر بقرطبة ، والمدعوِّ له بأكثر قواعد الأندلس .

ويعرف محمد هذا بـ « الفُلْفُلِى » فى أهل بيته ، وللمنصور محمد بن أبى عامر عليه وِلادة . وكان ابنُ عمه قد ولاه مُرسية ، بعد مقتل ابن أبى جعفر بناحية غرناطة ، وبعثه بعسكر مع طائفة من أعيان مُرسية ، فلما دنا منها صُدَّ عنها وقاتله العربُ الذين كانوا بها ، فانهزم جمعُه وانصرف مفلولا ، وأميرُ مُرسية حينئذ أبو عبد الرحمن بن طاهر ، مخلوعُ أبى محمد بن عِيَاض بعد خمسين يوماً أو نحوها من ولايته ، وذلك كلُّه فى سنة أربعين وخمسمائة .

ثم سكن ابنُ حمدين هذا مراكش ، مجاوراً لأبى عبد الملك مروان بن

(١) أكملت نسبته من الأغانى ، ج ٥ ص ١١٢ .

عبد العزيز و بنى [سيدراى][1] بن وزير رؤساء الغرب — **قاله ابن** صاحب الصلاة .

وحكى أنهم باتوا ليلةً فى أنس ، جمعهم فيها انقلاب الزمان وابنُ حمدين [١٦٠-ا] غائب عنهم ، فلما حضر/كتبوا إليه معرِّفين بذلك ، فجاوب ابنَ وزيرمنهم بأبيات منها :

يا واحدَ الفضلِ والسماحِ ويا فتى الجِدِّ والمزاحِ
سألتَ مستفهماً رسولا فهزَّ منى عِطْفَ ارتياح
وليلةُ الأنس لو أعيدتْ أصبحُ عندى من الصباح
شربت فيها السرورَ صِرفاً وأنتَ ريحانتى وراحى
فهاج حبى ولذَّ شربى بغير إثمٍ ولا جُناحِ
إيهٍ وقلتم فى وصف ظبيٍ يبسم عن دُرٍّ أوأقاحِ[2]
جديبِ خصرٍ ، خصيبِ ردفٍ ينهض عن مثقَلٍ رداحِ
شكوتُ منه ، ورب شكوى أليمةٍ من هوى الملاح
ومَن رأى الليثَ فى محلٍّ يقوده جائلُ الوِشاح ؟
يا فارسَ الخيل إذ تلاقى فى مأزق البأس والكفاح
إنَّ صِفاحَ الحسان أنكى فى القلب قَرْحاً من الصِّفاح
أشفارُ ألحاظها شِفارٌ تندقُّ منها سُمر الرماح

---

(١) أكملت الاسم اعتماداً على ما ذكره ابن عذارى فى الجزء الرابع من البيان المغرب (ص١١) من عزل سيدراى بن وزيرعن باجهوجميع بلاد الغربوإقامةحُفّاظ من الموحدين فى هذه النواحى .

(٢) الأصل : « يبسم عن ورد وعن أقاح » وفى الهامش ، « در أو أقاح » ، وكلاهما غير موزون إلا إذا جعلنا همزة « أو » همزة وصل كما أثبتناه .

أىُّ القلوب الصِّحاح يبقى على جفونٍ مرضى صحاح ؟
أفديك من عاشق عفيف غير مبيحٍ سوى المباح
ينقاد للبر والمراضى وهو عن النكر ذو جماح
فانعم هنيئاً قرير عينٍ ما اهتزت القضب بالرياح

١٥٢ — أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوَقَّشِى الوزير ، أبو جعفر

أحد الـكفاة الأمجاد ، والدهاة الأنجاد . وهو من بيت القاضى أبى الوليد هشام بن أحمد الوَقَّشِى(١)/ — وهى قرية بنواحى طَلَبِيرة(٢) ، مشددة القاف — [١٦٠-ب]

(١) أحسن ترجمة له هى التى أوردها ابن بشكوال فى الصلة ، وهو هشام بن أحمد بن خالد ابن هشام الكنانى يعرف بالوقشى ، من أهل طليطلة . ولد سنة ٤٠٨ وتوفى فى دانية فى ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٤٨٩ . « أحد رجال الكمال فى وقته باحتوائه على فنون المعارف وجمعه لكليات العلوم » . وذكر ابن بشكوال أنه كان ضليعاً فى النحو واللغة ومعانى الأشعار وعلم العروض وصناعة البلاغة ، وكان شاعراً متقدماً حافظاً للسنن وأسماء نقلة الأخبار بصيراً بأصول الاعتقادات وأصول الفقه ، نافذاً فى علم الشروط والفرائض ، متحققاً بعلم الحساب والهندسة ، مشرفاً على جميع آراء الحكماء ، حسن النقد للمذاهب ..» الخ ولكنه قال فى آخر ترجمته : « وقد نسبت إليه أشياء ، الله أعلم بحقيقتها وسائله عنها ومجازيه بها » دون أن يفصح عن شىء من ذلك .

(٢) المراد هنا بلدة وَقَّش Huecas المنسوب إليها المترجم له .

وطلبيرة المقصودة هنا هى المعروفة باسم Talavera de la Reina فى مديرية طليطلة ، وتقع على نهر تاجه على ١٥٠ كيلومتراً غربى طليطلة على مجرى النهر ، واسمها فى القديم Caesarobriga ، وقد ذكرها الرازى فى صفة الأندلس (رقم ٤٠ ص ٨٢) وقال إنها من قواعد كورة طليطلة ، وقال إنها «حاجز بين المسلمين والإفرنج» (نقل ذلك ياقوت : ٥٣/٦) .=

وأراه ابنَ أخيه ؛ ونسبُهم فى كِنانة . قام بأمر أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هَمُشْك ، ضابطاً لأعماله ومصلحاً لأحواله . ولما هُزم ابنُ سعد وابنُ هَمُشْك معه بغرناطة ، صبيحةَ يوم الجمعة الثامن والعشرين لرجب سنة سبع وخمسين وخمسمائة — وهى وقيعة « السَّبِيكة » إثر [هزيمة] « مرج الرُّقاد »[1] —

= ويذكر ياقوت والإدريسى (ص ١٨٧) أن عبد الرحمن الناصر جدد أسوارها وعمرها . انظر كذلك : الروض المعطار ، رقم ١١٩ ص ١٢٧ .

وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية طليطلة . ولازالت بعض آثار التحصينات العربية باقية فيما يسمى **Torres Albarranas** ، وعلى ٣٠ كيلو متراً منها توجد اليوم مدينة أصغر تسمى طلبيرة القديمة **Talavera la Vieja** وهذه تابعة لمديرية قَصَرْش **Cáceres** . وقد سقطت طلبيرة فى يد ألفونسو السادس سنة ١٠٨٢/٤٧٥ ، أى قبل طليطلة بثلاث سنوات .

أما وَقّش فتسمى اليوم **Huecas** وكانت من قرى طلبيرة ، وهى اليوم قرية تابعة لمركز توريخوس **Torrijos** الإدارى فى مديرية طليطلة ، وتقع على ٢٥ كيلومتراً شمال غربى طليطلة .

(١) يشير ابن الأبار هنا إلى موقعتين من أكبر ما دار بين محمد بن سعيد بن مردنيش وصهره إبراهيم بن همشك من ناحية والموحدين من ناحية أخرى . وقد سبق أن تكلمنا عن ابن مردنيش ، وأما ابن همشك فهو — كابن مردنيش — أحد هذه الشخصيات القلقة التى ابتلى بها الأندلس فى فترة الشغور بين المرابطين والموحدين وخلال جزء كبير من عصر هؤلاء . فإن ثورات ابن حمدين وابن هود وأمثالها على المرابطين هدمت ما كان قد بقى من هيكل النظام ، وانفرط عقد البلاد وانفسح المجال أمام المغامرين الذين يجمعون طوائف من شذاذ الآفاق وقطاع الطرق ويمضون يصبون البلاء على أهل المدن والأرياف . ولا نستطيع القول بأن محمد بن سعد بن مردنيش كان من هذا الطراز تماماً ، فقد كانت فيه أثارة من فضل وهيبة الأمراء . ولكن هذا لم يكن ينطبق على معاونيه وأكبرهم صهره ابن همشك ، واسمه الكامل : إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك . وهذا الاسم الأخير لقب أطلق على جده ، وكان من جند بنى هود ، وهو إسبانى مكون من كلمتين : **He mochico** ، **he** اسم إشارة و **mochico** مصغر **mocho** وهو فى القشتالية الثور الذى قطع قرناه أو الذى لا قرن له ، وتقال للرجل الذى قطعت أذنه ، ومعنى الاسم إذن : هذا هو المصلوم الأذن :

Cf : DOZY, ***Recherches*****, I, 368 - 369.**

وقد كان ابن همشك من أقسى الرجال . كان ينزل بخصومه ألواناً من العذاب تقشعر منها =

عُزم على استئصال ابن هَمُشْك ومنازلة بلاده ، فلاذ بالفرار وأسلم جَيّان لوزيره الأخصِّ أبي جعفر هذا . فنازلها الموحدون أعزهم الله ، وهو بضبطها مستبد ، وإلى مؤمَّره عليها مستنِد ، إلى أن صدروا عنها لعمارة قرطبة ودخلوها ضحوةَ يوم الأحد الثانى عشر من شوال من السنة ، وبها إذ ذاك — فيما حُكى — نحو من ثمانين رجلا ، قد أكلتهم الفتنة وشردتهم المجاعة ، من طول إلحاح ابن هَمُشْك عليهم بالحروب ، وشن الغارات مع الشروق والغروب ، رجاء انتظامها مع جَيّان وسائر بلاده ؛ فنُفِّس عن أبي جعفر ، وقد ناب أحسنَ منابٍ ، وحل من صاحبه آثرَ محل .

— الأبدان ، حتى كان يضع بعضهم فى كفة المنجنيق ويلقى بهم ، وقد فصل ابن صاحب الصلاة أفاعيله (ص ٢٧ — ٢٨ من مخطوطة أكسفورد) . وذكر ابن الخطيب شيئاً من سيرة ابن همشك فى الإحاطة (ج ١ بتحقيق محمد عبد الله عنان) ص ٣٠٥ — ٣١١ وهو يسميه محمد بن مفرج ابن همشك ، وذكر تفسير الاسم ، وقد اعتمد دوزى على هذا التفسير فى شرحه الآنف الذكر ، ثم ذكر سيرته إلى اختلافه مع محمد بن سعد بن مردنيش (وكانت ابنة ابن همشك زوجة مردنيش) وطلاق ابنته منه ، ثم دخوله فى طاعة الموحدين ووفوده على أبي يعقوب يوسف الموحدى سنة ٥٦٥ .

أما هزيمة مرج الرقاد فقد فصل أمرها ابن صاحب الصلاة (ورقة ٢٧ — ٢٨) وملخصها أن ابن مردنيش وابن همشك حاولا انتهاز فرصة انشغال الموحدين فأرادا الاستيلاء على غرناطة وأوقعا بجيش من الموحدين يقوده أبو سعيد بن عبد المؤمن وابن زيد مشرف البلد وأبو محمد بن أبي حفص فى الموضع المعروف بمرج الرقاد وهو على أربعة كيلو مترات من قرية الطرف **Atarfe** الحالية قرب مجرى نهر شنيل ، يسمى حاليا **Majarrocal** (انظر : **SECO DE LUCENA,** *(Notas sobre toponomia granadina,* **Al-Andalus, 1944, fasc. 2, p. 505** ولكنهما عجزا عن الاستيلاء على قصبة غرناطة . وأسرع الخليفة الموحدى فأرسل جيشاً يقوده أبو يعقوب يوسف ابنه وولى عهده والشيخ ابن سليمان « زعيم وقته وداهية زمانه » كما يقول ابن الخطيب (ص ٣١٠) ، فأوقع الجيش بابن مردنيش وابن همشك هزيمة قاصمة عند السبيكة ، وهى كما يقول الأستاذ عنان فى تعليقاته على الإحاطة (ص ١٢٢ هامش ٦) : « البسيط الأخضر الشاسع الواقع جنوب شرق الحمراء » . وانظر أيضاً فى تفصيل هذه الحوادث : مقال دوزى :

Recherches, **I, 364** sqq. تحت عنوان *Sur ce qui se passa à Grenade en 1162.*

ولم يزل بعد ذلك يحسن الضبط لبلاده ، ويُظهر الكفاية فى كافة محاولاته ، إلى أن اعتاق ابنُ هَمُشْك بالدعوة المهدية خلدها الله ، ونابذ صهره محمد بن سعد ، وذلك فى سنة اثنتين وستين — بعد الوقيعة العظمى بِفَحْص الجلاّب على مقربة من مُرسية ، وكانت يومَ الجمعة سابع ذى الحجة من سنة ستين[1] — ووجّه وزيره أبا جعفر هذا وافداً عنه إلى مراكش ومستصرخاً على صهره ابن سعد ، وكان قد وطئ أعماله ودوخها ، وتغلب على كثير من معاقله ، وكانت تحته بنتُ ابن هَمُشْك فطلقها ، ثم ندم . وهدم رحى الوَقَّشِيّ بوَاجَة بلنسية ، فقال فى ذلك :

ألا أبلغا عــــنى الشُّرَيْق وأهلَهُ بأنى لا أثنى عِناناً عن الغربِ
لِأُجْلِبها خُزْرَ العيون ضوامراً وأوطئها أجســـادكم بدل التُّرْبِ
هــدمتم رَحى من لا يزال بسعيهِ وأفــكاره يحنى عليكم رحى الحرب

(١) وقيعة فحص الجلاب روى تفاصيلها ابن صاحب الصلاة (ورقة ٥٦ وما يليها) : كان الموحدون — بعد انتصارهم على ابن مردنيش وابن همشك فى وقعة السبيكة ، أو جبل السبيكة — قد قرروا القضاء على ابن مردنيش ، وكان يحكم مستبداً بما بقى من شرق الأندلس حتى بلنسية ، فخرج السيد أبو حفص عمر أخو الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وذراعه اليمنى فى أوائل ربيع الأول ٥٦٠/ منتصف يناير ١١٦٥ بجيش كبير من مراكش وعبر إلى الأندلس ومعه قوة من مقاتلى العرب يقودهم شيخهم على بن محرز بالإضافة إلى الموحدين ونحو ٤٠٠ فارس من فرسان المرابطين ، وهناك انضمت إليهم قوات السيد أبى سعيد عثمان حاكم الأندلس ، وسار الجيش من إشبيلية إلى قرطبة إلى لُكّـة Luque إلى أندوجر إلى بسطة إلى غُلْيَار Cullar ومن ثم أفضى إلى الفحص المسمى بالفُنْدُون جنوبى بلنسية ، ثم عسكروا فى فحص الجلاب على ١٠ أميال (نحو ١٢ كيلومتراً) جنوبى مرسية ، وفى يوم الجمعة ٧ ذى الحجة ٥٦٠/١٥ أكتوبر ١١٦٥ دارت المعركة وانجلت عن انهزام ابن مردنيش وتشتت قواه ، وأسرع لاجئاً إلى مرسية وقد حطمت هذه الهزيمة قواه ، ولم يلبث أن اختلف مع صهره وشريكه ابن همشك ؛ ومات سنة ٥٦٦/١١٧١ — ١١٧٢ فى مرسية والموحدون يحاصرونها .

انظر بالإضافة إلى ابن صاحب الصلاة فى الصفحات المشار إليها :

A. HUICI MIRANDA, *Historia politica del Imperio Almohade* (Tetúan, 1956) I, p. 226 - 228.

رحّى شدَّ ما يَفْنَى الرجالُ بطحنها — وليس لها قطب سوى الطعن والضرب
/ألم أجْلِبِ الجيشَ العرمرم نحوَكم — وصيَّرتُكم فى ما علمتُم من الكرب ؟ [١٦١-١]
وإنى مَلِىٌّ أن أكدِّر ما صفا — لكم بعد هذا فى البلاد من الشّرب
فإن يكُ عن أوطانكم عُمُرٌ نأى — فإن أمير المؤمنين على قرب

وله فى وفادته على مراكش سنة أربع وستين يهنىء بعيد الفطر من قصيدة طويلة :

تَحنُّ إليكم وافداتُ المواسمِ — فتهدى إلى كفَّيكمُ ثغرَ باسمِ
ومنهن عيدُ الفطر جاء مسلِّماً — عليكَ تحيّا منك أفضلَ طاعِمِ
ومن قبله وافى الصيامُ بشهره — على خير أوابٍ وأفضل صائمِ

يقول فيها :

تقبَّلتَ أخلاقَ الكهولة ناشئاً — فلم تدر يوماً ما مَناطُ التمائمِ
ولو لم تشأ وَطْءَ الترابِ بأخمصٍ — لَسِرْتَ على هام الملوك الخضارمِ

وله وقد أحضر لمعاينة قتل أسد هائل المنظر يصفه من كلمة :

جَهْمُ المحيّا إن تبسّم هِبْتَهُ — ومن العجائب هيبةُ المتبسِّمِ
ويقال كل الصيد فى جوف الفرا — وأرى الفراء لديه بعض المطعم
وكأنما هو ناظر عن زئبقٍ — وكأنما هو كاشر عن مِخْذَمِ (١)
وكأن لبـدته بقيةُ فروةٍ — قَصُرتْ على طول الزمان الأقدم
لما تمرد فى العرينة فُتِّحتْ — أبوابُها فانساب مثلَ الأرقم
وعلا زئيرٌ منه حتى خِلتُهُ — كالفحل يهدُر عند شولٍ هُيَّمِ

(١) الأصل : مخدم ، والصواب مِخْذَم وهو السيف .

وظننت أن الرعد من حيث الحيا حتى سمعتُ اليوم رعدًا من فم
وتناولتْ زُرقُ الأسنة زَرْقَهُ حتى بدا فى شكله كالشيهم

ولى فى هذا المعنى من كلمة قلتها عند وفادتى على حضرة تونس — أيدها الله — رسولا / عن والى بلنسية ودانية — أبى جميل بن سعد — وقد أحضِرتُ لمثل ذلك فى أواخر شعبان سنة ست وثلاثين وستمائة : [١٦١-ب]

تحنُّ إلى ملعبٍ للظباء بكُثبان رامةَ أو غُرّبِ
فهلاّ إلى ملعبٍ للأسودِ سَعدتَ بمنظره المعجب ؟
يقامُ الجهادُ به والجِلادُ لكلٍّ فتىً مِدْرَهٍ مِحْرَبِ
ويُضرَى على الفتك بالضاريات فإن غالبَ القِرنَ لم يُغلب
ضوارٍ ضواربُ أظفارها تعير الظُّبى رقةَ المضرب
فمِن أسَدٍ شرسٍ مُحنَقٍ ومِن نمِرٍ حَرِدٍ مغضَبِ
أثيرت حفائظُها فانبرت تسابق فى شأوها الأرحب
تُصِم المسامع من زأرها عوادىَ كالضُّمَّر الشُّزَّب
وتنبو العيون لإقدامها مذرَّبةَ الناب والمخلب
كواشرُ عن مرهَفاتٍ حِدَادٍ متى تَصْدع الهامَ لا تنشب
نيوبٌ نَبَتْن من النائبات وأزرين بالصارم المِقضَب
تنوء ثقالا ولكنها أخفُّ وثوبًا من الجُندُب

ومنها فى وصف مُلاعب لها من أهل الثقافة ، وكانت فى ذلك اليوم المبارك أربعة آساد ونمرين ، يدحرج إليها كرة متصلبة من خشب محكمة الصنعة تحجُبُه

من بأسها وهي رابضة ، وبيده حدائد طوال في نهاية الإرهاف معدة لها . فإذا أحسَّتْ به وثبتْ على الكرة ، فألقمَ أفواهَها تلك الحدائد ، ودحرج الكرة ، فتباعدت عنه تمُجُّ الدم ، وأحياناً يجهز بها عليها إذا لم يأمن عاديتها . وقد حفر بمجالها الرحب لآخرين مهاوٍ تَسَعُ جثثهم ، ولها أبواب صغار يطبقونها عليهم ، فإذا ربضت على بُعد صيح بأحدهم ، ففتح باب تلك الهوة وهَجْهَجَ بها وربما ألمع لها/ بما يكون في يده ، فما هو إلا أن تراه فيكاد وثوبُها إليه يُعْجله عن إطباق [١٦٢-١] الباب عليه ، ثم تنصرف عنه يائسة منه ، وقد اشتد حنَقها وعَظُم زئيرُها ، فيعايَن من ذلك آنق منظر وأبدع مرأى :

ومقتحمٍ غمَراتِ الرَّدَى إذا ما ادَّعى الباسَ لم يكذبِ
يلاعبها حيث جَدُّ الحِما مُ فتفزع منه إلى مهرب
يكرُّ عليها ولا جُنَّةٌ سوى كُرَةٍ سهلةِ المجذَب
يدحرجها ماشياً ثِنْيَها على حذرٍ مِشيةَ الأنكب
عجبتُ لها ، أحجمتْ رهبةً وأقدَمَ بأساً ، ولم يرهب
وقَتْه الأواقى على أنَّهُ تَسَنَّمها صعبةَ المركب
وثاوٍ بمَطْبَقَةٍ فوقَهُ متى تَطْفُ هامتُه ترسُب
يُهَجْهِجُ بالليث كيما يهيج ويأوى إلى الكهف كالثعلب
كذلك حتىَ هوتْ نحوَها عُقاب المنية من مِرقب
وعاجت عليها قواسى القِسِىِّ فعبَّتْ من الحين في مشرب
وشالت هناك بأذنابها لِياذاً من العَقْر كالعقرب
فيا لِقَساوِرَ قد صُيِّرتْ [فرائس](١) للأسهم الصُّيَّب

(١) لم يرد من هذه الشطرة إلا : الأسهم الصيب ، وقد أكملته للوزن والمعنى .

وللوَقَّشِيِّ تحقق بالإحسان ، وتصرف فى أفانين البيان ، وكتابِى المؤلَّف فى أدباء الشرق المترجَم بـ « إيماض البرق » ، مشتمل على كثير من شعره . ومَدَحه أبو عبد الله الرُّصافى(١) بما ثبت فى ديوانه ، وأعرب عن جلالة شانه . وبالجملة فهو وأبو جعفر بن عطية من مفاخر الأندلس ، وكانا متعاصرين ، وفى الكفاية متكافئين ، ولذلك فى النثر مزية هذا [فى] الشعر . وله يصف الزرافة من أبيات :

لَبِسَتْ من الصُّفْر الأنيق مُلاءةً　　مرقومةَ الجَنَبات بالعِقْيانِ
[١٦٢-ب] /وكأنها قد قُسِّمت فى خَلْقِها　　فأتَتْك بين الخيل والبُقْران
وكأن قرنيها إذا شالتهما　　قَلَمان قُلِّم منهما الطرفان
طالت قوائمها وطال تَليلُها　　حتى لقد أوفى على الجدران
وتفاوتت فى سمكها فوراؤها　　ثلُث لها ، وأمامُها ثلثان

وله فى حِفظ السر :

ومستودِعٍ عندى حديثاً يخاف من　　إذاعته فى السرِّ أن ينفد العُمرُ
فقلت له : لا تخش منى فضيحةً　　لسرٍ غدا ميْتاً ، وصدرى له قبر

---

(١) محمد بن غالب الرَّفّاء الرُّصافى ، رصافة بلنسية ، وسكن مالقة ، يكنى أبا عبدالله . يقول ابن الأبار عنه : «كان شاعر وقته المعترف له بالإجادة مع العفاف والانقباض وعلو الهمة والتعيش من صناعة الرَّفْو التى كان يعالجها بيده . لم يبتذل نفسه فى خدمة ولاتصدى لانتجاع بقافية، حملت عنه فى ذلك أخبار عجيبة » . وهو دون شك من أعظم شعراء العصر الموحدى ، ومن أسف أننا لم نجد ديوان شعره بعد . توفى فى مالقة يوم الثلاثاء ١٩ رمضان ٥٧٢/١١٧٧ ، وقد عاش صَرُورَة لم يتزوج قط (ترجمة رقم ٧٧٢ ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٣٨) .

وترجم له أيضاً الضبى (رقم ٢٥١) ، ويسميه المقرى ابن رومى الأندلس (طبعة أوروبا : ٣٢٧/٢) ، وانظر الرايات رقم ١٠٨ ص ٨٤ من النص العربى وص ٢٥١ من الترجمة الإسبانية . وترجم له نيكل فى :

A. R. NYKL, *Hispano - Arabic poetry* (Baltimore, 1946) p. 326 - 327.

وأورد عبد الواحد المراكشى شيئاً من شعره فى المعجب ؛ هذا وقد جمع الدكتور إحسان عباس ما وجده من شعره فى مختلف المراجع ونشره فى بيروت سنة ١٩٦٠ .

على أن مَن فى القبر يُرجَى نشورُه وسرُّك ما يُرجَى له أبداً نَشْرُ

وله مما استفدته من أبى — رحمه الله — وأنشدنيه :

ألا قرّب الله الديارَ وأهلَها ومَن حلّ فى شِقٍّ من الغرب نازحِ
أعانقُ صدرى فى الخلاء تشوُّقاً لكونهمُ ما بين طىّ الجوانحِ

و بينهما بيت ثالث ذهب من حفظى .

وله فى النسيب أيضاً :

لعلّ فى الظاعنين سارا من كان لى بالعقيق جارَا
إن صح هذا خذوا بذَحْلى من بينهم حَادِىَ المَهَارَى

يقول فيها :

ما بالُ عينىّ منذ بنتمْ لم تطعما للكرى غِرارَا
وما لوردٍ بوجنتيكمْ أنبت فى وجنتى بَهارَا
أيا نديمىّ أخبرانى فإن فيما أرى اعتبارا
أبصرتُما قبلَها قضيباً قد أثمر الليلَ والنهارا ؟
أو وجنةً وهى جسمُ ماء تعود إثرَ الحياء نارا ؟

وله فى الشقائق :

وشقائقٍ لاحت على الأغصانِ مثل الخدود تُزان بالخِيلانِ
/ يهفو النسيم مع الأصائل والضحى فيهز منها مَعْطِفَ النَّشْوان [١٦٣-ا]
فكأنها قُضُبُ الزُّمُرُّدِ ألصقتْ بالمسك فيها أكؤسُ العِقيان

وله فى غصنٍ منوِّر بيد حبشى طلع به وهو فى مجلس أنسه مع ندمائه :

وزنجىٍّ ألمَّ بغصنِ نَوْرٍ وقد زُفَّتْ لنا بنتُ الكرومِ
فقال فتى من الندماء : صِفهُ فقلت : الليل أقبل بالنجوم

وقد أنشدنيهما صاحبُنا أبو على بن سليمان الأمين[1] الشَّرِيشى بمنزلى من حضرة تونس ، قال : أنشدنيهما الأستاذ أبو على عمر بن عبد المجيد الرُّنْدِى[2] بمالقة لأبى عبد الله الرُّصَافى ، وحَكى لى عنه أنه كان بظاهر مالقة مع طائفة من أصحابه على أنسٍ ، فصعد غلامُ أحدهم إلى شجرة لوز منوِّرة فاقتطع غصنا منها وأتاهم به ، فسألوه وَصْفَه فقال بديهاً :

وزنجىٍّ ألمَّ بنَوْرِ لَوْزٍ وفى كاساتنا بنتُ الكرومِ

وما بعده كما تقدم ، إلا أنه قال « من الفتيان » مكان قوله « من الندماء » . وغلط أبو مروان بن صاحب الصلاة الإشبيلى فنسبها فى تاريخه إلى بعض الأمراء ، وزعم أنه قالها فى حبشىٍّ بيده شمعة ؛ ولا يليق هذا التشبيه بذلك .

وتوفى أبو جعفر الوَقَّشِىُّ بمالقة ، صادراً عن مَرّاكش ، فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة[3] .

---

(١) وردت فى الأصل : الأيبى . ولم أعثر على الاسم فى مرجع آخر ، فقومت الكلمة كما ترى فى المتن .

(٢) عمر بن عبد المجيد بن على الأزدى المعروف بالرندى لأن أصله منها ، يكنى أبا على وأبا حفص ، نزيل مالقة . من أكابر فقهاء النصف الثانى من القرن السادس وأوائل السابع الهجريين ، إذ توفى سنة ٦١٦ عن ثلاث وسبعين سنة . انظر ترجمته فى التكملة ، رقم ١٨٢٨ ، ج ٢ ص ٦٥٧ — ٦٥٨ .

(٣) أورد نيكل فى كتابه الآنف الذكر ، ص ٣٢٦ فقرة لا بأس بها عن أبى جعفر الوقشى .

وحدثنى شيخنا أبو الربيع بن سالم أنه اجتاز ببقيع مالقة(١) ، فاستحسن ما رأى من زخرفة القبور به ، واغتراس الأشجار ذات النواوير والأزهار أثناءها ، فتمنى أن يُدفن هنالك فوَفَّتِ الأقدارُ بأمنيته عند موافاة منيته .

وكانت وفاة أبى إسحاق بن حَمُشْك قبله بمكناسة ، فى صفر سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة .

١٥٣ ــ أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومى ، أبو بكر

صحب أبا العباس أحمد بن مَعَدّ الأُقْلِيشِىّ الزاهد ومال إلى طريقته ، وأنفق فى أبواب الخير والمعروف / أموالا جليلة ؛ سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب [١٦٣ـب] وغيره يذكرون ذلك . وكان يُعرف بالعابد ، لكثرة إيثاره وطول صحبته الفقراء ، وإكبابه على الأعمال الصالحة . وداره جزيرة شُقْر(٢) من أعمال بَلَنْسِيَة ، وبيتُه شهيرُ النباهة .

(١) بقيع مالقة هو موضع مقابرها .

(٢) جزيرة شُقْر أو الجزيرة أو شُقْر : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت من مدائن بلنسية (انظر صفة الأندلس للرازى ، رقم ٢١ ص ٧١) ، وهى مدينة على جزيرة فى مصب نهر شُقْر Jucar الذى يسمى وادى شُقْر ، وهو نهر متوسط الطول جنوبى النهر الأبيض (وهو نهر بلنسية المسمى Turia) . وقد أطال العذرى فى جغرافيته وصف ذلك البلد . وكانت شُقْر بلداً زاهراً غنياً ينسب إليه ابن خفاجة الشاعر فيقال له الشُّقْرى والجزيرى . وتسمى اليوم Alcira وهى مركز إدارى فى مديرية بلنسية . وقد سقطت شقر فى يد خايمه الفاتح ملك أرغون سنة ٦٤٠/١٢٤٢ ، وفى سنة ١٦٠٩ كانت مسرحاً لثورة كبرى قام بها الموريسكيون .

انظر : الإدريسى ، ص ١٩٣ . الروض المعطار ، رقم ٩٢ ص ١٠٣ والترجمة الفرنسية ص ١٢٦ ، وقد اختصها زايبولد بمادة صغيرة فى د. م . إ ـ ١/٢٥٥ .

ولما ضعف أمر أبى عبد الله محمد بن سعد بشرق الأندلس ، وانسلخ من طاعته أبو إسحاق بن هَمُشْك صهرُه بجَيّان وما إليها ، ثم ابنُ عمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن سعد بالمَرِيَّة ، واستوحش حتى من نفسه ، أخرج أهلَ بَلَنْسِيَة منها وأسكنهم ظاهرَها ، وشحنها بالروم وأتباعهم . ونوى ذلك فى غيرها ، فخاف أبو بكر بن سفيان هذا أن يخرجه من بلده — وكان فيها متّبعا — فدعا للموحدين أعزهم الله ، وخلع ابن سعد ، ورأس بموضعه ، ومالأ جيرانَه . فأنفذ إليه الرئيسُ أبو الحجاج يوسفُ بنُ سعد قائداً من كبار أصحابه فى جملة من خيله ، ورسم له حصارَه والتضييق عليه ، فبدأ بمنازلته منتصفَ شوال من سنة ست وستين وخمسمائة ، وأقام على ذلك إلى منتصف ذى الحجة ، وابنُ سفيان يقاومه ويقوم بتدبير بلده ، والأمدادُ تتلاحق فى كل حين وتحدق به ، وابنُ سعد وأخوه أبو الحجاج قد اكتنفاه فى الجموع الكثيفة ، حتى خيف من الوهَن . فاقتحم البلد ذو الوزارتين أبو أيوب بن هلال ، مقويا عزائمَ أهله ، وضامناً لهم الاستقلالَ بضبطه ، فتخلى ابنُ سفيان له عنه ، راضياً فى الظاهر متبرماً فى الباطن . وتولى ابنُ هلال من المصابرة فى تلك المحاصرة ، والمحاولة لتلك المصاولة ، ما أبقاه أثراً مشهوراً ، وخبراً تداولته الألسن دهوراً . واعتل ابنُ سعد خلالَ ذلك فلحق بمُرسية ، وألزم أخاه ملازمةَ البلد ، فتنفس الخِناق ، ثم انتعشت بوفاته الأرماق .

ولابن سفيان حظ من النظم قصَره على الزهد ، وهو القائل من أبيات :

كلُّ عطاء فإلى عــــلةٍ لا شك يُفضى ، ولوَجْهِ السَّقَمْ

إلا الذى منك بلا عــلةٍ يا خالقَ العرشِ ومُجرِى القلمْ

كلُّ الورى لابسُ ثوبِ الدجى لولا سناً منك يُجَلِّى الظُّلَمْ

/ وأما ابنُه أبو المطرف محمد ، فقوىُّ العارضة ، مُبين الطبع ، حسن [١٦٤-١] التصرف . وله عن أبيه وسائر أهل بلده — عند اشتداد الحصار وتمادى المضايقة — رسالة حسنة فى الاستصراخ والاستنصار أودعها أبياتاً ، منها :

تداركْ أميرَ المؤمنين دماءنا فإنك للإسلام والدين ناصرُ
ووجِّه إلى استنقاذنا بكتيبةٍ يهابُ الردى منها العدوُّ المحاصرُ
تنفَّسُ من ضيق الخناق بقُطرنا فتُدرَكُ آمالٌ وتُرعَى أواصرُ
إذا ما انكفَى بالخزىِ وارتد خائباً فطامحه عن نَيْلها متقاصرُ
فليت ابن سعدٍ إذ تألَّفَ مانعَتْ فلم تتمخضْ عن قُواهُ العناصرُ
ستُذهب أنوارُ الخلافةِ ظلمَه وتلفِظُهُ بعد الخيول القاصرُ
ويهدم ما قد أسس الكفرُ عندَه كريمُ السَّنَا تثْنِى عليه الخناصرُ
فهذا الذى يبنى المساجدَ أمرُه وأمرُ ابنِ سعدٍ أن تُشادَ المعاصرُ
وذا المَلْكُ آياتُ المثانى تهزُّهُ وذاك بأصوات المثانى البناصرُ
بقيتَ أميرَ المؤمنين مخلَّداً وكلُّ الورى عن كُنْهِ وصفِكَ قاصرُ

وماله عندى ، ولأخويه أبى محمد عبد الله وأبى جعفر أحمد — وكانوا جميعاً أدباء نجباء — فى كتاب « إيماض البرق » من تأليفى مستوفى والحمد لله .

١٥٤ – نفيس بن محمد الرَّبَعى البغدادى ، أبو الفضل – يعرف بابن قُمُّونة

ونسبه صريح فى ربيعة . وقدم على المغرب فتُلُقى بالقبول ، ووُلى الجزيرةَ الخضراء . وكان أديباً فصيحاً ، وهو القائل فى مقتل عمر المعروف بالرشيد سنة أربع وثمانين وخمسمائة :

فلله دَرُّكَ من عادلٍ أقرّ عيونًا وأذكى عيونَا
سطا بالرشيد فكان الرشيدَ ولَوْ فاتَه الحزمُ كان الأميقَا

١٦–ب] / وله :

لولا خيانةُ حَيُّونٍ لقلتُ لكم هو الأمانةُ مما فيه من ثِقَلِ
هو الطويل وفى معروفه قِصَرٌ كأنه ليلُ مشتاقٍ بلا أملِ

١٥٥ – عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد الخزرجى الغرناطى ، أبو القاسم – المعروف بابن الفَرَس

ثار بناحية مَرّاكُش من المغرب واشتملت عليه طوائف من البربر ، ثم غدر به بعضهم ، فقُتل وحُز رأسه وسيق إلى مَرّاكُش ، وذلك فى نحو الستمائة . وهو القائل فى ثورته ، وكان شاعراً مطبوعاً :

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن عَلى تأهبوا لوقوع الحادث الجللِ
أتاكمُ خيرُ قحطانٍ وعالمُها وصاحبُ الوقت والغلّابُ للدولِ

والناسُ طوعُ عصاه وهو قائدهمْ بالأمرِ والنهى نحو العلم والعمل
فبـــادروا أمرَه ، فالله ناصِرُهُ والله خاذلُ أهلِ الزَّيغ والزلل

وهى طويلة .

وله أيضاً :

عسى عطفةٌ من جانبِ القُدسِ تسمحُ وبارقةٌ من جانبِ اللطف تلمَحُ
عسى اللهُ يُدنينى إلى ساحةِ الرضا فأقرع أبوابَ الغيوب فتُفتَحُ
وما زال فضلُ الله يغمر ساحتى ويَظهرُ لى من حيثما أتلمَّحُ
إلى الملإِ الأعلى سمـــوتُ بهمتى كذلك شأن الشَّكلِ للشكلِ يجنَحُ

١٥٦ — محمد بن سيدراى بن عبد الوهاب ابن وزير القيسى ، أبو بكر

كان أبوه أبو محمد سيدراى أميراً بغرب الأندلس فى الفتنة ، وتغلب على أبى القاسم بن قَسِىّ فى شعبان سنة أربعين وخمسمائة ، ثم نظَمتْه الدعوةُ المهدية مع رؤساء الأندلس ، وحضر حصار إشبيلية هو وابن قَسِىّ فى العساكر المحيطة بها مع الأساطيل برًّا وبحراً إلى أن فتحت يوم / الأربعاء الثانى عشر من شعبان [١٦٥-١] سنة إحدى وأربعين ، وفر الملثمون عصرَ ذلك اليوم إلى قَرْمُونَة ، وتخلى أبو محمد المذكور عن شِلْب سنةَ اثنتين وخمسين ، فمُلكتْ مع قلعة مِيرْتُلَة .

وكان من رجالات الأندلس رجاحةً وشهامةً ، وكذلك كان ابنُه أبو بكر

هذا ، وولىَ قصرَ الفتح المنسوب إلى أبى دانِس[1] عند استرجاعه من أيدى

(١) قصر أبى دانس ، حصن فى ناحية « الجوف » فى الأندلس ، ولم أتبين إن كان تابعاً من الناحية الإدارية لكورة الأشبونة أولكورة باجة ، فهو فى منطقة الحدود بينهما ، وهومنسوب إلى بانيه أبى دانس بن عوسجة المصمودى (جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٤٦٦) ذكره فى سياق كلامه عن المصامدة فى الأندلس وقال : « وبنودانس بن عوسجة كانوا أصحاب قُلُنْبِيرة ،وإلى جدهم ينسب قصر أبى دانس فى الجوف» ويسمى الموضع حاليا Alcacer do Sal (بالبرتغالية ، أى قصر الملح) وهو يقع على نهر شَطُوبَر الذى يسمى اليوم Sado وهو نهير صغير يصب فى بحيرة ضحلة صغيرة متصلة بالبحر تسمى اليوم Setúbal ، وقد أعاد الحكم المستنصر بناء الحصن بعد غارة المجوس على غرب الأندلس سنة ٣٥٩/٩٧٠ . وكان لقصر أبى دانس دور عظيم فى العصر الموحدى ، نظراً لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس . وكان بنو وزير – ومعهم المترجم له – من أكابر بيوت هذا الثغر ،وقد سبقت الإشارة إلى جدهم أبى محمد سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القيسى الذى ثار فى يابره وباجة ودخل فى طاعة ابن قَسِى ثم اختلف معه وانتزع منه ميرتلة وبطليوس سنة ٥٤٠/١١٤٦ واشترك معه فى الاستيلاء على إشبيلية من المرابطين سنة ٥٤١/١١٤٧ . وقد اختلف مع الموحدين حينا ، ولكنه – على الجملة – كان من خيرة رجالهم . ويبدو أنه توفى بعد سنة ٥٦٥/١١٧٠ بقليل ، لأننا لا نسمع بعد ذلك إلا عن ابنه أبى بكر محمد المترجم له هنا وأخيه على الذى كان والياً على سِرْبَة Serpa ثم وقع فى أسر البرتغاليين . وفى سنة ٦١٤/١٢١٧ –عندما هاجم البرتغاليون قصر أبى دانس مصممين تصميماً كاملا على الاستيلاء عليه ، لأنه كان يعوق تقدمهم نحو الجنوب – نجد والى الحصن المدافع عنه رجلا من بنى وزير هو عبد الله بن وزير ، ويبدو أنه ابن أبى بكر محمد هذا . وقد استعان البرتغاليون فى الاستيلاء على الحصن بأسطول من الصليبيين الألمان ، ومع ذلك لم يسقط فى أيديهم إلا بعد قتال مرير وحصار طويل فى جمادى الثانية ٦١٤/سبتمبر ١٢١٧ فى يد ألفونسو الثانى ملك البرتغال بعد أن قتل كل أهل القرى حوله . وتظاهر عبد الله بن وزير باعتناق المسيحية لينجو من القتل ثم هرب بعد ذلك . والبلد اليوم مركز إدارى فى مديرية يابرة Evora فى البرتغال ، ويقع فى منتصف المسافة بين باجه Beja والأشبونة ، ولازالت بقية الحصن العربى قائمة فيه .

انظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٩ . وقد اختصه الروض المعطار بمادتين ، رقم ١٤٥ (القصر) ص ١٦١ ورقم ١٤٦ ، ص ١٦٢ (قصر أبى دانس) ، وانظر الترجمة الفرنسية للمادتين ، ص ١٩٣ (وتعليق ٣) وص ١٩٤ و :

A. HUICI MIRANDA, ***op. cit.*** **II, 442-443.**

ودائرة المعارف الإسبانية (إسپاسا كالپ) ج ٤ ص ١٢٠٧ .

الروم فى جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وكانوا قد تغلبوا عليه سنة خمس وخمسين ، وأقام والياً عليه سامىَ الرتبة نامىَ الحظوة ، إلى أن توفى فى صدر المائة السابعة بعد حضوره بوقيعة العِقاب[1] ، وكانت يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة . وهو القائل فى حرب ظهر فيها على الروم :

ولما تلاقينا جرى الطعنُ بيننا ... فمنا ومنهم طائحون عديدُ
وجال غرارُ الهند فينا وفيهمُ ... فمنا ومنهم قائم وحصيدُ
فلا صدرَ إلا فيه صدرُ مثقَّفٍ ... كلانا على حَرِّ الطعانِ جليدُ
ولكنْ شددْنا شدةً فتبلّدوا ... ومن يتبلَّدْ لا يزال يَحيدُ
فولَّوْا وللبيض الرقاقِ بهامهمْ ... صليلٌ وللسُّمر الطوال وُرودُ

وله فى النسيب :

ومرنَّحِ الأعطافِ تحسبُ أنهُ ... متعلِّلٌ أبدًا بصِرْفِ مُدامِهِ
خَنِثِ المحاجرِ والجفونِ كأنما ... يَسرِى فتورُ جفونه لكلامِهِ
فضح الهلالَ بوجهه ولربما ... فضح القضيبَ بلينه وقَوامه
وغدا شقيقَ سميِّه فى حُسنهِ ... وغدا العَنا وقفًا على لُوّامه

وله :

وبِتْنا جميعاً مثل ما لفَّتِ الصَّبا ... قضيبين من نوعين ذاوٍ وناضرِ
فطوراً أمصُّ الشهدَ من جوهر اللَّمَى ... ويا عجباً للشهد بين الجواهرِ
وطوراً عناقاً لا تنفُّسَ بيننا ... ولكن تناجِينا بسرِّ الضمائرِ

---

(١) هى الموقعة المشهورة عند الموضع المعروف اليوم باسم Las Navas de Tolosa بمديرية جيان الحالية على ٥ كيلومترات شمال شرقى لاكارولينا La Carolina ، وكانت فى ١٥ صفر ٦٠٩/١٧ يوليو ١٢١٢ ، وتفاصيلها كثيرة فى مراجعنا .

[١٦٥-ب] /أقول : أما للصبح من متنفَّسٍ ؟ وعنـدىَ أنَّ الليلَ لحةُ ناظر

وله وقد فَصدتْ أم ولده وكانت غالبة عليه :

يا مَن علا[1] فحَلا فى النفس موقعُهُ ومَن هو القلبُ أو فى القلب مرتَعُهُ
لم تملإ الطِّسْتَ لما أنْ فَصَدْتَ دماً وإنما الصَّبُّ ذابتْ فيه أدمعُهُ
فلا تخَفْ بعدَها من حادثٍ نَبأً فاللهُ والفَلكُ الأمورُ يدفعُــــهُ

وما أحسن قول الحسين بن عبد السلام فى هذا المعنى وقد فَصدتْ محبو بته :

ما أنت شاكية حقًا ، أنا الشاكى عافانىَ اللهُ مما بى ، وعافاكِ
حللتِ منى فؤاداً حشوُه لهبٌ فإن حُمِمْتِ فهـذا أصلُ حُمّاكِ
قالوا مَدَدْتِ إلى الحَجَّام جارحةً وموضعُ الفَصْدِ منها عينُ مُضْناكِ
أسال من فضةٍ بيضاء فى ذهبٍ ياقوتةً هى دمعُ المشفِقِ الباكى

ولأبى بكر فى كلب صيد وطئه فرس له حول خبائه فهلك ، وهو من جيد شعره :

يا مجهدَ النفسِ فى إدراكِ مطلوبى ومُسعِدى حين إدلاجى وتأويبى
وحارسى ورداءُ الليـــلِ مشتملٌ من كل مستلبٍ فى زىِّ مسلوبِ
ويا وفيًّا بما خانَ الرجالُ بهِ وراثةً عن مطاويعٍ مناجيب
كنتَ المصيخَ لأمرى والمطيعَ لهُ وإن تعرَّض فيــه كلُّ مرهوب
ففاجأتكَ المنايا حيث تأمنُهــا من طالبٍ لم تفتْهُ عينُ مطلوب
لئن طوتْكَ الليالى طىَّ بُردتِها لقد طوتْ فيكَ أنسى طىَّ مكتوب
وأودعَتْـــنى سرًا من سجيَّتِها بأنَّ رغبــتَها ثُكْلٌ لمرغوب

(١) يمكن أن تقرأ أيضاً : يامن غلا .

فكم غَنِينا وقد رُحنا إلى قنص ببعض حُضْرِكَ عن قرع الظنابيب
/وناب نابُك فى ما كنتَ تفرِسُهُ من الظباء عن الصُّمِّ الأنابيب [١٦٦-١]
قد كنتَ تُولِى الرَّدى مَن حانَ موعدُهُ حتى أتاك لوعدٍ غيرِ مكذوبَ

* * *

ومِمن كان بإفريقية فى آخرِ هذه المائة
من رجال الدعوة المهدية ، خلَّدها الله :

١٥٧ — عمر بن جامع ، أبو على

هو ابن أخى أبى العُلَى إدريس بن أبى إسحاق بن جامع الوزير ، وكان بإفريقية فطال مكثه بها ، وحنَّ إلى بنيه فاستدعاهم من مَرّاكُش وقال فى ذلك شعراً خطه فى رقعة ، ثم نشأت له قبلَ وصولهم غزاةٌ إلى سُلَيْم من العرب ، فقُتل فيها ، ووُجدت الرقعةُ فى جيبه ومن أبياتها :

سقَتْنا بَعدَكم أيدى الفراقِ كؤوساً طعمُها مرُّ المذاقِ
فأضرمتِ الحشا ناراً وأجرَتْ دموعاً تَستهلُّ من المآقى
فلولا النارُ مُتُّ غريقَ دمعٍ ولولا الدمعُ مُتُّ من احتراق
ولكنْ حين حُمَّ النأىُ عنكم وأعلى صوتَه حادِى الرفاق
خَشِيتُ خروجَ قلبِيَ من ضلوعى وخِفتُ بلوغَ نفسِيَ للتراقى
ولكن لا احتكامَ على الليالى وهل مما قضاه اللهُ واقِ ؟

١٥٨ – عبد الواحد بن عبد الله ، أبو محمد المعروف بوامَجُّور(١)

وَلِيَ تونس ، وكان شهماً صارماً سفاكاً للدماء ، ونُكِب بعد محاصرة قَفْصَة والظفر بها وبالثائرين فيها بدعوة عليّ بن غانِيَة ، وذلك سنةَ ثلاث وثمانين وخمسمائة(٢) ، ومات بنواحي بِجَاية في طريقه إلى المغرب مسخوطاً عليه . ويُنسَب إليه أنه قال في محبِسه :

نَصحتُ فلم أفلحْ ، وخانوا فأفلحوا فأنزلَني نُصحي بدار هوانِ
[١٦٦–ب] /فإن عشتُ لم أنصحْ وإن متُّ فالعنوا ذوي النصحِ من بَعدي بكلِّ لسانِ

وهذا عندي كما يُنسب إلى أبي بكر بن إبراهيم المَسُّوفِي المعروف بابن تافَلْوِيت(٣) — والي سرقسطة في صدر هذه المائةِ سنةَ ثمانٍ ، والمتوفى بها في رجب

---

(١) ورد الاسم في الأصل : وا بحور ، دون نقط . وقد صوبت الاسم بحسب ما ورد في كتاب أخبار المهدي لأبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق ، وقد ورد هناك : أبو محمد عبد الواحد بن وَمَتِّجُور الهنتاتي ، وكان من الطبقة الثانية من الموحدين المعروفين بأهل خمسين أو أيت خمسين (انظر ص ٣٥ من النص و٥٣ من الترجمة الفرنسية) . وورد الاسم في الجزء الرابع من البيان المغرب لابن عذاري (ص ١٠١) : أبو محمد بن واسجور ، وانظر الترجمة الإسبانية بقلم أويثي ميراندا (ج ١ ص ١١٨ وتعليق ٢) . أما ابن الأثير فيذكره باسم عبد الواحد ابن عبد الله الهنتاني .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في الجزء الرابع من البيان المغرب لابن عذاري ، ص ١٠٩ وما يليها .

(٣) هو أبو بكر بن إبراهيم ، الأمير أبو يحيى المسوفي المعروف بالصحراوي . ترجم له ابن الخطيب ترجمة واسعة وذكر أنه كان صهر علي بن يوسف ، زوج أخته ، ولم تفصح =

سنة إحدى عشرة منها — أنه قال فى سيفٍ ، ووقفتُ على ذلك من وجوه :

هززتُ حُســـامًا فشبَّهتهُ   غديراً من الماء لـكن جَمَدْ
ومهما بدا لى منه فِرِنْدٌ   لهيباً من النار لـكن خَمَدْ
فلولا الجمودُ ولولا الخمودُ   لسالَ لدى الهزِّ أو لاتَّقَدْ

وكما يُنسب أيضاً إلى يحيى بن إسحاق بن غانيةَ المَسْوفِى أنه قال :

وإذا تجيشُ النفسُ قلتُ لها : قِرِى   موتٌ يريحُكِ أو ركوبُ المنبرِ
ما قد قُضِى لا بد أن تَلْقَيْنَهُ   ولكِ الأمانُ من الذى لم يُقدَرِ

وهذا الشعر الأخير إنما هو لأبى الحسن التِّهامى ، وهو موجود فى ديوانه ، والذى قبله يُروى لابن المعتز ولغيره . والظاهر أنهم يتمثلون بمـا يحفظون فيتوهم سامعُهم أن ذلك لهم ، وإلا فرفعةُ الحال تنزههم عن الانتحال ، ولو أنى اجتنبتُ ما اجتلبتُ من هذا وشِبهه لأوجدتُ للمعترض سبيلا إلى المقال .

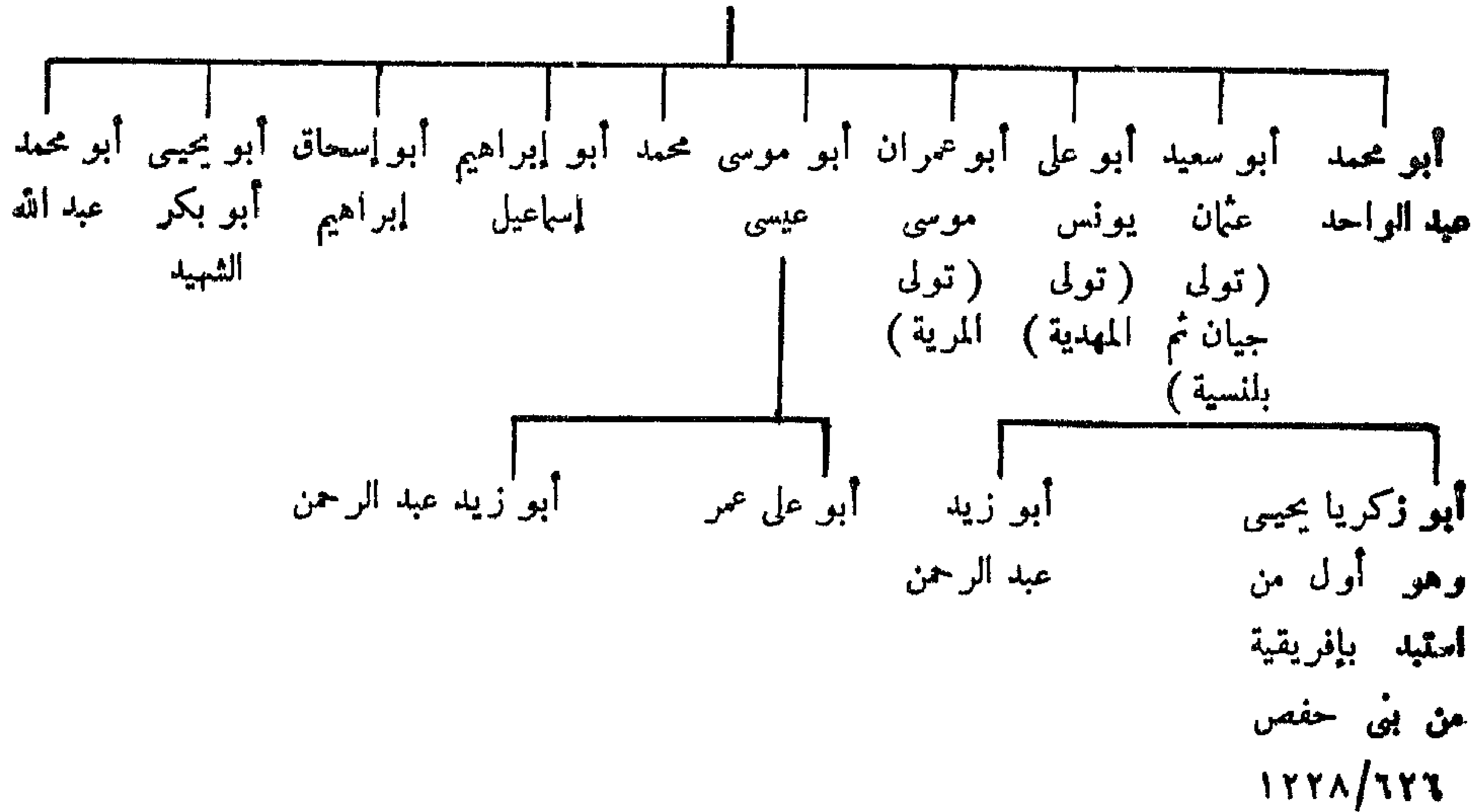
= المراجع عن اسم هذه الأخت . وذكر ابن الخطيب أصله وسبب تسميته بالصحراوى واتصاله بعلى بن يوسف . وقد تولى غرناطة سنة ٥٠٠ ثم سرقسطة بعد ذلك ، وهناك صحبه أبو بكر محمد ابن الصائغ الفيلسوف المعروف بابن باجة ، وتوفى فى سرقسطة سنة ٥١٠ .

انظر : الإحاطة (بتحقيق محمد عبد الله عنان) ١/٤١٢ وما بعدها .

المائة السابعة

نبدأ بالذين يُبدأ بهم الذكر الجميل أو يُختم ، ومن منثور حِكمهم ومنظومها يُنثر فى أوصافهم ويُنظم ، أهل البيت المبارك الحَفْصِىّ[1] ، المستولى بأدنى السعى على الأمد القَصِىّ ، بيتِ الخلافة السعيدة ، والإمارة التليدة ، ذاتِ الحاتد

(١) إليك جزءاً من شجرة نسب الحفصيين ، بينا فيه الظاهرين من أوائل رجال هذا البيت وتسلسل نسب من ترجم لهم ابن الأبار فى الحلة السيراء منهم :



انظر الجداول الكاملة لنسب الحفصيين فى نهاية الجزء الثانى من كتاب :

ROBERT BRUNSCHWIG, *La Berbérie Orientale sous les Hafsides*, Paris 1947.

الظاهرة والمحامد المتظاهرة ، لازالت مِنحُها صوراً مجلوة ، ومدحها سورا متلوة ، فأوّلهم وأولاهم بالتقديم للاشتراك فى شرف الأبوة والانفراد بكرم الأُخُوّة :

١٥٩ — أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ المجاهد المقدّس أبي محمد

[١٦-١] /وَلِىَ بعد أبيه رضوان الله عليه إفريقيةَ فى غرة المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة وإثْرَ دفنه فى اليوم الذى توفى فيه ، وذلك ضحى يوم الخميس منسلَخ شهر ذى الحجة من السنة قبلَها ، فكان له الأثر الحميد والصيت البعيد[1] ، وبلغ فى السماح والبأس ما ليس عليه مزيد ، ثم صُرف وانتقل إلى المغرب ، ووَلِىَ بَطَلْيَوْس وثغورَها بالأندلس ، ولحق بمرّاكُش بعد ذلك ، فاستُشهد هنالك سنة خمس وعشرين وستمائة . وهو القائل من قصيدة فى شكاية أصابت أباه ، لا زال صوب الغمام يسقى ثراه :

يا دهرُ مالَكَ ضاحكاً وعَبوسا أتُعيرُنا بعدَ النعيم البُوسا ؟
ولقد عهِدتُكَ ضاحكاً متهللا تُهدى القَبولَ وتبذلُ التأنيسا
أتُراكَ تجزع من شكايةِ ماجدٍ أضحى لزُهْرِ النيّرات جليسا ؟
مَلِكٌ تدرّع من عنايةِ رَبّهِ دِرعاً غدتْ للعالمين لَبُوسا
لو جاءه عيسى بزِىٍّ معالجٍ قَصداً لأَلْفَمَ بالتوكُّلِ عيسى
ساس الزمانَ فكان من عُبْدانِهِ والصعبُ منقادٌ إذا ما سِيسا

---

(١) الأصل : الحميد ، وهو وهم من الناسخ ، إذ تستبعد سجعتان بنفس اللفظ .

ناهيك من متبرِّعٍ متورِّعٍ كسرَ الصليبَ وأفحَمَ الناقوسا
مَلِكٌ حمى إفريقْيَةً وذِمارَها لما غدَا ليثاً وتونِس خِيسا(١)
لا يرتضى العَضْبَ المهنَّدَ خادماً إلا إذا اقتحم الكماةُ وَطِيسا
فإليه تستبق الجوارى شُرَّعاً وإليه تحثُّ الحُداةُ العِيسا

وله أيضاً من قصيدة :

هل المجدُ إلا ما تجرُّ العزائمُ ؟ وإن رِيعَ يوماً فالسيوفُ تمائمُ
وإن لاحَ من وجهِ الزمانِ تجهمٌ فوجهُك وضاحٌ وثغرُكَ باسمُ

ومنها :

سأفرى أديم الأرض فى طلب العلا وأركب عزماً لم تقُدْه العزائمُ
/ وأخطبُ آمالى بما هو مَطلبى ولو منعتْنى الفاتكاتُ الصوارمُ [١٦٧-ب]
وحسبىَ عَضْبٌ صادقُ العزمِ صارمٌ ألدُّ إذا كان الزمانُ يخاصمُ
أشيمُ به البرقَ اليمانىَّ مَوْهِناً وأهدِى به السارين والليلُ عاتمُ

وله أيضاً :

أيا حَمَامُ هل لك من ضلوعى زفيرٌ أو لك الدمعُ السَّفوحُ
فقد أشبهتَنى ماءً وناراً وهيهاتَ المعنَّى والسريحُ

---

(١) الخيس عرين الأسد ؛ هذا ويلاحظ أن الوزن يقتضى أن يُنطَق لفظ « إفريقية » الوارد فى الأصل هكذا : « إفرِقْيَةً » ، إلا إذا افترضنا قراءته « إفْرِيقِيا » .

١٦٠ – أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ المكرّم أبى موسى

كان بقرطبة فى إيالة عمه الشيخ المكرّم أبى العباس ، وبعد ذلك صار إلى مَرّاكُش عند انبعاث الفتنة المبيرة بالمغرب ، فهلك هنالك ؛ وكان لِدَةَ أخيه المذكور بعدَه ، وُلِدا جميعاً سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وهو القائل فى وسيم شاكٍ السلاح ، وأجاد ما أراد :

يكفيك يا مُعتقِلَ السَّمْهَرِى ما نالنا من طَرْفِكَ الأحوَرِ
إن كنتَ من جُندك فى قِلةٍ فأنت من لَحْظك فى عسكرِ

١٦١ – أخوه أبو على عمر

وَلِىَ بالأندلس جَيّان وغيرَها ، وكان فى سنتى ثمان عشرة وتسع عشرة وستمائة على خيل بَلَنْسِيَة ، فى إيالة عمه الشيخ المكرّم أبى سعيد رِضوان الله على جميعهم ، ثم وَلِىَ فى هذه الدولة المباركة ، التى بها انتصار الإسلام وافتخار الأيام ، مدينةَ بِجَاية وقتاً ، وهو على قاعدة المهدية من شهر الله الأصم رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة إلى وقتنا هذا ، وهو شهر الله المحرم من سنة ست وأربعين .

وفى شهر ولايته ، ثم فى يوم الخميس الثانى منه كانت البيعة المباركة بولاية العهد الكريم لمولانا الأمير الأجل الأسعد المبارك الأرضَى الأمجد أبى يحيى أيد الله مَقامه ، وقصَر على نظم الفتوح ونثر المنوح طَعْنه ومُقامه . وكان لأبى علىّ هذا ، وَصَل الله علاءه / فى ذلك اليوم الأعز الأغر مقام محمود ومقال محمول . [١٦٨–١]

ولعَبْدِهم(١) ، المقتصرِ على خدمة مجدهم ، بما لا يقصِّر فيه من تحبير مدحهم ، وتحرير حمدهم ، كلمةٌ إذ ذاك يرجو لأن يتجددَ له بها قبولٌ ، ويسعدَ مأمول بمأمول ، أولها :

أشاد بها الداعى المُهيبُ إلى الرُّشدِ فهبَّ لها أهلُ السعادة بالخُلْدِ
ولايةُ عهدٍ أنجز الحقُّ وعدَهُ بتقليدها مِن أهله الصادقَ الوعدِ
وبيعةُ رضوانٍ تبلَّجَ صُبحُها عن القمر الوضّاح فى أفُقِ المجد
تجلَّتْ ، وجلَّتْ عِزةً فليومِها من الدهر تفويفُ الطِّراز من البُرْد
وحلَّت بسعدِ الأسعُدِ الشمسُ عندَها فأيَّد فى أثنائها السعدُ بالسعد
ولما أتت بين التهـــانى فريدةً تخيَّرَها التوفيقُ فى رجَبِ الفرد

ومنها :

أبَى الدينُ والدنيا وُلاةً سوى بنى أبى حفصٍ الأقمارِ والسُّحْبِ والأسْدِ
وإن ضايقَتْ فيها الملوكَ وعدَّدتْ مناقبَ تَحكى الشُّهبَ فى الظُّلَمِ الرُّبْدِ
فإنّ كتابَ الله يَفضُلُ كلَّهُ وقد فضَلَتْه [بينها] سورةُ الحمدِ
وفى شجَرات الروضِ طِيبٌ معطِّرٌ صَباهُ وللأُتْرُجِّ ما ليس للرَّنْدِ
وكلُّ سلاحِ الحربِ بادٍ غَناؤه ولكنْ لمعنًى أوثرَ الصارمُ الهندى
على زكريَّاء بن يحيى التقى الرِّضا كما التقتِ الأنداء صُبحاً على الوردِ
على المرتضَى بنِ المرتضَى فى أرومةٍ نَمَتْ صُعُداً بالنَّجْلِ والأبِ والجَدِّ
على المكتفِى والمقتفِى نهجَ قصْدِه ومُشْبِهِهِ فى البأسِ والجودِ والجِدِّ

---

(١) الأصل : ولسعدهم ، والصحيح ما أثبتناه . وابن الأبار يريد هنا نفسه ، والشعر من نظمه . وانظر مولر : ص ٣٢٥ .

وشعر أبي عليّ ، أعزه الله ، كثير . وقد وقفتُ على ديوانه ، وسمعتُ منه غير قصيدة وقطعة بلفظه ، ومن ذلك كلمةٌ بعث بها إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
[١٦٨-ب] صحبة الحاج أبي بكر بن العربي / الإشبيلي أوّلُها — وأنشدني جميعَها :

أصبحَ من صبره على أملٍ قُسِّم بين الوجود والعــدمِ (١)
إليك ألقي بعُــذر محتشمٍ مرتحلِ القلبِ ساكنِ القدمِ (٢)
يُتبِعُ ركبَ الهوى إليك أسًى ما شاء من حسرةٍ ومن ندمِ
برَّح شــوقٌ به إليك فما ينفكُّ — ما لم يزُرْكَ — في ضَرَمِ
ألوَى به عن بلوغ نيتــه حكمُ زمانٍ عليــه محتكمِ
فعزمةٌ تلتوي عــلى عقبٍ وهمــةٌ ترتمي إلى أَمَمِ

ومنها :

يا خيرَ من تُعمَل المطيُّ له عُذرِيَ في اللبثِ غيرُ متَّهَمِ
عبدُك لو يستطيع جاب إليـ ـكَ القفرَ في غيهبٍ من الظُّلَمِ
يمسح (٣) ما بين خمصَ منـه إلى يَثرِبَ مَرًّا بوَجنــةٍ وفَمِ
ولي ذنوبٌ وَقَصْنَنِي ثِقَــلاً لولا أذى ثِقْلِهن لم أقُمِ
يرجوك يا شافعَ البريةِ أن تشـــفع فيها لِبَارِئِ النَّسَمِ
عسى قَبولٌ لديكَ يُلحِقُني بقـــبرك المستنير والحرَمِ
وصاحبيك اللذين خصَّهما بنعمة القرب منك ذو النعمِ
فقد توسَّلتُ بالذي لك عنـ ـدَ الله من رفعةٍ ومن عِظَمِ

(١) إلى يمين هذا البيت حرف « خ » وإلى يساره حرف « ق » .

(٢) إلى يمين هذا البيت حرف « ق » وإلى يساره حرف « ق » .

(٣) الأصل : يسمح .

صلى عليـــه الإله ما اتصفتْ أوصافُه بالجلال والكرمِ

وله فى وصف سيف :

يسيلُ إذا ما سُلَّ ماءً ويلتظى لهيباً على الإتلاف يأتلفانِ

كأنْ جدولاً مستقبِلا شفَق الدجى فلا يَقَقٌ منـه الحُباب وقانِ

وله فى صِنَاب[1] أهدى إليه وألغز بوصفه من أبيات :

بعثتَ بما يُشتهَى يا ابنَ عمٍّ فدُمتَ ، ودامت عليك النِّعمْ

بأبيضَ كالمَخْضِ لـكنهُ به شِـــدةٌ تستثير القرَمْ

طَفاوَتُه تحتهـــا لجـــةٌ بلا ضَرَمٍ دهرَها تضطرمْ

كثيرُ الحرافةِ مستعـــذَبٌ عليها والمِلح فَضـــلٌ عُلِمْ

لسَـــوْرته سطوةٌ بالأنوف وليس لَعَمْرُك مما يُشَمْ

شفاءٌ ولـكنَّ نِعمَ الشفاء لمن ظل يشكو بداء البَشَمْ

وقد يجـتزى الجَفَلى باليسيـ ـرِ منـــه وليس لأمرٍ يُذَمّْ

وكتب إلىّ مع تمر أهداه ، حرس الله سنَاه وسنّاه :

أتتْك خليقاتٍ بحُسن الخلائق بها غُنيةٌ عن كل ما فى الحدائقِ

سليلاتِ جبار حكى وسْطَ دوحِه خوافقَ بالمُرّان فوق الفيالقِ

حواملَ لم تُعلَم مواقيتُ حَمْلها ولا حُمِّلت من فَمٍ حُكْمَ طالق

تجود إذا ما الجَوْدُ عَمَّ بعزِّه وسحَّ من الخضراء سَحٌّ بوَادِقِ

ممنَّعةٍ فى سامقٍ ما ارتقت لها بنانٌ ولا بانت بها يدُ سارقِ

---

(١) الصِّناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب وهو صباغ يؤتدم به ، والمِصْنَب المولع بأكل الصناب (اللسان ٢/١٩) . والمراد بالصباغ هنا ما نسميه فى اللغة الجارية صَلْصَة = sauce

عثا كِلُها مِثلُ الشُّذور تذلَّلتْ بسالفةِ الغَيداء أو كالقراطِقِ
فلِلنَّضرِ منها حُسن لونٍ لناظرٍ وللزَّهْوِ منها طيبُ طعمٍ لذائقِ
كأنَّ بما تُبدى وتُضمر أنسبَتْ شمائلُها من مؤمنٍ ومنافقِ
لها جسمُ أوّاهٍ شحوباً ومن نوًى فؤادٌ حَكى من قسوةٍ قلبَ فاسقِ
وما ضَرَّها إذ قد أباحت لطاعمٍ حلاوتَها ألا تفوحَ لناشقِ

ومنها :

فصفحاً عن المُهدِى ومُهدًى ورُقعةٍ أتتك بعجزٍ لا بإعجازِ خارقِ
[١٦٩-ب] / ويرمِى إذا يرمِى القوافى بصائبٍ من الفكر لم يُصْحَب[١] بفُوقٍ موافقِ
وقد كان يُصمِى حين يرمِى كأنما له خاطرٌ أفكارُه من جُلاهِقِ
سرى دهره فى نشره فتفرقتْ شبيبتُه إذ لاح شَيبُ المفارق

فراجعته بأبيات منها :

أمولاى حقُّ العبدِ تقريرُ عُذرِه إذا هو لم يَلْقَ الحقوقَ بلائقِ
مَنائحُ أسْدتَها مَناحٍ كريمةٌ تُفَوِّف للأحداقِ مثلَ الحدائقِ
وتِبْرِيَّةُ الأكمامِ شَهْدِيَّةُ الجَنَى حلَت وتحلَّت زاكياتِ الخلائق
لها عَجَمٌ فى العُرب ولَّد مُنْجِبا وحسْبُك منها بالسَّوامى السَّوامقِ
كأنّ بأعلاها إذا احمرَّ بُسْرُها مشاعلَ تَهدى فى الدجى كلَّ طارقِ
كأنَّ بها الماذِىَّ يَجْمُد تارةً ويَقْطُر من راقى المكانةِ رائقِ
كأنَّ الذى تُهديه من تمرها اغتذى بريقـةِ مومُوق ورقةِ وامقِ

---

(١) الأصل : يبحث .

مَننتَ بها منثورةً وشفعتَها بمنظومةٍ كالعِقد فى نحر عاتقِ
من الـكَلِم اللائى انتمين إلى العلا وشرَّفن بالتسديد بِيضَ المهارقِ

فـكتب مجاوباً وللتشريف المنيف واهباً :

أتتْ نخبا من نورها نورُ شارقٍ ولاحتْ فلم يُلمَحْ وميضٌ لبارقِ
وجاءتْ موَشّاةً من أقلامك التى بريقَتِها راقت صِفاحُ المهارقِ
فما شئتَ من لفظٍ لمعناه حافظٍ وخَطٍّ له حَظٌّ من الحُسن فائقِ
فروضُ بنانٍ فاتنٌ حُسنُ زَهرِهِ وروضُ بيانٍ مثمرٌ بالحقائقِ
جَلوتَهما فى رُقعةٍ فأرتْ لنا محلَّ مُحلاّةٍ وأوراقَ رائقِ
/وكالخمر إطراباً ولـكنَّ سُـكرَها تحوّلَ شـكراً للمُدير الموافقِ [١٧٠-١]
كأنَّ بريقَ الحِبر فى صفَحاتها يُريقُ على رَأْدِ الضُّحَى رِيقَ عاشقِ
غدتْ باحوِرارٍ تستبى كلَّ مقلةٍ وتُغرِى بتبريحِ الهوى كلَّ رامقِ
تميسُ بريحِ الُحسنِ زَهوًا سطورُها كما ماس خُوطُ البانِ وسْطَ الحدائقِ
من اللؤلؤ المنظوم لفظاً تعطلتْ بلألائه لألاءُ دُرٍّ المخانقِ
تبدَّتْ فأسلَتْ عن هوًى كلَّ عاشقٍ وأغرى بصمتٍ قولُها كلَّ ناطقِ
مطرزةٌ ما البُرد منها وإنها لمثلُه وما سَبْقُ المصور بلائقِ
لها نغْمةٌ تُهدَى بها أكؤسُ الطِّلا وتُحدَى المَهارَى بين ساقٍ وسائقِ
كأن بها ناراً تَشَعْشَعُ للقِرَى فيمشو إليها كلُّ سارٍ وطارقِ
أهبتُ بها سرًّا فلبَّتْ مجيبةً بهِزَّةِ معشوقٍ وطاعةِ عاشقٍ

فجاءت كما شاءت وشئتَ مقيمةً وخافقةً بالُحسن فى كلِّ خافقِ
وجئت بهذى مثل هادٍ وصائدٍ وقد شاف أطلالَ العُقاب[1] بباشقِ
ومَن يقتحمْ ما لا يُطيق اقتحامَه يُلاقِ الذى بالحُرِّ ليس بلائقِ

فكتبت إليه ممتدحاً [... ...][2] ثناء مستمنحاً :

لمَن كَلِمٌ كاللؤلؤ المتناسقِ لها فضلُ موصوفاتِهن البواسقِ ؟
نفائسُ كالأعلاق تجتذب النُّهَى لفتنتها من حُسنها بعلائقِ
جلائلُ ألفاظٍ إذا ما قرأتَها قَرَيْتَ مَعيناً من معانٍ دقائقِ
يجيشُ بها بحرٌ من العلم والندى حبَا كلَّ أفْق من حُلاه بفائقِ
مَلاكيَّةٌ سيقتْ لتشريف سوقةٍ وحسْبُ الأمانى من مسوقٍ وسائقِ
[١٧٠-ب] / مطهرةُ الأعراق ليس لمَعبَدٍ بأبياتها شــدوٌ ولا لمُخارقِ
نَمتْها المعالى والهدايةُ والتُّقَى فجاءت لعاداتِ القريض بخارقِ
ألا بأبِى منها هَــدِىٌّ بلاغةٍ تُناغى المَهَى محجوبةً فى المَهارقِ
شقيقةُ روضِ الحَزْنِ باكَرَهُ الحَيَا فحيَّا بِغَضَّىْ نرجسٍ وشقائقِ
أطالعُ من قرطاسها كلَّ غاربٍ محاسنَ تلقانى بطلعةِ شارقِ
وألثم من أسطارها كلَّ فاتنٍ بما يَجتَلى من رَقْمها كلُّ رامقِ
وُلوعاً بيُمْنَى نَمْنَمَتْها حديقــةً تزهِّد أحداقَ الورى فى الحدائقِ
كأنى منها فى نسيمِ نوافحٍ تهبُّ أصيلاً أو شميمِ نوافقِ[3]
تدانتْ رحيباً شأوُها وتباعدتْ فضاق نطاقاً عندها كلُّ ناطقِ

---

(١) الأصل : أطلال العِقاب .

(٢) بياض فى الأصل . وقد وردت العبارة السابقة للبياض : فكتبت إلى ممتدحا ، فقومتها للسياق .

(٣) نوافق جمع نافقة ، وهى وعاء المسك (اللسان : ١٢/٢٣٨) .

رشفتُ بها مثلَ الثغور عذوبةً فأقصرتُ عن ذكر العُذَيْبِ وبارقِ
وملتُ إليها والفصاحةُ مِلؤها صحيفة ضخمِ السَّرْوِ ضخمِ السُّرادقِ
يشقِّق أطرافَ الكلامِ لسانُهُ فيَثْنِي الفحولَ اللُّسْنَ خُرْسَ الشَّقاشِقِ
وقورٌ فإن هزَّته نَغْمةُ صادحٍ رأيتَ قضيباً منه أثناءَ شاهقِ
سما بأبيه حين سمَّوْه باسمه فللّه من سامى المراتبِ سامقِ
ميمِّمُ مرضاةِ الإمامِ بسيفهِ ومُوضِحُ خافى الهَدْىِ فى كلِّ خافقِ
سَمِيُّ الذى استسقى بعم نبيهِ فأخمد بردُ الوَدْقِ حَرَّ الوَدائقِ
ووافق فى عهد الرسالة ربَّه وناهيك من توفيقِ ذاك المُوافقِ
من الصفوة الأبرار صيغوا وصُوروا لموتِ أعادٍ أو حياةِ أصادقِ
إذا حقَّ أو حاق اضطهادٌ بأمةٍ تخلصَها منهم حماةُ الحقائقِ
/أمولاى إغضاءً فللفكر نَبوةٌ ولا نَبْوَ إلا لاعتراض العوائق[1] [١٧١ - ا]
على أنها الغاياتُ أعيا لحاقُها فلا سبْقَ فيها للوجيه ولاحِقِ
إلى العجز يلوِى بعد لأيٍ عِنانَهُ وإن عُدَّ صدراً فى العِتاق السوابقِ
وأنَّى لمثلى أن يُساوقَ مثلَها وما فى البرايا مِن مُساوٍ مُساوِقِ
ولكننى فيها على نهْجِ خدمةٍ لأنعَمَ من أرفاقها بمَرافقِ
سلامٌ عليها ساحةً موْلويَّةً تُلِمُّ لُهاهَا البيضِ غيرُ مُفارقِ
تجود بوضع الدَّين من سعة الندَى وتضرب صفحاً عن تقاضى المَضايقِ

(١) الأصل : * ولا نبا إلا اعتراضَ العوائق *
وهو مكسور ، فقومته على هذه الصورة . والنَّبْو مصدر من نبا (اللسان : ١٧٢/٢) .

فراجع مشرّفاً عنها بقصيدة مباركة ، منها :

أتت كثرةً كالجحفلِ المتضايق وقد سال منها كلُّ شِعْبٍ وشاهقِ
وفاض على شُهْبِ المَهارق سَيْبُها كما فاض بعد الفجر نورُ المشارقِ
كأنَّ بصيصَ الحِبر فوقَ اسودادِهِ مذابُ زجاجٍ إثمدىٍّ المآقِ
جرى فوقه دهْنٌ تخطَّتْ بما جرى وما ذاب فى القِرطاس أقلامُ ماشقِ
ولا عيبَ فيه غير أن رُقومَهُ تلوح احوراراً فى لحاظ المَهارقِ
وتبلغ سِرَّ العاشقين ولم يغِبْ رقيبٌ فيَشْقَى من تنعم عاشقِ
غدت كغصون الشوك شُعثاً سطورُهُ وفى ضِمنها ما ضم زَهرُ الحدائقِ
وما هى إلا معجزاتٌ تظاهرتْ لتعجيز ذى دعوى وتصديق صادقِ
أتيتَ بما لا يُستطاع تحدياً وجئتَ ببــــدعٍ للعوائد خارقِ
فتُبنا من الدعوى ولا من معاندٍ وثُبنا لإيمانٍ وما من منافقِ

وله أعزه الله وكتب إلىّ به ملتزما فيه ما لا يلزم :

[١٧١-ب] / أنفذتُ نظمى قبلَ تنقيحٍ لهُ فثوَتْ به أُذْنى مَلِيًّا تُعرَكُ
وأخو البديهة ليس يخلو قولُهُ مما يعَوَّضُ عنــه أو يستدرَكُ
وأصحُّ حالٍ فيــه ما رَوَّيتُه ورأيتُ وقتاً(١) فيه وقتاً يشركُ
فلئن كففتُ عن القريض فصالحٌ ولئن تركتُ الـكفَّ عنه لأُترَكُ
وأرى الإصابةَ كالهَدِىِّ وروحَها طوراً تهيم به وطوراً تُفرَكُ
إنــ البديع لمُدْرَكٌ لــكنهُ مع ذاك ما فى كلِّ وقتٍ يُدرَكُ

---

(١) الأصل : ورابت وقتا .

وله فى حلواء :

خذها إليـك شقيقةً لسجيةٍ ... لك طالما سرّت فِراق فَريقِها

تتحلب الأفواهُ عنـد مَذاقها ... طيباً تحلّبَها لرشفِ رحيقِها

وافتْكَ فى أفق الخِوان وقد حكتْ ... للشمس عنـد غروبهـا وشروقها

تُعزَى إلى عذب المُجاجةِ مثلما ... نَفثَ البلاغةَ قائمٌ بحقوقها

من كل خافقة الجناح لتجتنى ... زهرَ الخمائل من أعالى نِيقِها[1]

تَنمِى لآلِ الوحيِ آيةُ سِنْخِها[2] ... فتُسَلِّم اللَّهَوَاتُ[3] فى تصديقها

لا غروَ فى بشرِ الطباع لوَقْدِها ... فالنفسُ تأنسُ بالتماحِ رفيقها

وترقُّ إذ يُشْدَى لها بنسيمها ... كالنحل تلهجُ إذ يُجاء بريقها

وله من أبيات فى المُجَبَّنات[4] :

وربَّ زائرةٍ معسولةِ الخُلُقِ ... تُعزَى لزَهر الرُّبى والوابل الغَدِقِ

جاءت وفصل الربيع الطلق يحفزها ... كالطيف يطرق من أغفى على قلق

حمرةَ اللونِ والفضلُ المبينُ لها ... على الغزالةِ إذ تبدو على الأفق

كأنهـــا هى إلا أن بينهما ... ما بين محضِ النعيم العذبِ والحَرَق

(١) النيق أرفع موضع فى الجبل ، والجمع أنياق ونيوق (اللسان : ١٢/٢٤٢) .

(٢) الأصل : سَنْخِها ، ولا يستقيم به المعنى هنا . والأصح سِنْخ بكسر السين ، وهو الأصل من كل شىء ، والجمع أسناخ وسنوخ (اللسان : ٤/٥٠٤) .

(٣) الأصل : « فتسلم اللهو إلىّ فى تصديقها » وهو وهم من الناسخ ، والصواب ما أثبتناه . ولهوات جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق (اللسان : ٢٠/١٢٩) .

(٤) فى الأصل : المجنبات ، والصواب المجبنات وهى فطائر معروفة فى الأندلس ، كانت تصنع بالجبن وقد يضاف إليها العسل أولا يضاف .

[١٧٢-١] /كأنها وبنان القوم يغمزُها[١] بدر تشقّق عنـــه حمرةُ الشفق

وهؤلاء خاتمة الشعراء من الأمراء وأبنائهم ،
على الشرط الذى لا يسوغ معنى التزامه لفظ أسمائهم[٢] .

ولو نُسئت بالأندلس إيالةُ الإسلام لنُسقت على العادة محاسن الـكلام . ولـكنْ فى هذه المائة الأخيرة ، أدرك مرامَهم الرومُ فى الجزيرة ، واستحكمت إبارتُهم لها بحكم الفتنة المبيرة ، حتى ملـكوها وجزائرَها بين الصلح والعنوة ، وغايةُ أهلها إلى هذه الغاية أن يتساقطوا على العُدْوَة ، وكل منهم مفلت بجُرَيْعَـة الذَّقن ومسلِّم لعدوه الـكافر محبوبَ الوطن .

كم تركوا من جَنَّاتٍ يدوسون غلالَها ، وديارٍ يجوسون خلالَها ، وعيونٍ يُفجِّر تفويرُها العيونَ دماً ، وزروعٍ ماعدا وُجودُها أن عاد عَدَماً ، ثم لا انتصارَ بغير العبرات ، ولا اقتصارَ إلا على الزفرات والحسرات ، ولم يبق الآن إلا إشبيلية ، أمُّ القواعد والمدائن ، ومَأمُّ الركائب والسَّفائن ، وقد أشْفَتْ على الذهاب ، واستوفت [على الخراب ، ......][٣] فى حسن المصابرة ، ورزؤها خاتم الأرزاء ، وثُـكلها الدافع فى صدر العزاء ، نعوذ بالله من بأسه وتنكيله ، ونعود إلى ما كنا بسبيله :

---

(١) لم يرد فى الأصل من هذه الكلمة إلا آخرها : « ها » .

(٢) وردت هذه العبارة هكذا ، وهى قلقة غير واضحة المعنى ، إلا أن يكون ابن الأبار قد تكلفها على هذا النحو طلباً للسجع . ومن الملاحظ أنه يجيد إذا أرسل نفسه على سجيتها ، وأرسل النثر إرسالا سهلا ، فإذا تكلف السجع والتزم حلية اللفظ أغرب وفاتته الإجادة .

(٣) أكملت جزءاً من العبارة التى أسقطها الناسخ بمجاراة السجعة التى وقف عندها ، ولم أستطع إكمال الباقى .

١٦٢ – إبراهيم بن إدريس بن أبى إسحاق ابن جامع ، أبو إسحاق

وَلِىَ سَبْتَة إلى أشغال[١] بحرها فى آخر وزارة أخيه أبى الحسن على بن أبى العلا وأول الفتنة المنبعثة صدرَ سنة إحدى وعشرين[٢] ، وفى ذلك العام صُرفا جميعاً وقُتل علىّ منهما بجزيرة طَرِيف فى رمضان سنة ست وعشرين ، وتوفى إبراهيم فيما أحسب قبل ذلك ، وكان فى بيته المخصوص بالوزارة موصوفاً بحسن الإدارة ، على أن جميعَهم لأشتات السَّرْو جامع ، وما منهم إلا لَه حِلْم أصمُّ وجود

(١) الأصل : استوال بحرها ، وقد قرأها مولر (ص ٣٣٨) : استعمال بحرها ، والصواب أشغال بحرها ، والمراد الشؤون المالية والإدارية الخاصة بأسطولها . ولفظ « الأشغال » بمعنى الشؤون المالية والإدارية كثير الاستعمال فى العصر الموحدى (انظر مثلا ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٥٠) ، ويقال أيضاً « الأشغال المخزنية » فى نفس المعنى (انظر دوزى : ملحق القواميس ١/٧٦٧) حيث ترد أمثلة لمصطلحات مثل : الأشغال المالية ، الأشغال الخراجية ، « استعمل فلاناً على الأشغال بمدينة سلا » و« أشغال العدوتين » . . الخ .

(٢) الإشارة هنا إلى الفتنة التى أصابت البيت الموحدى عقب موت خامس خلفائهم أبى يعقوب يوسف بن محمد الناصر المعروف بالمستنصر سنة ٦١١ – ٦٢٠/١٢١٤ – ١٢٢٣ وقيام نفر من أبناء أبى يعقوب يوسف المنصور على عمهم أبى محمد عبد الواحد – الذى بويع بعد المستنصر – ينزع عمهم أبو محمد عبد الله بن المنصور – وكان والياً على مرسية – وانضم إليه إخوته ونادى بنفسه وتلقب بالعادل ، وكان الساعى فى هذه الفتنة أبوزيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان ابن يحيى الهنتاتى منافس بنى جامع « الذين اتخذوا الوزارة وراثة » كما قال . وكان بنو يوجان منافسين لبنى حفص ، والبيتان ابنا عم ، فهما جميعاً من هنتاتة . قال ابن عبد المنعم الحميرى : « وجعل الله ما بين هذين البيتين ما جعل بين بنى هاشم وبنى أمية» . وتلك الفتنة هى التى قصمت ظهر دولة بنى عبد المؤمن وآذنت بزوالها .

انظر : الروض المعطار ، مادة جنجالة ، رقم ٧٠ ص ٦٧ وما بعدها .

HUICI MIRANDA, *op. cit.* II, 447 - 450.

سامعٌ ، أبقت على بقاياهم الدولة الحفْصية ، فأصحبت[١] أيامُهم العصية ، وأكثَبتْ[٢] آمالهم القصية ، وهاهم قد نهضوا بالأعباء ، وانفردوا بالمحاباة فى الأحبّاء ، حتى جرى الأبناء / مجرى الآباء . [١٧٢-ب]

ولأبى إسحاق هذا امتياز بفضلٍ أدبٍ واعتلاقٍ منه بسببٍ ، وهو القائل يخاطب أبا بكر بن يزيد بن محمد بن صقلاب عامل المَرِيَّة :

يانازحاً حبُّه وكِيدُ ... ومَن تُراعَى له العهودُ

حللت منى محل نفسى ... فأنت دان منى بعيدُ

إن قال إلفٌ : قد ملَّ إلْفِى ... ووُدُّهُ ناقصٌ يَبِيدُ

قلتُ له زارياً عليه : ... « يزيدُ » فى حبِّه يزيدُ

فكتب إليه مع نثرٍ بأبيات منها :

قَدْكَ اتَّئِبْ[٣] أيها الحسودُ ... دارت على راحتى السعودُ

واهتز عِطفُ الزمان ليناً ... وكم عسا للزمان عودُ

أجْنَى يَدِى بعد ما تَجَنَّى ... زَهرَ الأمانى كما أريدُ

فمسرَحى مُمْرِعٌ جَمِيمٌ ... ومَشرعى سلسلٌ بَرودُ

وكل ليلٍ علىَّ صبحٌ ... وكل يوم لدىَّ عيدُ

---

(١) الأصل : فأصبحت . وأصحبت أى ذُلّت .

(٢) أى قَرُبَت .

(٣) الأصل : اتب . واتئب أى رويدك .

١٦٣ ــ سليمان بن الحاج عبد الله ابن وِيفْتَن ، أبو الربيع

عامل إفريقية ، وكان قبل ذلك واليًا على قابِس وغيرها ، واستُنيب على حضرة تونس أيدها الله ؛ ومن شعره يخاطب بعضَ الملوك ، وقد قصده فحجبه ، وأنشدنى ذلك له مَن سمعه منه :

يا أيهـــا الملك الذى ضَنَّتْ[(١)] به حُجُبُ الجلالهْ
جُد لى بإحدى الحُسْنَيَيْـ ـنِ من الرسول أو الرسالهْ

---

١٦٤ ــ عبد الله بن محمد بن وزير ، أبو محمد

قد تقدم ذكر أبيه أبى بكر فى آخر المائة السادسة ، وأنه كان واليًا على قصر الفتح[(٢)] وما إليه / من الثغر الغربى . و بعد وفاته وَلِىَ عبدُ الله ذلك ، وكان [١٧٣ – أ] أكبرَ بنيه ، والوارثَ — دون إخوته — أدبَه ورُتبه .

ولم تطل ولايتُه ، ولا كادت تتبين كفايتُه ، حتى نازله الإفرنج وتغلبوا عليه فى جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستمائة ، بعد وقيعة هنالك فُقِد فيها آلاف من المسلمين ، بتخاذل رؤسائهم يومَ التقى الجمعان ؛ وهى إحدى الكوائن المنذرة حينئذ بما آل إليه أمرُ الأندلس الآن . وأُسر عبدُ الله هذا ومَن كان معه ، ثم تخلص من تلك الحال بحيلة توجهت له[(٣)] .

---

(١) الأصل : ظنت .
(٢) المراد هنا قصر أبى دانس ، وقد سبق التعريف به .
(٣) سبق أن فصلنا ذلك فى تعليقنا على قصر أبى دانس .

واستُعمل بعد وفادته على مرّاكش إثر خلاصه ، وقبضت عليه العامة بإشبيلية بلده بتحريك محمد بن يوسف بن هُود — الملقب بالمتوكل — إياها عليه وعلى أهل بيته ، وسيق إليه فقتله وأخاه أبا عمرو عبد الرحمن ، منصرَفَه من الوقيعة العظمى عليه بمارِدَة من الثغر الجَوْفيّ فى سنة سبع وعشرين وستمائة[1] .

وهو القائل فى عثمان بن نصر أمير قومه الرِّياحِيِّين عند الصفح عنه بعد القبض عليه :

(١) أورد ابن عذارى فى البيان المغرب (جـ ٤/٢٦٦) وما بعدها أخبار محمد بن يوسف الجذامى وقيامه على الموحدين بشرق الأندلس ، ولكنه لم يبين صلة نسبه ببيت بنى هود أصحاب سرقسطة وإنما اكتفى بقوله : «كان هذا محمد بن يوسف رجلا من أصناف الجند بمرسية وغيرها ، لكنه كان لأسلافه القدماء تقدم ملك فى تلك البلاد الشرقية الأندلسية ، تقلدوا حكمها قديماً وأمرها» . وقد تحدث عن محمد بن يوسف بن هود هذا جسپار ريميرو فى كتابه عن مرسية الإسلامية :

MARIANO GASPAR REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana* (Zaragoza, 1905) 267 sqq.

ولكنه لم يبيّن هذه الصلة . وذكر ابن الخطيب فى الإحاطة (طبعة القاهرة سنة ١٣١٧ ، ج ٢ ص ٩٠) أنه كان من سلائل المستعين بن هود .

و «الوقيعة العظمى» التى جرت عليه بماردة ذكرها ابن عذارى فى البيان (٤/٢٨٩) وابن الخطيب فى الإحاطة (٢/٩٢) وفصل أمرها أويثى ميراندا فى كتابه الذى ذكرناه مراراً فى تاريخ الموحدين (٢/٤٧٨) ، وخلاصة كلامهم أن محمد بن يوسف بن هود هذا كان عظيم الشجاعة لا يتردد فى مهاجمة أعدائه حتى وصف بالتسرع . وعندما تقدم فرناندو الثالث وحاصر ماردة متنهزاً فرصة انسحاب الخليفة المأمون الموحدى من الأندلس ، أسرع ابن هود لإنجادها ، والتقى به عند موضع تسميه النصوص الإسبانية الحَنَشْ Alange فى جمادى الأولى ٦٢٧/مارس ١٢٣٠ ، قال ابن الخطيب : «فلم يتأنَّ — زعموا — حتى دفع بنفسه العدوَّ ودخل فى مضاربه ، ثم لما كرَّ إلى ساقته وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم ، فاستولت عليه هزيمة شنيعة ، واستولى العدو على ماردة بعد ذلك» . وسقطت أيضاً فى إثر تلك الهزيمة بطليوس . والحنش بتسكين النون هو النطق الدارج للفظ الحنَش . ومما هو جدير بالملاحظة أن هذا الموضع يسمى فى النصوص اللاتينية Castrum Colubri أى حصن الحنش .

قالوا : عفا الأمير عن عثمانَ ، قلتُ لهم (١) : سيُوسِع المَلِكُ الإحسانَ والصَّفَدَا

ما كان أولاه من عفوٍ وأوقعَهُ لو أن ذلك فى اليوم الذى وَرَدا

لـكنهم لَحَظوا لحظَ الرءوف ، أما يؤدب الوالدُ المستصلحُ الولدا ؟

كالبحر لا تقذف المَرجانَ لُجته إلا إذا قذفت أمواجُه الزَّبَدا

وحُدِّثتُ أن أباه أبا بكر مرَّ فى بعض أسفاره بوادى الحَمام — وهو ما بين أرْكُش و بين مدينة ابن السَّليم (٢) — فسمع غناء حمامة فقال :

أحمامةً ناحت على وادى الحمام خَلِّى ادِّعاء جوَى المَشوقِ المُستهامْ

أين الدموعُ وأين لُبْسُ الحزنِ أمْ أين التلذُّذ بين أثناءِ الخيـام ؟

أحللتِ أنضرَ أيـكةٍ تهفو على وادٍ تصفِّق إذ خلوتِ من الغرام ؟

وصدحتِ بالـكفِّ الخضيبِ كمُوقِعٍ ببنانه يتلو بها نغَم الـكلام

/ وزعمتِ أنكِ هامةٌ لليوم أو غدهِ ، وشأنك يا حَمام سوى الحِمام [١٧٣-ب]

أنا ذاك لى جسم عفا بالسُّقم إذ وفَّى لعَلوةَ غيرَ مذموم الذمام

ما كنتُ أعلمُ قبلَه أنَّ الجوى يَبرى الجسومَ كمثلِ ما يبرى الُحسام

---

(١) الأصل : عفى الأمر .

(٢) أركش هى التى تعرف اليوم باسم Arcos de la Frontera وهى مركز إدارى فى مديرية قادس على نحو ٥٠ كيلومتراً شمال شرقى قادس Cádiz . أما مدينة ابن السليم فهى مدينة شَذُونة Medina Sidonia قال فى شأنها عبد المنعم الحميرى : « التى تعرف فى عصرنا بمدينة ابن السليم ، وبنو السليم قد انصرفوا إليها عند خراب مدينة قلشانة Calsena » . ومدينة شذونة مركز إدارى حالياً فى مديرية قادس أيضاً على نحو ٤٠ كيلومتراً إلى شرقها . ولابد أن وادى الحمام نهير صغير من نهيرات وادى لك Guadalete أو نهر البرباط R. Barbate ، ولم أجد اسمه فى الخرائط المفصلة أو معاجم جغرافية شبه الجزيرة ، وليس من الضرورى أن يكون مجرى ماء .

ثم إن عبد الله ابنه هذا مرّ به بعد حين فتذكر قول أبيه فيه ، فقال :

أحمامةَ الوادى أخفتِ من الحِمام   فشكوتِ ما تلقَين[1] شكوى المستهامْ ؟
كذَب الحَمام ، فأين دعوى مُظهِرٍ   أشجانَه من ذى خفاء واكتتام ؟
شهِدتْ دموعى والجوى ، ولو اننى   خاصمتُ بالجسم السقيم كفى السَّقام
بل قد عذرتُك يا حمام فلم تُطقْ   عونا يُبين عن الذى بك من أُوام
ما باختيارك خُضِّبتْ كفٌ ولا   قُلِّدْتِ طوقاً ما لَه عنك انفصام
أو ما ترى الكحلاء طبعاً تشتكى   ثُكلا وناظرُها يدل على اتهام ؟
رُدى الهديلَ فإننى أَشْجَى به   يا ليتنى لم أدر يوماً ما الغرام

ووجدت منسوباً إليه :

بدا مُحيّا جابرٍ   والليلُ ملقٍ أُزُرَهْ
والبــدرُ قد قابلَهُ   والمشترِى والزُّهَرهْ
فقلتُ : ذا أضوأ من   تلك الثلاث النيِّرهْ
فقال صحبى كلُّهم :   إى والذى قد صوَّره !

وهذه الأبيات قد أنشدنيها أبو بكر محمد بن الحاج أبى عامر محمد بن حسن ابن محمد بن عبد الرحمن الفِهْرِى ببَلَنْسِيَّة ، بعد سنة عشر وستمائة لشيخنا أبى الحسن بن حَرِيق[2] ، وحدثنى أنه سمعها منه عنـد ارتجاله إياها فى شبيبة أبى

---

(١) الأصل : تلقون .

(٢) الشاعر المشهور أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن حريق المخزومى البلنسى ، « شاعرها الفحل المستبحر فى الآداب واللغات ، روى عن عبد الله بن حميد ، وكان عالماً بفنون الآداب ، حافظاً لأيام العرب وأشعارها ، شاعراً مفلقاً ذا بديهة . اعترف له بالسبق بلغاء وقته ، ودون شعره فى مجلدتين . . ولد سنة ٥٥١ وتوفى فى ١٨ شعبان سنة ٦٢٢ » .
ابن الأبار ، التكملة ، رقم ١٨٩٥ ص ٦٧٩ .

الحسن ، قال : وكان يميل إلى وسيم يعرف بجعفر الخضرى[١] ، /فقعد وأنا معه فى [١٧٤-١]
إحدى الليالى المقمرة بين العِشاءين ، ومعنا طائفة من أترابنا ترتقب وصول جعفر هذا ، فلما أطال قال ذلك ، وأول الأبيات :

* بدا مُحيا جعفرٍ *

إلى آخرها ، إلا أنه قال : « فقلت ذا أجمل » مكان « أضوأ » ، وهى بابن حريق أولى ، مع أنى لم أجدها فى ديوان شعره إذ قرأته عليه ، ولا أدرى كيف نسبت إلى ابن وزير .

١٦٥ — إبراهيم بن محمد بن صَنَانيد[٢] الأنصارى ، أبو إسحاق

كان أبوه والياً على جَيّان ، وقد وليَها هو بآخرة ، وتصرف قبل ذلك بثغر بَطَلْيَوْس ، وهنالك صاحبْته ، ومنه خاطبنى وخاطبْته . وأصل أوّليّته من شَقُورَة[٣] .

---

(١) جعلها دوزى ، ص ٢٤٣ : الحمزى .

(٢) ورد اسم هذا البيت عند ابن عبد المنعم الحميرى : بنو صناديد فى جيان (ص ١١٨)

(٣) شقورة : لم يرد لها ذكر فى مدائن كورة تدمير (مرسية) عند الرازى ، وليست كذلك من مدن الكورة السبع التى عاهد عليها تدمير ، ولم يذكرها العذرى فى كلامه المطول عن كورة تدمير ، ولكن ذكرها الإدريسى (ص ١٩٥ — ١٩٦) وأبو الفدا (تقويم البلدان ، ص ٤٢ — ٤٣) وياقوت (٢٨٣/٥) وعبد الواحد المراكشى (المعجب ، ص ٢١١) وابن عبد المنعم الحميرى (الروض ، ص ١٠٥) . ويرجع ذلك إلى أن ذكرها لم يشتهر إلا فى القرنين السادس والسابع عندما تركزت الأهمية فى الحصون ذات المواقع الحصينة . واسم شقورة كان يطلق على=

وكانت لأبيه نكايات فى العداة ، وعنايات بالعُفاة[1] ، حتى لَدُوِّنت أمداحُه ، وشُهر بأسه وسماحُه .

وأما ابنُه هذا فغلب الأدب عليه ، وانتسب السَّرْو إليه . وإلا يَكُنْ معه بأس أبيه ومضاؤه ، فمعه معروفه المعروف وسخاؤه .

حدثنى شيخُنا أبو الحسن بن حريق أنه — أيامَ اشتغاله بجهة جيّان ، وتردده عليها فى صدر هذه المائة — لقى أبا إسحاق هذا ، فأفهمه بمقتضى سَرْوِه الحرصَ على مدحه ، ثم بعث قريحته على ذلكَ بجزيلٍ من مَنْحِه ، فقال فيه قصيدته الفريدة التى أولها — وأنشدنى جميعَها :

أعْرى من المدح الطِّرْفَ الذى رَكبا لما جرى فى ميادين الصِّبا فكَبَا
تمرُّ وثباً به خيلُ الشبابِ فلا يسطيعُ من مربَطِ الخمسين أن يثبا
وربما شقَّ أسدافَ الظلام به ركضاً وشقَّ به الأستارَ والحُجُبا

يقول فيها :

يلقى الغوانى بإنكارٍ معارفَهُ وهنَّ أقرب خلق منه منتسبا
إن كُنَّ سمَّينه عصرَ الشباب أخاً لهن فاليومَ أحرى أن يكون أبا
رعَينه خَضِراً رطباً فحين عسا أتَيْن يرعَيْن ذاك الإلَّ والنَّسبا

= نهر مرسية الذى يسمى أيضاً بالنهر الأبيض ويسمى اليوم نهر Segura ، وعلى حصن شقورة . وظهرت أهمية الحصن عندما تحصن فيه عبد الرحمن بن رشيق وتمكن من التغلب على ابن عمار وإخراجه من مرسية ، ثم عندما اتخذه إبراهيم بن هَمُشْك معقلا ومركزاً له . انظر بالإضافة إلى المراجع المذكورة :

GASPAR REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana* , p. 188.

وتسمى اليوم Segura de la Sieira وهى مركز إدارى فى مديرية مرسية .

(١) العفاة هم السائلون المسترفدون .

/ وفى مدحها : [١٧٤-ب]

لا بد أن ينصر الآدابَ مشترطٌ ... للمجد أن ينصر العلياء والحسبا

نَدْبٌ لآلِ صنانيدٍ به رُتبٌ ... فاتت برفعتها الأقدارَ والرتبا

تقدمتْ بهم من فضـــله قدمٌ ... داسوا بإخمصِها الأقمارَ والشهبا

نالوا بسعى أبى إسحاق ما طلبوا ... ونال عفواً أبو إسحاق ما طلبا

يا ضاحكاً للمنى من مَبسِم لَقِطَتْ ... من لفظه الدرُّ واشتارت به الضَّرَبا

ومفصحاً بـ « نعم » فى كل مسألة ... إلا لمن لامه فى الجود أو عَتَبا

كُنْ لى كما أنت فى نفسى فقد عَقَدتْ ... بينى وبينَك أسبابُ العلا قُرَبا

وذاك أنكَ تُهدى البرَّ منتخَباً ... نحوى ، وأهدِى إليك الحمدَ منتخَبا

ومنها :

وسامع بك فى أقصى منــــازله ... أفاد من رفدك الأموال والنشبا

رجاك فامتلأت أرجاؤه بِدَراً ... ولم يشدَّ لهــا رَحْلا ولا قتَبا

سوى قصائدَ والاها منقحَةً ... أدتْ إلى راحتيه ثروةً عجبا

صاغت له كيمياء الجود إذ وردتْ ... منها نُضاراً وكانت قبلَها كُتُبا

فأشبهتْ حالَ بنت الكرم إذ خلَصَتْ ... فى الدَّنِّ خمراً وكانت قبلَه عِنبا

ومن شعر أبى إسحاق يعتذر إلى بعض الرؤساء من ترك زيارته لنِقْرِس كان يلازمه :

كم رام كاتبُها زيارةَ مجدكمْ ... فتعُوقَ عن آماله آلامُهُ

يا ماجداً عذراً إليك فإنه لا تستقلُّ بحمله أقدامُهُ

وكتب إلىَّ مجاوباً فى سنة سبع عشرة وستمائة :

أتتنى فقلت لها : مرحباً تحيةُ صدقٍ تحُلُّ الحُبا
يسير بها العهد مستحفظاً ويسرى النسيمُ بها طيِّبا
/ يهبُّ الوفاء بها بارقاً فيُلثِمُنى ثغره أشنبا [١٧٥-أ]
تأرَّج لما سرَى موهناً يؤدى أماناتِ زهرِ الرُّبى
وقد نضَح الطلُّ أعطافَهُ فأنساك حُسناً عهودَ الصِّبا
تحمَّل عن ذى الهوى لوعةً يَضيق عليها النوى مذهبا
وزار فأدْنى بعيدَ النوى وبعَّد بالشوق ما قرَّبا
وأهدى من الود عَرفاً بليلا عليلا يصِحُّ به من صَبا
وذكَّرنى بالسُّرَى مُخلصاً أسامر وَجداً به الكوكبا
وما كنت عنه لبعد المزار ذَهولا فأطلُبُ مستَعتَبا
وكيف التناسى لمن قد غدا طِرازاً بكُمِّ العلا مُذْهَبا ؟
وقُرطاً على مِسمَعى ذِكرُه ومَعنًى على القلب مستعذَبا
فبلِّغْه عنى سلاماً جزيلا يسير مع القلب مستصحَبا
ولو كنتُ فى ودِّه منصفاً لما ناب عنى نسيمُ الصَّبا

١٦٦ – يحيي بن أحمد بن عيسى الخزرجي ، أبو الحسين

منتماه إلى قيس بن سعد بن عبادة صريح ، وحديث نداه عند رواة علاه حسن صحيح . وولد بدانيَة دار آبائه وبها نشأ ، ثم أوطن شاطِبَة وأصهر بها إلى شيخنا أبي عمر بن عاتٍ . ومال إلى خدمة السلطان ، فما زال يرتقى فى معالى الأمور درجة بعد أخرى ، حتى ساد أهلَها ووليَها من قِبل محمد بن يوسف بن هُود - الملقب بالمتوكِّل — إلى أن توفى فى آخر شعبان سنة أربع وثلاثين وستمائة ؛ ووليَها بعده أبناؤه والرئاسة منهم لأبى بكر محمد .

وصارت إليه دانيَة مدةً يسيرة ، إلى أن تغلب الرومُ عليها مستهلَّ ذى الحجة سنة إحدى وأربعين . ثم تملَّك الرومُ أيضاً شاطِبَة ، فى آخر صفر / من سنة أربع [١٢٥-ب] وأربعين ، بعد مهادنة ومداراة لطاغيتهم البرشلونى ، من حين تغلبه على بَلَنْسِيَّة فى صفر أيضاً ، وفى يوم الثلاثاء السابع عشر منه سنة ست وثلاثين ، وكانوا قد شارطوا على سكانها بإتاوة معلومة .

وفى وقتنا هذا وصل بعض الشاطبيين يخبر أنه أجلاهم عنها مع أهل جهاتها — وهم ألوف من المسلمين — فتفرقوا فى البلاد ، وأوى أبو بكر هذا فى خاصته إلى حصن بمقربة منها ، وذلك فى رمضان من سنة خمس وأربعين (١) .

(١) كانت الناحية الشرقية أضعف نواحي الثغر بعد سقوط سرقسطة سنة ٥١٢/١١١٨ فى يد ألفونسو الأول ملك أرغون الملقب بالمحارب ، فسقطت عقب ذلك بعض حصون كورة طرطوشة وأصبح الحد الأعلى بلنسية ، وذلك بفضل استرداد المرابطين إياها ودفاعهم المجيد عنها . وبعد قيام أبي عبد الله محمد بن أبي يعقوب المنصور على عمه عبد الواحد الملقب بالمخلوع بدأ التصدع النهائى فى هذه الناحية ، وقد تماسكت بعض الشيء بفضل قيام محمد بن يوسف بن هود فى مرسية ، ولكن=

= الحرب بينه وبين المأمون الموحدى قضت على كل أمل فى الاحتفاظ بما بقى من شرق الأندلس ، وخاصة بعد وقعة طريف بينهما فى ٦ رمضان ٦٢٦/٣١ يوليو ١٢٢٩ وهى الموقعة التى مات فيها إبراهيم بن إدريس بن أبى إسحاق بن جامع الذى ترجم له ابن الأبار فيما سبق ، وكانت هذه آخر معركة كبيرة للموحدين فى شبه الجزيرة ، فقد غادرها المأمون بعدها إلى المغرب، تاركاً أمرها لولاة نواحيها . وكان يحكم بلنسية من أواسط سنة ٦٢٠/ أواسط ١٢٢٤ أمير موحدى هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبى عبد الله محمد بن أبى حفص بن عبد المؤمن . وكان فرناندو الثالث ملك قشتالة إذ ذاك يعتبر بلنسية جزءاً من كورة طليطلة ومن ثم فهى من حق مملكة قشتالة ، ولهذا فقد تصدى للهجوم عليها . وأحس أبو زيد عبد الرحمن بضعفه أمام ملك قشتالة ، فدخل فى طاعته على أن يحتفظ بالناحية فى مقابل جزية سنوية يؤديها ، ثم دخل فى طاعته أيضاً أبومحمد عبد الله المعروف بالبَيَّاسى ، وهو ابن محمد بن أبى حفص عمر بن عبد المؤمن بن على . وكان الخلاف شديداً بين عبد الله البياسى هذا وعبد الله بن المنصور الملقب بالعادل الذى نادى بنفسه خليفة ، فأرسل إليه أخاه أبا العلا إدريس بن المنصور ليستولى منه على بياسة فلم يستطع ، فأرسل نحوه جيشا آخر يقوده أبو سعيد عثمان بن أبى حفص ، فاستعان البياسى بالقشتاليين وهزمه ، ومد سلطانه على قرطبة ومالقة وغيرهما ، واستقر فى قرطبة وترك بياسة فانتهى أمرها بالسقوط فى أيدى القشتاليين .

وفى نفس الوقت كان خايمه الأول ملك أرغون يطمع فى بلنسية ويعتبرها منطقة امتداد مملكته ، وحصل من البابا هونوريوس الثالث على اعتراف بحقه فى ذلك ، وكان خايمه إذ ذاك شابا فى السابعة عشرة من عمره ، ولكنه كان شديد الحماس لحرب المسلمين ، يحاربهم بروح صليبية ، وكانت عاصمته سرقسطة ، وهو الذى استولى على كورة طرطوشة بما فيها من مدن سنة ٦٢٢/١٢٢٥ . ثم تقدم خايمه يحاصر بلنسية ، ومع أنه لم يسر معه إلى هذا الحصار من فرسان مملكته إلا القليل ، إلا أن أبا زيد عبد الرحمن خاف منــه واتفق معه على أن يقدم له خُمس خراج بلنسية ومرسية جزية سنوية ، وقد كان أبوزيد هذا يستطيع الثبات لملك أرغون لأن الكثير من رجال دولته كانوا منتقين عليه ، ولكن أبازيد تخاذل واستسلم . وكان هذا من أكبر أسباب قيام محمد بن يوسف ابن هود عليه فى مرسية (آخر رجب ٦٢٥/٥ يوليو ١٢٢٨) . وقد رأينا كيف تمكن ابن هود من الاستيلاء على دانية وشاطبة وإشبيلية وحاول الاستيلاء على غرناطة ففشل . وثار على أبى زيد عبد الرحمن فى بلنسية حفيد لمحمد بن سعد بن مردنيش يسمى أبا جُميل زيان بن مدافع الجذامى (سيترجم له ابن الأبار) وطرده منها ، فلجأ إلى خايمه ملك أرغون مستعيناً به (سنة ٦٢٧/ ١٢٢٩ - ١٢٣٠) ، وهكذا أصبح شرق الأندلس موضع نزاع بين أبى زيد عبد الرحمن حفيد عبد المؤمن بن على وأبى جُميل زيان حفيد محمد بن سعد بن مردنيش ومحمد بن يوسف بن هود حفيد بنى هود ، وعبد الله البياسى مقيم إلى قرطبة فى حماية فرناندو الثالث . ولما كان أبوزيد =

= عبد الرحمن قد وضع نفسه فى حماية ملك قشتالة فرناندو الثالث دون أن يجد منه حماية حقيقية ، فقد أسرع ومعه كاتبه أبو عبد الله بن الأبار القضاعى (مؤلف هذا الكتاب) ولقيا خايمه الأول ملك أرغون فى قلعة أيوب فى ٣ جمادى الثانية ٦٢٧/٢٠ أبريل ١٢٢٩ واتفق معه على أن يعينه على استعادة بلنسية ومرسية بشرط أن يعطيه أبوزيد ربع غلات كل ما يستولى عليه ، وضماناً لذلك نزل له عن بلاد بِنشْكُلَة Peniscola ومُرَلّة Morella وكولة Culla وألبُونت Alpuente وشارقه Jerica وشُبُرْب Segorbe ، وسلمه خايمه بصفة رهن وضمان قلعتى الديموس Ademuz وقلعة حبيب Castielfabib ، ثم أبحر خايمه الأول للاستيلاء على جزر البليار معتمداً على ذلك الاتفاق المؤقت الذى عقده مع أبى زيد . وفى تلك الأثناء اجتهد أبو جُميل زيان فى الإغارة على أراضى أرغون وقشتالة من قاعدته بلنسية ، فى حين ظلت دانية وشاطبة فى طاعة محمد بن يوسف بن هود ، فولى على الأولى أبا الحسين يحيى بن أحمد بن أبى الحسين عيسى الخزرجى (الذى يترجم له ابن الأبار هنا) ، وعلى الثانية أباه أحمد بن عيسى . وضعف أمر أبى زيد عبد الرحمن جداً ، فازداد خنوعاً لخايمه الأول وذهب للقائه فى تيروال فى ١٥ ربيع الثانى ٦٣٠/٣٠ يناير ١٢٣٢ ، وتنازل له عما كان قد اشترط عليه فى اتفاقه معه فى قلعة أيوب فى ٢٠ أبريل ١٢٢٩ ، وأصبح بهذا فى عداد صغار أتباعه . وزاد الأمر سوءاً ظهور محمد ابن نصر بن الأحمر ونزاعه مع ابن هود وانتزاعه من يده قرمونة وقرطبة وإشبيلية . ثم استولى أبو جُميل زيان على دانية ، وأخرج منها أبا الحسين يحيى بن أحمد بن عيسى ، فلجأ إلى أبيه فى شاطبة وظل معه حتى استردها وحكمها باسم محمد بن يوسف بن هود بعد قليل . وفى هذه الأثناء تخلى ابن الأبار عن خدمة أبى زيد عبد الرحمن ودخل فى خدمة أبى جُميل زيان بن مردنيش وعمل كاتباً له ، فندبه للذهاب إلى تونس للاستغاثة بأميرها أبى زكريا الحفصى ، ثم عاد إلى بلنسية وظل فيها إلى سقوطها .

فى هذه الظروف ، ووسط ذلك الخلاف المتصل بين قادة المسلمين فى الأندلس عقب تلاشى سلطان الموحدين فيه نهائياً تشجع خايمه الأول ملك أرغون للاستيلاء على بلنسية وما بقى للمسلمين فى شرق الأندلس ، وشجعه على ذلك رئيس طائفة الاسبتارية فى مملكته Hugo Folcalquer ونفر من فرسانه ، وكان أبو زيد عبد الرحمن قد دخل فى طاعته مناوئاً لخصمه أبى جُميل زيان بن مردنيش ، فتقدم فى سنة ٦٢٩/١٢٣٢ واستولى على أرش Ares ومُرلّه Morella ، وفى السنة التالية استولى على بُرْيانة Burriana بعد حصار عنيف ، ثم استسلمت بنشكلة Peniscola ثم قسطليون Castellon وبُربول Borriol وحصون أخرى . وبسط غاراته على نواحى شُقْر حتى البلاط Albalate . وفى سنة ٦٣٢/١٢٣٤ استولى على المعصرة Almazora ، وفى سنة ٦٣٣/١٢٣٥ حاصر قليرة Cullera ، ثم استولى على حصن منكادة Montcoda وموسرُس Museros . ثم بدأ فى حصار بلنسية فى نفس السنة بمعاونة فرسان من قطلونية =

ولأبى الحسين فضائل مذكورة ، ومآثر مأثورة ، ورُزق قبولا ، ما زال به مأمولا ، من رجل يجرى على أعراقه ، فيَدَعُ الضّنانة بأعلاقه ، ويسع الناس بأمواله كما يسعهم بحسن أخلاقه ، يلقى الوفود مرحباً ، ويلفى — كما عوّد — الجود الذى تقيّل فيه الجدود منسحبا :

وكلما لقِىَ الدينـارُ صاحبَهُ   فى مِلْكِهِ افترقا من قبل يصطحبا

وأول ظهوره فى الفتنة المنبعثة فى أول سنة إحدى وعشرين . وكانت بضاعته الأدب ، مع مشاركته فى غيره ، ويغلب عليه تحبير النثر أكثر من تجويد الشعر . وهو القائل معتذراً إلى بعض الأمراء :

= وأرغون ومن جنوب فرنسا يرأسهم أسقف أربونة ، وكذلك اشترك فى الحصار فرسان من نبرة وقشتالة . وفى أثناء الحصار وصل أسطول من تونس بعثه أبو زكريا الحفصى ، فلم يستطع رجاله النزول إلى البر ، واتجهوا نحو بنشكله فلم يستطيعوا الاستيلاء عليها وعادوا أدراجهم . وأخيراً ، وبعد حصار طويل استسلمت بلنسية فى ١٧ صفر ٦٣٦/٣٠ سبتمبر ١٢٣٨ بعد أن اتفق مع واليها أبى جميل زيان على أن يخرج بأهله وولده ومن يريد الخروج من المسلمين إلى دانية ، فخرج نحو ٥٠ ألف مسلم . وقد ارتفع صيت خايمه الأول بهذا النصر وتسمى بالفاتح El Conquistador وأصبح من كبار ملوك إسبانيا . وفى سنة ٦٣٨/١٢٤٠ تقـدم خايمه يحاصر دانية التى لجأ إليها أبو جميل زيان ، فعرض هذا أن يتنازل له عن لَقَنْت فى مقابل إعطائه جزيرة ميورقة ، فرفض خايمه . ثم استولى على شقر سنة ٦٤٣/١٢٤٥ وفى صفر ٦٤٦/ مايو ١٢٤٨ سقطت شاطبة ، وكانت هذه هى آخر ما استولى عليه ملك أرغون ، لأنه بموجب اتفاق تم بينه وبين ملك قشتالة وقع فى المِرْسِىَ Almirza اعتبر بقية شرق الأندلس داخلا فى منطقة نفوذ ملك قشتالة ، وعليهم استرجاعه من المسلمين ، وكان الحد الفاصل بين ما يتبع أرغون وما يتبع قشتالة المنطقة الواقعة بين نهر شقر Jucar وشقورة Segura

انظر بالإضافة إلى المراجع السابق ذكرها :

ANDRÉS PILES IBARS, *Valencia Arabe* (Valencia, 1901) tomo I.
ANTONIO BALLESTEROS BERETTA, *op.cit.* III, 206 sqq.

إن قصَّرتُ[1] فى خدمةٍ محسوسةٍ فيما مضى من دهرىَ المتقدمِ
فلنيَّتى مكنونُ خدمتها التى عُقِلتْ ، وإن حُجِبتْ لمن لم يفهمِ
ولدىَّ عذرٌ فى التخلفِ أوَّلاً ولكم حُلومٌ فوق جُرم المجرمِ
وإذا محا ما قد تقدَّم عفوُكمْ فولاءُ رِقِّى ثابتٌ للمنعمِ
ولَقِيتُ عند لقائكم ما أمَّلتْ نفسى ، ولكن كيف لى بمُسَلِّمٍ ؟
وضراعتى فى أن يكون قبولُكمْ فوقى بمنزلة الرداء المُعْلِمِ

وله يخاطب أبا عبد الله بن عَيَّاش الكاتب من قصيدة :

/ مالى يدٌ بجزاء ما أسديتَهُ والكفُّ تقصُرُ عن محلِّ الكوكبِ [١٧٦-ا]
إنى وقفتُ على جنابك همتى وجعلتُ رَبعَك كعبتى ومُحَصَّبى[2]
ولئن سألتَ عن الذى أنا طالبٌ مالى سوى نيل العلا من مطلبِ

وله :

عـزاءً أبا عامرٍ إنهُ وإن كان رُزؤك رزءاً جليلا
فإن الرسول قضى ، فاجعلنْ عَزاءك عمن يموت الرسولا
وقدْرُ التصبُّرِ قدرُ الثوابِ فصبراً تُوَفَّ الثنـاءَ الجميلا

وأنشدنى له ابنُ أخيه أبو الحسين عزيز بن أبى عَمرو[3] سعد بن أحمد فى وسيم أسمر أزرق أرمد :

---

(١) فى الأصل : إن قَصَّرْتُ ، ولا يستقيم به الوزن ، وقد قومتها على هذه الصورة على اعتبار أن المراد : إن قصرت نفسى .

(٢) المحصَّب موضع رمى الجمار بمنى .

(٣) الأصل : عُمر وسعد ، وهم الناسخ فوضع ضمة على العين ، وأوهامه من هذا النوع كثيرة جداً .

عابوه أسمرَ ، ناحلا ، ذا زُرقةٍ رَمِداً ، وظنوا أن ذاك يشينهُ
جَهِلوا بأن السَّمْهَرِيَّ شبيهُهُ وخِضابُه بدمِ القلوب يزينهُ

١٦٧ – عزيز بن عبد الملك بن محمد ابن خطاب ، أبو بكر

كان له — مع شرف البيت ونباهة السلف — تقدم معلوم فى العلوم ، وتميز بالمشاركة فى المنثور والمنظوم . ووَلِىَ مُرْسِيَةَ بلدَه من قِبل ابن هود المتوكل — وهو الثائر بموضع منه يعرف بالصخور[1] — فى آخر رجب سنة خمس وعشرين وستمائة . ودخل مُرْسِيَـةَ بمواطأة قاضيها حينئذ أبى الحسن على بن محمد القَسْطَلِّىّ — قتيله بعدُ — وقَبض على واليها ، وذلك فى أول يوم من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ومنها ملَك بلادَ الأندلس بأسرها إلا بَلَنْسِيَّة ، إلى أن هلك بقصبة ألمَرِيَّة ليلة الخميس السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس

(١) « الصخور » ويكتبها ابن الخطيب فى أعمال الأعلام « الصخيرات » و« الصخيرة » (صفحات ٢٦٠ و٢٦٢ و٢٧٨ و٢٧٩) . ويبدو أن هناك أكثر من موضع بهذا الاسم فى نفس الناحية من مرسية ، لأن ابن الخطيب يقول فى سياق كلامه عن يوسف بن هلال صهر ابن مردنيش (ص ٢٦٢) : « وتملك الصخرة والصخيرة » . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميرى بمادة طويلة تدور على ظهور محمد بن يوسف بن هود ، وهى من أوسع ما لدينا عن أصله وأولياته (رقم ١٠٩ ص ١١٨) . وقد حقق جسپار ريميرو هذا الموضع فى كتابه ***Hist. de Murcia Musulmana*** (٢٦٩ – ٢٧٠) فقال إنه معقل – لا زالت أطلاله باقية – يطل على الحصن الذى يعرف اليوم باسم **Ricote** (رقوطة) وهو يشرف على الضفة الشرقية لنهر شقورة من ارتفاع ٢٩٣ متراً ، ويقع على نحو ٣٠ كيلومتراً شمال غربى مرسية .

وانظر الترجمة الفرنسية للروض المعطار ، ص ١٤٤ ، هامش ١ .

وثلاثين . وكان أمره عجبا ، لولا أنه أورث عطبا ، وأعقب شَجَبا[1] . وفى ولاية أبى بكر هذه ، قدم عليه أبو بكر محمد بن أحمد بن الصابونى الإشبيلى[2] شاعر وقته ـ وذلك سنة اثنتين وثلاثين ـ فامتدحه بقصيد فريد أوله :

أهلا بطيفِ خيالٍ منك منسابِ   أدال عَتْبك عندى حين إعتابى

[١٧٦-ب] / يقول فيه :

لادَرَّ دَرُّ ليالى البُعدِ من زمنٍ   يطول فيه اجتزاع الصَّبِّ للصّابِ

نابتْ صروفٌ نبا بى عندَها وطنى   قرعتُ نابى لها من رحلىَ النابى

جوّابةَ الأرض لا ألوى على سكنٍ   [تمضى][3] الركاب وتجرى بى لتَجْوابى

فى الفُلْك أو فى ظهور العِيس منتقلاً   فى مذهلِ اللُّب بين الموج واللاب[4]

لا أستكنُّ بكانونٍ لقِرَّتِهِ   ولستُ آبَى من التهجير فى آبِ

---

(١) شجَب يشجُب شُجوبا ، وشجِب يشجَب شَجَبا فهو شاجب : حزن أو هلك . والشجَب عموماً العطب والهلاك (اللسان : ٢/٤٦٥) .

(٢) أبو بكر محمد بن أحمد بن الصابونى الإشبيلى ، ويلقب أيضاً بالصدفى : من أكبر شعراء الأندلس خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى ، ظهر فى عصر الموحدين واعتنى به المأمون الموحدى (أبو العلا إدريس بن أبى يوسف يعقوب) فظهر أمره . وقد اشتهر بالتجويد فى الموشحات ، ورحل فى آخر أيامه إلى مصر فات فى الإسكندرية خاملا سنة ٦٠٤ كما يقول ابن شاكر فى الوفيات (القاهرة ١٢٨٣) ج ٢ ص ٢٠٩ . وواضح أن هذا التاريخ خطأ ، لأن المأمون حكم من ٦٢٤ إلى ٦٢٩ ، وربما كانت صحة السنة ٦٣٤ . انظر طرفاً من موشحاته فى أزهار الرياض للمقرى (انظر الفهرس) وشيئاً من شعره فى نفح الطيب (٢/٣٤٨ – ٣٤٩ من طبعة أوربا) ، وانظر المغرب لابن سعيد : ١/٢٦٣ وتعليق الدكتور شوقى ضيف ، ونيكل ، الشعر الأندلسى ، ص ٢٤٧ ، والرايات ، ص ٢١ من النص العربى وص ١٤٨ من الترجمة الإسبانية .

(٣) بياض فى الأصل ، ووضع دوزى هنا (ص ٢٥٠) : تشجى .

(٤) اللاب جمع لوبة وهى الحجارة السوداء فى أعلى الجبل ، والكناية هنا عن الجبال ، أى بين الأمواج والجبال (اللسان : ٢/٢٤٢) .

فكن بإدلاجٍ تأويبى على ثقةٍ … من أوبق ـ شجوِ أعداء ـ لأحباب[1]
ويامُعَنَّى بريبِ الدهر يرهَبُه … لا تبتئس بعدُ من إرهاقِ إرهاب
إن أغريَتْ بك أبكارُ الخطوب فلُذْ … منها بمجد أبى بكر بنِ خطاب
بالسيِّد الأوحد النَّدْب الذى كَمُلتْ … به العـلا بين أخلاق وأحساب
يلقى به سائلاً جودٍ ومعـرفةٍ … طَبًّا بتلقيح أحـوال وألباب
بحرٌ من العلم يَسقى مَن يُلِمُّ بهِ … ويرسل السُّحْبَ للنائى بتَسْكاب
وعنـد ما راعتِ الدنيا إيالتُه … [... ... ...][2]
نام الأنام سكوناً بالمُنى وهفَتْ … بالمال هيبـةُ غَمْرِ الجودِ وهّاب

ومنه :

لولا اعتناء عزيزٍ ما عزتُ على … دهرى وقـد بزَّ لمّا عزَّ أسلابى
تقلَّبتْ حركاتُ الدهرِ بى غِيَرًا … حتى كأنىَ منها حرفُ إعراب

ثم انفرد بتدبير مُرْسِيَة بعد وفاة ابن هُود ، وطَرد عنها أخاه علىّ بن يوسف — الملقب بعضد الدولة — ودعا لنفسه ، وبويع له فى الرابع من المحرم سنة ست وثلاثين . وتغلب عليه أبو جُمَيل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامى فى يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان من السنة ، واعتقله قليلا ثم قتله صبراً على أثر ذلك ليلة الاثنين السادس / والعشرين من الشهر .

[١٧٧-١] وكان — فى أول أمره — أبعد الناس مما صار إليه وتورط فيه : يؤذِّن فى

(١) ورد الشطر الأول فى الأصل هكذا : « فكن بإدلاجى وتأويبى على ثقة » ولا يستقيم وزنه هكذا فقومته ، أما الشطر الثانى فقد قرأه دوزى (ص ٢٥٠) : « من أوبق سحر عدى لأحبابى » ، ولا أدرى من أين أتى بهذا .

(٢) بياض فى الأصل .

المساجد ويحيك الحلفاء[1] ، ويصحب المتعبدين ، والرئاسةُ تهيب به لاحتيازه إياها من طرفَيْه ، فمالبث أن أجابها مقبلا عليها ، ومهرولا إليها ، ليكون فيها حتفُه ، واللهُ غالب على أمره .

وأخوالُه بنو عيسى الخولانيّون فتيان الصباح ، وفرسان الكفاح . وأما آباؤه فكفاهم مجداً تالدًا ، وذكراً خالداً ، ما حكى ابنُ حَيّان فى تاريخه الكبير — وقرأته بخط القاضى أبى القاسم بن حُبَيْش — أن أبا عمر أحمد بن خطاب — وهو المعروف بالخازن — ضيَّف محمدَ بن أبى عامر ورجالَ عسكره فى اجتيازه إلى برشلونة ، فجاء فى الاقتدار على ذلك بما صار حديثاً بعده . وكان فى نهاية من الثراء والسَّرْو والسماحة ، مخصوصاً بصداقة ابن شُهَيد .

قال : وكان ولدُه أبو الأصْبَغ موسى يحتذى حذوَه فى الدَّهْقَنة ، وهو الذى ضيَّف أيضاً طَرفة الخادم مولى عبد الملك بن أبى عامر ورجالَه فى اجتيازه به غازياً : قومٌ أعانهم على الحسب الثراء ، فلهم فى الفضل مقاومُ مذكورة . وهم موالٍ لبنى مروان — من وَلد عبد الجبار ، الذى يُنسب إليه البابُ المسدودُ من أبواب قرطبة — وخَلَفُهم اليوم يدفعون ذلك ، ويزعمون أنهم عرب من الأزْد ، تموَّلوا للقوم إيثاراً للدنيا ؛ فالله أعلم بذلك .

وحكى ابنُ حَيّان أيضاً فى « الدولة العامرية » ، وذكر غزوة المنصور محمد ابن أبى عامر إلى برشلونة — فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وهى الثالثة عشرين من غزواته — فجعل طريقه على شرقىّ الأندلس ، وسلك طريق إلبيرة إلى بَسْطَة إلى تُدْمير ، فتضيَّف بمدينة مُرْسِيَة قاعدة تُدْمير المعروفَ بابن خَطّاب — ولم يُسَمِّه ، وكان ذا نعمة ضخمة وصنيعة واسعة ، وهمة علية — فمكث عنده ثلاثة عشر يوماً ، يقوم به وبجنده وبخدمته جميعاً على مقاديرهم ،

(١) وردت هاتان الكلمتان فى الهامش بخط مخالف كأنها إكمال للكلام . وقد قرأهما دوزى : ويغتذى الخلفاء .

وُينفذ إلى باب كلِّ واحد منهم كلَّ يوم وظيفةً من الدقيق واللحم والفاكهة والقَضيم[١] . وصار جميعُم فى كفالة ابن خطاب ما بين الوزير والشُّرَطِىّ ، فلم ينفق أحد منهم لنفسه طول هذه المدة مثقال ذرة . وكان يجدد للمنصور كل يوم نوعاً من [١٧٧-ب] الأطعمة والفواكه لا يشبه / الذى قبله . نعم ، وزعموا أن ظروفه وأوعيته كانت تختلف بحسب اختلاف أنواعه . إلى أن رحل ابنُ أبى عامر متعجباً بما تبرع به ، مستغرباً لمذهبه فى التحدث بنعمة ربه ، بعد أن أثنى عليه ، وحَطَّه جملةً من خَراج ضياعه ، وأمر له بكُساً ولجماعة بنى أمية .

قال : وسأل المنصورُ ابنَ خطابٍ أن يعمل له بقرطبة خبيصاً استجاده من حَلوائه ، فأنفذ إليه جاريةً اتخذته فى قصره ، فقاربَ التُدْميرىَّ ولم تكمل صفاته ، فحكم للهواء[٢] فى تجويده .

وكان المنصورُ — فيما بعدُ — يصف نعمةَ ابن خطاب وسَرْوَه ويقول : « هى أحق نعمة بالحفظ ، وأولاها بالزيادة ، لسلامتها من الغَمْط ، وبُعدها من الجحود ، وقيامها بفرض التزكية » ، ويوعز إلى عُماله بتُدْمِير بحفظ أسبابه وتحرِّى موافقته . والأخبارُ عنه فى ذلك طويلة .

وقال أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبى الفَيّاض — ويعرف بابن الغَشّاء — فى تاريخه المترجَم بـ « العِبَر » وذكر أيضاً غزوةَ المنصور إلى برشلونة : خرج إليها من قرطبة يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت لذى الحجة من سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وهو الخامس من مايُه[٣] ، وأخذ على إلْبِيرَة إلى بَسْطَةَ إلى

(١) القضيم : شعير الدابة .

(٢) الأصل : فحكم للهوى فى تجويده ، ولا معنى له ، فجعلتها كما هى فى المتن . والمراد أن السبب فى امتياز الخبيص الذى أكله فى تدمير على الذى صنع له فى قرطبة هو هواء تدمير .

(٣) الأصل : الخامس من مائة ، وهو وهم ، والصحيح : من مايُه ، وهو الشهر المعروف . وحساب ابن أبى الفياض هنا قريب من الصحيح ، لأن ١٢ ذى الحجة ٣٧٤ يقابل ٧ مايو ٩٨٥ .

لُورْقَة إلى مُرْسِيَة ، فأقام بها ثلاثاً وعشرين يوماً فى ضيافة أحمد بن دُحَيْم (١) ابن خطاب وابنِه أبى الأصبغ موسى بن أحمد ، لم ينفق أحد من عسكره لنفسه درهماً واحداً فما فوقه ، من الوزير إلى الشُّرَطىِّ . وكان يجدد كل يوم للمنصور نوعاً من الطعام والفواكه ، بآلات مختلفة كاختلاف الأطعمة والفواكه ، حتى صار خبراً فى حديث المنصور ، ومَفخراً عنده يباهى به . وبلغ أمرُه إلى أن صنع له ماء الحمام من ماء الورد ، وأبلغ فى الإفراط فى ضيافته ، فكان المنصور يصفه — فيما بعد — ويقول : « نعمة ابن خطاب أحق نعمة بالحفظ ، وأحرَمُها على التغيير ، وأولاها بالزيادة والتثمير ، لسلامتها وبُعدها من الجحود ، وقيامها بفرض التزكية » ، وكان يوصى عماله على تُدْمِير بحفظ ابن خطاب وتحرِّى موافقتِه فى كل ما يرغبه .

ومن شعر أبى بكر فى الطريقة الصوفية :

لى حبيب أراه فى كل آنِ ... هو أُنسى وبغيــتى وجَنانى [١٧٨ - أ]
رام قومٌ أن يحجبونىَ عنهُ ... فاختفى عن عيونهم وأتانى
فأنا والحبيب متصـــلانِ ... وبظَنِّ الوشـــاة منفصلان
فإذا ما ســكِرتُ لم أر غيرى ... وإذا ما صحـــوتُ فالحب ثان
جلَّ سُكرى عن أن تراه عيونٌ ... حُجبتْ بالحروف دون المعانى

وهذا ينحو إلى قول الآخر :

أقصِرُوا عن لومكم يا لَوَمَــهْ ... وذَروا القلبَ ومن قد تَيَّمَهْ
إن مَن أمرض قلبى حبُّـــهُ ... قادر إن شـــاء يوماً رحمَهْ
لى حبيبٌ يتجلّى ســحراً ... ولأهل الودِّ بعـــد العتمهْ

(١) الأصل : ابن دحم ، والصحيح ما أثبتناه .

خالقُ العرش مع الفرشِ فقــد فهم المقصــود من قد فهمهْ

وما أحسن قول أبى العباس بن العريف الزاهد فى هذا المنحى :

فاح النَّدِىُّ بمنطق فتنازعــوا أبإسْحِــلٍ أسْتاكُ أم بأراكِ

هيهاتَ عهدى بالسِّواك وإنمـا شفةُ الحبيب جعلتُها مِســواكى

ويظن من سمع الحديث بأنهُ حقٌّ .. بلَى ومدبِّرِ الأفلاك

رؤيا رأيتُ وإنَّ مَن أبصرتُهُ لمنزه عن مهنــة الإدراكِ(١)

١٦٨ ـــ محمد بن على بن احلى ، أبو عبد الله

تأمَّر بلُورْقة متنقلا إلى الرئاسة من الدراسة . وكان يُجتمع إليه فى علم الكلام ، ويؤخذ عنه ، وله فيه تواليف . وبيتُه فى المولَّدين تليدُ النباهة ـــ وبذلك استعان على مرامه ـــ إلى ما لأهل بلده من بأس شديد ، وكثرة عديد .

[١٧٨-ب] ولمـا أمكن أهلُ مُرْسِيَة منها الرومَ فى شوال / سنة أربعين وستمائة ، ضَلَّل رأيَهم ، وأبدى مخالفتَهم ، وجعل يجادلهم بلسانه ، ويجالدهم بسنانه ، فدعا ذلك إلى قصْده ، والعَيْث فى جهته ، حتى اضطر إلى المسالمة ، وعلى ذلك بقى إلى أن توفى فى أول سنة خمس وأربعين(٢) . وله أشعار بمقصده شاهدة ، وعلى معتقَدِه متواردة ، منها قوله :

---

(١) أورد ابن الخطيب فى أعمال الأعلام (ص ٢٧٤ – ٢٧٥) مادة طيبة عن أبى بكر عزيز بن أبى مروان بن خطاب ، فيها زيادات نافعة .

(٢) لم أجد فى المراجع ما يعين على التأكد من صحة قراءة اسم صاحب هذه الترجمة : ابن أحلى . وحوادث مرسية فى أيامها الإسلامية الأخيرة غامضة ، حتى التواريخ متناقضة ، رغم =

= ما بذله جسبار ريميرو فى كتابه الذى أشرنا إليه مراراً عن تاريخ مرسية الإسلامية ، وقد ظهرت بعد هذا الكتاب أصول عربية كثيرة تعيننا على إلقاء شيء من الضوء على ما وقع فى تلك الكورة العظيمة — كورة تدمير — قبل خروجها من دار الإسلام . وفيما يلى ملخص لما استطعت الوصول إليـــه :

ا — كان آخر كبار ولاة مرسية من الموحدين أبا عبد الله محمد بن أبى يعقوب المنصور الذى قام على عمه عبد الواحد بن أبى يعقوب يوسف ونادى بنفسه خليفة وتلقب بالعادل ، وترك فى مرسية السيد أبا العباس بن أبى موسى بن عبد المؤمن ، وهو الذى قام عليه محمد بن يوسف بن هود فى الصخيرات على مقربة من مرسية ، ثم دخل ابن هود مرسية فى رجب ٦٢٥/يونيو ١٢٢٧ وأصبحت مركز أعماله .

ب — وفى ٢٤ جمادى الأولى ٦٣٥/١٤ يناير ١٢٣٨ مات محمد بن يوسف بن هود قتيلا على يد رجل من رجاله هو عبد الله الرميمى الذى كان قد ولاه على المرية ، قتله بسبب المنافسة على امرأة : احتال عليه حتى دخل عنده بما عرف عنه من سلامة النية ، ثم أدخل عليه الرميمى رجالا خنقوه . وكان محمد بن يوسف بن هود — على شجاعته وحسن نيته — سيئ الحظ فى رجاله ، لم يخلص له أحد منهم (راجع البيان المغرب : ٣٨٩/٤) .

ج — وبعد موته بايع أهل مرسية ابنه أبا بكر وتلقب بالواثق بالله ، ولم يكن له شيء من ملكات أبيه ، فلم يحكم إلا سبعة أشهر ، وعزله أهل بلنسية وولوا قاضيهم وفقيههم عزيز بن خطاب الذى سبق أن ترجم له ابن الأبار . وكانت المبايعة له فى ٤ محرم ٦٣٦ وتلقب بضياء السنة .

د — ولم يستقم الأمر لعزيز بن خطاب ، فقام عليه الناس واستدعوا صاحب بلنسية أبا جميل زيان بن مردنيش ، فدخلها فى ١٦ رمضان سنة ٦٣٦ ودعا فيها للأمير أبى زكريا الحفصى صاحب تونس . وكان أبو بكر بن محمد بن يوسف بن هود عندما أخرج من مرسية لجأ إلى القشتاليين فأعطوه حصناً مجاوراً لمرسية وزودوه بجند ، فمضى يغاور البلد « فكان أشد ضرراً من الروم على أهل مرسية » (البيان : ٤٣٦/٤) .

هـ — وحوالى سنة ٦٤٠/١٢٤٢ ساءت أحوال مرسية بسبب مغاورة القشتاليين لجهاتها . وكان محمد بن نصر بن الأحمر قد دخل فى طاعة فرناندو الثالث وحالفه على ألا يتعرض لجنوده وأن يمده بجند من عنده حتى فى حالة حصار بلد مسلم ، وقد اشترك ابن نصر فى الحملة التى استولت على إشبيلية وأخرجتها من دار الإسلام . وانتهى الأمر بأهل مرسية إلى أن عاهدوا القشتاليين على الدخول فى طاعتهم نظير جزية يدفعونها ، وأسلموا لهم قصبة البلد ، وهذا هو ما احتج عليه ابن أحلى المترجم له هنا . ثم ثار المرسيون على القشتاليين المستقرين فى القصبة ، وحاصروهم وأخرجوهم من بلدهم ، وكتبوا إلى محمد بن نصر يدخلون فى طاعته ، فأرسل إليهم أبا محمد بن أشقيلولة والياً ، فهاجمه القشتاليون وضيقوا عليه ، فخرج هارباً تاركاً المرسيين دون حماية ، =

المرء يعـــلَم بالضرورة نفسَهُ والثابتُ الموجودُ حىٌّ واحـــدُ
والخلق بين حقيقةٍ ومقـــدَّرٍ تقضى عليه بالافتقار شـــواهدُ
فانظر بعقلك إن بدا لك شرح ذا ك فأنت حَبْرٌ مستقيمٌ راشـــدُ

وأنشدنى له بعض أصحابنا :

تقطعتِ الأسبابُ ثم بقيتَ لى فهل أشتكى يوماً من الذل والفقرِ ؟
لئن لم يكن منك البعاد فإننى سيَغبِطُنى أهلُ الملامة فى أمرى
فلو عرفوا منك الذى قد عرفتُهُ لَلاح لهم تفريطُهم ، وبدا عذرى
سواء ــ لعَمْرى ــ ذمُّهم وثناؤهم إذا كنتَ تدرى من عبيدك ما تدرى

وله :

خليلىَّ قد ضاقت علىَّ مذاهـــبى وكفـكفتُ نفسى عن جميع مطالبى
وضاقت جفون العين عن عبَراتها لأمرٍ يراه الخُـبْرُ ضربةَ لازبِ

= فتزعمهم رجل من كبارهم تسميه المراجع اللاتينية **Abenhodeil** أى ابن هذيل . ولم يستطع الاستمرار ، ويبدو أنه كان يخاف من بنى الأحمر ، فاتصل برجال فرناندو الثالث وعلى رأسهم پلاى پيريت كوريا **Pelay Pérez Correa** وتعاهد معه على إسلام البلد مع ضمان السلامة فى المال والنفس ، ودُخلت مرسية فى ٩ ذى القعدة ٦٤٣/ آخر مايو ١٢٤٣ وأسرع فرناندو الثالث ليتسلم البلد ، وتم ذلك خلال السنة التالية ٦٤٢/١٢٤٤ .

و ــ وقد أساء فرناندو الثالث ورجاله أشد الإساءة إلى هذا النفر من المرسيين الذين استبسلوا فى الدفاع عن بلدهم . ويقول ابن عذارى إنهم خرجوا من مرسية واستقروا فى موضع يسمى الرِّشّاقة (لم أستطع تحقيقه) ، ثم طردهم القشتاليون منه سنة ٦٧٣/١٢٨٤ ــ ١٢٨٥ وفى الطريق هاجموهم وأنزلوا بهم مذبحة عند وَرْكَل **Huercal Overa** فى الطريق إلى غرناطة وأسروا نساءهم وقتلوا أطفالهم بعد أن قضوا على الرجال جميعاً .

انظر بالإضافة إلى الصفحات آنفة الذكر من البيان المغرب ، الترجمة الإسبانية بقلم أويثى ميراندا ، ج ٢ ص ٢٨٧ وبايستيروس ، تاريخ إسبانيا ، ج ٣ ص ١١ ــ ١٣ . ويلاحظ أن ابن عذارى يخطىء هنا فى التواريخ (ج ٤) .

وشِبتُ ولم أبلغ ثلاثين حِجَّـةً ... لُحجةِ جبارٍ على الخلق غالبِ
دعانى وشجوى والأسى وبلابلى ... فلا تَعذِلانى فى الدموع السواكب
أألتذُّ بالدنيا وأرنو لحسنها ... ولستُ إليها بعد موتى بآيب
لعَمْرى لقد أصبحتُ سكرانَ حائرًا ... جديرًا بما عندى ، ولستُ بشارب

١٦٩ – محمد بن سُبَيع بن يوسف بن سعد بن محمد بن سعد الجُذَامى ، أبو عبد الله

وَلِىَ دانية لابن عمه أبى جُمَيل زَيَّان بن مُدافِع بن يوسف أمير بَلَنْسِيَّة ، وانتزى عليه / فيها ، ثم هرب وأسلمها[1] . وكان قد انتزى قبل ذلك بمُرْسِيَة ، [١٧٩-ا] فقُيِّد واحتُمل إلى مرّاكُش ، وحبس بها مدة . وله مشاركة فى الأدب ومطالعة لغيره ، ومن شعره :

ولما رأيتُ القُربَ دونَ مناله ... عوائقُ دنيا تُلحِق الحرَّ بالتُّرب
توجهت للمحراب أبغى وجاهـةً ... لعلى بها أرقى إلى رُتبة القرب

(١) كانت دانية من البلاد التى دخلت فى طاعة محمد بن يوسف بن هود ، فلما توالت عليه الهزائم – وخاصة من ناحية أبى عبد الله بن نصر بن الأحمر ، فقد أوقع به كما يقول ابن الخطيب ثلاث مرات أخراهن سنة ٦٣٣ أو ٦٣٤ ، ثم هزيمة المأمون أبى العلا إدريس الموحدى إياه سنة ٦٣٥ ، وفقده معظم كبار العواصم التى كانت فى يده مثل إشبيلية وقرطبة وقرمونة – خرج عليه أبو جميل زيان بن مردنيش واستقل ببلنسية ومد سلطانه على دانية وولى عليها ابن عمه محمد بن سبيع ابن يوسف بن مردنيش الجذامى المذكور هنا ، وأخرج منها والى ابن هود أبا الحسين يحيى بن أحمد ابن عيسى الخزرجى الذى سبقت الترجمة له ، ثم تمكن أبو الحسين من العودة إلى دانية وإخراج محمد بن سبيع ، فمضى إلى تونس حيث توفى فى ٢٨ ربيع الأول ٦٥٣/٦ يونيو ١٢٥٥ .

وتوفى بحضرة تونس — كلأها الله — فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

١٧٠ — سعيد بن حَكَم بن عمر بن حَكَم القرشى ، أبو عثمان

أصله من طَبِيرَة[١] بغرب الأندلس ، وبها وُلد . وكان بإفريقية لما خاف من والى إشبيلية ، ثم قدم على مُيورْقَة قبل أن يدخلها الرومُ عنوةً فى منتصف صفر سنة سبع وعشرين وستمائة بيسير ، فقُدِّم منها عاملا على مِنُورْقَة ، إلى أن تغلب على قاضيها أبى عبد الله محمد بن أحمد بن هشام — وقد صارت إليه رئاستُها — فى قصة طويلة ، وانفرد بضبطها من ثانى عيد الفطر سنة إحدى وثلاثين وستمائة إلى وقتنا هذا . وأخرج ابنَ هشام وابنَه ، ثم استرجعهما ، فكان ذلك آخر العهد بهما .

---

(١) طبيرة : لم يزد ياقوت فى التعريف بها على قوله : مدينة بالأندلس (٦/٢٩) وذكرها الإدريسى (ص ١٦٩) ، واختلط أمرها على ابن عبد المنعم الحميرى فلم يعرف هل هى طلبيرة أم طبيرة (الروض رقم ١١٣ ص ١٢٣) . والمراد مدينة Taveiro فى مديرية الدويرُه ، وتابعة لقُلُمْرِيَة Coimbra من الناحية الكنسية ، وهى على بعد كيلومترين من مصب نهر مُنْدِيق Mondego على البحر قرب حدود إسبانيا مع البرتغال ، وتبعد ٨ كيلومترات عن قلمرية .

انظر : دائرة المعارف الإسبانية (إسباسا كالپ) مجلد ٥٩/٩٤٧ .

وهناك طبيرة أخرى فى الأندلس ، وتكتب Tavira فى البرتغال أيضاً ، مركز إدارى فى مديرية الغرب Algarve وهى على ساحل البحر على نحو ٦٠ كيلو متراً غربى فارو (شنتمرية الغرب) . ولا أدرى من أيهما كانت أولية سعيد بن حكم المترجم له هنا .

ودُعي بـ « الرئيس » ، وشارط الرومَ على متاركته ، وبثَّ مساكنته ، بإتاوة لم يُخِلّ بحملها إليهم في كل سنة . فامتد مَهَلُه ، وحُمدت سيرتُه ، وكثر الانتفاع به في جزيرته ، حتى يُمِّمت منتجَعاً ، وصارت للمنقطع به مَفزعاً . وأما العُناة فكأنما فكُّهم عليه دَين ، هـذا ولا وَرِق بنواحيه يتسع فيه ولا عَين(١) .

(١) أورد ابن عبد المنعم الحميرى فى مادة ميورقة (رقم ١٨٢ ص ١٨٨ وما بعدها) تفصيلا طيباً لبعض أحداث الجزائر الشرقية فى آخر عصرها الإسلامى . وقد ضاعت هذه الجزائر كما ضاع الأندلس على إثر التفكك العام لدولة الموحدين فى الأندلس بعد ثورة أبى عبد الله محمد ابن يعقوب المنصور الملقب بالعادل على عمه عبد الواحد الملقب بالمخلوع . وقد فصَّل ضياع هذه الجزر ألبارو كمپانير إى فْورْتيس فى كتاب جامع لتاريخ الجزائر الشرقية فى حكم المسلمين :

ALVARO CAMPANER Y FUERTES, *Bosquejo histórico de la domina-ción islamita en las Islas Baleares* (Palma, 1888).

وتناول الكلام عنها فى عصر المرابطين كوديرا :

FRANCISCO CODERA, *Almorâvides*, p. 167 - 178.

وتكلم عنها فى العصر الموحدى وفصل الحديث عن دولة بنى غانية فيها ألفريد بل :

ALFRED BEL, *Les Banou Ghanya* (Paris, 1903).

وخاصة الفصل التاسع (ص ١١٧ وما يليها) حيث يروى نهاية دولة بنى غانية واستيلاء الناصر الموحدى عليها سنة ١٢٠٣/٦٠٠ — ١٢٠٤ وقتله آخر ولاتها من ذلك البيت — عبد الله بن غانية — وإقامته الفقيه عبد الله بن طاع الله الكومى ثم استبدا له بالسيد أبى زيد بن أبى يعقوب يوسف.

وأحسن ما لدينا عن جغرافية هذه الجزائر أيام العرب جمعه زايبولد فى مادة بليار **Baleares** فى د.م.إ (١/٦٣٠ — ٦٤٠) . وأورد ابن عبد المنعم الحميرى مادة لكل من ميورقة ومنورقة ويابسة ، وهى الجزائر الثلاث الكبرى فى ذلك الأرخبيل . وقد سقطت الجزائر الشرقية فى يد خايمه الأول الملقب بالفاتح ملك أرغون بعد حرب طويلة مريرة ، إذ أنه رغم تفكك القوة الإسلامية كان هناك من القوة لدى سكانها من المسلمين ما مكنهم من الصمود للعدوان . وقد سقطت ميورقة فى ١٤ صفر ٦٢١/ أول يناير ١٢٣٠ ، أما منورقة فظلت فى يد أبى عثمان سعيد بن حكم المترجم له ، ثم ابنه أبى عمر حكم بن سعيد حتى سنة ١٢٨٧/٦٨٦ وقد اختص ابن الخطيب كلا منهما بمادة طيبة (ص ٢٧٥ — ٢٧٧) ، وفى نهاية المادة الخاصة بأبى عمر حكم يقص علينا كيف كانت نهايته المحزنة غرقاً فى البحر مع أهله جميعاً ، وهو فى طريقه إلى إفريقية .

وكثير من الأدباء استرقَّهم بإعتاقهم ، فنوهت بصنيعه أمداحُهم ، وآخرون ركبوا إليه ثَبَج البحر ، ففازت بجميل اصطناعه قِداحُهم . وبالجملة فالجود المحض صناعته ، والأدب الغض بضاعته . ومن شعره :

أما الهوى فسجيتى إضمارُهُ   لولا الدموعُ لما فشت أسرارُهُ
ما عيل بالكتمان صبرى إنما   عَظُمَ الغرامُ فضاق عنه قرارُهُ
[١٧٩ـب] /ينهلُّ دمعى ما تُشَبُّ جوانحى   والغصن يَنْدَى إذ تأجَّج نارُهُ
جمحت جيادُ الحب بى حتى أتت   مضمارَ قيسٍ والردى مضمارُهُ
لله غصن ناعم قلْبى له   مثوى غـدا بُرداً عليه أوارُهُ
أظمأتُه بالعتْب ثم سقيتهُ   دمعى فأصبح والرضا إثمارُهُ

وله :

نَقْط المداد على بُرود الكاتبِ   كالخال فى خد الفتاة الكاعبِ
لا شىء يحسُن بالمداد كثوبه   إن المدادَ لَوَشْىُ ثوبِ الكاتبِ

وله :

إنى لأعجب من ملوكٍ أصبحوا   وهمُ موالٍ أعبُدُ الشهواتِ
الأطيبان مَرادُهم ومُرادُهم :   أرب الفروج وإربة اللهَواتِ
لو وُفِّقوا وقَفوا اجتماعَهمُ على   نفى الهوى فضلا عن الخلَوات
مرتْ سنون وهم مِلاكٌ للورى   يا ليتهم مروا مع السنوات
ما نحن إلا فى فلاة للردى   فلتُحذَر الشهواتُ فى الفلوات

باب فى الذين ما عثرت على أشعارهم فاقتصرت على نكت من أخبارهم

المائة الأولى من الهجرة

دخل إفريقية من أمراء الصحابة رضى الله عنهم[1] :

١٧١ — عبد الله بن سعد بن أبى سرح

القرشى العامرى ، وهو افتتحها فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة سبع وعشرين .

---

(١) سبق أن ترجم ابن الأبار لعمرو بن العاص أول من دخل المغرب فاتحاً من العرب . وهو هنا يترجم لبقية من اشترك فى فتوح المغرب من الصحابة والتابعين ممن لم يؤثر عنهم شعر . وهو يكتفى هنا بفقرات ينقلها عن « فتوح مصر والمغرب والأندلس » لعبد الرحمن بن عبد الحكم ، ولهذا فسأكتفى هنا بالمراجعة على ذلك الأصل . أما فيما يتصل بتفاصيل الفتح فقد اختصصناها ببحث طويل مفرد : « فتح العرب للمغرب » (القاهرة ١٩٤٨) ، وقد أعددنا له طبعة ثانية منقحة مزيدة استوفينا فيها كل ما ظهر من الأصول والأبحاث من تاريخ نشر الطبعة الأولى من هذا البحث إلى الآن .

١٧٢ – ومعاوية بن حُدَيج السَّكُونى

وقيل فى نسبه غير ذلك[١] . غزا إفريقية ثلاث غزوات : أولاها سنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان ، وأعطى عثمانُ مروانَ الخُمسَ فى تلك الغزوة ، ولا يعرفها
[١٨٠-ا] كثير من الناس ، والثانية سنة أربعين ، والثالثة سنة خمسين[٢] ؛ / كذا حكى أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى تاريخه عن يزيد بن أبى حبيب[٣] .

وحكى أيضاً أن معاوية هذا خرج بعد عبد الله بن سعد إلى المغرب سنة أربع وثلاثين ومعه فى جيشه عبدُ الملك بن مروان وجماعة من المهاجرين والأنصار ،

= وطبعة فتوح ابن عبد الحكم التى نرجع إليها هى التى نشرها ألبير جاتو ALBERT GATEAU وعنوانها : *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne* (2 *ème* édition) *Bibliothèque Arabe-Française*, vol II Alger, 1947.
وهى طبعة جيدة أتى الناشر فيها بالنص العربى وفى مقابله ترجمة فرنسية ، وأضاف إلى ذلك تعليقات كبيرة الفائدة .

(١) الذى قيل فى نسبه غير ذلك هو أنه من تُجيب ، ولا خلاف بين القولين ، لأن السَّكُون فرع من بنى أشرس بن كندة ، ولهم فرع ثان هم السَّكاسك ، قال ابن حزم فى الجمهرة : «أمهما تجيب بنت ثوبان بن سُليم بن رُهَاء بن مذحج ، نسبوا إليها . منهم : معاوية بن حديج بن جفنة ابن قُتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون ، له صحبة ، يكنى أبا نُعيم » (الجمهرة ، ص ٤٠٣) . وانظر الاستيعاب لابن عبد البر ، ترجمة رقم ٨٠٦٢ ، ونهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب لأبى العباس أحمد القلقشندى (بتحقيق إبراهيم الإبيارى ، القاهرة ١٩٥٩) ص ١٨٥ .

(٢) روى ابن عبد الحكم هذا الخبر بنصه تقريباً بعد الخبر الذى سيورده ابن الأبار فيمايلى . (فتوح ، ٥٨ – ٦٠) .

(٣) الخبر عند ابن عبد الحكم (ص ٥٨) مروى عن عبد الملك بن مَسْلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب .

فافتتح قصوراً وغنم غنائم عظيمة واتخذ قيرواناً فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر . و بعث فى هذه الغزاة عبد الملك بن مروان إلى جَلُولاَ[١] فافتتحها فى خبر غريب[٢] تقدم ذكره .

وغيرُ ابن عبد الحكم يقول إن معاوية بن حُدَيج غزا إفريقية سنة خمس وأربعين ، وأن الخمسَ الذى أعطاه عثمانُ مروانَ هو خُمس ما غنم ابن أبى سَرْح ، وكان عظيماً وهو أحد الأسباب المَنْعِيَّة على عثمان رضى الله عنه .

١٧٣ — وعقبة بن نافع الفهرى

أغزاه معاويةُ بنُ أبى سفيان سنة ست وأربعين ، فخرج إلى إفريقية فى عشرة آلاف من المسلمين فاختط مدينة القيروان ، وأسلف آثاراً كريمة ، وكان من خيار الولاة والأمراء ، مستجابَ الدعوة . ثم صُرِف ، وأعيد ثانية فى سنة اثنتين وستين فقتلته البربر ومن معه بمقربة من تَهُوذَة[٣] فى سنة ثلاث وستين ، وقبره هناك يُتبرك به إلى اليوم .

---

(١) جلولا أوجلولاء مدينة صغيرة كانت على ٢٤ ميلا من القيروان . اسمها معرب عن اللاتينية Cululis أو Couloulis (انظر عنها كتابنا فتح العرب للمغرب ، ص ١٢٣ هامش ١) .

(٢) تقدم ذكره عند ذكر عبد الملك بن مروان . والخبر وارد عند ابن عبد الحكم ، ص ٥٨ .

(٣) تهوده (بالدال أو الذال) : مدينة رومانية قديمة لم يبق منها إلى الآن إلا أطلالها . وهى على أربعة كيلومترات تقريباً شمال واحة سيدى عقبة الحالية فى جمهورية الجزائر.

١٧٤ – وبُسْر بن أرطاة بن أبي أرطاة القرشي العامري[١]

غزا طرابلس مع عمرو بن العاصي فبعثه إلى وَدّان[٢] فافتتحها وفرض على أهلها ثلاثمائة وستين رأساً . ثم خرج مع عقبة بن نافع غازيا وافتتح قلعة من القيروان على ثلاثة أيام فعرفت بقلعة بُسْر إلى اليوم . وقد قيل إن الذى بعث بُسْراً إلى هذه القلعة هو موسى بن نُصير ، والأول أوضح وأصح .

ومن أمراء التابعين :

١٧٥ – أبو المهاجر دينار ، مولى الأنصار

قال ابنُ عبد الحكم : عُزل عقبة – يعنى ابن نافع – فى سنة إحدى وستين ، عزله مَسْلمة بن مخلد الأنصارى من قِبل معاوية – يعنى ابن أبى سفيان – وهو أول مَن جُمعت له مصر والمغرب ، وولى أبا المهاجر ديناراً ،

(١) ورد اسمه فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ١٦١) : بشر بن أرطاة بن أبى أرطاة . واسم أبى أرطاة عُمَيْر بن عويمر بن عمر بن الحُلَيْس بن سيار بن مُعَيْص ، وهو أحد قواد معاوية وأكابر أصحابه . ثم عاد ابن حزم فذكره فى ص ٣١٥ بُسْر بن أبى أرطاة ، والمشهور بسر .

(٢) ودان مدينة فى ليبيا الحالية تقع على مسيرة ١٢ يوماً جنوبى صُرت (سيرتا) . انظر عنها حتى القرن السادس الهجرى : البكرى ، ص ٢٩ – ٣٠ . وودان اليوم مدينة صغيرة زاهرة فى ولاية طرابلس فى المملكة الليبية ، وتقع فى منخفض الجفرة على بعد ٣٨٠ كيلو مترا جنوبى صرت .

مولى الأنصار ، وأوصاه أن يعزل عقبة أحسن العزل ، فخالفه ، فسجنه وأوقرَه حديداً حتى أتاه كتاب الخليفة بتخلية سبيله و إشخاصه إليه ، فخرج عقبةُ حتى أتى « قصر الماء » / فصلى ثم دعا وقال : اللهم لا تُمِتنى حتى تمكِّنِّى من [١٨٠-ب] أبى المهاجر دينار بنِ أمٍّ دينار ، فبلغ ذلك أبا المهاجر ، فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته .

ولما قَدِم عقبةُ مصرَ ركب إليه مَسلمةُ بن مُخَلَّد ، فأقسم له بالله لقد خالفه أبو المهاجر فيما صنع ، « ولقد أوصيته بك خاصة »[١] .

ثم قدم عقبةُ على معاوية فقال له : « فتحتُ البلادَ ، و بنيتُ المنازلَ ، ومسجدَ الجماعة[٢] ، ثم أرسلتَ عبدَ الأنصار فأساء عزلى ! » فاعتذر إليه معاوية ، وقال : « قد عرفتَ مكان مَسْلَمَة بن مخلَّد من الإمام المظلوم[٣] ، وتقديمَه إياه ، وقيامَه بدمه ، و بذلَ مهجته ، وقد رددتك على عملك » .

قال : ويقال إن الذى قدم عليه عقبةُ هو يزيدُ بن معاوية بعد موت أبيه ، فرده والياً على إفريقية ؛ وذلك أصح ، لأن معاوية توفى سنة ستين[٤] .

فخرج عقبةُ سريعاً لحَنَقِه على أبى المهاجر ، حتى قدم إفريقية فأوثق أبا المهاجر وأساء عزلَه[٥] .

---

(١) إلى هنا يتابع ابنُ الأبار عبدَ الرحمن بن عبد الحكم حرفياً (ص ٦٨) ثم أسقط بعد ذلك فقرة كبيرة فيها تعليل مسلمة لعزله عقبة وتوليته أبا المهاجر ، وفيها طرف من أعمال أبى المهاجر فى إفريقية .

(٢) أسقط ابن الأبار هنا من كلام عقبة : ودانت لى (ص ٦٨) .

(٣) يريد عثمان بن عفان .

(٤) هذا كلام ابن عبد الحكم .

(٥) هذا أيضاً كلام ابن عبد الحكم مع شىء من الاختصار .

وفى تاريخ أبى إسحاق الرقيق : أن أبا المهاجر لما قدم إفريقية كره أن ينزل الموضع الذى اختطه عقبةُ بن نافع ، فمضى حتى خلَّفه بميلين مما يلى طريق تونس ، فنزل واختط بها مدينةً أراد أن يكون له ذِكرُها ، ويُفسد عملَ عقبة . وأمر الناس أن يخربوا القيروان ويعمروا مدينته .

وذكر ابنُ عبد الحكم أيضاً نحو هذا ، وقال : كان الناس يغزون إفريقية ثم يقفلون منها إلى الفسطاط ، فأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار ، أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلا[1] .

وعن غيره : أن معاوية تراخى فى صرف عُقبة بن نافع — كما وعده — إلى عمله حتى توفى ووَلىَ ابنهُ يزيد بن معاوية ، فلما علم حالَ عقبة غضب وقال : « أدركْها قبل أن تهلَك وتفسد »[2] ، فولاّه إفريقية وقطعها عن مَسْلَمة بن مُخَلَّد ، وأقرّه على مصر ، وذلك سنة اثنتين وستين . فرحل عقبةُ من الشام حتى قدم إفريقيةَ ، وأوثق أبا المهاجر فى الحديد ، وأمر بخراب مدينته ورد الناس إلى القَيْرَوَان .

وكان عقبةُ فى ولايته الأولى لم يعجبه القَيْرَوَانُ الذى بناه معاوية بن حُدَيج قبلَه ، فركب والناسُ معه ، ويقال إنه كان فى ثمانية عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائرُهم من التابعين ، فدعا اللهَ وأصحابُه يؤمِّنون عليه / وقد [١٨١ – ا]
أتى موضعَ القَيْرَوَان اليومَ ، وكان وادياً كثير الشجر ، تأوى إليه الوحوشُ والسباع والهوام فنادى بأعلى صوته : « يا أهل الوادى ! ارتحلوا فإنا نازلون » . نادى بذلك ثلاثةَ أيام ، وقيل ثلاثَ مرات ، فلم يبق من السباع شىء ولا الوحوش

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٦٨ .

(٢) فى رياض النفوس لأبى بكر المالكى : « أدركوها قبل أن يخربها » (ص ٢٢) .

ولا الهوام إلا خرج ، وأمر الناس بالخطط[١] ، وركز رمحه وقال : « هـذا قَيْرَوَانُـكم » .

ولما قبض عقبةُ على أبى المهاجر غزا إلى السوس وهو معه فى وِثاقه ، ثم انصرف إلى إفريقية ، وقد جال فى بلاد البربر وقتلهم كيف شاء ، فلما دنا من القَيْرَوَان[٢] أمر أصحابه فافترقوا ، وبقى فى قلة ، فأخذ على مكان يُقال له تَهُودة ، فعرض لهم كُسِيل[٣] فى جمع كبير من الروم والبربر ، فاقتتلوا فقُتل عقبةُ ومن

(١) رواية ابن عبد الحكم : « فأمر الناس بالتنقية والخطط ، ونقل الناسَ من الموضع الذى كان معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم ، وركز رمحه وقال : هذا قيروانكم » (ص ٦٦) . وقد ناقشنا هذه الأسطورة بالتفصيل فى كتابنا « فتح العرب للمغرب » ص ١٤٠ وما بعدها .

(٢) ابن الأبار يتابع هنا ابن عبد الحكم مع تصرف كبير يخل بالنص ويفسد نسق الأخبار . انظر فتوح ابن عبد الحكم ، ص ٦٨ — ٧٠ ، وكتابنا « فتح العرب للمغرب » ص ١٣٥ وما بعدها .

(٣) كذا ورد الاسم هنا ، والمشهور كَسِيلة . وقد تركت الاسم كما كتبه ابن الأبار فهى قراءة طيبة للإسم (راجع : فتح العرب للمغرب ، ص ١٧١ هامش ٣) .

وكسيلة زعيم من زعماء البربر كان شيخاً لقبيلة أَوْرَبَة من قبائل المغرب الأوسط ، واسمه الكامل : كسيلة بن لمزم — أولَـزَم أو أغز — الأوربى . وأول ما نسمع عنه حوالى سنة ٥٠ هـ . عندما تقدم أبو المهاجر دينار نحو المغرب الأوسط فيما يلى بنزرت غرباً . وكانت مضارب أوربة فى المنطقة المحيطة بتلمسان وجنوبها . ويقال إن القبيلة كانت نصرانية ، وكذلك رئيسها ، ولكن ذلك غير ثابت . فلما سمع كسيلة باقتراب أبى المهاجر سار نحوه، ووقعت بينهما حرب لم يطل أمدها ، لأن أبا المهاجر عرف كيف يكسب كسيلة إلى جانبه ، فدخل فى الإسلام ، وارتبط الرجلان برباط صداقة كانت خير معين على الاستمرار فى الفتح . وظل الأمر كذلك إلى أن عُزل دينار أبو المهاجر وعاد عقبة بن نافع ، فقبض على دينار وأوثقه فى الحديد ، وكذلك فعل بكسيلة سنة ٦١ هـ . وقام بغزوته الكبيرة التى بلغ فيها المحيط الأطلسى ، وقد تمكن كسيلة من الاتصال بقومه ودبر معهم الإيقاع بعقبة ، وهرب إليهم فى أثناء ذلك ، وكان من أكبر المدبرين لمقتل عقبة فى تهودة سنة ٦٣ هـ . ثم سار كسيلة واحتل القيروان ، وظل كذلك حتى سار زهير بن قيس =

معه ، وقُتل أبو المهاجر في الحديد ، وقيل إن عقبة لما غشيه البربر نزل فركع ركعتين ، وبلغه أن أبا المهاجر تمثل بقول أبي مِحْجَن الثقفي :

كفى حَزَنًا أن تُقرعَ الخيلُ بالقنا[1] وأُتركَ مشــدوداً عليّ وثاقيا
إذا قمتُ عنّاني الحديدُ وأُغلقتْ مَصارعُ من دوني تُصِمُّ المناديا

فأمر بإطلاقه وقال له : « الحق بالمسلمين فقم بأمورهم ، وأنا أغتنم الشهادة » ، فقال له أبو المهاجر : « وأنا أغتنم ما اغتنمت » . فكسر كل واحد منهما جفن[2] نفسه ، وكسر المسلمون أغماد سيوفهم ، وأمرهم عقبةُ أن ينزلوا ولا يركبوا ، فقاتلوا قتالا شديداً حتى قُتِلوا ، ولم يفلت منهم أحد ، وأُسِر محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خَلَف القيسي[3] ونفر معهما ففاداهم ابنُ مصاد صاحب قفصة[4] ، وبعث بهم إلى زهير بن قيس .

= البلوي بحملته على إفريقية سنة ٦٩ ، فانسحب كسيلة إلى مدينة ممس — أو ممش — وهي حصن بيزنطي كان يسمى Mamma . وعند هذه المدينة دارت المعركة الفاصلة بين العرب وكسيلة ، وقد انهزم فيها وقتل وتمهد الطريق لدخول المغرب الأوسط في رحاب الدولة الإسلامية . وكان لهذه المعركة نتائج سياسية [illegible]ى .

انظر : فتح العرب للمغرب ، ص ١٧٥ — ٢٢٥ .

(١) الأصل : * كفى حزناً أن تمزع الخيل بالقنا * وقد صوبت لفظ «تمزع» من رواية المالكي في « رياض النفوس » ج ١ ص ٢٧ ، و« معالم الإيمان » للدباغ ، ج ١ ص ٤٩ .

والبيتان لأبي محجن عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي ، وقد أورد أبو الفرج الأصبهاني القصيدة كاملة في الأغاني ج ٢١ ص ١٣٩ ، ولكن البيت الأول جاء محرفاً غير مستقيم الوزن هناك .

(٢) الجفن : غمد السيف .

(٣) لم أجد اسم يزيد بن خلف القيسي هذا إلا عند ابن الأبار .

(٤) ورد الاسم على هذه الصورة أيضاً عند ابن خلدون : ٤/١٨٦ ، وأبي المحاسن : النجوم الزاهرة : ١٠/١٥٩ .

وقال ابنُ عبد الحكم : أن ابن الكاهنة البربرى خرج على أثر عُقبة فى توجهه إلى السُّوس يغوِّر المياه ، كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابنُ الكاهنة[1] . فلما انتهى عقبة إلى البحر أقحم فرسه فيه حتى بلغ نحره ، ثم قال : « اللهم إنى أشهدك ألا مجاز ، ولو وجدت مجازاً لجزت » . وانصرف راجعاً والمياهِ قد غُوِّرت ، فتعاونت عليه البربر ، فلم يزل يقاتل وأبو المهاجر معه فى الحديد ، فلما استحر الأمر أمر بفتح الحديد عنه ، فأبى أبو المهاجر وقال : « ألقى الله فى حديدى ! » فقتلا ومن معهما .

١٧٦ — /وزُهَيْر بن قيس البَلَوِى [١٨١-ب]

كان عُقبة بن نافع لما خرج إلى[2] السُّوس استخلف على القيروان عمر بن على القرشى وزُهَير بن قيس البَلَوى ، فخالفه رجل من العجم فى ثلاثين ألفاً إلى عُمر وزهير وهما فى ستة آلاف ، فهزمه الله[3] .

---

(١) لا ندرى على وجه التحقيق من المراد بابن الكاهنة هذا . وقد رجحت فى بحثى عن فتح العرب للمغرب أن المراد به كسيلة (انظر ص ١٨٥ وما بعدها) ، وليس معنى ذلك أنه ابنها فعلا ، بل كناية عنه . وقد انفرد ابن عبد الحكم بهذا الخبر الهام الذى ألقى ضوءاً على ما كان يدبَّر لعقبة دون أن يدرى . وفى الترجمة الفرنسية لنص ابن عبد الحكم تساءل ألبير جاتو فى تعليق رقم ٨٨ ص ١٥٩ عما إذا كان كسيلة ابن الكاهنة حقاً . وقد اعتمدت فى القول بأن المراد بابن الكاهنة هو كسيلة على ما ذكره ابن عبد الحكم نفسه فى خبر ذكره قبل ذلك : « فأخذ – يعنى عقبة – على مكان يقال له تهوذه فعرض له كسيلة بن لـَمـْزَم فى جمع كثير من الروم والبربر» (ص ٧٠) . وقد أكد ذلك عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم (الذى نشر ليڤى پروڤنسال له نصاً عن فتح العرب للمغرب مع مقدمة قمنا بترجمتها فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤) بقوله فى فقرة ١١ ص ٢٢٠ : « فلما قرُب من تهوذه وجد كسيلة البرانسى قد جمع أكثر من خمسين ألف مقاتل من البرابر» .

(٢) الأصل : مِن ، وهو وهم من الناسخ .

(٣) هذا الخبر منقول عن ابن عبد الحكم (ص ٧٢) ولم يذكره أحد غيره ، ولم نجد فى =

ولما قُتل عقبة زحف ابنُ الكاهنة[(١)] إلى القيروان يريد عُمر وزهير فقاتلاه ، فهُزم ابنُ الكَاهنة وأصحابُه ، ثم خرجا إلى مصر بالجيش لاجتماع ملأ البربر[(٢)] ، وأقام ضعفاء أصحابهما ومَن كان خرج معهما من موالى[(٣)] إفريقية بإطْرابُلُس .

ويقال إن عبد العزيز بن مروان لما وَلىَ مصرَ كتب إلى زُهير بن قيس — وهو يومئذ ببَرْقة — يأمره بغزو إفريقية ، فخرج فى جمع كثير ، فلما دنا من قَمُّونية[(٤)] ، وبها عسكر كَسِيل[(٥)] ، عَبأ زهير لقتاله ، فقُتل كَسِيل ومن معه ، وانصرف زهير إلى بَرْقة وذلك سنة أربع وستين[(٦)] .

= المراجع اليونانية أو اللاتينية ما يدل على أن البيزنطيين أو أى طائفة أخرى من الإفرنج حاولت الهجوم على إفريقية أو القيروان أثناء غياب عقبة . ويبدو أن الخبر كله غير صحيح ، إذ أنه يستبعد أن يهاجم إفريقية أو القيروان جيش من ٣٠ ألفاً دون أن تفصل أمره المراجع . وقد ترجم ألبير جاتو عبارة « رجل من العجم » بقوله : **un étranger** ، وهو تخلص ذكى من صعوبة تحديد المراد بهذا الرجل من العجم . انظر تعليقه رقم ٨٣ ص ١٥٩ .

(١) من الواضح أن المراد بابن الكاهنة هنا هو كسيلة .

(٢) المراد : لانضمام معظم بربر إفريقية إلى كسيلة .

(٣) العبارة منقولة بنصها عن ابن عبد الحكم (ص ٧٤) ، وهذه أول مرة يرد فيها ذكر موال للعرب من أهل إفريقية .

(٤) فى الأصل « قُونية » نقلا عن ابن عبد الحكم (ص ٧٦) وهو خطأ ، والصواب قمونية ، وتكتب أحياناً قَمُّودَة وهى الصورة الأصح ، لأن الاسم معرب عن **Caput - Vada** بلدة كانت قائمة إلى جنوب سوسة الحالية التى كانت تعرف أيام الرومان باسم **Hadrumentum** ، وقد أطلق العرب اسم قمودة (وتحريفه قمونية) على الإقليم الممتد من جنوبى سوسة إلى إقليم قَسْطِيلِيَة ، هكذا حدده ابن حوقل ، وأضاف التيجانى أن إقليم قمودة يصل إلى البحر ، وذكر أنه يضم مدناً كثيرة مثل قاصرة ومذكورة ونَقَاوس وجَمُّونِس الصابون .

انظر : فتح العرب للمغرب ، ص ١٤١ .

(٥) هنا أيضاً ورد الاسم على هذه الصورة .

(٦) كان اللقاء عند مَمْس التى ذكرناها ، ورياض النفوس للمالكى أكثر المراجع تفصيلا هنا (انظر : ج ١ ص ٣٠) وغالبية المؤرخين على أن الموقعة كانت سنة ٦٥ هـ .

ويقال : بل حسان بن النعمان كان الذى وجَّه زهير بن قيس[1] .

وذكر أبو إسحاق الرقيق أن زهيراً هذا أراد الانصراف إلى مصر بعد قتل عقبة ، وقد رعب هو وأصحابه ، فقيل له : أهزيمة من المغرب إلى مصر ؟ فعزم على القتال وقام خطيبا فقال : « يامعشر المسلمين ، إن أصحابكم قد دخلوا الجنة إن شاء الله ، وقد مَنَّ الله عليهم بالشهادة ، وهذه أبواب الجنة مفتَّحة ، فاسلكوا سبيل أصحابكم أو يفتح الله لكم دون ذلك » . فخالفه أبو شُجَاع حَنَش الصنعانى ، ورحل واتبعه الناس ، فلما رأى ذلك زهير نهض فى أثره ، وملك البربرُ القَيْرَوَانَ .

وأقام زهير بنواحى برقة مرابطاً ، فوجه إليه عبدُ الملك بن مروان بغزو البربر واستنقاذ القيروان ، وأمدَّه . فالتقوا فقُتل كَسيل . ودخل زُهير القيروان ، ثم زهد فى المُلك — وكان من رؤساء العابدين — وعاد إلى برقة فصادف الرومَ قد أغاروا عليها ، فقاتلهم فاستُشهد هو وأصحابُه .

١٧٧ — وحسان بن النعمان الغسانى

كان بمصر لما قُتل زُهير بن قيس ، فأمره عبدُ الملك بغزو إفريقية ، فخرج فى أربعين ألفاً ، ولم يدخل أحد من الأمراء قبله إفريقية بمثل هذا الجيش ، فضيق على قَرْطاجَنّة إلى أن تغلب عليها ، ودخلها عنوة فهدمها ، وغزا الكاهنة[2] ملكة

---

(١) هذا القول منقول عن ابن عبد الحكم ، ولم يروه غيره .

(٢) انظر عن الكاهنة وأقوال المؤرخين فيها وحقيقة أمرها وماكان بينها وبين المسلمين « فتح العرب للمغرب » ص ٢٤٢ وما بعدها .

[١٨٢-١] البربر فهزمته ، ثم عاد إلى غزوها فقتلها ، ثم بعث برأسها / إلى عبد الملك ، وعزله عبدُ العزيز بن مروان وأخذ كل ما كان معه[١].

وذكر ابنُ عبد الحكم أن حسان رجع من مصر بعد قدومه على عبد الملك شاكياً بأخيه عبد العزيز لتقديمه على برقة غـ[ـلامه][٢] تليداً وخلف ثقله بمصر ، فقدم على عبد المـ[ـلك][٣] وهو مريض، ثم لم يلبث حسان أن توفى على إثر ذلك .

١٧٨ — وموسى بن نصير

قدم المغرب أميراً عليه فى سنة ثمان وسبعين . وقال الليث : أُمِّر موسى بنُ نصير على إفريقية سنة تسع وسبعين ، وكان والياً من قِبل عبد العزيز بن مروان ، فافتتح عامةَ المغرب ، وبعث بغنائمه إلى عبد العزيز ، فأنهاها إلى عبد الملك ، فسكَّن ذلك منه بعض ما كان يجد على موسى[٤] .

ثم توفى عبد الملك سنة ست وثمانين ، واستخلف الوليدَ بن عبد الملك ، فتواترت فتوح المغرب عليه من قِبل موسى ، فعظمت منزلتُه عنده واشتد عجبه[٥] به .

---

(١) أوجز ابن الأبار أعمال حسان بن النعمان هنا إيجازاً مخلا .
انظر : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٣١ وما بعدها .

(٢) التكملة من فتوح ابن عبد الحكم (ص ٨٢ — ٨٦) والخبر هناك أكثر تفصيلا .

(٣) التكملة أيضاً من ابن عبد الحكم ، ص ٨٤ .

(٤) ذكر ابن عبد لحكم بعض التفصيل عما كان بين عبد الملك بن مروان وموسى بن نصير ، ص ٨٤ .

(٥) العبارة واردة عند ابن عبد الحكم (ص ٨٦) فى نهاية كلامه عن أعمال موسى بن نصير فى المغرب ، ولم يذكر ابن عبد الحكم منها شيئاً ذا بال . انظر عن أعمال موسى هذه : فتح العرب=

ووجّه موسى ابنَه مروان إلى طَنْجَة مرابطاً على ساحلها ، فانصرف وخلّف على جيشه طارقَ بن زياد — وكانوا ألفاً وسبعمائة — فكان ذلك سبب فتح الأندلس[١] : دخلها طارق بمداخلة صاحب طَنْجَة من الروم ، وزحف يريد قُرْطُبَة فتلقّته جنودُها فهزمهم[٢] . وبلغ ذلك لُذْرِيق ملكَ الروم ، فزحف إليه من طُلَيْطِلَة ، فالتقوا على نهر لَكّهْ[٣] من كورة شُذُونة[٤] ، يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين . واتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده — تتمة ثمانية أيام — ثم هزم الله المشركين ، فقُتل منهم خلق عظيم ، أقامت عظامُهم ملبِّسةً لتلك الأرض دهراً طويلا .

=المغرب ، ص ٢٧١ وما بعدها . وأوسع مراجعنا عن هذه الأعمال ما يذكره ابن عذارى في البيان المغرب : ١/ ٣٩ — ٤٦ وعبيد الله بن صالح بن عبد الحليم ، انظر : « نص جديد عن فتح العرب للمغرب » بصحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٢ (سنة ١٩٥٤) ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(١) فيما يلي يوجز ابن الأبار فتح الأندلس ، وقد فصّلت أمره في كتابي « فجر الأندلس » ولهذا فلن أعلق شيئاً على هذه الفقرة ، ويستطيع القارئ أن يرجع إلى الكتاب المذكور إذا شاء مزيداً من التعريف بالوقائع وأعلام الأشخاص والأماكن .

(٢) يعتمد ابن الأبار هنا على ابن عبد الحكم (ص ٩٢ وما بعدها) وأخباره عن فتح الأندلس ضعيفة ، ومنها خبر ذلك القتال الذى جرى بين طارق وجند قرطبة ، ثم مسيره إلى أن بلغها ، ولا يؤيد ابن عبد الحكم في هذا الرأى أحد من مؤرخي الأندلس ، والمعروف أن طارقاً وهو في الطريق إلى طليطلة بعث مغيثاً الرومى في نفر من الجند فاستولوا على قرطبة .

(٣) الأصل لكة بالتاء المربوطة ، والصحيح بالهاء ، وهو تعريب **Lago** أى البحيرة ، والمراد البحيرة التى تسمى اليوم لا خاندا (الخندق) التى ينبع منها نهر البرباط ، وبين هذه البحيرة وشاطئ البحر جرت المعركة التى فتحت للمسلمين أبواب الأندلس .

(٤) كذا وردت في الأصل بالدال ، والشائع بالذال ، ولو أن الصيغة الأولى أقرب إلى الاسم الأصلى **Sidona** ، وقد احتفظ لنا صاحب « التعليق المنتقى من فرحة الأنفس » لمحمد ابن أيوب بن غالب الأندلسى (مجلة معهد المخطوطات العربية ، سنة ١٩٥٦) ص ٢٥ بمعظم كلام الرازى عن كورة شذونة . وقد ذكر فيها أن شريش قاعدتها ، ولهذا سميت الكورة في الترجمتين البرتغالية والإسبانية كورة شريش **Distrito de Jerez**

انظر : صفة الأندلس للرازى ، أرقام ٦٤ و٦٥ و٦٦ ص ٩٦ .

وخفى أثر لُذْرِيق ، فلا يُدرى أين صَقَع ولا ما فعل ، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأشهب الذى كان عليه — وسرجه من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد — وقد ساخت قوائمه فى حمأة وقع فيها ، وغرق العلج فثبت أحد خفيه فى الطين فأخذ ، وخفى الآخر ، وغاب شخصه فما وُجد حيًّا ولا ميتاً .

ثم تمادى طارق على افتتاح البلاد ، ودخل طُلَيْطِلَة . وكتب إلى موسى بن نُصير يُعْلمه ، فكتب إليه ألا يجاوز قرطبة حتى يقدم عليه . ثم خرج إلى الأندلس فى رجب سنة ثلاث وتسعين ، واستخلف على القيروان ابنَه عبد الله ابن موسى — وكان أسَنَّ ولده — ففتح الله فتحاً لا كِفاء له ، وكتب إلى الوليد : « إنها ليست بالفتوح ولكنه الحشر ! »

[١٨٢–ب] ثم خرج بغنائمه ، واستخلف على الأندلس / ابنَه عبد العزيز ، فلما قدم إفريقية كتب إليه الوليدُ بالخروج إليه ، فخرج واستخلف على إفريقية ابنه عبدَ الله ، وسار بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر . ومرض الوليد ، فكان يكتب إلى موسى يستعجله ، و يكتب إليه سليمانُ بن عبد الملك بالمكث والمقام ، ليموت الوليد و يصير ما مع موسى إليه . فقدم على الوليد وهو مريض مرضه الذى مات منه ، فنكَبَه سليمانُ لأول ولايته ، وأغرمه مائةَ ألف دينار ، وأخذ ما كان له ، وأقامه للشمس ، وقُتل ابنُه عبد العزيز ، و بُعث برأسه إلى سليمان — وذلك فى سنة سبع وتسعين — فأراه أباه وقال له : « أتعرف هذا ؟ » قال : « نعم ، أعلمه صوّاماً قوّاماً ، فعليه لعنة الله إن كان الذى قتله خيراً منه »

ومكث أهل الأندلس بعد ذلك لا يجمعهم وال ، وكانوا أمَّروا عند قتله أيوبَ[1] ابن أخت موسى بن نصير ؛ وعزم سليمانُ على الحج ، فأخرج موسى معه على قَتَب ، فتوفى فى طريقه سنة سبع وتسعين .

(١) هو أيوب بن حبيب اللخمى ، ولى الأندلس من رجب إلى ذى الحجة سنة ٩٧/مارس – أغسطس ٧١٦ .

١٧٩ – ومحمد بن يزيد ، مولى قريش

ولاه سليمانُ بنُ عبد الملك إفريقيــةَ بمشورة رجاء بن حَيْوَة سنة ست وتسعين ، فلم يزل عليها إلى أن توفى سليمان فى صفر سنة تسع وتسعين[1] .

١٨٠ – وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بنى مخزوم

ولاه عمرُ بن عبد العزيز إفريقية . وكان حسن السيرة ، من خير الولاة ، لم يبق من البربر أحد إلا أسلم على يديه . وأقام والياً إلى أن توفى عُمر بدَيْر سمعان يومَ الجمعة لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وهؤلاء كلهم أهل بلاغة وبيان ، مع ما كانوا عليه من جلالة شان :

خطباء حين يقول قائلهمْ ... بيض الوجــوه مصاقع لُسُنُ

ولبُسْر بن أرطاة منهم فيما أحسِب شعر . وما أحسن قول القاضى أحمد بن أبي دؤاد : « كل عربي يقدر على قول الشعر » ؛ حكى ذلك أبو بكر الصُّولىّ ، فلعل لهم منه ما أعيا البحثُ عنه .

* * *

(١) انظر عن أعماله فى إفريقية : البيان المغرب : ١/٤٧ . وقد ورد اسمه فى الأصل : محمد بن زيد : وهو خطأ .

المائة الثانية

١٨١ – يزيد بن أبي مسلم

مولى الحجاج وكاتبه ، وقيل : كان أخاه من الرضاعة . ولاه يزيد بن عبد
[١٨٢-١] الملك فى سنة إحدى ومائة إفريقيّةَ ، فقدمها فى سنه اثنتين بعدها ،/ وفيها كان مقتله على يد حرسه .

١٨٢ – عبيد الله بن الحَبْحاب مولى عُقْبَة بن الحَجّاج السَّلُولىّ القَيْسِىّ

كان والياً على مصر لهشام بن عبد الملك ، فكتب إليه يأمره بالمصير إلى إفريقية ، وذلك فى شهر ربيع الأول – وقيل فى شهر ربيع الآخر – سنة ست عشرة ومائة ، فاستخلف ابنَه القاسمَ على مصر ، واستعمل ابنَه إسماعيل على السُّوس ، واستعمل أيضاً على الأندلس عقبةَ بنَ الحجاج مولاه[1] ، وعزل عبدَ الملك بن قَطَن الفِهْرى .

(١) ذكر ابن عذارى فى البيان المغرب : ١/٥٢ – ٥٣ كيف ولّى عبيد الله بن الحبحاب مولاه عقبة بن الحجاج السلولى الأندلس ، وهو خبر لطيف يدل على رجولة ابن الحبحاب ووفائه .

ويقال : كان على الأندلس يومئذ عَنْبَسَة بن سُحَيْم الكلبى ، فهلك عقبة بالأندلس ، فرد عبيدُ الله عليها عبدَ الملك بنَ قَطَن(١) .

وذكر عبدُ الله بن وهب الفقيه أن عبيد الله بن الحبحاب كانت مصر من العريش فى عمله وإفريقيةُ والأندلسُ وما بين ذلك .

وقرأت فى « الكتاب المُعرِب عن أخبار المغرِب » أن عُبيد الله كان كاتباً بليغاً حافظاً لأيام العرب ووقائعها وأخبارها ، ذا بلاغة فى لسانه وقلمه ، وكان يقول الشعر . قال مؤلِّفُه : وكنت سمعت له أبياتاً لم أحفظ منها وقت تأليفنا هذا الكتاب شيئاً فنثبته . وهو الذى بنى المسجد الجامع بتونس ودار الصناعة بها .

وروى عبدُ الله بنُ أبى حسان اليَحْصُبِىّ عن أبيه ـ وكان بليغاً فصيحاً ـ قال : سمعت عبيدَ الله بن الحَبْحَاب يوماً يُملِئُ(٢) رسالةً ويَفُكُّ اسماً من دفتر العطاء ، ويأمر بحاجات فى ناحية أخرى ، ويحكم فى خَلَل(٣) ذلك بين رجلين متنازعين .

وقال ابنُ غانم القاضى(٤) : كان عبيدُ الله بن الحَبْحَاب رجلا من قَيْس

(١) كان عبد الملك بن قطن الفهرى عامل الأندلس منذ مقتل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فى وقعة بلاط الشهداء فى رمضان ١١٤/ أكتوبر ٧٣٢ إلى أن عزله عبيد الله بن الحبحاب وولى عقبة بن الحجاج السلولى فى شوال ١١٦/نوفمبر ٧٣٤ ، وظل عقبة واليا حتى صفر ١٢٣/ يناير ٧٤١ ، فعاد عبد الملك بن قطن إلى ولايتها .

(٢) أى : يملى .

(٣) أى : فى خلال ذلك .

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن شرحبيل بن ثَوْبان الرُّعَيْنى قاضى إفريقية . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٠ وتولى القضاء سنة ١٧١ . انظر عنه « رياض النفوس » لأبى بكر المالكى رقم ٨٧ ج ١ ص ١٤٣ – ١٥٥ ، و« معالم الإيمان » للدباغ ، ج ١ ص ٢١٥ ، و« ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك » (مخطوط دار الكتب بالقاهرة) ج ١ ورقة ١٤٣ ا .

ثم من بنى سَلول ، مولًى وليس بالصريح . فوَلىَ من إفريقة إلى الخضراء[١] .
وكان أوّله كاتباً ، ثم تناهت به الحال إلى أن صار إلى المنزلة التى كان بها ،
فتحدث ذات يوم بالقيروان فقال : « إنما كنتُ كُوَيْتِباً ، ثم صرت كاتباً ، ثم
صرت أميراً ، ثم أنا اليوم أمير كبير ، والحمد لله » .

وقفل عبيدُ الله إلى هشام فى جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين بعد
انقضاض البربر عليه وقتلهم عامله بطَنْجَة [عُمر بن عبد الله المُرادى][٢] وانصرف
إلى المشرق ، فيُذكر أنه تولى الخراجَ وكتب فيه لمروان بن محمد بن مروان آخر
ملوك بنى أمية بدمشق ، وقُتل عبيدُ الله يومَ قُتل ابنُ هُبَيرة بواسِط ، وقيل بل
عاش خاملا فى أيام العباسية .

١٨٣ — منصور بن عبد الله ابن يزيد الحميرى

ذكره أبو على الحسين بن أبى سعيد عبدُ الرحمن بن عبيد القيروانى المعروف
[١٨٣-ب] بالوكيل فى الكتاب المعروف / « [بالمُعْرِب][٣] عن أخبار المغرب » من تأليفه
فى طبقة أولِى السلطان تالياً لعبيد الله بن الحَبْحَاب . وهو جد محمد المهدى بن أبى

(١) التحديد هنا غير دقيق ، لأن الخضراء هى الجزيرة الخضراء ، ولم تقتصر ولاية عبيد الله بن الحبحاب على المغرب فقط بل شملت مصر أيضاً بعض الوقت ، وشملت الأندلس كله . ولا أذكر فى الولاة من شملت ولايته هذه البلاد كلها إلا ابن الحبحاب . وربما كانت صحتها طنجة الخضراء .

(٢) انظر عن تفاصيل ذلك ابن عذارى : البيان المغرب : ١/٥١ — ٥٢ . وقد أكملت الاسم الناقص منه .

(٣) أضفت هذه الكلمة إكمالا لاسم الكتاب .

جعفر المنصور وشقيقه جعفر لأمهما ، وهى أم موسى بنت منصور هذا[١] .

وكان شريفاً فى قومه معروفَ المكان فيهم ، مذكوراً بالبلاغة والشعر وكرم الأخلاق . وانتهى ولدُه من الشرف بعده إلى غاية لم يكونوا يؤملونها لقرابتهم من المهدى .

وتزوج أبو جعفر المنصور أمَّ موسى هذه ، وهو إذ ذاك سوقة فى آخر ولاية هشام بن عبد الملك ، لما نزلت الحُمَيْمَةَ[٢] من أرض البَلْقاء بعد وفاة زوجها ثم بين[٣] عبيد الله من ولد العباس بن عبد المطلب .

وقيل : بل تزوجها بإفريقية ، وهو رحل[٤] بها ، وكان يطوف البلدان فى زمن بنى أمية ، وأهلُ إفريقية يذكرون أنه طُلب مرة فاستخفى فى قصر صهره منصور الحميرى عند قصر بشير بطريق سُوسَة ، وكان المنصور شرط لها أن لا يتزوج عليها

(١) جاء فى جمهرة الأنساب لابن حزم : « ولدُ أبى جعفر المنصور : محمد أمير المؤمنين المهدى ، وجعفر الأكبر ، أمهما أم موسى الحميرية (وهى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد الحميرى المترجم له هنا) ، تزوجها أبو جعفر بالقيروان فى دولة بنى أمية . وكانت قبله عند فتى خليع من ولد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان قد وقع إلى إفريقية فولدت له ابنة ، ومات. فاتصل بقومه (أى ببنى العباس) فنهض أبو جعفر بنفسه لاجتلاب بقيته ، فوجدها قد تزوجت رجلا خياطاً ، وولدت منه ابنا ، ومات الخياط ، فتزوجها أبو جعفر لجمالها ، وسُمى ابن الخياط طيفور . . » (ص ١٩) .

(٢) الأصل : الحسيمة ، وجعلها مولر (ص ٣٥١) : الحصيمة ، وكلاهما تصحيف ، والصحيح الحُمَيْمة ، ذكرها ياقوت (٣٤٦/٣) وقال : بلد من أرض السراة من أعمال عَمّان فى أطراف الشام ، كان منزل بنى العباس . وانظر أيضاً :

GUY LE STRANGE, *Palestine under the Moslems* (London, 1890), p. 465.

(٣) كذا فى الأصل ، ولم أستطع تقويم هذا اللفظ . وقال مولر معلقاً على هذا اللفظ (ص ٣٥١) : غير واضح . فى المخطوط شىء مثل : يز . وهذه العبارة تستقيم إذا جعلناها : ... بعد وفاة زوجها وكان من بنى عبيد الله . . . الخ (انظر جمهرة ابن حزم ، ط . عبد السلام هارون . ص ٢١) .

(٤) هذا اللفظ بخلق وربما كانت صحته : راحل .

ولا يتسرّى ، وكتبت عليه بذلك كتاباً ، فعذب[١] بها عشر سنين فى سُلطانه ، ثم أتته وفاتُها فأُهديت إليه فى تلك الليلة مائة بكر .

وكانت دار منصور بالموضع الذى به دور بنى قافذ[٢] بالقَيْرَوَان .

وحَفْصٌ صاحب الخراج مولى بنى منصور ، وإليه يُنسب قصر حفص .

ولحق يزيدُ بنُ منصور بأخته أمّ موسى ، فلما وَلِىَ المهدىُّ ولاه خراسانَ ، وجَلَّتْ حالُه حتى صار الشعراء يمدحون من كان من ولد المهدى بولاء منصور لهم ، ومن ذلك قول أبى نُوَاس فى العباس بن جعفر بن أبى جعفر المنصور :

فجَدّاكَ هذا خيرُ قحطان واحداً وهذا إذا ما عُـــدَّ خيرُ نِزارِ

يعنى بالقحطانى منصوراً الحِمْيَرى ، وبالنِّزارى أبا جعفر المنصور . وقوله فى الأمين :

وما مِثلُ منصورَيْك منصورِ هاشمٍ ومنصورِ قحطانٍ إذا عُدَّ مَفخرُ

فمن ذا الذى يرمى بسهميك فى الورى وعبدُ منـافٍ والداك وحِمْيَرُ

وقال سَلْم بن عمرو البصرى[٣] فى المهدى :

أكرِمْ بقَرْمٍ[٤] أمينُ الله والدُهُ وأمُّه أمُّ موسى بنتُ منصورِ

(١) كذا فى الأصل بوضوح ، ولاندرى ما السبب فى عذابه بها ، لأن الظاهر أنه لم يستمسك بالشرط الذى كتبه لها على نفسه وتزوج فى حياتها كثيرات غيرها . وقد ذكر ابن حزم فى الجمهرة من نسائه فاطمة بنت محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، وامرأة من بنى أمية وأمهات أولاد أخريات منهن الكردية أم جعفر أكبر أبنائه (ص ٢١) .

(٢) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن تكون بنى نافذ .

(٣) هو سلم الخاسر . وقد جمع ما ورد فى الأصول من شعره غوستاف فون جرونباوم فى كتابه « شعراء عباسيون » . انظر الترجمة العربية مع التحقيق والتعليقات بقلم الدكتورين محمد يوسف نجم وإحسان عباس (بيروت ١٩٥٥) ص ٧٧ وما يليها .

(٤) القرم هو السيد .

/ وسلّم هذا هو المعروف بالخاسر ، وقيل له ذلك لأنه باع مصحفاً واشترى [١٨٤-١]
بثمنه شِعر امرئ القيس ، وقيل شعر الأعشى ؛ وقيل بل ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، فسُمى الخاسر .

وأبو محمد يحيى بن المبارك النحوى صاحب أبى عمرو بن العلاء ، أحدُ القراء ، إنما قيل له اليزيدى لأنه كان يؤدب ولد يزيد بن منصور ، فنسب إليه ، وكان بعد ذلك يؤدب المأمون .

١٨٤ — عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهرى

انحاز إلى الأندلس مع بلج بن بشر بن عياض القشيرى ومن كان معه من وجوه أهل الشام ، فى المحرم سنة ثلاث وعشرين ومائة ، بعد قتل البربر كلثومَ ابن عياض أمير إفريقية عمّ بلج ، وحبيب بن أبى عبيدة والد عبد الرحمن ؛ وهؤلاء الجند هم المعروفون بالطالعة البلجية بالأندلس . فلم يزل عبدُ الرحمن بها يحاول التغلب عليها ، إلى أن دخل أبو الخَطّار الحسام بن ضِرار الكلبى والياً من قِبل حنظلةّ بن صفوان الكلبى أمير إفريقية فى رجب سنة خمس وعشرين ، فخافه عبدُ الرحمن وخرج مستتراً فركب البحر إلى تونس ، وأقام بها إلى أن قُتِل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأخيرة سنة ست وعشرين ومائة ، فدعا الناسَ فأجابوه ، وجمع لقتال حنظلة بن صفوان وإخراجه من إفريقية ، فتم له ذلك وانفرد بإمارتها فى قصة طويلة عشرةَ أعوام

وأشهراً . وكان مع بأســـه وبسالته خطيباً مفوهاً ، وهو أحد سادات العرب ورؤسائها بالمغرب[1] .

---

(١) فصلنا هذه الحوادث فى كتابنا « فجر الأندلس » ، انظر فهرس الأعلام : عبد الرحمن ابن حبيب .

وعبد الرحمن بن حبيب كان ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، أى أنه حفيد الفاتح العربى الكبير . وكان قد نشأ فى إفريقية وتزعم طائفة عربها ، أى الذين استقروا فيها واتخذوها لهم وطناً أو ولدوا فيها وأصبحوا يعدون أنفسهم عرباً إفريقيين ، وهم يقابلون البلديين فى الأندلس .

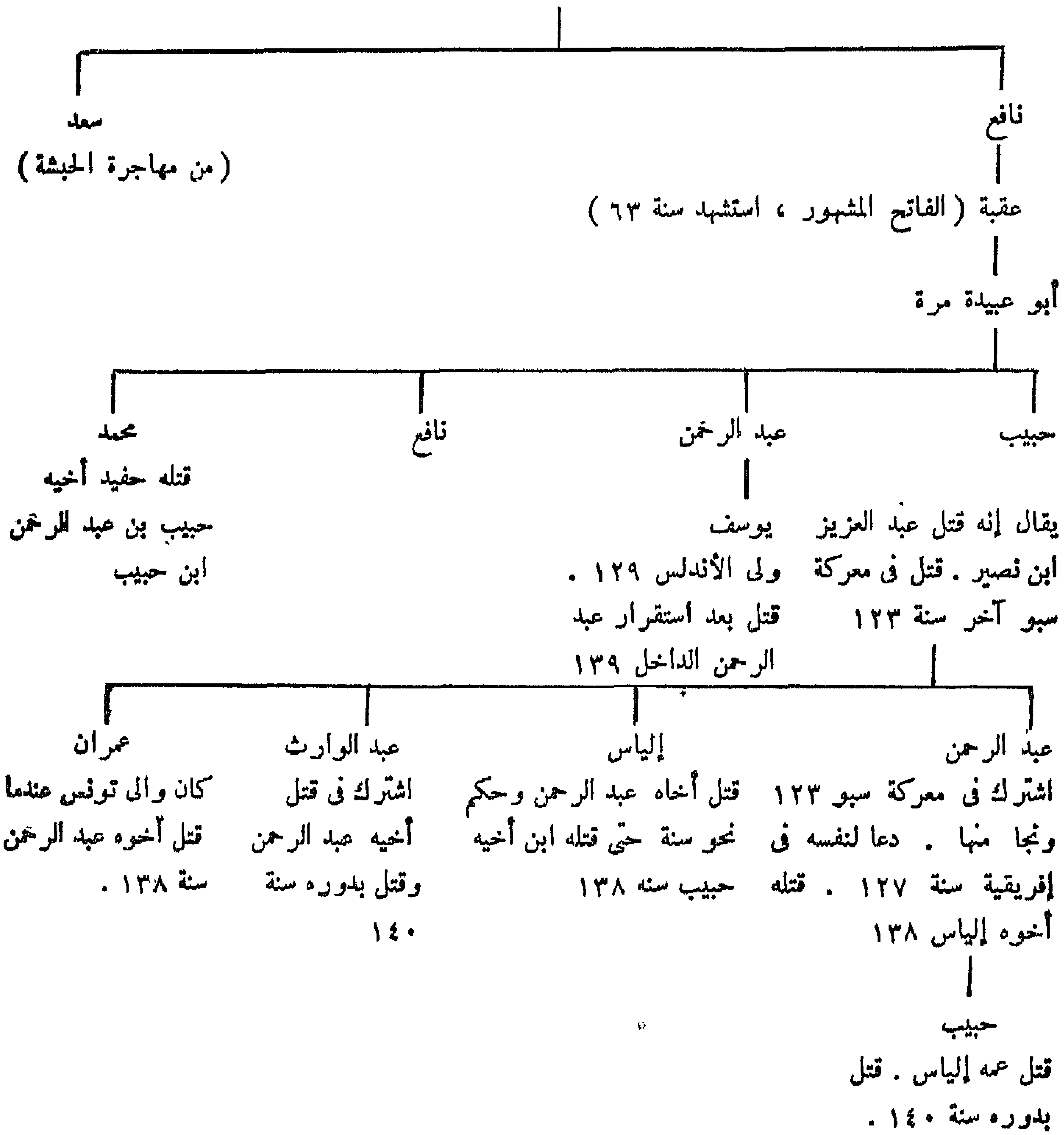
وكان أولئك العرب الإفريقيون لا يستريحون إلى العرب الجدد المقبلين من المشرق ، ويناوئون الولاة الذين أقامهم بنو أمية ثم بنو العباس ، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم أصحاب الحق فى الولاية والحكم . وقد تزعم هذه الطائفة أول الأمر حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ، وتصدى لمقاومة ولاة بنى أمية ، وظهر أمره بصورة خاصة عندما ولّى هشامُ بنُ عبد الملك كلثومَ بن عياض القشيرى فى رمضان سنة ١٢٣ وأقبل معه ابن أخيه بلج بن بشر ، وكان شابا عنيفاً شديد الغرور ، أثار غضب عرب إفريقية ، فاجتمعوا حول حبيب بن أبي عبيدة . وكان هذا الخلاف من أكبر أسباب هزيمة جيش كلثوم بن عياض فى موقعة سُبُو ، أواخر سنة ١٢٣ ، وقد قتل فيها عياض وحبيبُ بن أبي عبيدة ، ونجا بلج بن بشر منهزماً إلى سبتة ثم إلى الأندلس . ونجا كذلك عبد الرحمن ابن حبيب ، فر إلى القيروان ، ثم عبر إلى الأندلس ليحرض عبد الملك بن قطن — الفهرى مثله — على بلج وأصحابه ، فلما قتل عبد الملك بن قطن عاد إلى إفريقية واستطاع أن يتولى أمرها بالقوة سنة ١٢٩ ، وكانت له بعد ذلك أحداث مع أخويه إلياس وعبد الوارث فصل أمرها ابن عذارى (١/٦٠ وما بعدها) حتى قتل سنة ١٣٩ ، ولم ينته أمر بنى عبيدة بن عقبة بن نافع بمقتله بل مضى بالفتنة ابنه حبيب وأخوه إلياس . ولم ينته أمرهم إلا فى المحرم سنة ١٤٠ (راجع ابن عذارى : ١/٧٠) . وإليك تسلسل نسب الظاهرين من أهل هذا البيت كما استخرجته من الحلة السيراء وبغية الملتمس للضبى وجمهره أنساب العرب لابن حزم (ص ١٦٨) والبيان المغرب لابن عذارى (١/٦٠ وما بعدها) ونهاية الأرب للنويرى (القسم الخاص بتاريخ المغرب ، نشره جاسپار ريميرو) .

مع ملاحظة أن ابن عذارى يخطىء هنا فيكتب ابن أبي عبدة مكان ابن أبي عبيدة ، وفى بعض التواريخ التى أذكرها هنا خلاف بين المراجع .

١٨٥ — محمد بن عمرو القرشي العبدري ابن حميد الغافقي

ثار بالأُرْبُس[1] في إمارة عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية ، ولم يكن بدونِ

=



وسأضيف ملاحظات أخرى في تعليقاتي على ترجمة يوسف الفهري .

(١) الأُرْبُس ، كذا أيضاً رسمها ياقوت (١/١٧٠) أما الإدريسي فرسمها بالصاد =

أخيه سليمان المتقدم الذكر شجاعةً وبلاغةً وبياناً . وثار مع محمد هذا رجل من البربر يقال له ثابت ، فخرج عبدُ الرحمن بن حبيب لحربهما فانهزما بين يديه ، وسار محمد إلى طَنْجَة ، ثم ظفر به فسجنه وأخاه سليمان ، وعزم على قتلهما ، [١٨٤-ب] فعوجل عبدُ الرحمن قبل ذلك ، وقتله أخوه إلياس بن حبيب فى سنة/سبع وثلاثين ومائة ، وأطلقهما من معتقلهما ، ثم قُتل إلياس فى رجب سنة ثمان وثلاثين .

١٨٦ — عامر بن عَمرو القرشي العَبْدَرِيّ

هو عامر بن عمرو بن وهب بن مُصعب بن أبى عُزَيز بن عُمير بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ ، ابن أخى مُصعب بن عُمير صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأُحُد[١] ؛ وهو الذى تُنسب إليه بقرطبة «مقبرة عامر» لِصْقَ سور المدينة الغربى وبابها المعطل إلى أن ملكها الرومُ فى هذه المدة القريبة .

وكان أحدَ رجالات قريش — بل مُضَر — بالأندلس شرفاً ونجدةً وأدباً ، وكان يلى المغازى والصوائف قبل يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِىّ ومعه ، فحسده

= (الأربص) وتكتب فى كتب الجغرافية والخرائط الفرنسية Laribus ، كان لها شأن فى أيام الأغالبة بصفة خاصة ، فقد اتخذها زيادة الله بن الأغلب مقاما بعض الوقت ، وهى اليوم بلدة صغيرة تابعة لعمالة الكاف فى شمال غربى تونس .

(١) عامر هذا من نسل زُرَارة بن عُزيز بن عمير ، وعزيز أخو مصعب بن عمير ، وقد أسر عزيز يوم بدر كافراً ، أما مصعب فاستشهد يوم بدر . قال ابن حزم فى الكلام عن زرارة ابن عزيز بن عمير : «وله عقب كثير ، منهم كان عامر بن وهب ، كان له بالأندلس قدر ، وبعث إليه أبو جعفر المنصور سجلا ولواء بولاية الأندلس ، وقام بسرقسطة ، وقتله يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، وله عقب كثير بسرقسطة بقرية تسمى فُرْبُلاَن» (ص ١١٧) . وورد ذكر عامر فى «الأخبار المجموعة» (ص ٦٣) ولكنه أخطأ فقال إنه من ولد «أبى عدى أخى مصعب ابن هاشم ، صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد» ، والصحيح من ولد أبى عُزيز أخى مصعب بن عمير .

وعمل فى إزالته ، فلما بدا ذلك لعامر راسل أبا جعفر المنصور يخطب إليه ولاية الأندلس ، ويسأله أن يرسل إليه بسجلٍ منه يقوم به . وأظهر التعصبَ لليمانية ، والإكبارَ لما سُفك من دمائهم بشَقُنْدَة فى أول ولاية يوسف .

ثم فرّ عن قرطبة وصار بناحيه سَرَقُسْطَة ، حيث الصُّمَيْل بن حاتم ، يبغى الفسادَ عليه ، وهنالك رجل من بنى زُهْرَة يُسمى الُحبَاب ، فكاتبه عامر ومتّ إليه بالُمضَرِية ، ودعاه إلى القيام على الصُّمَيْل فى اليمن بسجلّ أبى جعفر ، فاستجاب له . واجتمع لهما جمع من اليمن ورجال من البربر وغيرهم كثير ، فأقبلوا حتى حصروا الصُّمَيْل بسَرَقُسْطَة فى سنة ست وثلاثين ومائة ، ثم ملكها عامر وصاحبُه الزهرىّ فى قصص طويلة .

وغزا هما يوسف الفهرى فى عقب ذى القعدة سنة سبع وثلاثين ، فخاف أهل سَرَقُسْطَة مَعَرّةَ الجيش وعَضّ الحصار ، فأسلموا عامراً وابنَه وهبًا والزهرىّ ، فقيّدهم يوسف ثم قتَلهم فى طريقه بوادى الرّمل(١) على خمسين ميلا من طُلَيْطِلَة ، وذلك فى صدر سنة ثمان وثلاثين . فما انقضى ذلك من فِعله ولا دخل رواقَه ، حتى أتاه رسول يركض من ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يطوى البيدَ ، فأعلمه أن فتًى من قريش من ولد هشام بن عبد الملك ، يقال له عبد الرحمن بن

(١) وادى الرمل Guadarrama : سلسلة جبال متوسطة الارتفاع تتفرع من سلسلة الجبال الوسطى El Sistema Central فى وسط شبه الجزيرة ، تمر فى مديريات مدريد وأبلة وشقوبية ، وتتصل من ناحية الشرق بسلسلة الجبال الإيبيرية ، ونقطة التقائها بسلسلة الجبال الوسطى مرتفع سوموسييرا Somosierra ، ويصل وادى الرمل إلى قرب مدريد عند مرتفع ناباثيرادا Navacerrada . وينبع من هذه الجبال نهر يسمى وادى الرمل Rio de Guadarrama أيضاً يتجه إلى الجنوب مارا بضاحية الإسكوريال ويصب فى نهر تاجه شرقى طليطلة . وهذا النهر — كما يدل عليه اسمه — جاف معظم العام تقريباً إلا فى أوقات المطر الغزير .

Cf : Diccionario Geográfico de España, X, 434.

[١٨٥-١] معاوية ، قد عبر البحر إلى الأندلس فنزل بساحل دمشق / — يعني بناحية إلْبِيرَة — واجتمع إليه موالى بنى أمية وشِيَعُهم ، وتشوّف الناسُ إليه ، فانتشر الخبر فى العسكر لوقته ، وشمت الناس بيوسف فسارعوا إلى الرّفض[1] من عسكره ، وقوّضوا إلى كُوَرهم ، وأقبل إلى طليطلة فى غلمانه وقيسٍ قومِ الصُّمَيْل .

ويقال إن كاتبه خالد بن زيد قال له ، بمحضر الصُّمَيْل وزيره وقد فرغ من مؤاكلتهما ذات يوم وهو ببعض منازله فى طريقه : «هنيئاً لك أيها الأمير اكتمالُ سعدِك . قد قتل الله لك كاشِحَك ابنَ شهاب وفلاناً وفلاناً — يعد الأشراف من العرب المقتولين فى غزوهم الروم — ووفقك اقتل أنغلهم ضميراً هذا العَبْدَرِيَّ — يعنى عامراً وابنَه — فمن ذا يعارضك بعدهم ؟ هى والله لك ولولدك إلى الدَّجّال »[2] .

ثم خرج الصُّمَيْل إلى قبته ، واستلقى يوسف على فراشه — وذلك وقت العصر — فما راعهم إلا بريد يركض ، تشوّف إليه أهلُ العسكر وقالوا : « رسول منْ قرطبة ! » وتطلعوا إلى علم خبره ، فإذا كتابُ أمِّ ولد يوسف[3] مع غلام خاص لها على بغلتها المشهورة بها ، تذكر أن فتًى من أبناء هشام بن عبد الملك ، يقال له عبد الرحمن بن معاوية ، عبر البحر ونزل بساحة إلْبِيرَة على أبى عثمان[4] مولاهم بقرية طُرُّش[5] ، فشاء الله أن يكون وارثَ سلطانه ونازعَ مُلْكه .

---

(١) أى إلى الارفضاض .

(٢) روى هذه الأخبار بتفصيل أكثر صاحب « الأخبار المجموعة » ص ٧٦ وما بعدها ، ولكنه يقول إن الصميل بن حاتم هو الذى قال ذلك الكلام ليوسف الفهرى ، ونص كلامه هناك : « قد قُتل (سليمان) بن شهاب وقتلت عامراً (المترجم له) و (الحبـ ـ) الزهرى ، هى والله لك ولولدك إلى الدجال ، من هذا ينازعك ؟ » .

(٣) اسمها عند صاحب الأخبار المجموعة « أم عثمان أم ولده وصاحبة سلطانه » (ص٧٨) .

(٤) هو أبو عثمان عبيد الله بن عثمان من كبار موالى بنى أمية فى الأندلس إذ ذاك ، وكان هو وعبد الله بن خالد « يتواليان لواء بنى أمية يعتقبان ذلك » (الأخبار المجموعة ٢ ص ٦٦) .

(٥) طرش Torrox مركز إدارى حاليا فى مديرية مالقة ـ تقع على ٤٧ كيلومتراً منها .

١٨٧ — يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، أبو محمد

قال ابنُ حيّان[١] : زعم أبو بكر بن القُوطِيّة أنه يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عُقبة بن نافع الفهرى . قال : وما وجدت هدايةً إلى أن يوسفَ هذا الوالى بالأندلس وَلدُه له — يعنى عبد الرحمن المتقدم الذكر فى هذا البـاب — ولا وجدتُ منتماه فى جِذْم قومه ، فالله أعلم بشأنه — هكذا فى « المقتبس » .

وقد قال أبو محمد بن حزم فى كتاب « جمهرة الأنساب » من تأليفه ـ وكثيراً ما يقلده[٢] : عقبة بن نافع الفهرى ولدَ أبا عبيدة ، فولَد أبو عبيدة حبيباً قاتِلَ عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وعبدَ الرحمن ونافعاً ، فولَد حبيبٌ عبدَ الرحمن ـ وَلِىَ إفريقية ـ وإلياسَ وعبدَ الوارث ، ولهم بإفريقية/ عقب كثير ؛ وولَد عبدُ الرحمن بن أبى عبيدة يوسفَ ، وَلِىَ الأندلسَ وله بها عقب ؛ وبالأندلس من فهر عدد عظيم[٣] . [١٨٥-ب]

وعن الواقِدِىّ أن أهل الأندلس اجتمعوا على يوسف بنِ عبد الرحمن من أجل أنه قرشى ، رضى به الحَيّان ـ يعنى المضَرِية واليمانية ـ بعد ثُوَابة بن

(١) الأصل : أبوحيان ، وهو تصحيف .

(٢) أى كثيراً ما يتبع ابنَ حيان فى رأيه .

(٣) انظر « جمهرة الأنساب » ، ص ١٦٨ ، وقد أخذت بهذا الرأى فى شجرة نسب بنى مرة أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ، لأن يوسف الفهرى ولى الأندلس فى ٢ ربيع الأول سنة ١٢٩ وقتل بعد تولى عبد الرحمن الداخل الأندلس سنة ١٣٩ ، فهو أقرب إلى أن يكون ابن عبد الرحمن ابن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع . أما القول بأنه ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة فلا يستقيم ، لأن حبيب بن أبى عبيدة قتل سنة ١٢٣ وابنه عبد الرحمن قتل سنة ١٣٨ ، فكيف يمكن أن ابن هذا الأخير تولى الأندلس سنة ١٢٩ وقتل سنة ١٣٩ ؟

سَلَمة[١] ، فرفعوا الحرب ومالوا إلى الدعة ، فدانت له الأندلسُ تسع سنين وتسعة شهور ؛ وكان آخرَ الأمراء بالأندلس ، وعنه انتقل سلطانُها إلى الخلفاء[٢] من بنى مروان — أورد ذلك ابنُ حَيّان .

وحَـكى أن اجتماع الناس على البيعة ليوسف كان فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين ومائة ، وفى مثل هذا الشهر من سنة ثمان وثلاثين حل بمرفأ حصن المنكَّب[٣] عبدُ الرحمن بن معاوية ، فالتقى هو ويوسفُ يوم الأضحى ، فانهزم يوسفُ وقُتل كثير من أصحابه ؛ وغَلب عبدُ الرحمن يومئذ على المُلك . ويقال إنه تفاءل يومَ عرفة بما يتفق له فى غده من صحة المشاكلة ، وقال : « يوم عيد ، ويوم جمعة ، وأموى مع فهرى ... أبشروا ، فإنى أرجو أنها أخت وقعة مَرْج راهِط ! » فصدَّق الله ظن عبد الرحمن بيومه ذلك .

وقيل إن العلاء بن جابر العقيلى مشى إلى الصُّمَيْل بن حاتم ، وقد التقى الجمعان ، فقال له : « أبا جَوْشَن ! اتق الله ؛ فوالله ما أشبَه هذا اليوم إلا بيوم المرج ، وإنّ عارَ ذلك لباقٍ علينا إلى اليوم . وإن الأمور ليُهتَدى إليها بالأشباه والأمثال : أموى وفِهْرِىٌّ ، وقيس واليمن ، [و]وزير الفِهْرِىّ فى ذلك اليوم قَيْسِىّ

---

(١) يقال أيضاً ثوابة بن سلامة الجذامى ، كان من جند فلسطين . طلب إليه عرب الأندلس أن يتولى أمرهم عندما انحرف أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى ومال إلى اليمن . وقد تولى ثوابة من رجب ١٢٧/ أبريل ٧٤٥ إلى المحرم ١٢٩/سبتمبر — أكتوبر ٧٤٦ وأعقبت موته فترة شغور تولى الأمر فى بعضها عبد الرحمن بن كثير اللخمى ، ثم اجتمع عرب الأندلس على يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فى ربيع الثانى ١٢٩/ ديسمبر ٧٤٦ — يناير ٧٤٧ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/٣٥ .

(٢) الأصح هنا أن يقال : إلى الأمراء فالخلفاء من بنى مروان .

(٣) المنكَّب ، وتكتب حاليا **Almuñecar** : فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز **مُطْرِيل Motril** الإدارى فى مديرية غرناطة ، وتقع على ٢٣ كيلومتراً شرق هذا البلد الأخير . وقد اختصها صاحب « الروض المعطار » بمادة طويلة (انظر رقم ١٧٩ ص ١٨٦ من النص العربى وص ٢٢٥ من الترجمة الفرنسية ، وتعليق رقم ١) .

وهو زُفَر بن الحَرِث ، ووزير هذا اليوم أنت ، وأنت قيسى . . ويوم عيد فى يوم جمعة أيضاً ، ويوم المرج يوم عيد فى يوم جمعة ! الأمر والله علينا ما أشك فيه » ، فأبى عليه(١) . ومن شعر زفَر بن الحَرِث فى يوم مرج راهط وقُتل فيه ابناه :

---

(١) المقارنة هنا بين موقعة المـُصَارة وموقعة مرج راهط المعروفة التى قررت مصير الدولة الأموية فى المشرق فنقلت الأمر من السفيانيين إلى المروانيين ، وأنقذت الدولة بذلك لأن السفيانيين لم يكن فيهم من يستطيع الثبات أمام عبد الله بن الزبير ، فلما نهض مروان بن الحكم وكسب معركة المرج صارت الخلافة إليه ، فتمكن من جمع صفوف بنى أمية والثبات للزبيريين . والمقارنة بين الوقعتين طريفة ، لا من حيث الظروف العامة فقط بل من حيث النتائج أيضاً ، والأمر الوحيد الذى يحتاج إلى تحقيق هو مقارنة التواريخ ، لأن وقعة مرج راهط استمرت عشرين يوما فى حين أن المصارة دامت يوما واحداً . والمقارنة بين الأشخاص فى كلام العلاء بن جابر العقيلى لا تخلو من طرافة .

فالأموى فى المرج مروان بن الحكم ، وفى المصارة عبد الرحمن بن معاوية .

والفهرى فى المرج الضحاك بن قيس الفهرى ، وفى المصارة يوسف الفهرى.

وكان الضحاك بن قيس مذبذباً متردداً كما كان يوسف الفهرى ، فكما كان هذا الأخير يظهر الرغبة فى التفاهم مع عبد الرحمن بن معاوية كان الضحاك « إذا جاءته اليمانية وشيعة بنى أمية أخبرهم أنه أموى ، وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير » (الأغانى : ١٧/١١١) .

وزفر بن الحارث الكلابى أيضا يشبه الصميل بن حاتم ، فقد كان كل منهما بدوياً صرفاً عنيفاً وصاحب مكر ودهاء ، فقد كان زفر بن الحارث زبيرى الهوى ولكنه عرف كيف يجمع طائفة كبيرة من قيس إلى صفه ويقودهم فى المعركة .

ويقابل عبيدُ الله بن عثمان — كبيرُ موالى بنى أمية ونصير عبد الرحمن فى معركة المصارة — حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبى زعيمَ اليمنية ونصير البيت الأموى ، ومن المعروف أن اليمنيين كانت لهم الكلمة العليا فى دولة بنى أمية أيام يزيد بن معاوية وابنه معاوية الثانى ، فقد كانت أم كل منهما يمنية ، وكان حسان بن بحدل خال يزيد وصاحب سلطان عظيم فى دولة بنى أمية ، وقد انضم إلى مروان بن الحكم دفاعاً عن مركز اليمنية أمام القيسية الثائرة عليها والمؤيدة لابن الزبير .

انظر : يوليوس ڤلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبى ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٦٧ وما يليها .

والمصارة كانت إذ ذاك ضاحية من ضواحى قرطبة القوطية ، وكانت تقع جنوبيها على شاطىء الوادى الكبير ، وفى العصر الإسلامى أصبحت المصارة جزءاً من قرطبة وإن ظلت خارج سور البلد ، وهى امتداد « الرصيف » ناحية الجنوب بمحاذاة النهر .

لَعَمْرِى لقد أبقت وقيعةُ راهطٍ [بمروانَ صَدعاً](١) بيننا متنائيا

فلم تُرَ مِنّى زلةٌ قبـلَ هذه فرارى وتركى صاحبىّ ورائيا

أيذهب يوم صالح أن أسامَهُ بصالحِ أيامى وحُسنِ بلائيا ؟

[١٨٦-١] / أتُترك كلبٌ لم تنَلْها رماحُنا وتذهبُ قتلَى راهطٍ هى ما هيا(٢) ؟

فلا صُلحَ حتى تَدْعَسَ الخيلُ بالقَنا وتثأرَ من نسوانِ كلبٍ نسائيا

واضطرب يوسف الفِهرى بعد هذه الوقعة عليه بالمصارة ، فجال فى البلاد ، ثم نكث بعبد الرحمن بعد قبوله أمانَه ، وخرج عليه منازعاً ، فظفر به وقتله(٣) .

واستوسق لعبد الرحمن مُلك الأندلس ، فلم يبق له مخالف من أهلها ، فطال أمدُه وتوارث سلطانَه عَقِبُه . وعن الرازى أن يوسف تمثل عند دخوله عسكر عبد الرحمن ببيت حُرْقة بنت النعمان :

بينا نسُوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نتَنَصَّفُ

وكان معدودًا فى فصحاء الأمراء ، وابنُه أبو الأسود كذلك . وكان مقتل يوسف فى سنة اثنتين وأربعين ، وألحق به ابنه عبد الرحمن بن يوسف ، وكان محبوساً بقرطبة .

(١) أكملت البيت من الأغانى (١٧/١١٢) .

(٢) فى الأصل : وترهبُ قلبى راهطٌ . . . ولا معنى للشطر على هذه الصورة ، فقومته كما هو فى المتن أعلاه ، وهو تقويم يجيزه رسم المخطوط . وورد هذا الشطر فى الأغانى :

* ويترك قتلَى راهط هى ماهيا *

(٣) الصحيح أن عبد الرحمن لم يقتل يوسف الفهرى . الذى حدث هو أنه صالحه وأعطاه الأمان وأتى به إلى قرطبة مع الصميل بن حاتم . ثم فر يوسف وتحصن بماردة وجمع جيشاً من ٢٠ ألفاً معظمهم من البربر وأراد المسير نحو قرطبة ، ولكنه هزم وتشتت جنده فهرب إلى ناحية طليطلة ، وظل شارداً حتى قتله بعض أتباعه وأتوا برأسه عبدَ الرحمن سنة ١٤٢/٧٥٩ - ٧٦٠ .

١٨٨ — ابنه محمد بن يوسف ، أبو الأسود

هرب عند مقتل أبيه يوسف هو وأخوه خضر ، إلى أن جيء بهما فحُبسا مدة . وادعى أبو الأسود هذا العمى حيلةً وهو مبصر ، فزعم أن الماء نزل بعينيه . وأحسن التمثُّل لذلك ، حتى جازت حيلته ، واشتبهت حركاته بحركات العميان ، ووقع الإشفاق عليه والرثاية له . وهُوِّن من حبسه ، حتى كان يقعد عنه الموكَّل به اختباراً لهدايته ، إذا خرج لوضوئه وقضاء حاجته ، فيبقى حائراً ينادى : « من يقود الأعمى إلى محبسه ؟ » ، فيُرَد . وكان أهل الحبس يومئذ ينزلون إلى النهر الأعظم — قُرْبَهم — للطهور والوضوء ، على سرداب اتُّخذ لهم تحت الأرض ، إذ كان مكانه يومئذ لِصْقَ القصر ، على الهِبْط[1] ، والرقباء عليهم . وقد أهمل ارتقابُ أبى الأسود هذا ، عندما وُجد السبيلُ للأمان منه من أجل عماه ، فتحيل هنالك فى التدبير مع موالٍ له كانوا بقرطبة معه ، وانتهز فرصة أجاز فيها الوادى سبحاً إلى خيل له قد أعدت بشاطئه[2] مع ثقات أصحابه ، فركب وفر ركضاً ، فنجا ولحق بطليطلة . / ودعا إلى نفسه ، واستمال الناس بموضعه ، وسار فى عسكر [١٨٦ـب] جحفل حتى حل بأحواز جَيّان . فخرج إليه عبدُ الرحمن بن معاوية فى جيوشه ، فلاقاه مرةً بعد مرة ، يهزمه فى كل منها ويقتل له الجمع الكبير . وكانت بينهما بقَسْطَلُونة — على مخاضة الفتح[3] — حرب شديدة ، مكر عبدُ الرحمن فيها

(١) يفهم من هذا أن اسم الهبط كان يطلق على ذلك الجزء المنخفض من شاطىء النهر المجاور للماء ، وكان سرداب السجن ينتهى عنده .

(٢) الأصل : بشاطبة ، وكذلك قرأها دوزى (ص ٥٦) وهو مستبعد . والصحيح ما أثبتناه ، والمراد الشاطىء الآخر .

(٣) ليس من السهل تحديد موقع هذه المعركة بدقة ، لأن قسطلونة المذكورة هنا كانت قرية تسمى Cazlona إلى جوار بلدة ليناريس Linares الحالية فى شمال مديرية جيان ، وكان اسمها

بأبى الأسود ، فراسلَ صاحبَ ميمنته ، وواطأه على جر الهزيمة من جهته ، ففعل . وانهزم أبو الأسود ، وقتل عامةُ رجاله ، فلم تقم له بعدُ قائمة . وذُكر أنه تمثل يومَ قَسْطَلونة :

وموقفٍ مثل حد السيف قمتُ به أحمى الذمارَ وترميني به الحدَقُ

وعن الرازى : أن هذه الوقيعة بمخاضة الفتح كانت يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين ومائة ، بعد مواقفةٍ قبل ذلك أياماً كثيرة . قال : وقُتل لأبى الأسود فيها أربعة آلاف من أصحابه ، سوى من تردى فى النهر ، ووقع فى المهاوى ، وتلف فى الشعاب . وبلغ فى هزيمته إلى قَسْطَلونة على وادى الأحمر ، ومضى على وجهه إلى ناحية الغرب ، فبلغ مدينة قورية[1] ، وتمادى فى شروده وخلافه إلى أن هلك فى سنة سبعين ومائة .

= فى القديم Castulo Castulone (راجع معجم الأماكن الملحق بالترجمة الإسبانية للأخبار المجموعة ص ٢٥٠) . ونهر الوادى الأحمر المذكور هنا هو المعروف اليوم باسم Guadalimar نهير من نهيرات الوادى الكبير ، وينبع من جبال شقورة . وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة arroyos تمتلىء بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات ، فلابد أن مخاضة الفتح المذكورة هنا كانت فى ذلك الموقع . ويفهم من النص بعد ذلك أن المعركة كانت عند المخاضة ، ثم هرب أبو الأسود إلى قسطلونة . وللشاعر الأندلسى عاصم بن زيد بن يحيى العبادى أبيات فى تهنئة سليمان ابن الأمير عبد الرحمن بنصره فى هذه المعركة ، ويفهم منها أنه هو الذى كان يقود جيش الإمارة فيها .

انظر بالإضافة إلى المرجع المذكور فى النص :

***Diccionario Geográfico Español*, X, p. 420**

والإحاطة لابن الخطيب ، مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ، ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

(١) قُورِيَة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت قورية من مدن كورة ماردة ، وكانت تابعة لقاعدة الكورة وهى ماردة (صفة الأندلس للرازى ، رقم ٤٦ ص ٨٦) . وهى مدينة قديمة عرفت قبل الفتح العربى باسم **Caurium** ، وهى من فتوح موسى بن نصير ، وقد أصبحت بعد ذلك من كبار معاقل إقليم الجوف وإن كانت دائماً معقلا للثوار والخارجين على الخلافة ، وقد استولى عليها أردونيو الأول ملك ليون سنة ٢٤٦/٨٦٠ ولكن المسلمين استردوها . ومهد إقليمها وأخلاه من الثوار عبد الرحمن الناصر ، ثم أتم عمله المنصور بن أبى عامر . وفى أيام الطوائف صارت قورية من توابع إمارة بنى الأفطس فى بطليوس ، ومن أيديهم استولى عليها ألفونسو =

وقيل إن عبد الرحمن غزاه فى سنة سبعين ، فلما أحس به فرّ عن قورية ، وانقطع وحده ، وانحاز إلى غياضِ أشِبَةٍ ، ثم صار إلى رَكَانَةَ[1] من طليطلة فمات هنالك .

وقام بعده أخوه قاسم بنُ يوسف ، فغزاه عبدُ الرحمن بن معاوية ؛ فلما دنا منه خرج إليه بلا أمان ، فتقبّله وأمّنه ، ونقله إلى قرطبة وأحسن إليه ، وكان آخر المخالفين عليه .

=السادس قبل استيلائه على طليطلة ، ولكن المرابطين عادوا فاستردوها . وفى أيام الموحدين أصبحت معقلا إسلامياً ونقطة دفاع من جديد ، ولم تسقط نهائياً إلا حوالى ٥٩٧/١٢٠٠ فى يد ألفونسو الثامن . وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية قَصْرِش **Cáceres** فى غرب إسبانيا ، وتقع على نهر الحَجُون **El-Alagón** أحد النهيرات التى تصب فى تاجه ، وإقليمها خصب كثير المزارع ، وهى قريبة من حدود البرتغال .

ويخلط فى بعض الأحيان بين قُورِيَة وقَوْرَة ، وهذه الأخيرة هى **Coria del Río** فى مديرية إشبيلية .

انظر : الإدريسى ، ص ١٨٣ . الروض المعطار ، رقم ١٥٣ ص ١٦٥ والترجمة الفرنسية ص ١٩٨ . مادوث : ٧/١٦ وما يليها .

(١) المقصود بلدة **Requena** ، مركز إدارى فى مديرية بلنسية على ٦٩ كيلومتراً إلى شرق بلنسية . ومن المعروف أن كورة بلنسية كانت تصاقب كورة طليطلة فى التقسيم الإدارى الأندلسى ، والحدود بين الكورتين ليست واضحة لنا .

١٨٩ ـ الحُصَيْن بن الدَّجْن بن عبد الله بن محمد بن عَمرو ابن يحيي بن عامر بن مَلك بن خُوَيلد بن سَمْعان ابن خفاجة (١) بن عمرو بن عُبيد العُقَيْلى

كان ممن استجاب لداعية عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس ، ومال إلى أنصاره من القَحطانية واليمانية ، للذى كان بينه و بين الصُّمَيل بن حاتم الكلابى من المنافسة المعلومة على الرئاسة . وهو ممن أشار علَى يوسف بن

(١) فى الأصل : خفافه ، والتصويب من جمهرة أنساب العرب (ص ٢٧٤) فقد قال ابن حزم فى نسب بنى عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : « ومن بنى خويلد بن سَمعان ابن خفاجة : بنو الحصين بن الدجن بن عبد الله بجَنْتيشَة بالأندلس ، ودارهم جيان وواد ياش ؛ وهم بنو عطاف بن الحُصَيْن بن الدَّجْن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن يحيى بن عامر بن خُوَيلد بن سمعان ، منهم كان إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صخر بن عطّاف » .

ووادياش هى وادى آش Guadix ، كانت فى التقسيم الإدارى الأندلسى تابعة لكورة إلبيرة (وهى غرناطة) وتقع على السفح الشمالى لجبل الثلج Sierra Nevada الذى يسمى أيضاً جبل شُلَير (عن اللاتينية Solarius Mons) ، واسمها معرب عن اللاتينية acci ، كانت أيام القوط مركزاً لأسقفية تسمى كرسى أكْشِي Sedes Accitana ، وتقع على نهير كان يسمى باسمها أيام العرب ، ويسمى الآن Rio Fardes الذى يسمى أيضاً Anchurón ، وعلى مقربة منها موضع عين ماء معدنية يسميه العرب جِلْيَانُه (معرب عن Juliana) ، وقد اشتهرت بتفاحها حتى كانت تسمى جليانة التفاح (ياقوت : ١٣٠/٣) وهذا الموضع يسمى الآن Graena .

وكل سفح الجبل الذى تقوم عليه وادى آش كان يسمى سَنَد وادى آش (اليوم Marquesado del Zenete) . وعندما قام محمد بن نصر بن الأحمر بإنشاء دولته ضمها إليها سنة ١٢٣٢/٦٣٠ . وقد سقطت وادى آش فى يد فرناندو وإيزابيلا سنة ١٤٨٩/٨٩٥ .

انظر : ياقوت : ٢٥٧/١ (يكتبها تحت إش) . الإدريسى ، ص ٢٠٢ . الروض المعطار ، رقم ١٨٤ ص ١٩٢ والترجمة الفرنسية ، ص ٢٣٣ والتعليقات . و :

SIMONET, *Descripción del Reino de Granada* (1872) p. 78-101.

وانظر مادة زايبولد عنها فى د.م.إ ، ١٨٩/٢ — ١٩٠ .

وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية غرناطة على ٥٣ كيلومتراً شمالى شرقها .

عبد الرحمن الفِهْرى باستبقاء عامر العَبْدَرى وابنه وهب والحُباب / الزُّهْرِى [١٨٧-١]
بعد قبضه عليهم ، فكف عن قتلهم حينئذ وشد صفادَهم .

وأغزى طائفةً من عسكره إلى البَشْكُنْس فى ضعف وقلة ، لم يكره عَطبَهم . وبعث على خيلهم الحُصَيْن هذا ، فهزمهم الرومُ وقتلوا أميرَهم سليمانَ ابنَ شهاب ، ونجا الحُصَيْن . وحضر يوم المصارة مع عبد الرحمن ، فكان — فيما رُوى — على خيله ، لصحة علمه بالعداوة التى كانت بينه وبين الصُّمَيل ابن عمه . وكان الحُصَيْن فارس أهل الشام بأساً ونجدة ، وكان شاعراً . فلما استوسق الأمرُ لعبد الرحمن بن معاوية ، عرف له صالحَ بلائه ، فاختصه وولاه الشرطة . وقرأت اسمَه فى شهود الأمان الذى عقده عبدُ الرحمن ليوسف الفِهْرى عند اصطلاحهما بإلْبِيرَة ، وذلك فى يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين ومائة .

١٩٠ — المُخَارق بن غِفَار الطائى

لما وجه أبو العباس السفاح عمه عبد الله بن على إلى محاربة مروان بن محمد المعروف بالجعدى سنة ثنتين وثلاثين ومائة ودنا منه بالزاب(١) عبره المخارق

(١) المقصود هنا زاب العراق لا زاب المغرب كما هو واضح . ومن المعروف أن هناك أربعة أنهر فى العراق تحمل هذا الاسم : اثنان منها يصبان فى دجلة من ناحية الشرق ، الزاب الأعلى وينبع من الجبال الواقعة بين أرمينية وآذربيجان ويصب فى دجلة عند مدينة الحديثة ، والزاب الأدنى — الذى يسمى بالمجنون لتغييره مجراه دواماً — وينبع من ناحية شهرزور ويصب فى دجلة عند بلدة السن ، وقد أفاض الجغرافيون فى التحدث عن خصب =

ابن غفار الطائى هذا ، وكان من جند عبد الله وثبت فى أصحابه فأسر ولم يعرف أنه المخارق ، فكان محبوساً فى عسكر مروان إلى أن انهزم واستولى عبد الله على عسكره وتخلص المخارق . وكان ممن سعى قبل ذلك مع أبى مسلم .

ولما وجه أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ الأشعث الخزاعى — وهو عامله على مصر — إلى إفريقية ، وجهز الجيوش إليه ، عهد إليهم إن حدث بابن الأشعث حدث فالأميرُ الأغلبُ بن سالم ، فإن حدث به حدث فالأميرُ المخارقُ بن غفار ، فإن حدث به حدث فالأميرُ المحاربُ بن هلال الدارمى ، فهلك المحارب فى الطريق قبل أن يصلوا إلى إفريقية ، وولى المخارق من قبل ابن الأشعث طرابلس فى مَقدَمه عليها من مصر ، ثم استدعاه فولاه طُبْنَة[1] . وعند قيام الحسن بن حرب الكندى على الأغلب فى ولايته وإقباله إلى القيروان فى عدة عظيمة ، جمع الأغلب أهل بيته وخاصة أصحابه وتكلم بكلام أعلمهم فيه أنه يلاقى الحسن

=الأراضى الواقعة بين هذين النهرين . أما الزابان الآخران فى العراق أيضاً فإلى الجنوب من هذين : بين بغداد وواسط ، ويسمى الأربعة بالزابات .

انظر : ياقوت : ٤/٣٦٤ — ٣٦٥ و :

GUY LE STRANGE, *Lands of the Eastern Caliphate*, (Cambridge, 1930) p. 90 sqq.

(١) طُبْنَة : كانت قاعدة زاب المغرب ، وهو المنطقة الواقعة جنوبى مدينة قُسَنْطِينة الحالية بين شط هُضْنَة وجبال أوراس . وقد سكنت إقليم الزاب جماعات من مهاجرة العرب من أوائل أيام الفتح واختلطت بالنازلين هناك من البربر ، ومعظمهم من هوارة ، وكان الزاب معروفاً بخصبه ووفرة ثماره ولهذا كان من أعمر نواحى المغرب الأوسط . وينقسم الزاب قسمين : الزاب الأعلى ويمتد من جنوبى قسنطينة إلى ساحل البحر إلى الغرب ، والزاب الأسفل ويمتد من جنوبى قسنطينة إلى سفوح جبال أوراس . وكان الأول تابعاً من الناحية الإدارية لولاية إفريقية (تونس الحالية) ولهذا كان عربه يعدون أنفسهم من عرب إفريقية ، وكثر نزاعهم مع ولاتها ، أما الزاب الأسفل فكان معدوداً فى المغرب الأوسط ، أى الجزائر الحالية .

انظر : اليعقوبى ، صفة المغرب ، ص ١١ . ياقوت : ٤/٣٦٥ .

وحده إن لم يعنه أحد ولو كان فى ذلك إتلاف[1] نفسه ، ثم أنشأ أبياتاً قالها :

سِيّان موتٌ بالقنا وبالسَّقَمْ / والقتلُ فى الهيجاء أدنى للكرمْ [١٨٧-ب]

موتى غداً تحت لوائى والعلَمْ

ثم دعا المخارق بن غفار فقال له : « إن فى أهل بيتى من هو أولى بما دعوتُك له منك وأقعَدُ باستخلافى إياه ، غير أنى كرهت أن يقول قائل : [انفرد][2] بها فى أهل بيته وأن تميل بكم العصبية » . ثم وصاه بالطاعة وحذره عاقبة الخلاف ، فأجابه المخارق بكلام فيه بلاغة وبيان معترفاً له بحقه ، وقام بالأمر بعده ، وهو الذى صلب الحسن بن حرب بالقَيْرَوَان ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

ثم قدم يزيد بن حاتم والياً على إفريقية من قِبل أبى جعفر المنصور ، فكانت له فى أيامها أخبار . وحكى صاحب « الكتاب المُعرِب عن المغرب » أن المخارق ركب يوماً فى بعض الحروب الإفريقية على فرس أنثى وبيده القناة فبرز بين الصفين وهو يقول متمثلا :

رائعة تحمل شيخاً رائعا مُجرباً قد شهد الوقائعا

قال : وكان شريف القدر عظيم الحال لا يُقايَس إلا بابن الأشعث والأغلب بن سالم وأمثالهما . وأخوه السِّندى بن غفار وابنُه المُهنّا بن المخارق لاحقان به .

---

(١) الأصل : تلك تلاف .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

١٩١ – رَوح بن حاتم بن قَبِيصَة بن المهلَّب ابن أبى صُفرة الأزْدِى العَكِّى، أبو خَلَف

حجب أبا جعفر المنصور أولَ أيامه ، وقبل التعلق به نظر إليه رجل واقف فى الشمس عند باب المنصور فقال له : « لقد طال وقوفك فى الشمس ! » فقال : « ليطول قعودى فى الظل . . »

ووَلِىَ الكوفةَ والبَصْرَةَ للمهدى . ووَلِىَ أيضاً السِّنْد وطبرستان وفلسطين ، ثم وَلِىَ إفريقية والمغرب لهارون الرشيد ، وذلك لما بلغه موتُ أخيه يزيد بن حاتم ، فعزاه الرشيد وقال : « أعرِفُ أن له صنائعَ بالمغرب ، ولا آمن عليهم متى ولَّيتُ غيرَك ، ولكن اخرج من فورك إلى إفريقية ، وحُطَّ صنائعَه » . فخرج من فوره وشيَّعه الرشيد وودعه وانصرف . ثم لحقه وصاح به : « يا وَيْح[١] ! لا ترجع ، ولا تنزل . أنت مسافر وأنا مقيم ! » ثم سايره وقال : « عليك بالزاب ، املأه خيلا ورَجْلا » .

وكان لرَوْح رأى وحزم وشجاعة وجود وصرامة ، وهو أسَنُّ من أخيه يزيد وأنبه منه ذكراً بالمشرق . ومن عجيب الأخبار وطريف الآثار أن المنصور وجَّه يزيد بن حاتم إلى إفريقية ورَوْحاً أخاه إلى السِّنْد ، /فقيل له : يا أمير [١٨٨-١] المؤمنين ، لقد باعدت بين قبريهما ! فقضى أن ماتا جميعاً بالقيروان ، ودفنا بباب سَلَم[٢] ، وعليهما سارية مكتوب فيها اسماهما .

---

(١) كذا ، وربما كانت صحتها : ياروح .

(٢) باب سلم مقبرة مشهورة خارج القيروان ، وفيها قبور نفر كبير من الصالحين وأهل العلم ، وذكره كثير فى رياض النفوس للمالكى .

ولرَوْح يقول أبو دلامة ، وقد قال له : « لو خرجت معنا ! » فى خروجه لقتال الخوارج :

إنى أعوذ بِرَوْحٍ أن يقدِّمنى إلى القتال فتخزَى بى بنو أسدِ
إن الدُّنوَّ إلى الأعداء نعلمهُ مما يفرق بين الروح والجسدِ
إن المهلَّبَ حُبَّ الموت أورثكم ولم أرِثْ جَلَدًا للموت من أحدِ

وأما أنباؤه فى الجود فكثيرة ، منها أنه كان يوماً جالساً فى مَنظرة مع جاريته « طِلَّة » وكانت بارعة الجمال ، إذ طلع خادم له بقادوس مملوء ورداً فى غير أوانه فاستحسنه وأمر بأن يملأ دراهم لمُهدِيه ، فقالت الجارية : « ما أنصفته ! » ، قال : « وكيف وقد ملأته بدلا من ورده دراهم ؟ » ، قالت : « فإن ورده أحمر وأبيض ، فاخلط له الصلة » ، فأمر بدنانير فمزجت مع الدراهم .

ومنها — ويستدل به على بلاغته ورسائله اللاحقة بنمط الكُتّاب — أنه وجَّه فى ولايته إفريقية إلى كاتبه بثلاثين ألف درهم ، وكتب معها : « قد بعثتُ إليك بثلاثين ألف درهم ، لا أقلِّلُها تكثُّراً ولا أكثِّرها تمنُّنًا ، ولا أستثيبُك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام » .

وبالجملة فهؤلاء المَهَالِبَة أخلدُ العرب شرفاً ، والأمداح فى مقاصدهم قصْد إذا كانت سرفاً .

ويُحكى أنه مات لروح هذا ولد ، فأقبل الحىُّ يعزونه ، فألفَوْه رخىَّ البال ضاحكَ السن ، فتوقفوا عن تعزيته ، وعرف ذلك فأنشأ يقول :

وإنا لقومٍ ما تفيض دموعُنا على هالكٍ منا وإن قَصم الظهرا

وهذا البيت فى شعر لأبى الهيْذام عامر بن عمارة بن خُرَيْم المُرِّى يرثى به أخاه ، وكان قد قتله عاملُ سَجِسْتان للرشيد ، فجمع أبو الهيْذام جمعًا عظيماً لطالب ثأر أخيه وقال فى ذلك :

سأبكيك بالبيض الرِّقاق وبالقنا ... فإنَّ بها ما أدركَ الطالب الوِتْرا
ولستُ كمن يبكى أخاه بعَبرةٍ ... يعصِّرها من جفن مقلته عصرا
[١٨٨-ب] / ولكننى أشفى فؤادى بغارةٍ ... ألهِّبُ فى قُطْرَيْ جوانبها الجَمْرا
وإنا أناس ما تفيض دموعُنا ... على هالكٍ منا وإن قَصم الظهرا

١٩٢ — ابن أخيه داوود بن يزيد بن حاتم

استخلفه أبوه يزيد على إفريقية فى مرضه الذى توفى منه فى شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، فجعل على شرطته خالد بن بَشير ، وبعث أخاه المهلَّب بن يزيد والياً على الزاب ، وقد كان قبل ذلك عليها من قِبل أبيه حين عزل المخارق ابن غفار الطائى عنها .

وأقام داوودُ والياً تسعةَ أشهر ونصف شهر إلى أن قدم عمُّه رَوْح بن حاتم أميراً على المغرب من قِبل هارون الرشيد ، وقَفَل داوودُ فولاه الرشيدُ مصرَ سنة أربع وسبعين ، ومات بالسند وهو أمير عليها ، وكان جواداً ممدوحاً معدوداً فى أدباء الأمراء وله يقول مُسلم بن الوليد :

اللهُ أطفأ نارَ الحرب إذ سَعَرتْ ... شرقاً بمُوقِدِها فى الغرب داوودِ
ماضى العزيمةِ لا تخلو بديهتُه ... رأىَ المهلَّب أو رأى الأيازيدِ[1]

(١) الأيازيد جمع يزيد ، والمراد أولاد يزيد بن حاتم بن قبيصة والى المغرب لأبى جعفر المنصور ، وقد سبقت الترجمة له .

= وقد حكم المهالبة إفريقية ٢٣ سنة ما بين ولاية الأغلب بن سالم التميمى جد بنى الأغلب وولاية هرثمة بن أعين فى ربيع الآخر سنة ١٧٩ ، وجاء بعد هرثمة محمد بن مقاتل العكى سنة ١٨١ فحكم حتى جمادى الآخرة سنة ١٨٤ ، ثم تولى إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، وبدأت دولة الأغالبة . فكان المهالبة بذلك أسرة توالى رجالها على حكم المغرب فى الفترة بين استبداد بنى أبى أمية عبيدة بن عقبة بن نافع وبنى الأغلب بن سالم بن عقال .

وقد رأيت لهذا أن آتى هنا بشجرة من تولى منهم أمر إفريقية :

المهلب

قبيصة — سعيد — يزيد

قبيصة: حفص — حاتم

حفص: عمرو — جميل

عمرو: ولاه أبو جعفر المنصور إفريقية سنة ١٥١ . قتل فى القيروان سنة ١٥٤ وهو أول من تولى إفريقية من آل المهلب

جميل: بايعه الناس فى القيروان بعد مقتل أخيه عمرو فى ذى حجة ١٥٤ .

حاتم: يزيد — روح

يزيد: تولى إفريقية ١٥٤ وتوفى فيها ١٧١ .

روح: أكبر من أخيه يزيد لكنه تولى إفريقية بعده . ولاه الرشيد ١٧١ وتوفى ١٧٤ .

يزيد (بن سعيد): حبيب — حبيب

حبيب: استخلفه عمرو بن حفص بن قبيصة على القيروان ١٥٤

نصر: تولى إفريقية فى رمضان ١٧٤ حتى سنة ١٧٧ .

يزيد بن حاتم: داوود — سليمان — المهلب

داوود: استخلفه أبوه أثناء مرضه . دامت ولايته ٩ أشهر ونصفاً ، حتى أقبل عمه روح بن حاتم .

سليمان: من قواد أخيه داوود

المهلب: قام بأمر إفريقية حتى وصل الفضل بن روح ابن حاتم .

المغيرة: ولاه الفضل بن روح تونس . أساء التصرف . كان ذلك سبب ثورة ابن الجارود .

روح: قبيصة — الفضل

قبيصة: بويع بعد وفاة أبيه . عزله الرشيد بنصر .

الفضل: كان عاملا لأبيه على الزاب . تولى إفريقية ١٧٧ وأخرجه منها عبد الله بن عبدويه ابن الجارود سنة ١٧٨ ثم قتله فى شعبان ١٧٨ وهو آخر من تولى إفريقية من آل المهلب

وقد رجعت فى ذلك إلى الطبرى وابن خلدون وابن الأثير وابن عذارى والنويرى وابن الأبار .

١٩٣ — نصر بن حبيب المهلبي

كان على شرطة ابن عمه يزيد بن حاتم فى ولايته كلها بمصر وإفريقية ، وكان محمود السيرة ، محببا إلى الناس ذا أدب ومعرفة ، فلما وَلِىَ رَوْحُ بن حاتم بعد أخيه يزيد — وقد أسنَّ وكبر حتى كان إذا جلس للناس كثيراً ما يغلبه النوم من الضعف — كتب أبو العنبر القائد وصاحب البريد إلى هارون الرشيد بضعف روح وكبره ، وسألا منه ولاية نصر هذا فى السِّر ووصفاه بحسن السيرة ، وبأنَّ له سنًّا ومعرفة ، فكتب الرشيد عهدَه وبعث به سِرًّا .

وتوفى رَوْح على إثر هذا ، فاجتمع الناس ليبايعوا قَبِيصة ابنَه ، وقد فرش له فى الجامع ، وكان أخوه الفضل بن روح غائباً بالزاب وعاملا عليها ، فركب أبو العنبر وصاحب البريد بعهد الرشيد إلى نصر بن حبيب فأوصلاه إليه ، [١٨٩–١] وسلّما عليه بالإمرة ، / وركبا به إلى المسجد فى من معهما حتى أتيا قبيصة وهو جالس على الفرش ، فأقاماه وأقعدا نصراً وأعلما الناس بإمرته وقرأا كتاب[١] الرشيد عليهم فسمعوا وأطاعوا ، وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، إلى أن صُرِف بالفضل بن رَوْح بن حاتم لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وسبعين ومائة ، فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر لم يعدل أحد كان قبله عدلَه فيها .

ورسالتُه التى كتب إلى العمال بها لما وَلِىَ مذكورة فى الكتاب المُعْرِب عن أخبار المغرب ، وهى دالة على مكانه من البلاغة والبيان .

(١) الأصل : وقرا كتب .

١٩٤ — عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية
المعروف بالبلنسى

قام بالأمر لأخيه هشام بن عبد الرحمن ، إذ كان غائبا عند وفاة أبيهما بماردَة ، إلى أن ورد قرطبة فبادر لمبايعته وتسليم القصر إليه ، وخرج إلى داره ؛ وذلك فى غرة جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائة . ثم استوحش منه ، فهرب إلى أخيهما سليمان كبير أولاد عبد الرحمن المولود له بالشام — وكان منازعاً لهشام — وأقام معه بطايطلة . و بعد ذلك ورد قرطبة محكِّماً فى نفسه بلا عهد ولا أمان ، فقبله هشام ، وطلب الخروج إلى العدوة فأسعفه ، واتّبعه فى ذلك سليمان ، فاستراح منهما هشام إلى أن توفى سنة ثمانين ومائة .

وولى ابنه الحكم بن هشام المعروف بالرَّبَضِىّ ، فوصل عبدُ الله من العُدوة ونزل بكورة بَلَنْسِيَّة وقدم بعده سليمانُ من طَنْجَة ، فنازعا الحكَمَ وحارباه ، فقتل سليمان فى خبر طويل . ورغب عبدُ الله فى المقام ببَلَنْسِيَّة ، على أن يؤدى الطاعة ولا يطأ له بساطاً ، فتم ذلك .

وأقام إلى أن توفى الحكَمَ ، ووَلِىَ عبدُ الرحمن ابنُه ، فأخَّر بيعتَه والتوى بها ، وكتب إليه يعتل عليه ، ويعدد حقوقه عنده وعند أبيه وجده ، و يسأله أن يضم كورة تُدْمِير إليه ويتجافى له عن خَرْجِها . وتقدم على تفئة[1] ذلك من بَلَنسِيَة إليها فاحتلها ، وكشف وجهه بالمعصية ، واستنفر إليها مَن حواليه / فثاب [١٨٩-ب] إليه منهم خلق كثير ، عسكروا معه بباب تُدْمِير ، وكان تَوافيهم إليه فى يوم خميس أرادوا الخروج فيه نحو قرطبة ، فأتاهم وقال : « بل نصلى على بركة الله

(١) الأصل : تقية ، والمراد : على إثر ذلك ، وربما كانت صحتها تبيّة .

غداً صلاة الجمعة ، ونفصل يوم السبت بعده » ، فتولى الخطبة بالناس يوم الجمعة ، فأبلغ فى تذكيرهم وتحريضهم ، وكان خطيباً مصقعاً . فلما شارف مقطع خطبته قال : « معاشر الناس ! رحمكم الله ، أمّنوا على ما أدعو الله به ، واسألوه ما أنا سائله من الخيرة فيما أؤمله » ، ورفع يده نحو السماء فقال : « اللهم إن كنتُ أحقَّ بهذا الأمر الذى قمت فيه من عبد الرحمن بن هشام — حفيد أخى — فانصرنى عليه ، وافتح لى فيه ، وإن كان هو أحقَّ منى — وأنا صِنْوُ جده — فانصره علىّ » ، فأمَّن الناسُ جميعاً عاليةً أصواتُهم . فلم يكد يستوعب كلامه ، حتى ضربته الريح الباردة فسقط إلى الأرض مفلوجاً ، واحتُمل إلى مكان مُضطَرَبِهِ ، فأكمل الناس صلاتَهم بغيره .

ومكث عبدُ الله مسكَتاً أياماً ، ثم إن الله أطلق لسانَه ومنعه سائرَ جوارحه ، فقال لأتباعه : « إن الله تعالى قد أجاب الدعوة ، وفَصَل الخطاب[1] ، وحمانى الإمرة ، ولا مرد لحكمه .. فامضوا لسبيلكم » ، فتفرق جمعه . وصرفه أهله إلى وطنه ببَلَنْسِيَّة ، فكاتب عبدَ الرحمن بخبر علته ويأسه من نفسه ، وعهد إليه بالنظر لأهله وولده ، فأنفذ عهده ولم يعرض له إلى أن مات سنة ثمان ومائتين . وقد كان ابنُه عبيدُ الله بن عبد الله لحق بالحكم بن هشام ، وكان من ذوى مشورته وكبار [قواده][2] وأغنى « يومَ الهَيْج » أعظم غناء ، ثم قاد الصوائف لعبد الرحمن بن الحكم ، فكان يعرف بـ«صاحب الصوائف » ؛ وهو أحد رجالات بنى أمية .

---

(١) الأصل : وفَصَّل الخطة .

(٢) بياض فى الأصل .

١٩٥ — فُطَيْس بن سليمان بن عبد الملك بن زَيَّان ، أبو سليمان — الكاتب

بانى بيت الوزراء بنى فُطَيْس . دخل الأندلس فى أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية ، فضمه إلى ابنه هشام وكتب له حتى إذا وَلِىَ الخلافة ولاه السوق ، وكورة قَبْرَة[1] ، والوزارة .

وأمضاه الحَكَمُ بنُ هشام على ذلك — بعد وفاة أبيه هشام ، واستكتبه أيضاً . وكان له فى « الهَيْج » مقام / محمود . قال أبو بكر الرازى : رأيت اسمَ [١٩٠-أ] فُطَيْس فى ديوان الأمير الحكم أولَ اسم : « أبو سليمان فُطَيس ، خمسمائة دينار » . قال : وتوفى فى أخريات أيامه .

وفُطَيْس هذا خاتمة الذين أبقيت فى هذه المائة على ما شرطتُ ، ولم أذكر فيها إلا من كان بالشعر مذكوراً ، أو على فن من فنون الأدب مقصوراً ؛ وكذلك فيما بعد .

* * *

(١) قَبْرَة : اسم كورة من كور جنوب الأندلس ، وهى أولى الكور الوارد ذكرها فى التعليق المنتقى من فرحة الأنفس ، ص ١٣ وفى ترجمة صفة الأندلس للرازى ، رقم ١١ ص ٦٥ . وكانت تلك الكورة تقع جنوبى قرطبة وشمالى كورة إلبيرة ، بينها وبين كورة جيان . وقبرة اليوم Cabra مركز إدارى فى مديرية قرطبة .

انظر : الروض المعطار ، رقم ١٣٤ ص ١٤٩ والترجمة الفرنسية ص ١٧٨ .

المائة الثالثة

١٩٦ — أبان وعثمان ـ ابنا الأمير عبد الرحمن بن الحكم

ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

كانا أديبين شاعرين . سَمّى أبانَ فى أولاد عبد الرحمن بن الحَكم أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازى فى كتاب « الاستيعاب فى الأنساب » من تأليفه ، ووصفَه بالشِّعر أبو محمد بن حزم فى كتابه أيضاً فى « الأنساب » ، وذَكر عثمانَ أخاه أبو عبد الله الحُمَيْدى فى تاريخه عن أبى عامر بن مسلمة ، ولم يذكره الرازى .

١٩٧ — مسلمة أبو سعيد ، وهشام أبو الوليد ، والأصْبَغ أبو القاسم ، وعبد الرحمن أبو المطرف ـ

بنو الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم

كانوا أدباء . ووَلِىَ مسلمةُ منهم كورةَ شُذُونة ، فأقام بها أعواماً جميلَ السيرة ، مكتسباً للمحامد ، يجمع إلى تقدمه فى أساليب الأدب نزاهةَ النفس وسماحَ الكف ، مع الحلم والدماثة .

وظهرت براعة الأصْبَغ فى الأدب لأول نشأته ، وسَمَا لمناغاة إخوته ، فانكدر

سريعاً رطيب الغصن بناء شبابه ، وتوفى وهو دون الثلاثين فى سنه ، فاشتدت على أبيه الأمير محمد فجيعتُه .

وأما عبد الرحمن فأغزاه أبوه بجيش الصائفة ، ومعه وليد بن عاصر الوزير ، وكان من سَراة ولد الأمير محمد وأدبائهم ، وتوفى أيضاً فى حياة أبيه .

ووَلِىَ هشام لأخيه الأمير عبد الله جَيّان ، ونَوَّه به فى عسكره ، وقلده ميسرته فى غزواته . وكان من أتم أهل بيته جمالا ، وأكملهم أدباً ، ثم سُعى به إليه فقتله .

وكان الأمير محمد من مناجيب الخلائف / من بنى مروان : بسَق من أولاده [١٩٠-ب] فى الأدب عـدة ، منهم عبد الله الأمير الوالى بعد أخيه المنذر ، والمطرف والقاسم — وقد تقدم ذكرهم — ومَسْلمة وأَصْبَغ وعبد الرحمن وهشام المذكورون هنا . وأما المنذر — وهو الوارث سلطانَ أبيه بعده — فكان ، مع زهده فى الأدب وعطوله من حليته ، يعجب بالشعر ويفضل أهله ، ويرغب فى المديح . وفى أيامه نجم أبو عُمر بن عبد ربه .

١٩٨ — محمد ابن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ، أبو القاسم

والدُ الناصر عبد الرحمن بن محمد . كان بكرَ أولاد أبيه ، وخليفتَه إذا غاب عن حضرته ، والمرشحَ لمكانه . وكان من أهل العناية بالآثار ، والرواية للأخبار ، والتفنن فى الآداب . ووَلِىَ لأبيه إشبيلية ، ثم هرب إلى عُمر بن حَفْصون فى قصة طويلة . وحُبس بعد ذلك بالقصر ، إلى أن قتله أخوه المطرف ابن عبد الله عند انبلاج الفجر من يوم الخميس ليلة عشرة خلت من شوال

سنة سبع وسبعين ومائتين . ثم قُتل المطرف به بعد ذلك — وبأمور سوى هذا — يوم الأحد لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وهو ابن سبع وعشرين سنة : سنِّ أخيه قتيلِهِ محمد ، إذ كان بينهما فى المولد خمسة أعوام عاشها المطرف بعده .

١٩٩ — أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، أبو القاسم — المعروف بابن القطّ

ومحمد بن هشام جده هو المنبَّز بذلك . وكان جميل الوجه ، فيه يقول ابن أيوب القرشى :

أعجوبةٌ ما سُمعتْ قــطُّ   قالوا : رشًا والدُه قِــطُّ
قد قلدوكَ السيفَ ياسيدى   والقُرط أولى بك والِرّطُ

وكان أحمد هذا من أهل العناية بالعلم والصناعة والنجامة ومعرفة الهيئة[1] ، وكانت له حركة وفيه شراسة . وخرج فى أيام الأمير عبد الله بن محمد — أوانَ ارتجاج الفتنة — يطلب / الدولة ، ويُظهر الحِسبة والرغبة فى الجهاد ، إلا أنه كان يتكهن ويموِّه . [١٩١ - ا]

(١) أورد ابن حيان فى المقتبس خبر أحمد بن معاوية القط هذا بأوسع تفصيل (المقتبس ، الجزء الذى نشره ملشور أنطونيا ، ص ١٣٣ وما يليها) ، وقد أورده أولا برواية عيسى بن أحمد الرازى ، ثم برواية الخليفة الحكم المستنصر عن القاضى منذر بن سعيد البلوطى ثم برواية معاوية ابن هشام الشبينسى . وابن الأبار ينقل عن هذه الرواية الأخيرة مع تغيير لايذكر ، انظر ص ١٣٨— ١٣٩ ، والأبيات التى أوردها هنا واردة فى رواية عيسى بن أحمد الرازى.

واجتمع إليه خلق عظيم — يقال إنهم بلغوا بين خيل ورَجْل ستين ألفاً — أكثرهم من برابر الجوف والغرب ومن أهل طليطلة وطَلَبيرَة ، قصد بهم سَمُورة(١) . وكتب إلى الطاغية ملك جِلِّيقية(٢) ومن معه كتاباً مغلظاً ، يدعوهم فيه إلى الإسلام وينذرهم بالصاعقة ، وأمر رسوله أن يستعجل منهم الجواب ولا يتوقف عندهم ، وإن هم أبَوْا من مجاوبته أن يعود بالخبر إليه ؛ ونسخة كتابه ذلك مشهورة عند أهل الثغر لبلاغته(٣) . فحَمِيَ الطاغيةُ عند ذلك ونشب القتال ، فخذله رؤساء البربر(٤) ، وثبت هو فيمن بقى معه من أهل البصائر ، حتى قُتل فى اليوم الرابع ، واستؤصل أصحابُه إلا قليلا ، وحُزَّ رأسُه وجيء به إلى الملك

---

(١) سمورة Zamora قاعدة مديرية تحمل نفس الاسم على الضفة اليسرى لنهر دويره قريباً من الحدود الشمالية الشرقية للبرتغال . كانت فى أوائل أيام الإمارة منطقة خلاء بين مملكة ليون والإمارة القرطبية ، وكان العرب لأول الفتح قد أسكنوها وإقليمها جماعات من المسلمين معظمهم من البربر ، ثم استولى عليها ألفونسو الثالث سنة ٨٩٣/٢٨٠ وأراد أن يضمها إلى مملكة ليون ، ولكن عبد الرحمن الناصر استردها ، ثم استولى عليها سانشو ملك نَبَرَّه سنة ٩٥٩/٣٤٨ ، وتمكن المنصور بن أبى عامر من استردادها وتعميرها وتحصينها سنة ٩٨٨/٣٧٨ — ٩٨٩ ثم أسكنها نفراً من المسلمين سنة ٩٩٩/٣٨٥ وأقام عليها أبا الأوس معن بن عبد العزيز التجيبى حاكماً ، ويبدو أنها خرجت عن يد قرطبة بعد ذلك لأن عبد الملك المظفر بن المنصور عاد فغزاها سنة ١٠٠٥/٣٩٥ ، ثم أعقبت ذلك الفتنة وخرجت عن أيدى المسلمين ، وأصبحت من قواعد مملكة قشتالة وليون . وقد سميت لكثرة ما تعاورتها الغزوات سمورة الخراب . وأوفى مادة عنها فى المراجع ماكتبه صاحب الروض المعطار ، رقم ٨٧ ص ٩٨ ، والترجمة الفرنسية ص ١٢٠ . وانظر أيضاً المادة التى اختصها بها ليڤى پروڤنسال فى د. م. إج ١٢٨١/٤ .

(٢) أورد ابن حيان اسم هذا الملك : أذفونش بن أردون ، وهو ألفونسو الثالث ، الذى انتهز فرصة الفتنة التى فرقت أمر الأندلس على عهد الأمراء محمد والمنذر وعبد الله ومدَّ حدود مملكة ليون إلى شاطىء نهر دويره ، وكان هذا هو الذى أثار مسلمى الثغر الأدنى وجعلهم يؤيدون أحمد بن معاوية القط ويسيرون معه . وقد فصل عيسى بن أحمد الرازى ذلك .

(٣) هذه العبارة لعيسى بن أحمد الرازى ، انظر المقتبس ، ص ١٣٦ .

(٤) أى خذلوا أحمد بن معاوية القط .

فنصبه على باب سَمُّورة . وعظمت المصيبة بكثرة من قُتل من المسلمين ؛ وهذه الوقيعة تعرف عند أهل الثغر بـ«يوم سَمُّورة» ، وكانت سنة ثمان وثمانين ومائتين .

٢٠٠ — مالك بن محمد بن مالك بن عبد الله بن عبد الملك ابن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو القاسم

قال فيه أبو الوليد بن الفَرَضى[١] : قرأ على بَقِىّ بن مَخْلَد كثيراً وصحِبَه ، وسمع من الخُشَنى ، وكان بليغاً شاعراً . ووَلِىَ الولايات بعد ذلك ، حتى إن بَقِىّ ابن مَخْلَد قال له : « يا مالك ، أوصيك بوصية : إنك لا تستطيع كل ما يجب عليك ، ولكن كن أسدَّ من غيرك » . قال مالك : « فأنا والله أسدُّ من غيرى »

وقال ابنُ حَيّان فيه : أحد رجالات قريش فى زمانه . كان من نبلاء المتأدبين ، ومن الشعراء المطبوعين ، وممن عُنى — على ذلك — برواية الحديث ، وتقييد الآثار ، والافتنان فى العلم والأدب . أخذ عن بَقِىّ بن مَخْلَد والخُشَنى وغيرهما من طبقتهما ، وكان مفتنناً فى ضروب الآداب ، بصيراً بالنحو ، حافظاً للغة ، ذا نصيب وافر من الإملاء له ، والبلاغة فى الترسيل . صحب السلطان وتصرف فى أعماله الرفيعة .

* * *

(١) لم أجد هذه الترجمة فى تاريخ العلماء المطبوع لابن الفرضى .

ومن موالى المروانية وولاتهم بالأندلس :

٢٠١ – /محمد بن عبد السلام بن بَسِيل [١٩١-ب]

المعروف بالشيخ

ولد لأبيه عبد السلام بالأندلس ، بعد دخوله إليها مع ابنيه يحيى وعبد الواحد أيامَ عبد الرحمن بن معاوية . و بَسِيل مولى هشام بن عبد الملك .

فاستعمل عبدُ الرحمن عبدَ السلام على إشبيلية وشذونة ومَوْرُور[1] والجزيرة ، جَمَعها له ؛ واستعمله أيضاً على كورة ماردة وغيرها من الكور .

وتصرّف عبدُ الواحد ابنُه معه فى العمالات . ولما أخرج الأميرُ عبدُ الرحمن ابن الحكم ابنَه محمداً أميراً على جَيّان ، وجّه عبدَ الواحد معه — وقد أسنّ — فكان عاملَ الكورة تحت يد محمد .

وتصرّف محمد بنُ عبد السلام هذا أيامَ الحكم فى العمالات ، ثم فى الوزارة

(١) موررور : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت موررور كورة قاعدتها تحمل نفس الاسم ، وكانت تقع جنوبى الوادى الكبير بين كورتى قرطبة وتاكُرُنّا (انظر صفة الأندلس ، رقم ٦٣ ص ٩٥) ولكن التعليق المنتقى من فرحة الأنفس يجعلها « من مدن قرطبة » (ص ٢٤) ، والغالب أن ذلك خلط ممن قام بعمل ذلك التعليق ، لأن صاحب الروض المعطار – وقد كتب بعد ابن غالب صاحب فرحة الأنفس – يقرر أنها كورة . وتقع بلدة موررور على سفح جبل يحمل نفس الاسم : Sierra de Morón ولهذا فقد اشتهرت بحصانتها . وفى أول عصر الطوائف استبد بها محمد ابن نوح الدمّرى وأنشأ بها إمارة بربرية ، ولم يلبث المعتضد بن عباد أن ضمها إلى إشبيلية سنة ١٠٦٠/٤٣٨ ، ومن ذلك الحين أصبحت موررور وإقليمها من توابع إشبيلية ، وهى اليوم مركز إدارى فى تلك المديرية وتسمى Morón وقد سقطت فى يد فرناندو الثالث مع إشبيلية سنة ١٢٤٨/٦٤٦ .

انظر : ياقوت (١٩٣/٨ ، يكتبها خطأ : موزور) . وأبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص١٧٥ . والروض المعطار ، رقم ١٨١ ص ١٨٨ والترجمة الفرنسية ص ٢٢٧ ، والمادة القصيرة فى د . م . إ . ج ٦٤٧/٣ والمراجع المذكورة هناك .

والمدينة والكتابة والخيل وخطط سواها أيامَ عبد الرحمن بن الحكم ، كان رزقه عليها فى كل شهر ثلاثمائة دينار — قاله الرازى .

٢٠٢ — محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم مولى الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك

دخل أبوه إلى الأندلس . وكان محمد هذا بناحية الجزيرة ، واصطنعه عبدُ الرحمن بن عبد الحكم فى إمارته على شذونة من قبل أبيه الحكم ، فكان يأنس به فى بعض الأحيان . ثم أفضت إليه الخلافة ، فاستقدمه وصرّفه فى الحجابة والوزارة . وهو أحد القواد الذين كان فتْح المجوس[1] على أيديهم بإشبيلية ، إلى فتوحات تُعلم له .

---

(١) المراد بالمجوس هنا النورمان أو الأردمانيون كما تسميهم النصوص . سماهم المسلمون بالمجوس ، لأنهم كانوا إذا أغاروا على موضع أشعلوا النيران فيما وصلوا إليه . وكانوا يخرجون لغزو الشواطئ فى مراكب صغار ذات أشرعة سود من مراكزهم فى جنوب إسكنديناوة أوجنوبى إنجلترا أو — وهو الأغلب — من مراكز احتلوها على شاطئ فرنسا الشمالى فى ناحية فْرِيزِيا التى سميت بعدذلك باسمهم La Normandie ، وكانوا إذ ذاك وثنيين لا يفرقون فى غزواتهم بين مسلمين وغير مسلمين . وقد تتبع مؤرخونا أعمالهم المخربة على شواطئ الأندلس فى دقة عظيمة ، وأول نزولهم الأندلس كان يوم الأربعاء أول ذى الحجة ٢٢٩/٨٤٤ بعد غزوهم غرب فرنسا . نزلوا عند الأشبونة ودخلوا بسفنهم فى مصب نهر تاجه ، فتصدى لهم وهب الله بن حزم عامل الأشبونة ، ثم دخلوا مصب الوادى الكبير فى ١٢ محرم ٢٣٠ ودخلوا قادس ثم إشبيلية وأشعلوا النار فى مسجد عرف بعد ذلك باسم مسجد الشهداء ، فحشد الأمير عبد الرحمن قواده لحربهم ومن بينهم محمد بن رستم المترجم له هنا . وقد فصلنا ذلك فى بحث خاص عن « غزوات النرمانيين فى الأندلس ورحلة يحيى الغزال » (مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، سنة ١٩٤٩) . وانظر أيضاً : أبحاث دوزى ، الطبعة الثالثة ، ج ٢ ص ٢٥٠ — ٣٧١ ، وليفى پروڤنسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية (بالفرنسية) ج ١ ص ٢١٨ وما بعدها .

وكان أديباً ، حكيماً ، لاعباً بالشطرنج ـ ذكره الرازى . ولمحمد بن سعيد هذا شعر فى « الحدائق » لابن فرج ، قد كتبتُ منه فى « الكتاب المحمدى » من تأليفى ، فنُقل من هنا اسمه إلى باب نظرائه .

٢٠٣ ــ عبد الله بن محمد بن أمية بن يزيد بن عبد الرحمن ابن أبى حَوْثَرَة

مولى معاوية بن مروان بن الحكم

دخل أمية إلى الأندلس فى طالعة بَلْج ، وكتب لعبد الرحمن بن معاوية ، ثم كتب ابنهُ محمد للأمير الحَكم بن هشام ، واتهمه بالميل مع عمه سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية وعزله ، ومات خاملا .

[١٩٢-ا] / وحَكى الرازى أنه وَلِىَ الوزارة والكتابة لهشام ، ثم عُزل . قال : فأما عبد الله بن محمد ـ يعنى ابنَه هذا ـ فوَلِىَ الوزارة والكتابة للأميرين عبد الرحمن ومحمد ، وتصرف قبل الوزارة فى الولاية والعرض .

٢٠٤ ــ ابنه عبد الملك بن عبد الله ، أبو مروان

كان فى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن مخصوصاً بالكتابة العليا مع الوزارة ، ثم وَلِىَ المنذرُ بن محمد فأقره عليهما ، وهو الذى أغراه بهاشم بن عبد العزيز حتى قتله .

ثم وَلِىَ الأميرُ عبد الله بن محمد ـ أخو المنذر ـ فجمع له القيادة مع الوزارة .

وقتله المطرفُ بن عبد الله ـ على ميلين من إشبيلية ، وهو يقود جيشه ـ فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين(١) ، واستعمل على الجيش أحمدَ بن هاشم بن عبد العزيز ، للمداوة التى كانت بينهما . وفى شهر رمضان من هذه السنة قُتل المطرف ، وقد تقدم ذكر ذلك(٢) .

وكان مروان بن عبد الملك يخلُف أباه على الكتابة ، ووَلِىَ الشرطة العليا ، ثم قُتِل بعد حبسه وعزله عن الشرطة سنة أربع وثمانين ومائتين .

٢٠٥ ـ وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم

وَلِىَ للأمير محمد بن عبد الرحمن خطتى الوزارة والمدينة ، وقاد جيش الصائفة لابنه عبد الرحمن بن محمد ، وذكر ابنُ حيّان من وفور هذا الجيش ما يُستغرب . واختص وليد هذا بصداقة هاشم بن عبد العزيز ، وإياه خاطَب من موضع أسْره دون الوزراء ، وهو قام بعُذره عند الأمير محمد ، فشكر وفاؤه ، وكان كاتباً ، أديباً ، مرسِّلا ، بليغاً . وابناه محمد وعبد الرحمن من أهل الأدب والبلاغة والشعر ، ومحمد أبعدُهما شأوًا فى ذلك . وقد عاشر المطرف ابن الأمير محمد على الأدبِ وكاتبَه بالشعر ، ووَلِىَ المدينة والوزارة والكتابة ، وارتفع قدره فى الدولة . وقد تقدم ذكر أخيه عبد الرحمن . وتوفى وليد فى شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

---

(١) فصل ابن حيان هذه الواقعة فى المقتبس ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) قتل الأمير عبد الله ابنه المطرف بسبب اعتدائه على القائد عبد الله بن عبد الملك بن مروان المترجم له هنا . انظر المقتبس ، ص ١١١ .

٢٠٦ — محمد بن عبد الملك بن جَهْوَر بن يوسف ابن بُخْت الفارسي

مولى عبد الملك بن مروان

دخل الأندلسَ جدُّ أبيه أبو الحجاج يوسف بن بُخْت فى طالعة بَلْج[1] ، وكان أحد القائمين بأمر عبد الرحمن بن معاوية ، فاستحجبه واستخلفه وقتاً على قرطبة . وقاد الخيل إلى جلِّيقية أيامَ / الأمير هشام ، وبلغ الفىء فى تلك [١٩٢-ب] الغزاة تسعة وثلاثين ألفاً ، وتوفى بطليطلة .

وكان ابنهُ جَهْوَر بن يوسف وزيراً للأميرين الحَكَم بن هشام وعبد الرحمن ابن الحَكَم .

ووَلِىَ ابنُ ابنِه — محمدُ بن عبد الملك هذا — الوزارة والقيادة للأميرين محمد ابن عبد الرحمن والمنذر بن محمد ، وتوفى ولم يُعقِب . وكان الأمير محمد قد نصبه إزاء هاشم بن عبد العزيز ليكسر منه ، فكان هاشم بنصاعة ظَرفه ورقة أدبه يكيده ويستذله ، إذ كان محمد ناقص الأدب لَحّانة ، إلا أنه كان كاتباً ساذج الصناعة ، مستقلا بالأعمال السلطانية ، متصرفاً فيها بعفة وكفاية[2] — قاله ابنُ حيّان ، وحكى أن هاشماً احتال فى سَمِّ ابن جهور هذا وحضر جنازته فأنشد :

يارُبَّ عقــدةِ سَوْء يحلُّهــا الموتُ قسرًا

---

(١) الأصل : طاعة بلج ، وهو خطأ .

ويلاحظ التناقض بين ما يذكره ابن الأبار هنا من أن جهور من أحفاد يوسف بن بخت وما قاله قبلا من أن الجهاورة من أحفاد حسان بن مالك المعروف بأبى عبدة . وإلى أن نعثر على الجزء الأول من تاريخ ابن حيان لن نستطيع القطع فى الموضوع .

(٢) فصل الكلام فى ذلك ابن حيان فى الجزء الذى يعده للنشر الدكتور محمود على مكى .

٢٠٧ - إبراهيم بن حجاج بن عُمَير بن حبيب اللخمى أبو إسحاق

بيته نبيه فى عرب حِمص[١] ، وثار بها عند ارتجاج الفتنة[٢] ، وقتل كُرَيْب بن عثمان بن خلدون وأخاه خالداً ، وملَك إشبيلية وقرمونة ، واتخذ لنفسه جنداً يرزقهم طبقات ، فكان فى مصافِّه منهم خمسمائة فارس[٣] . ولم يجاهر بالمعصية فى أكثر أوقاته ، ولا خَلَع فى جميع مدته ، وكان مالُ مُفارَقتِه[٤] يردُ على الأمير عبد الله كل سنة ، ومَدده يتوافى إليه لكل صائفة إلى سنة ثمان وتسعين ومائتين .

وكان منتجَعاً على البر والبحر ، جوادًا ممدَّحاً ، يرتاح للثناء ويعطى الشعراء عداد الأموال . وكان قصَده أبو عمر بن عبد ربه — من بين ثوار الأندلس —

---

(١) المراد بحمص هنا إشبيلية ، لأن جند حمص نزلوها عندما فرق أبو الخطار الحسام ابن ضرار الكلبى الجند على الكور ، وكذلك كانت تسمى فى كثير من النصوص . والعبارة هنا منقولة عن ابن الفرضى برواية ابن حيان . انظر المقتبس ، ص ١٣١ .

(٢) المراد بذلك الفتنة الأولى التى بدأت أثناء حكم الأمير محمد واستمرت إلى منتصف حكم عبد الرحمن الناصر ، وقد بدأها عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بالجليقى بناحية ماردة من الثغر الأدنى بعد هروبه من قرطبة سنة ٢٦١/٨٧٥ على إثر إهانة أنزلها به الوزير هاشم بن عبد العزيز واعتصم بحصن الحَنَش قرب ماردة ، ومن هناك بدأ حركة عصيان واسعة المدى عجزت الدولة عن القضاء عليها فى حينها ، فتشجع ثوار آخرون على الوثوب فى النواحى أخطرهم جميعاً عمر بن حفصون الذى ثار ابتداء من سنة ٢٧٠/٨٨٣ فى جبال تاكُرُنّا واعتصم بحصن بُبَشْتَرُ . وخلال حكم الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠/٨٨٨ - ٩١٢) استفحلت الفتنة حتى لم يعد سلطان الإمارة القرطبية يمتد إلى أكثر من إقليم قرطبة .

(٣) ابن الأبار ينقل هنا عن ابن حيان (المقتبس ، ص ١١ وما يليها) مع إسقاط بعض العبارات ومحاولة للإيجاز تنحرف بالمعنى بعض الشىء .

(٤) سبق أن شرحنا هذا المصطلح . انظر الفهارس العامة فى آخر الكتاب .

فأفضل عليه وعرف له حقه ، فمدحه بأماديح مشهورة . وقصده محمد بن يحيي القَلْفَاط بقصيدة هجا فيها عشيرتَه أهلَ قرطبة ، ولم يستثن منهم سوى بدرٍ الوصيف مولى الأمير عبد الله ، فحرمه ومقته ، وانصرف خائباً فابتدأ بهجاء ابن حجّاج . وبلغه ذلك فأحفظه ، وأوصل إليه من حلف له عنه : « لئن لم تَكُفَّ عما أخذت [فيه] لآمرنّ من يأخذ رأسك وأنت فوق فراشك بقرطبة »[1] ، فارتاع وكف عن هجائه .

٢٠٨ – إسحاق بن إبراهيم بن صخر بن عَطّاف ابن الحُصَين بن الدَّجْن العُقَيْلى

كان من أهل المَعاقد[2] أيام الجماعة ، يشهد مع الأمير محمد وقواده الصوائف ، ويقوم بين يديه المَقَاوِم[3] ، /ويخطب على رأسه فى الأعياد ومجالس المحافل [١٩٣–١] وأيامَ التبريز للمغازى ؛ وجرى على ذلك فى أيام ولديه المنذر وعبد الله من بعده ،

(١) العبارة بنصها واردة فى الخبر كما رواه ابن حيان عن ابن الفرضى . المقتبس ، ص ١٣٣ .

(٢) لم يرد لفظ المعاقد بصيغة المفرد فى النصوص ، وإنما يقال دائماً : من أهل المعاقد ؛ ويراد به أولئك الذين تعتبرهم الإمارة رؤساء على قومهم من جماعات العرب ، فتعقد لهم رايةً فى الجيش على عدد معين من المقاتلين أو الفرسان لابد أن يأتوا بهم عند النفير . وقد أورد دوزى أمثلة لاستعمال اللفظ : « لكل رئيس منهم عقدة يعقدها وعدة يعتد بها » و « ثم سأله أن يعقد له على قومه سنة كاملة » و « حتى أتت العقدة إلى يحيى من عند الأمير » و « فاجتمعت حوله عقدة من ثلاث مائة فارس لم يجتمع بالأندلس قبله ولا بعده مثلها . . . » الخ . انظر : ملحق القواميس ، ١٥٠/٢ .

(٣) أى يقوم بين يديه خطيباً فى المقامات ، ومقاوم جمع مقامة ، وابن حيان كثيراً مايستعملها فى هذا المعنى : « كان يقوم بين يدى الخليفة المقاوم » و « قام بين يدى الأمير بمقامة حسنة » . انظر : ملحق القواميس لدوزى : ٢ /٤٢٧ .

فلما ثارت الفتنة وتميزت الفِرق ، دخل إسحاقُ هذا حصن مَنْتِيشَة[١] ، فبناه وحصنه وامتنع به من ابن حَفْصُون وأهل الخلاف ، وتمسك بالطاعة — على تعززه عن العزل[٢] — إلى أن ضربت دولة[٣] الجماعه بعطن ، فاستنزله قَيِّمُها الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله إلى قرطبة سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وبها توفى .

٢٠٩ — محمد بن أضحَى بن عبد اللطيف الهَمْدانى

من أكابر أبناء العرب بكورة إلبِيرَة ، وكان بينه وبين سعيد بن جُودِىّ — أمير العرب أيامَ الفتنة — عداوة شديدة ، أوجبت على ابن أضْحَى الهربَ عنه بنفسه إلى غير مكان ، وسعيدٌ يجد فى طلبه ويبذل المال فيه ، إلى أن مضى

---

(١) مَنتيشة بفتح الميم ، هى Mentesa : بلدة صغيرة كانت فى كورة جيان ولم يعد لها وجود الآن . وقد ذكرها أليمانى بولوفر فى بحثه عن جغرافية شبه الجزيرة الأيبيرية عند العرب ، وقال إنها مذكورة بهذا الرسم عند كتاب الرومان كمرحلة من مراحل الطريق الرومانى فى مقاطعة بيطى Baetis والمراد بها هنا جنوب شبه الجزيرة ، وهى منسوبة إلى نهر بيطى وهو الاسم القديم للوادى الكبير .

Cf. : J. ALEMANY BOLUFER, ***La Geografia de la Peninsula Ibérica en los Escritores Arabes.*** **Granada, 1921, p. 94.**

وورد ذكرها أيضاً فى قسمة قسطنطين التى أورد نصها البكرى ونشره ليڤى پروڤنسال ذيلا على الترجمة الفرنسية للروض المعطار . انظر : ص ٢٤٦ من الترجمة الفرنسية وص ٢٤٨ وتعليق ١٤ . وقد ذكرها ياقوت بضم الميم وقال إنها كورة فى جيان ، ثم أضاف « وقيل إنها من قرى شاطبة » (٨/١٧٢) ، فخلط بهذا بين مَنتيشة التى ذكرناها ومُنتيشة Montesa بلدة صغيرة فى مديرية بلنسية ، وتقع على ٢٢ كيلومتراً جنوب غربى شاطبة .

(٢) هذه الفقرة كلها منقولة عن ابن حيان (المقتبس ، ص ٢٩) وجاءت العبارة هناك : على تعززه على العُمال .

(٣) الأصل : عزلة ، والتصويب من ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٩ .

سعيدٌ لسبيله ، فأمن جانبه . واستدعاه أهل حصن نُوَالِش(١) ليمنع منهم ، فصار عندهم مستمسكاً بالطاعة — على ما به من عزة — وخاطبَ الأميرَ عبدَ الله يسأله الإسجال له على ما بيده ، عقب أشياء دارت بينه و بين ابن حَفْصُون ، أبان فيها عن صدق ولايته(٢) ، فأسعفه الأمير عبد الله . وأمضى له ذلك الناصرُ عبد الرحمن — ابنُ ابنه الوالى بعده — إلى أن استنزله فيمن استنزل من الثوار سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة .

وكان ابن أضحى هذا — مع رجوليته — أديباً خطيباً ، يقوم بين أيدى الخلفاء فى المحافل فيحسن القول و يطيب الثناء ؛ وله أخبار معروفة . ولأبيه أضحى مقام بين يدى الأمير المنذر بن محمد مذكور . وقد تقدم ذكر ابنه أحمد بن محمد بن أضحى ، والثائر من عَقِبه القاضى أبى الحسن على بن عمر بن أضحى فى موضعيهما من هذا المجموع .

* * *

ومن بنى الأغلب :

٢١٠ — أحمد بن أبى الأغلب

واسمه إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو العباس . كان عالماً باللغة والغريب مع تصرف فى كثير من العلم والأدب ومهارة فى النِّجامة ، ويقال

---

(١) نوالش Noalejo بلدة صغيرة فى مديرية جيان ، تقع على ٤٧ كيلومتراً جنوبها قرب حدود مديرية غرناطة . وعلى ٣٠ كيلومتراً جنوب شرقها تقع بلدة حصن اللوز Iznalloz فى مديرية غرناطة .

انظر : مادوث ، مجلد ١٢ ص ١٦٦ ، والقاموس الجغرافى الإسبانى ، مجلد ١٣ ص ١٦٧ .

(٢) كذا وردت أيضاً عند ابن حيان (المقتبس ، ص ٣١) وابن الأبار ينقل عنه هنا بالنص ، والمقصود : ولائه .

إنه كان يحفظ كتب الأغانى للموصلى ، ولـكنه شان نفسه وأفسد علمه بكِبْرٍ
[١٩٣-ب] كان فيه وتشادُقٍ فى منطقه وتقصير فى كلامه ، واستعمل الغريب والإعراب /
حتى أطاعه لسانُه .

وكان أبوه أبو الأغلب والياً على صقلية من سنة إحدى وعشرين ومائتين
فضبطها واستقام له أمرها طول عمره بها .

* * *

ومن رجالهم :

٢١١ — أسد بن الفُرات بن سِنان

مولى بنى سُلَيم

من أهل نيسابور ، وولد هو بحَرّان ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان يقول :
« أنا أسد ، والأسد خير الوحوش .. وأبى الفُرات ، والفرات خير الماء .. وجَدِّى
سِنان ، والسنان خير السلاح » .

وقدم أبوه مع محمد بن الأشعث الخُزاعى فى عسكره حين ولاه أبو جعفر
المنصور إفرِيقِيَّة سنة أربع وأربعين ومائة ، وأسد إذ ذاك ابن سنتين ، مولده
بحَرّان سنة اثنتين وأربعين ومائة .

ويروى عنه أنه قال : « دخلت مع أبى القَيْرَوَان فى جيش ابن الأشعث

فأقمنا بها خمس سنين ، ثم دخلت مع أبى إلى تونس فأقمت بها نحواً من تسع سنين ، فلما أنهيتُ[1] ثمانى عشرة سنة عُلِّمت القرآنَ ببَجَرْدَة[2] ، ثم خرجتُ بعد ذلك إلى المشرق ، فوصلت إلى المدينة أطلب العلم ، ثم خرجت إلى العراق ، ثم انصرفت إلى القَيْرَوَان سنة إحدى وثمانين ومائة »

واستقضاه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، وأمَّره على الجيش الذى أنفذه لغزو صقلية ، فخرج إليها فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ومائتين وهو فى عشرة آلاف ، منهم تسعمائة فارس ، فظفر بكثير منها ، وتوفى وهو محاصر لسَرَقُوسَة[3] سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وكتب زيادةُ الله إلى المأمون بفتح صقلية على يدى أسَدٍ هذا ، وكان له بيان وبلاغة إلا أنه بالعلم أشهرُ منه بالأدب ، وإليه تُنسب « الأسدية »[4] فى الفقه .

---

(١) العبارة هنا منقولة عن « طبقات علماء إفريقية » لأبى العرب ، انظر ص ٨١ . وبين نص أبى العرب وما يورده ابن الأبار هنا خلاف يسير . وأورد العبارة نفسها أبو بكر المالكى فى « رياض النفوس » ، انظر ج ١ ص ١٧٢ . وقد وردت كلمة أُنهيتُ فى الأصل : انتهيت ، وفى طبقات أبى العرب ورياض النفوس : بلغت .

(٢) فى طبقات أبى العرب (ص ٨١) : فى قرية على وادى بَجَرْدَة ، وهو أصح ، لأن بَجَرْدَة نهر معروف فى تونس ، ويكتب فى بعض الأحيان مَجَرْدَة بالميم ، وعنه جاء اسمه بالفرنسية Medjerda وهو نهير صغير ينبع من جبال أوراس ويسير شمالا بشرق حتى يصب فى البحر الأبيض عند « رأس الجبل » شرقى بنزرت .

(٣) سرقوسة Siracusa ميناء معروف على الشاطئ الشرقى لجزيرة صقلية .

(٤) فى « رياض النفوس » لأبى بكر المالكى تفصيل طيب عن مدونة أسد بن الفرات التى جمع فيها أجوبة عبد الرحمن بن القاسم على ما سأله فيه من فصول الفقه ، ثم رتبها وبوبها بعد ذلك وأتى بها المغرب ، فسميت المدوَّنة الأسدية ، أو الأسدية فحسب ، وفيه أيضاً تفصيل مادار بين أسد وسحنون بن سعيد ، وكيف جمع سحنون مدونته ، وكيف أخملت مدونةُ سحنون مدونةَ أسد (انظر ص ١٧٨ وما بعدها).

٢١٢ – منصور بن نصر الجُشمىّ

من هَوَازِن من ولد دُرَيْد بن الصِّمَّة ، ويُعرف بالطُّنْبُذِىّ من أجل كونه بقرية تُعرف بطُنْبُذَة[1] من إقليم المحمدية بجهة تونس .

كان والياً على طَرَابُلُس ، فلما قَتل زيادةُ الله بنُ إبراهيم بن الأغلب عَمرو ابنَ معاوية الشَّلبى وولديه الحباب وسكتان[2] — وشرب يوماً مع أهل بيته ورؤوسهم بين يديه حتى قال فى ذلك عبدُ الرحمن بن أبى مسلمة يمدح زيادةَ الله :

أَزَرْتَ عِمرانَ عَمراً فى مُعَصْفَرةٍ ... من الدماء ارتدى من حَوْكها ابناهُ

[١٩٤–١] /وظن أن دخولَ الحصنِ مانعهُ ... من الجيوش إذا ما سُدَّ باباهُ

فاستنزلته العوالى ملقياً بيدٍ ... ووجهُهُ لهبُ النيرانِ يغشاهُ

يعنى عمران بن مجالد الرَّبعى ، وقد تقدم ذكره — ساء ذلك منصوراً وغمه وامتعض للقَيْسِيَّة فقال : « يابنى تميم ، لو أن لى بكم قوة ، أو آوى إلى ركن شديد ! » . وكان مع شجاعته فصيحاً بليغاً ، فكتب صاحبُ الخبر بكلامه إلى زيادة الله ، فعزله واستقدمه وهمّ به ، ثم صفح عنه . وخرج إلى منازله بتونس ، فجعل يراسل الجند ويذكر لهم ما يلقون من زيادة الله وما فعل بعمرو بن معاوية وولديه ، فبلغ ذلك زيادةَ الله فأخرج محمد بن حمزة المعروفَ بالحرُون فى ثلاثمائة

---

(١) ذكرها البكرى (صفة إفريقية ، ص ٣٨) باسم طنبد ، وقال إنها تسمى اليوم (القرن الخامس الهجرى) المحمدية ، ولا زالت تسمى بهذا الاسم ؛ وهى على بضعة كيلومترات جنوبى تونس العاصمة . وجاء فى التعليقات على رحلة التيجانى (ص ٨ هامش ١) : « اعتنى بعمارتها أحمد باشا باى ١٢٥٣ / ١٢٧١ وهى الآن على حالة خراب » .

(٢) ورد الاسم فى « البيان المغرب » (١/٩٨) : سجمان ، وفى نسخة أخرى : سمجان ، وقد صُوبت فى هذه النسخة : سمعان . وقد ورد ذكر أبيه هناك (١/٩٧) : عمرو بن معاوية القيسى ، وفى أصل مخطوطتنا عُمر ، وهو خطأ من الناسخ كما سيرى مما يلى ، فصوبناه .

فارس للقبض عليه ، فأقام بتونس وأشخص إليه من مشيختها من يأتى به فخدعهم وبعث إليهم ببقر وغنم وعلف وأحمالِ نبيذ[١] ثم صبَّحهم فقَتل من كان مع ابن حمزة ، ولم يسلم إلا من ألقى نفسه فى البحر ، وملَكَ تونس ، وقَتلَ عاملَ زيادة الله عليها إسماعيلَ بنَ سفيان بن سالم بن عقال[٢] وولده الأكبر واستبقى الأصغر .

واستفحل أمر منصور وأطاعه الجندُ ، وتغلب على أكثر إفْرِيقِيَّة ، وكان خروجه ليلة الاثنين لخمس بقين من صفر سنة تسع ومائتين ، وأقام ظاهراً على زيادة الله فى حروبه ، نادباً له إلى الخروج من القَيْرَوَان والتخلى عن البلاد حتى قتله عامر بن نافع ، فلم يسد مسده وأقامت الفتنة بإفْرِيقِيَّة نحواً من عشر سنين إلى أن فُتحت تونس فى آخر ولاية زيادة الله .

٢١٣ — عامر بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر ابن نافع بن مَحْمِيَّة المُسْلى[٣]

من مَذْحِج . مالأ منصور بنَ نصر الطُّنْبُذِىَّ على الخلاف ، وكان الذى

(١) هذا الخبر كله وارد بتفصيل أوفى عند ابن عذارى (١/٩٨ — ٩٩) ، وهو يقول هنا : بأحمال قهوة .

(٢) عند ابن عذارى (١/٩٩) : إسماعيل بن سالم بن سفيان ، واسم ولده محمد .

(٣) جاء فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم فى الكلام على بنى مُسْلِيَة بن عامر بن عمرو بن عُلَّة بن جَلْد : ومن بنى مسلية هؤلاء : عامر بن إسماعيل بن عامر بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر ابن نافع بن محمية بن حذيفة بن عوف بن صبح ، قاتل مروان بن محمد ، وابنه يحيى بن عامر ، أنكر أمر الحضرة (أى أنكر ما أراده المأمون من المبايعة للعلويين بولاية العهد) وواجه المأمون بأمر عظيم ، فأمر بصلبه ، فصلب بخراسان (ص ٣٨٩) .

بينهما غير جميل . ور بما استراح فيه منصور بمجالس أُنسه[١] ، فيغضى عامر على ذلك ، إلى أن زحف إليه لحصره بقصره بطُنْبُذَة ، واضطره إلى النزول على شروط لم يف بها ، وسجنه ، ثم كتب إلى ابنه حَمْدِيس أن يضرب عنقه ، و يبعث برأسه إليه . فدخل على منصور بالكتاب وأقرأه إياه ، فقال له : « يا ابن أخى ، راجعْه فى أمرى فلعل الله أن يصرفه إلى الجميل ! » فقال : « ما كنت بالذى أفعل وقد كتب إلىّ بما كتب به » ، قال : « فهل من دواة / وقرطاس أكتب وصيتى ؟ » فأتاه بهما ، فذهب ليكتب فلم يستطع ، فألقى القرطاس من يده ثم قال : « فاز المتقون بخير الدنيا والآخرة » . فقدمه فضرب عنقه ، و بعث برأسه إلى أبيه ، وضرب عنق أخيه معه ، ودفنهما فى مزبلة[٢] . [١٩٤-ب]

وصار أمر الجند إلى عامر ، وظن أن الأمور تستقيم له ، فكان الأمر على الضد . وكتب إليه زيادةُ الله يدعوه إلى الطاعة ويعرِّفه بإشفاقه عليه وعلى حُرَمه ، ويحذره عاقبة منصور الطُّنْبُذِى قتيله ، ويحلف له بأنه لا يحقد عليه مع الإنابة ، وبأنه مُعيدُه إلى ما كان عليه مع أبيه إبراهيم بن الأغلب وأخيه عبد الله بن إبراهيم ، فأجابه عامر برسالة بليغة أولها : « أما بعد ، فقد أتانى كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ أنك شفيق على ذريةٍ وعيالٍ صيَّرتها بأرض مضيعة وعدو مكاتنف وفتنة أوقدها من صيره الله جَزْلاً[٣] لها ، وصيَّرتُ نفسى مكانه فيها ، وقد كنتُ أنا الشفيقَ عليها ، والناصرَ لها فى الأيام التى قطعتَ بالتهديد قلوبَها ، وحرصتَ على إيتامها وكشف سترها ، إذ كنت أغدو وأروح إلى بابك

---

(١) جاءت هذه العبارة فى البيان المغرب (١٠١/١) فى صورة أخرى تفسر معناها : « وفى سنة ٣١١ قام عامر بن نافع على منصور الطنبذى ، وكان حاسداً له ، لأن منصوراً كان يتوعده على الشراب . . » .

(٢) الأخبار مروية على صورة تخالف هذه فى البيان المغرب : ١٠٢/١ – ١٠٣ .

(٣) الجزل ما عظم من الحطب ويبس ، والمراد هنا منصور الطنبذى .

متوقعاً لأمرك بسفك دمى من وراء حجابك ، وإن كان شعارى كنفى أعتد به دون دثارى ، مُسكتِتاً به من الخلق : لا يظهر إلىّ منك إلا أصلح قطوب ، ولا يبلغنى عنك إلا تجنى الذنوب ، وقد كان نظرُك ونُصرتك لتلك الحرم أحقّ منك قبل اليوم بها ، وتسكينُك لروعتها أولى وأحرى .

وآخِرها : ثم ذكرتَ أنه لا حقد ولا إحنة ولا تِرَة إلا وذلك مضمحل مع الألفة والإنابة ، فقد والله حقدتَ بلا ذنب ووترتَ بلا تِرَة ، وحلفت بعهود ومواثيق وأيمان مغلظة قلدتَها عنقَك وأخفرتَ بها مراراً ذمتَك وما بينى و بينك هوادة إلا ضرب السيف ، حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين »

ولم يلبث عامر أن انتقض عليه أمره ، واضطرب جندُه ، ووجدَ قوادُ المُضَرية لما صنعوا بمنصور وأخيه ، وأنزلوا ذلك على العصبية ، فنافروه ثم حاربوه ، ومضى عبدُ السلام بن المُفرِّج اليَشكُرِىّ مخالفاً لعامر ، ثم زحف إليه فى جماعة من الجند فانهزم عامر واعتل إثر ذلك ، فلما أيقن بالموت دعا بنيه وأوصاهم باللحاق بزيادة / الله فعملوا برأيه ، واستأمنوا إليه بعد موته ، فسُرَّ بهم وأمَّنهم وأحسن [١٩٥-ا] إليهم ، وقال عند ما بلغه موت عامر : « الآن وضعت الحرب أوزارها » فكان كذلك : لم يزل أمر الجند مدبراً حتى انقضت الحرب ، وطفئت النائرة ، وصفت له إفريقية .

٢١٤ — حسن بن[1] أحمد بن نافد
المعروف بأبي المقارع

كان والياً على طُبْنَة من أعمال إفريقية فى ولاية زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغالبة ، فحاصره أبو عبد الله الشيعى داعية عبيد الله المهدى حتى غلب على المدينة ، ولجأ أبو المقارع هذا إلى حصن منيع بداخلها ، ثم نادى بالأمان ، فأجابه بعض أصحاب الشيعى ، فقال : « هذا الأمان عنك أو عنه ؟ » فقال : « عنى » ، قال أبو المقارع : « ما كنا بالذين نلقى بأيدينا إلا أن يؤمننا » . قال صاحب الشيعى : « فإن لم تفعل فما تصنعون ؟ » قال : « نسكونوا[2] كما قال الشاعر :

فأثبتَ فى مستنقع الموت رجلَهُ وقال لها[3] : من تحت إخمَصِكِ الحشرُ »

قال : « هكذا ؟ » قال : « نعم ! وما راحتنا فى استعجال الموت ؟ بل ميتة كريمة بعد بذل المجهود أفضل » . فانصرف إلى الشيعى فأخبره ، فقال : « أعطهم عنى الأمان » فنزل أبو المقارع ومن معه ، وأتى الشيعىَّ وهو فى فرط خوف ، فسلم عليه وهنأه بالفتح ، فقال له : « ما الذى حملك على طول [المدافعة والامتناع][4] ؟ » فقال له أبو المقارع : « إن ذلك ما [لا حيلة لنا فيه][5] . خلفنا الأهل والولد ، وخشينا إن ألقينا بأيدينا أن [يحيق بنا وبهم المكروه][6] ،

---

(١) ورد الاسم فى الأصل ناقصاً لفظ « حسن » فأكملته من البيان المغرب لابن عذارى (١/١٤٠) .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو دارج ، وقد تركته على حاله لعله يكون ذا فائدة لمن يدرسون النواحى اللغوية .

(٣) الأصل ألا ، والصواب « لها » ، والبيت لأبى تمام وهو مشهور .

(٤ و ٥ و ٦) أضفت هذه الكلمات للسياق .

وقد أمَّننا هذا عنك » قال : « نعم » فشكره ودعا له ، وأعجب الشيعى ما رأى من نُبله وجزالة منطقه ، فأمر بحفظه وحفظ من كان معه ، ولم يزل فى صحبه إلى أن دخل معه إفريقية .

* * *

المائة الرابعة

٢١٥ – المنصور بن القائم بن المهدى

هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد بن عبيد الله الشيعى . فوض إليه أبوه عهده يوم الاثنين لسبع خلون من رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وهو إذ ذاك ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فصلى بالناس فى عيد الفطر من هذه السنة وخطب خطبة بليغة .

ثم توفى القائمُ على إثر هذا يوم الأحد لثلاث عشرة / خلون من شوال ، [١٩٥-ب] فكتم المنصور موتَه وابتدأ بقتال أبى يزيد مَخْلَد بن كَيْداد اليَفْرَنى الإباضى صاحب الحِمَار[١] وقد استفحل أمره وأعضل شره حتى عجز عن مقاومته القائمُ ، فتغلب على أعمال إفريقية ، وحصره بالمهدية ، ثم انتقل إلى سُوسَة ، فهزمتْه بها أوائلُ

(١) سمى أبو يزيد مخلد بن كيداد بصاحب الحمار لأنه كان يركب حماراً . ونسبه الكامل وتاريخه فى البيان المغرب نقلا عن إبراهيم الرقيق ومؤرخ يسمى ابن سعدون يبدو أنه كتب تاريخ ثورة أبى يزيد بالتفصيل ، لأن ابن عذارى يقول إنه يذكر أنصار أبى يزيد فى أول قتال له مع أبى القاسم الشيعى « رجلا رجلا » (انظر ج ١ ص ٢١٦)

جيوش المنصور ، ثم خرج بنفسه فى اتِّباعه من المهدية يوم الأربعاء لسبع بقين من شوال وهو فى قلة من عبيده وخدمه ، حتى انتهى إلى سُوسَة ، فنزل بظاهرها ، و بلغه أن أهل القيروان لما قصدهم أبو يزيد مفلولا سبُّوه ومنعوا أصحابَه دخولَ البلد ، وقتلوا جماعة ممن دخل منهم ، فكتب إليهم كتاباً يؤمنهم ، ولم يعد المنصورُ من وجهته هذه حتى أمكنه الله من أبى يزيد بعد محاصرته بالقلعة التى لجأ إليها[١] . وكان يقول فى سفره كله : « إن أنا لم آخذ أبا يزيد وأسلخه فلست بابن فاطمة ولست لكم بإمام » .

وأظلّ عيدُ الأضحى من سنة خمس وثلاثين وهو محيط بأبى يزيد فى قلعته ، فركب إلى المصلى فصلى بالناس ، ثم خطب وعرّفهم فى خطبته بموت أبيه القائم ، ونحر بَدَنة بيده ، وانصرف إلى مضربه وانصرف الناس مسرورين بخلافته موقنين بيُمن نَقيبته و بركة دعوته . وكتب أهلُ العسكر إلى من وراءهم بالقيروان والمهدية فشملهم السرور .

ودخلت سنة ست وثلاثين ، فى المحرم منها ظفر المنصورُ بأبى يزيد بعد مواقفات لا يفى بها الوصف ، وقُيِّد إليه مثقلا بالجراح ، فأمر بحمله إلى المضرب وهو [يجود بنفسه][٢] لما به .

وليلةَ الخميس آخر المحرم هلك عدو الله ، فسُلخ وحُشِىَ جلدُه بالتبن حتى ظهرت صورته[٣] ، ولما فرغ من فعله ذلك بأبى يزيد وحضرت صلاةُ الظهر تقدم

(١) ذكر ابن عذارى (١/ ٢٢٠) أن هذه القلعة تسمى بحصن أبى يزيد فى جبال كتامة . وجبال كتامة فى المنطقة المعروفة اليوم باسم بلاد القبائل ، وتكتب فى الخرائط الفرنسية La Cabilie إلى شرق مدينة الجزائر الحالية .

(٢) ابن الأبار ينقل هنا عن ابن حمادُه البرنسى ، وقد استعنت بنصه كما نشره فندرهايدن (ص ٢٤ وما بعدها) فى تقويم هذا الجزء من كلامه .

(٣) عند ابن حمادُه : « فأمر إسماعيل بسلخه وحشو جلده قطناً ، وخيطت أوصاله حتى تمت جثته ، وصار كأنه نائم ، وقدد لحمه ومُلح ، وأمر بحمل جميع ذلك » (ص ٢٥) .

إليه [. . . . . . .](١) ثم قالوا : « السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، صلاة الظهر رحمك الله » والناس فى غفلة ، فكبروا وتباشروا ، و بعد صلاة العصر من ذلك اليوم [دخل عليه الناس](٢) وهنّوه بالفتح فبسط آمالهم ووعدهم الغنائم والأ[موال ، فأثنوا على](٣) شجاعته وسماحته [... ... ...](٤) دوكا ، ثم ارتحل يوم السبت غرة صفر إلى [المسيلة](٥) ومنها توجه إلى تاهَرْت فنزل/ [١٩٦ - ا] [عليها يوم الثلاثاء لست بقين من صفر من هذه السنة ، وأقام بها إلى](٦) يوم الاثنين غرة شهر ربيع الأول ، وقد هرب أمامه الثا [ئرون ، ثم كتب إلى أهل القيروان](٧) فأمّنهم ووعدهم خيراً وكان وصوله يوم الاثنين غرة شهر ربيع الأول إلى قصره بالمنصورية — وقد بناه [فتاهُ « مُدَامٌ » أثناء](٨) غيبته — عند صلاة الظهر من يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين .

وفى اليوم الثانى من وصوله أمر بإخراج أبى يزيد على جمل وقد ألبس قميصاً وركب وراءه مَن يمسكه ، وعليه الطرطور وقردان على كتفيه ، فطيف به سُماطات القيروان ثلاثة أيام متواليات . ثم أمر بحمله إلى المهدية فطيف هناك به إلى أن مزقته الرياح .

ولم تطل مدة المنصور ، فتوفى ليلة الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وغسله جعفر بنُ على الحاجب المعروف بابن الأندلسى ، وصلى عليه ابنُه وولىُّ عهده أبو تميم مَعَدّ بن إسماعيل ، ودُفن ليلا فى قصره بالمنصورية وهو ابن أربعين

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢ و ٣) أكملت الناقص هنا بما يقيم المعنى اعتماداً على نص ابن حماده .

(٤) لم أستطع استكمال هذه العبارة .

(٥) عن ابن حماده (ص ٢٦) .

(٦) أكملت هذه العبارة بناء على ما عند ابن حماده (ص ٢٦) .

(٧) أكملت هذه العبارة من سياق كلام ابن حماده ، نفس الصفحة .

(٨) أكملت هذه أيضاً مستعيناً بما ذكره ابن حماده ، ص ١٩ وما بعدها .

سنة كاملة . ومولده برَقّادَة سنة إحدى وثلاثمائة ، وكانت ولايتُه سبع سنين وثمانية عشر يوماً .

وفى كتاب أبى الحسين الروحى الإسكندرى أن المنصور وُلد سنة اثنتين وثلاثمائة ؛ قال : وولِىَ فى شوال سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ، وظفر بأبى يزيد فى المحرم سنة ست وثلاثين ، وتوفى يوم الجمعة منسلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فكانت ولايتُه سبع سنين

وفى « المقتبس » لابن حَيّان : أن الناصر عبد الرحمن بن محمد قدم عليه أيوب ابن أبى يزيد الخارج على المشارقة آل عبيد الله الشيعى الدعىّ الناجم بأرض إفريقية ، رسولا لوالده أبى يزيد ، قَفَّى به رُسُلا قبلَه يسأل القوة على حرب هؤلاء الملحدين المُغْوِين للأمة ، وذلك يوم السبت لست بقين من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ، فقعد له الناصر قعودًا فخماً ، وأوصله إلى نفسه وأكرم لقاءه وسمع منه وأجمل الرد عليه ، وأمر بإنزاله فى قصر الرُصَافة وقُدّامَه [ما يُحتفَل به][1] لأمثاله . فأقام هناك تحت رَعْيٍ وكرامة موصولة ، إلى [أن ورد عليه][2] منها قوم من ناحية [إفريقية معهم][3] رسول لأبى يزيد [إلى ولده أيوب][4] ، يذكر كرّة أبى يزيد على [المسيلة من بلاد][5] إسماعيل ا [لمنصور حفيد أبى عبيـد الشيعى المذكور ، وأنه يتأهب] [6] / للنُّهود نحوه بالقيروان ، وأنهم [١٩٦-ب] [بلغهم] [7] أن أبا القاسم [محمد القائم بن عبيـ] د[8] الله [بعد أن أوصى][9] إلى ابنه فى الإمارة هلك فى [يوم الأحد الثالث عشر من شوال][10] من هذه السنة — يعنى سنة خمس وثلاثين[11] — وولِىَ مكانه إسماعيل ابنُه [الملقب

(١ — ١٠) وردت هذه العبارة التى نقلها ابن الأبار عن ابن حيان مقطعة مليئة بالخروم ، فاجتهدت فى سد خللها مستبيناً بما أعرف من أسلوب ابن حيان فى هذه المناسبات . والإضافات كلها واردة بين أقواس .

(١١) كذا فى الأصل ، والصحيح كما ورد فى تاريخ ابن حماده سنة ٣٣٤ : « التاريخ الدقيق لوفاة محمد القائم غير معروف ، لأن ابنه إسماعيل أخفى الخبر حتى تم له النصر على أبى يزيد » .

بالمنصور][1] غير أنهم كتموا موته لما هم عليه من حال الحرب . [وطلب أبو زيد إلى ابنه أن يستصحب معه ف] رسان[2] المدد ، فاستبصر الناصر فى التوقف عن إمداد أبى يزيد إلى أن يرى مآلَ أمره ، وعلَّل ابنَــه أيوب ورُسُلَه بموعده .

٢١٦ — ابنه المعز لدين الله ، أبو تميم معد بن إسماعيل ابن محمد بن عبيد الله

وَلِىَ بعد أبيه وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقيل أربع وعشرين . مولده بالمهدية سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، وأقام من يوم وفاة أبيه وإفضاء الأمر إليه فى تدبير الأمور إلى يوم الأحد سابع ذى الحجة من سنة إحدى وأربعين ، وفيه قعد للخاصة وكثير من العامة فسلموا عليه بالخلافة ، وتسمَّى بالمعز لدين الله ، ولم يُظهر على أبيه حزناً ، وبعث إلى المهدية فى عمومته وأهل بيته ، فوردوا عليه وبايعوا له وحضروا معه عيد الأضحى ، وخرج فصلى بالناس وخطب ونحر .

وكان من أهل البيان والبلاغة والخطابة ، وله مع أبى القاسم محمد بن هانى الأندلسى زعيم شعرائه وقاصر أمداحه — على غُلُوِّ فيها — عليه أنباء مذكورة ، وهو أحد ملوك بنى عبيد الله العظماء .

وساعده الحال فملَك مصر دون [كبير مشقة][3] ، وانتقل إليها من إفريقية فى آخر دولته [فى شعبان سنة ٣٦٢][4] . ولم تزل فى يده وأيدى بنيه متصلة

(١ و ٢) هاتان العبارتان أضفتهما للسياق .

(٣ و ٤) وهاتان أيضاً .

بإفريقية ومنقطعةً منها نيفاً على مائتى سنة . وآخرهم مُلْـكاً بها أبو محمد عبد الله العاضد وهو ابن يوسف بن عبد المجيد بن محمد ابن عم مَعَدّ المستنصر بالله بن على الطاهر بن منصور الحاكم ابن نِزَار العزيز بن مَعَدّ المعز هذا .

ولم يتقلد سلطانهم من أول قيام المهدى عبيد الله إلى حين انقراضه مَن أبوه غير خليفة إلا الحافظ[1] والعاضد ، وكانت وفاته يوم السبت للنصف من جمادى الأولى سنة أربع وستين وخمسمائة فى آخر خلافة المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن المقتفى بن المستظهر بن المقتدى بن [محمد بن] القائم بن القادر [أبى العباس أحمد] بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن الموفَّق بن المتوكل / [١٩٧-ا]
[ابن المعتصم] بن الرشيد بن المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس رضى الله عنهم[2] .

وأغزى المعز جوهراً خادمَه وكاتِبه إلى المغرب ففُتِح عليه ، ثم أغزاه مصر ، فافتتحها فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد وفاة كافور الإخشيدى بسنة أو نحوها .

وابتنى له القاهرة فانتقل المعز[3] إليها فى آخر شوال سنة إحدى وستين ، ووصل إلى الإسكندرية لست بقين من شعبان سنة اثنتين وستين ، واستقر

---

(١) لم يرد من هذا الاسم إلا أوله : « الحافظ » وقد أكملته . وابن الأبار على حق فى هذه الملاحظة ، فإن الحافظ هو ابن أبى القاسم محمد (ولم يكن بخليفة) ابن المستنصر ، والعاضد هو ابن يوسف (ولم يكن بخليفة) ابن الحافظ . وبقية خلفاء الفاطميين آباؤهم خلفاء .

(٢) راجعت هذا النسب وصوبته بين حواصر .

(٣) يريد أنه سار إلى مصر من المغرب فى هذا التاريخ ، لأنه لم يستقر فى القاهرة إلا بعد ذلك كما سيجىء .

بقصره [بالقاهرة][1] يوم الثلاثاء السابع رمضان ، وقيل الخامس منه .

واستخلف على إفريقية أبا الفتوح يوسف بن زِيرِى بن مَناد الصِّنهاجي ، وهو الذى يقال له بُلُقِين ، فوليها بعده ولدُه — طائعين للعُبيديين ومُنتَزين عليهم — إلى أن تغلب الرومُ على المهدية فى إمرة آخر هؤلاء الصِّنْهاجيين وهو الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن أبى الفتوح المذكور ، وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة .

[ودام مُلك المعز بعد][2] استئثاره بمُلك مصر [إلى][3] أن توفى بالقاهرة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام .

وفى كتاب أبى إسحاق الرقيق أن خلافته كانت أربعاً وعشرين سنة ، وأن عمره عند وفاته بلغ ثمانيا وأربعين سنة ، مولده سنة ثمان عشرة وثلاثمائة .

بلغت مقابلته من الأصل المنتسخ منه جهد الاس[تطاعة]

نجز الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه والحمد لله حمد الشاكرين ، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين محمد وآله وسلم فى الثالث عشر من شعبان [سنة] تسعين وتسعمائة على يدى عُبيد الله المقترف المعترف علىّ بن محمد الكَفّاد الأندلسى ، لطف الله به[4]

(١ و ٢ و ٣) التكملة من ابن حمادُه ، ص ٤٤ .

(٤) إلى هنا ينتهى كتاب « الحلة السيراء » ، وتلى ذلك فى المخطوط ورقات ضمت إليه خطأ من كتاب « العبر » لأبى بكر أحمد بن سعيد بن الفيّاض . وقد درسنا هذه الأوراق فى بحثنا عن « الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس » (ص ١٠٦ — ١٠٧) .

كشاف عام

(ب)

(ت)

(ث)

(ح)

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس القوافى

(ز)

(س)

(م)

أسماء الكتب التي ورد ذكرها في النص (*)

(*) أسماء الكتب والمؤلفين واردة في هذا الثبت بصورها الواردة بها في النص .

للمؤلف

مؤلفات فى التاريخ :

١ — الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٣٨ .

٢ — فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧ (الطبعة الثانية المزيدة فى المطبعة) .

٣ — Essai sur la chûte du Califat Umayyade de Cordoue. Le Caire, 1948.

٤ — صور من البطولة (طبعتان . القاهرة ١٩٤٩ ، ١٩٥٦) .

٥ — مصر ورسالتها (طبعتان . القاهرة ١٩٥٥ و١٩٥٦) .

٦ — Historical Atlas of the Muslim Peoples (in collaboration with R. Roolvink and Others). Amsterdam. 1957.

٧ — فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ .

٨ — نور الدين محمود — قصة بناء الوحدة العربية الإسلامية فى القرن السادس الهجرى ، القاهرة ١٩٥٩ .

٩ — مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية الإخشيديين — فصل فى كتاب « تاريخ الحضارة المصرية » الذى نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومى سنة ١٩٦٣ .

١٠ — La Republica Arabe Unida. Bosquejo histórico geográfico. Madrid, 1963.

١١ — Los Arabes ; La Lengua Arabe ; El Nacionalismo Arabe; Tres ensayos. Madrid, 1963.

١٢ — رحلة الأندلس : حديث الفردوس الموعود ، القاهرة ١٩٦٤ .

قصص ومسرحيات :

١٣ — حكايات خيرستان ، قصص رمزية ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٤ — أهلا وسهلا ، قصة مصرية طويلة ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٥ — الطريق الأبيض ، مسرحية فى ثمانية مشاهد ، القاهرة ١٩٦٣ .

أبحاث :

١٦ — عقد بيعة بولاية العهد لأبى عبد الله محمد المعروف بالخليفة الناصر الموحدى ، نشر فى الجزء الثانى من المجلد الثانى عشر من حوليات كلية الآداب بجامعة القاهرة .

١٧ — تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس ، نشر فى المجلد الأول من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس .

١٨ – وثائق عن مهدى السودان ، نشر فى العدد الثانى من المجلد الثانى من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس .

١٩ – غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩ و٢٤٥ هـ / ٨٤٤ و ٨٥٩ م ، نشر فى العدد الأول من المجلد الثانى من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

٢٠ – السيد القبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، نشر بالعدد الأول من المجلد الثالث من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

٢١ – المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية ، نشر فى العدد الأول من المجلد الرابع من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

٢٢ – المجتمع فى الدستور ، بحث نشر فى كتاب « روح الدستور » ، وهو رقم ٢٥ من سلسلة « اخترنا لك » .

٢٣ – لكى لا ننسى . . هذا صوت التاريخ ، بحث نشر فى كتاب « قناة السويس – حقائق ووثائق » ، وهو رقم ٢٩ من سلسلة « اخترنا لك » .

٢٤ – سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ .

٢٥ – De nuevo sobre las fuentes árabes de el historia del Cid. صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ .

٢٦ – Egipto y el Mediterraneo ، فصل نشر بالإسبانية والفرنسية فى كتاب Panorama del Mundo Arabe ، الذى نشره معهد العلوم السياسية فى مدريد سنة ١٩٥٤ .

٢٧ – نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٣ سنة ١٩٥٥ .

٢٨ – أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ، للونشريشى . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٥ سنة ١٩٥٧ .

٢٩ – La división politico-administrativa de la Espana musulmana صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٥ سنة ١٩٥٧ .

٣٠ – الفولكلور ، تاريخه ومدارسه ومناهجه ، صحيفة « المجلة » العدد ٢٣ سنة ١٩٥٨ .

٣١ – Le Malékisme et l'échec des Fatimides en Ifriqiya dans Etudes d'Orientalisme dediées à la mémoire de Lévi-Provençal, Paris, 1962.

٣٢ – Abd al-Rahman III y su papel en la historia general de Espana (Revista del Instituto de Estudios Islámicos en Madrid, vols. IX-X, Madrid 1961 - 1962).

٣٣ – مواد مختلفة فى الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية .

نشر وتحقيق :

٣٤ – رياض النفوس لأبي بكر المالكي ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥١ .
٣٥ – ضوابط دار السكة لأبي الحسن علي بن يوسف الحكيم ، مدريد ١٩٦٠ .

ترجمة :

٣٦ – الإمبراطورية البيزنطية لنورمان بينز (ترجمة عن الإنجليزية بالاشتراك مع الدكتور محمود يوسف زايد) طبعتان بالقاهرة ١٩٥٠ و١٩٥٧ .
٣٧ – الشعر الأندلسي لغرسية غومس (عن الإسبانية) طبعتان بالقاهرة ١٩٥٢ و١٩٥٧ .
٣٨ – تاريخ الفكر الأندلسي لجونثالث بالنثيا (عن الإسبانية) القاهرة ١٩٥٥ .
٣٩ – ثم غاب القمر ، مسرحية في ثمانية مناظر مقتبسة من قصة **The Moon is Down** لجون شتاينبك ، القاهرة ١٩٥٦ .
٤٠ – الزفاف الدامي لفيديريكو جارثيا لوركا ، القاهرة ١٩٦٤ .

فهرس الجـــزء الثانى

المائة الخامسة

صفحة

المائة السادسة

المائة السابعة

باب فى الذين ما عثرت على أشعارهم فاقتصرت على نكت من أخبارهم

المائة الأولى من الهجرة

المائة الثانيــة

المائة الثالثة

صفحة

المائة الرابعة

رقم الإيداع	١٩٨٥ / ٥١٣٨
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٠٢ – ١٤٥٢ – ٣

١ / ٨٤ / ١٤٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)